



الإتحاد العام للآثاريين العرب



مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب

مجلة علمية سنوية محكمة - تعنى بنشر البحوث والدراسات المتخصصة
في مجالات علم الآثار والمتاحف والترميم وحضارات الوطن العربي

تصدر عن

الإتحاد العام للآثاريين العرب

والمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لإتحاد الجامعات العربية

العدد الرابع عشر

القاهرة

صفر ١٤٣٤ هـ / مايو ٢٠١٣ م

رقم الإيداع
الدولي والمحلي
٢٠١٣ / ١٢٨٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهيئة الاستشارية

١	أ.د. علي رضوان	(كلية الآثار - جامعة القاهرة)
2	أ.د. عبد الرحمن الطيب الانصاري	(جامعة الملك سعود)
3	أ.د. عبد القادر محمود	(جامعة الخرطوم)
4	أ.د. يوسف الامين	(جامعة الملك سعود)
5	أ.د. زاهي حواس	(الامين العام للمجلس الاعلي للآثار)
6	أ.د. شافيه بدير	(قسم الآثار - كلية الاداب جامعة عين شمس)
7	أ.د. تحفة حندوسة	(كلية الآثار - جامعة القاهرة)
8	أ.د. محمد الجوهري	(كلية الآثار - جامعة سوهاج)
9	أ.د. محمد الكحلاوي	(كلية الآثار - جامعة القاهرة)
10	أ.د. صالح لمعي مصطفى	(مدير مركز احياء التراث العربي الاسلامي)
11	أ.د. محمد عبد الستار عثمان	(كلية الاداب - جامعة سوهاج)
12	أ.د. عبد العزيز لعرج	(معهد الآثار - جامعة الجزائر)
13	أ.د. معاوية محمد إبراهيم	(الجامعة الأردنية - عمان)
14	أ.د. جيفري كنغ	(كلية الأداب والآثار - جامعة لندن "بريطانيا")
15	أ.د. خليل المعقيل	(جامعة حائل - السعودية)
16	أ.د. الحسن أوراغ	(جامعة محمد الاول - المغرب)
17	أ.د. ناهض دفتر	(جامعة بغداد)
18	أ.د. فوزي محفوظ	(الجامعة التونسية)

هيئة تحرير مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب

رئيس التحرير

أ.د. على رضوان رئيس الإتحاد العام للأثريين العرب

مدير التحرير

أ.د. محمد محمد الكحلاوى أمين الإتحاد العام للأثريين العرب

لجنة التحكيم

أ.د. أحمد أمين سليم
أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف
أ.د. محمد عبد الستار عثمان
أ.د. محمد الجوهري
أ.د. عزت زكى قادوس
أ.د. محمد إبراهيم بكر
أ.د. علاء عبد المحسن شاهين
أ.د. محمد محمد الكحلاوى
أ.د. عاطف عبد اللطيف برانية
أ.د. عبدالله عبد الحافظ

مراجعة

أنيرة أحمد جلال الدين

سكرتيرة التحرير

أ.صفاء سيد عبد القادر

فهرس مجله الإتحاد العام للآثارين العرب
(العدد الرابع عشر 2013 م)

م	أسم الباحث	أسم البحث	البلد	أرقام الصفحات
1	د. أسماء محمد إسماعيل	التأثيرات السورية على بعض أنماط العمارة الإسلامية في بلاد الأناضول حتى نهاية العصر السلجوقي	مصر	1 : 37
2	د. نعمان بن إسماعيل	الصناعة التقليدية للأجر والقرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي	الجزائر	38 : 46
3	د. سوسن سيد درويش د. هشام محمود إمام أ. أيمن صلاح طه محمد	استخدام تقنيات الليزر فى تنظيف بقع الـ Foxing من المخطوطات الورقية	مصر	47 : 61
4	د. عاطف عبد الدايم عبد الحى	جامع بشتاك الناصرى بالقاهرة (736 — 737 هـ/1336 — 1337 م) دراسة معمارية وثائقية جديدة	مصر	62 : 94
5	د. عبدالقادر دحدوح	قلعة بني حماد: عوامل التمدن وأسباب الخراب	الجزائر	95 : 117
6	أ.د. علاء الدين عبد المحسن شاهين د. سلطان مطلق الدويش	التأثيرات الحضارية المتبادلة على الفخار في الساحل الغربي للخليج العربي من الألف الخامس قبل الميلاد الى نهاية العصر الحديدي	مصر	118 : 127
7	د. لطيفة بورابة	ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر (دراسة تاريخية أثرية)	الجزائر	128 : 143
8	د. محمد العلامى	الكساء عند الشاسوارحل في الرسومات المصرية	فلسطين	144 : 151
9	د. محمد كمال خلاف د. أحمد محمد أمين	الحوض الجاف بالدخيلة "دراسة أثرية معمارية وتقييم للوضع الراهن ومتطلبات الترميم والصيانة"	مصر	152 : 185
10	د. مفتاح عثمان عبد ربه	الموانى على الساحل الغربى لإقليم قوريناية فى العصر	ليبيا	186 : 209

		الكلاسيكي		
248: 210	السعودية	أثر الاضطرابات السياسية على الحياة العامة في مدينة ينبع في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري	د . مها بنت سعيد اليزيدي	11
256 : 249	الجزائر	المرأة في الأسطوغرافيا الاباضية	د . نبيله حساني	12

*ملحوظة : تم ترتيب الفهرس وفقاً للترتيب الأبجدي للأسماء.

القواعد والمعايير الخاصة بتنظيم البحوث للنشر

طبقاً للقواعد المقررة للنشر فإن ادارته مجلة الاتحاد ترحو من السادة الباحثين الالتزام بما يلي:-

- ١- أن يكون البحث جديدا ولم يسبق نشره في أيه دوريه أخرى .
- ٢- أن يتضمن البحث نتائج علمية جديدة تضيف للدراسات الأثرية أو المتحفية أو أعمال الترميم المعماري والترميم الدقيق.
- ٣- أن تكون اللوحات والأشكال التوضيحية المرفقة بالبحث منشورة لأول مرة ، وفي حالة الاستعانة بلوحات وأشكال من بحوث أخرى يذكر ذلك جلياً أسفل كل لوحة أو في فهرس خاص.
- ٤- أن يكون عدد صفحات البحث خمس وعشرين صفحة من بينهم خمس صفحات صور
- ٥- يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والأجنبية.
- ٦- أن تتبع القواعد العلمية في إثبات مصادر ومراجع المقالات والأبحاث وفقاً للترتيب التالي:- (أسم المؤلف-عنوان الكتاب- دار النشر-مكان النشر-التاريخ- الجزء- الصفحة) على أن تكون الهوامش مسلسلة بأرقام متتابعة من ١- ١٠٠ مثلا وأن تكون أسفل كل صفحة وليس في نهاية البحث على أن تكون الهوامش بنط ١٢ عربي ، بنط ١٠ أجنبي.
- ٧- أن يكون حجم الورقة "Paper" كالاتي: **Width:17.5cm x Height:24cm**
- ٨- وان تكون مقاسات الصفحة "Margins" كالاتي:

Bottom: 2.5cm ، top: 2cm ، right: 2cm ،Left: 2cm

- ٩- أن ترد المقالات مطبوعه وفق نظام الناشر المكتبي IBM بنط (١٤) والعنوان الرئيسي بنط (١٦) أسود (B) وأن يكون نوع الخط. (عربي Arabic Transparent)
 - (أجنبي Times New Roman) ويرفق مع البحث عدد ٢ CD .
 - ١٠- تقدم البحوث لإدارة المجلة أو الكتاب بعد مراجعتها لغوياً.
 - ١١- يشترط في حاله وجود لوحات أن تكون اللوحات مصوره فوتوغرافياً وتكون مأخوذه scanner وأن تكون بتنسيق jpg وأن تكون الصور مدرجه في FOLDER خاص على الـ CD طبقاً لتسلسلها في البحث .
 - ١٢- الأبحاث التي تحتوي علي لغات قديمة يجب إدراج نسخة من برنامج كتابة النصوص القديمة ،حتى تخرج بحوث سيادتكم بالكشل اللائق الذي ترغبونه.
 - ١٣- إدارة المجلة لا تلتزم برد المقالات التي لا توافق لجنه التحكيم على نشرها .
- *يرجى في حاله الاستفسار الاتصال بنا على العنوان التالي:
- الاتحاد العام للأثاريين العرب – المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي جامعه القاهرة – المدينة الجامعيه للطلاب.

شارع ثروت – رقم بريدي ١٢٦١٢ الجيزه – جمهوريه مصر العربيه

تليفون : ٣٥٦٧٦٠٣٦ – ٣٧١٦٥٨٩٨ – فاكس ٣٧١٦٥٨٩٨ موبيل: ٠١٠٠٢٥٣٤٥١٣

بريد الكتروني: arabarch@yahoo.com الموقع الالكتروني: www.g-arabarch.com

ملحوظة :- في حاله وجود صفحات زائده عن العدد المقرر أو لوحات فوتوغرافيه أو مخططات معماريه يدفع عن كل صفحة عشرة جنيهات وعن كل مخطط أو لوحه ١٥ جنيها واداره الاتحاد تعتذر عن عدم قبول أو نشر أي بحث يرد اليها بدون الالتزام بالقواعد المنشوره .

والله ولي التوفيق

التأثيرات السورية على العمارة التركية في بلاد الأناضول حتى نهاية العصر السلجوقي

د. أسماء محمد إسماعيل •

انتقلت العديد من التقاليد المعمارية والزخرفية الفنية السورية إلى بلاد الأناضول وخاصة في منطقة الجنوب لعدة أسباب منها الجوار الجغرافي حيث أن بلاد الشام ملاصقة لجنوب بلاد الأناضول^(١)، وتأثرت العمائر في مدن جنوب الأناضول بالعمائر السورية، وكذلك كان لتجديدات بعض سلاطين السلاجقة العظام^(٢) المنشآت سورية دور في نقل العديد من عناصرها المعمارية والزخرفية إلى منشآتهم في بلاد الأناضول، ولا تغفل دور العلاقات التجارية بين سوريا وبلاد الأناضول في هذا الشأن، كما كان للحروب دور أيضاً في التفاعل الحضاري بين طرفي القتال ويهمننا هنا معركة أبلستين التي انتصر فيها ببيرس على المغول وسلاجقة الروم ودخل قيصريه عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦ م^(٣)، وما تبعها من نقل تأثيرات معمارية وزخرفية إلى بلاد الأناضول^(٤).

وكذلك كان للجوء السياسي دور كبير في نقل الثقافات من منطقة لأخرى، ومن هنا أصبحت بلاد الروم الملاذ الأول لأمرء المماليك الذين يفرون من مصر

• المدرس بكلية الآثار جامعة الفيوم

(١) بل كانت هناك مدن سورية ضمت إلى تركيا مثل أورفا (الرها) وحران كانت هذه المدن تحت سيطرة الزنكيين والأيوبيين وشيد بها مساجد شيدت على النسق السوري مثل جامع أورفا وجامع حران .

(٢) السلاجقة ، ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق التركمانية ، وكان زعيمهم ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وقبض عليه السلطان محمود ونقله هو وأصحابه إلى خراسان حيث على شأنهم وانطلقوا يسيطرون على المناطق المجاورة في عهد طغرلبيك بن ميكائيل ٤٢٩هـ/١٠٣٨م مثل طبرستان وأصفهان وفارس والعراق والبحرين وعمان والشام وبلاد الروم وحكمت هذه الدولة من عام ٤٢٩-١٠٣٨هـ/١٠٩٤م الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) تاريخ دولة آل سلجوق " اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني" : الطبعة الثانية، دار الأفاق الجديدة، بيروت ، ١٩٧٨م، ص ص ٧- ١١ ؛ علي محمد الصلابي : دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧ م ، ص ص ٢٠- ٢٣ ؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٣م ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) بن شداد(عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م : تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الزخائر رقم ١٩٠ ، القاهرة ٢٠٠٩م ، ص ص ١٧١-١٧٧ .

(٤) أوقطاي أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم : ترجمة أحمد عيسى، (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) استانبول ١٩٨٧م ، ص ١٣٤.

بسبب الاضطهاد السياسي ، كما حدث بعد مقتل الأمير فارس الدين أقطاي ، فهرب اتباعه إلى أماكن عدة ولكن أكبر جماعة منهم هربت إلى بلاد الأناضول، وكان عدتهم مائة وثلاثين فارساً ومكثوا بالأناضول من عام ٦٥٢-٦٥٥هـ/١٢٥٤-١٢٥٧م، وعادوا بعد وفاة السلطان عز الدين أيبك^(٥)، وكان لإنتقالهم هذا دور في انتقال العديد من العناصر المعمارية والزخرفية السورية والمصرية إلى منشآت بلاد الأناضول .

ولانغفل الدور الذي لعبه المهندسون والفنانون السوريون الذين هاجروا إلى بلاد الأناضول في وضع لمسات سورية في العمائر التي شيدها أو شاركوا في تشييدها في موطنهم الجديد ، وهكذا تضافرت عدة عوامل في انتقال العديد من عناصر المدرسة المعمارية السورية إلى هذه الأرض الجديدة ، ومن هذه العناصر مايلي :

أولاً التأثيرات في التخطيط :

١- تأثير تخطيط الجامع الأموي بدمشق:

شُيد الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م) وفق النمط التقليدي للمساجد من صحن وأربع ظللات ، وذو مسقط مستطيل عرضي (شكل رقم ١)، وتتكون فيه ظلة القبلة من ثلاثة أروقة عرضية بواسطة ثلاث بانكات معقودة تسير عقودها موازية لجدار القبلة ويقطعها المجاز القاطع (٦)، وتأثرت الجوامع الأرتقية (٧)

(٥) المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٧١٦- ٧١٦هـ/١٣٦٤- ١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ق ٢ ، تحقيق مصطفى زيادة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٣٩٣ ، ٤٠٦ ؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ج ١، الطبعة الأولى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ص ١٦٢-١٦٣ .

(٦) علي أحمد الطائش : طرز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول (٤٧٠-٧٠٨هـ/١٠٧٧-١٣٠٨م)، ندوة الآثار في شرق العالم الإسلامي، من ٣٠ نوفمبر: ١ ديسمبر ١٩٨٨م، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ٢١٩ .

(٧) تنسب هذه المساجد إلى الأرتقيين ، وهم ينحدرون من أرتقيو ديار بكر من نسل أرتق بن إكسب أحد رؤساء قبيلة دوكر الغزية ، وقد شارك في القتال ضد الصليبيين في الأناضول، و توفي وهو حاكم فلسطين ، و لم يستطع أبناؤه التصدي لتحرشات الفاطميين والصليبيين ، فتركوا فلسطين واستقروا في ديار بكر حول ماردين وحصن كيفا ، وكانت قوة الزنكيين أقوى منهم لذلك أصبح الأرتقيين نواباً لنور الدين محمود بن زنكي وحكمت من عام ٤٩٥-٨١١هـ/١١٠٢-١٤٠٨م ، كليفوردا. ا. بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي: دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين علي اللبودي، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشراع العربي بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٥م، ص ص ١٧١-١٧٣ .

بجنوب الأناضول بالجوامع السورية وخاصة الجامع الأموي^(٨)، ومنها الجامع الكبير في ديار بكر^(٩) عام (٤٨٤هـ/١٠٩١-١٠٩٢م) (شكل رقم ٢)، ويرجع هذا التأثير إلى السلطان ملكشاه الذي جدد عمارة قبة الجامع الأموي في دمشق^(١٠)، وهذا ما جعله يتأثر تأثراً شديداً به عند تشييد جامع في ديار بكر^(١١) فيما عدا القبة التي تتوسط المجاز القاطع فلم نجدها في جامع ديار بكر^(١٢).

٢- تأثير تخطيط المسجد الأقصى :

شُيد المسجد الأقصى في عهد الخليفة العباسي المهدي عام (١٦٣هـ/٧٧٩م) وكانت ظلّة القبلة فيه تسير بوائكها عمودية على جدار المحراب، وتتكون من خمسة عشر رواقاً^(١٣) (شكل رقم ٣) وأثر هذا التخطيط في الجامع الكبير في سيواس ٥٩٣هـ/١٩٧م فشيّد من ظلّة قبلة وحن، وتتكون ظلّة القبلة من إحدى عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة^(١٤) (شكل رقم ٤).

(٨) ياسر الطباع: العمارة الزنكية والأيوبية في سورية والجزيرة ، مقال في كتاب الفن الإسلامي، الفن العربي الإسلامي، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥م ، ص ١٩٩ .

(٩) ديار بكر (آمد) ، تنسب إلى بكر ابن أبي وائل بن قاسط ويصفها المقدسي بأنها بلد حصين حسن عجيب البناء ، ولا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحسن ولا ثغراً أجمل منه، كما وصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة خصيبة وعليها سور من حجارة الأرحاء أسود اللون وهي كثيرة الشجر ، ولها بداخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون مطردة وبساتين المقدسي (شمس الدين أبو عبدالله بن محمد المعروف بالبشاري) ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١م ١٤٠ ؛ الإدريسي (أبي عبدالله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي) ق ٦ هـ/١٢م : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مجلدان ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٤ م ، مج ٢ ، ص ٦٦٣ .

(10) Creswell : Mardin and Diyarbekr , Muqarnas XV : An Annual on, In the Visual Culture of the Islamic World ,1998 ,p. 8

(١١) ياسر الطباع : العمارة الزنكية والأيوبية ، ص ١٨٤ ؛

Henri Stierlin: Taschen's World Architecture World Architecture Turkey from the Solguks to the Ottomans, Italy,1998, p. 25.

(١٢) علي أحمد الطائش : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(١٣) محمد حمزة الحداد : بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية ، الكتاب الأول ، الطبعة الأولى ، دار نهضة الشرق ٢٠٠٠م ص ٥٦ .

(١٤) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠٧م ، ص ٢٥٨ ؛ أوقطاي أصلان أبا ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

٢- إلحاق الضريح بالمنشأة^(١٥) :

كان إلحاق ضريح المنشئ بالمبنى من العناصر المعمارية التي عُرفت في سوريا في العصر الزنكي، وكانت من ضمن الأساليب السلجوقية التي طورها الزنكيون، وأصبح سمة سائدة في منشآتهم في بلاد الشام وورثه منهم الأيوبيون ثم انتقل إلى مصر وبلاد الأناضول .

ومن أمثلة ذلك المدرسة النورية في دمشق (٥٤٠هـ/١١٤٥م)^(١٦) (شكل رقم ٥) والمدرسة الجهاركسية في دمشق (٦٠٨هـ/١٢١١م)^(١٧) والمدرسة العادلية الكبرى في دمشق (٦١٣-٦١٩هـ /١٢١٥-١٢٢٢م)^(١٨)، والمدرسة الركنية البرانية ٦٢١-٦٢٥هـ/١٢٢٤-١٢٢٨م والمدرسة الأمجدية بدمشق (٦٢٨هـ /١٢٣١م)، والمدرسة البدرية في دمشق بداية القرن ٧هـ/١٣م والمدرسة الشامية البرانية في دمشق (٦٢٨هـ/١٢٣١م)^(١٩) وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول بتأثير زنكي^(٢٠)، وأصبح من الثوابت في جميع المنشآت كالمدارس والمستشفيات والجوامع والمجمعات وبعض الخانات ومن أمثلة ذلك الضريح المشيدان في جامع علاء الدين في قونية (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م) (شكل رقم ٦) والضريح الذي شيد في مدرسة الطب التي شيدها غياث الدين كيخسرو الأول في قيصرية عام (٦٠٢هـ/١٢٠٥م)، والضريح في مستشفى كيكاس بسبواس (٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م) ، والضريح في مستشفى ديوركي (٥٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م)، وفي مجمع خواند خاتون بقيصرية (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، وفي خان قرطاي (٦٣٨هـ/١٢٤٠-١٢٤١م)^(٢١) وفي مدرسة صرجالي بسبواس ٦٤٠هـ/١٢٤٢م^(٢٢)، وفي مدرسة طاش في آق شهر (٦٤٨هـ /١٢٥٠م)، وفي جامع أشرف أوغلو في بيث شهر (٦٩٦هـ

(١٥) عرف السلاجقة العظام تشييد المدارس الملحق بها مدافن مثل الضريح الذي شيده خواجه شرف الملك صاحب ديوان اشراف الممالك على قبر الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ومدرسة لأصحابه عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، وهذا يعني أن صاحب القبر لم يكن هو الأمر بالتشييد ، كما دفن كل من السلطان ملكشاه وابنه محمد والسلطان مسعود بعد وفاتهم في مدارس وبذلك يكون السلاجقة أول من أدمج ضريح بمدرسة أو دفنوا سلاطينهم في مدارس. ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) ٨١٣-٨٧٤هـ : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٥ جمال الشيال ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص ١٣٥ ؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية ، ج٢ ، ص ص ٧٤-٧٥ ،

(16) Metin Sözen: the evolution of Turkish Art and Architecture , istanbul ,1987,P.26

(١٧) قتيبة الشهابي: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق ١٩٩٥م، ص ٣٤٥

(18) Metin Sözen :Op.Cit,P,P.26

(١٩) قتيبة الشهابي: المرجع السابق، ص ص ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٦٩ .

(20) Metin Sözen : Op.Cit,P.26

(٢١) أوقطاي أصلان آبا : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ص ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٢٨ .

(٢٢) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ٢٦٧ .

١٢٩٧/م(٢٣)، وفي خان قرطاي على طريق قيصرية -مطية ٦٣٨هـ/١٢٤٠-١٢٤١م(٢٤).

٣-المدارس ذات الصحن المغطى :

يمكن تقسيم المدارس في بلاد الأناضول إلى طرازين أولهما طراز المدارس ذات القباب ، وتأثرت المدارس الأناضولية المبكرة ذات الفناء المغطى ، بالمثل الوحيد الباقي في سوريا^(٢٥) وهو مدرسة كمشتكين في بصرى في سورية(٥٣٠م/١٣٦م) (شكل رقم٧) ، وشيدت مدارس في الأناضول ذات صحن مغطاة بقباب مع تطوير مستمر ومن أمثلة هذه المدارس مدرسة ياغي باصان في توقاد (٥٤٦-٥٥٢م/١١٥١-١١٥٧م) وفي مدرسته أيضاً في نكسار(٥٥٢هـ /١١٥٧-١١٥٨م)^(٢٦) ومدرسة بويه لي كوي في أفيون(٦٠٧هـ /١٢١٠م)^(٢٧)، ومدرسة أرتكوش في إسبرطه(٦٢١هـ/١٢٢٤م)^(٢٨) ومدرسة قرطاي في قونيه(٦٤٩هـ/١٢٥١م)^(٢٩) (شكل رقم٨) والمدرسة الملحقة بمستشفى توران ملك بديوركي، ومدرسة جاي في أفيون (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) ، وفي مدرسة إينجه منار في قونيه (٦٥٩-٦٦٤هـ/١٢٦٥-١٢٦٠م)^(٣٠).

٤-البيمارستانات ومدارس الطب^(٣١) :

تعد المستشفيات والمدارس التعليمية والعيادات الزنكية بمرافقها مثل بيمارستان نور الدين محمود بدمشق(٥٤٩هـ/١١٥٤م) (شكل رقم٩) من

(٢٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٩٣ ، ١٠٥ ؛ عبدالله عطية عبدالحافظ: " جامع أشرف اوغلو في مدينة بيشهر" دراسة أثرية معمارية ، مقال بمجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة، العدد الحادي والأربعون- أغسطس ٢٠٠٧، ص ص ٢٨٥-٣٠٤ .
(٢٤) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق، ص ١٢٨ .

(25)Metin Sözen :Op.Cit, P.72.

(26)Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, form, function and meaning, Edinburgh University Press, 1994, P,211 .

(٢٧) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص٢٥٨ ، ٢٧٥؛ أوقطاي أصلان آبا ، المرجع السابق ، ص٧١ .

(28)Metin Sözen : Op.Cit ,P.68,86 .

(29) Rabah Saoud: Muslim Architecture under Seljuk Patronage(1038-1327), foundation for science Technology and Civilisation, FSTC, limited,2003-2004,p8.

(30)Metin Sözen : Op.Cit, P.68 ,86 .

(٣١) إذا كانت المدارس قد عرفت في العصر الغزنوي وعصر السلاجقة العظام ، إلا أنه يرجع الفضل للزنكيين في تطوير مفهوم وظيفة المدرسة من تدريس العلوم الدينية إلى تدريس علوم دنيوية مثل الطب والعلوم التطبيقية، ومن الجدير بالذكر أنه إذا كان قد غلب على المدارس الزنكية تدريس المذهب الحنفي الذي اعتنقه سلاجقة الأناضول فيما بعد ربما بتأثير زنكي، فإنه يرجع الفضل للزنكيين في تدريس أكثر من مذهب في المدرسة الواحدة مثل المدرسة الأتابكية التي شيدها عماد الدين زنكي في الموصل ٥٤٤هـ/١١٤٩م . منى محمد بدر: المرجع السابق ، ج ، ص ٢٣-٢٤ .

التأثيرات الزنكية على العمارة السلجوقية في بلاد الأناضول^(٣٢)، وكان التأثير في التخطيط والوظيفة، ويرجع تاريخ أقدم بيمارستان (دار شفاء) في بلاد الأناضول إلى (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) ويُعرف بمستشفى جوهر نسييه سلطان في قيصريه، وملحق به مدرسة للطب شيدها غياث الدين كيخسرو الأول^(٣٣) (شكل رقم ١٠)، ومستشفى عز الدين كيكاس الأول في سيواس (٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م) وألحق بها مدرسة صغيرة لتدريس الطب ومستشفى ديوركي (٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م)^(٣٤).

٥- منشآت متعددة الوظائف :

احتوت المدارس الزنكية والأيوبية ببلاد الشام على مسجد يفتح على الصحن المشترك بينهما ومن أمثلة ذلك المدرسة النورية الكبرى في دمشق (٥٦٧هـ/١١٧٢م) (شكل رقم ٥) ودار الحديث النورية في دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) والمدرسة العادلية الكبرى في دمشق (٦١٣-٦١٩هـ/١٢١٥-١٢٢٢م) (شكل رقم ١١)، والمدرسة الظاهرية في حلب (٦١٣-٦٣٥هـ/١٢١٦-١٢٣٧م)^(٣٥) والمدرسة الركنية ٧هـ/١٣م، وانتقل هذا التخطيط إلى بلاد الأناضول وكانت ارهاصاته الأولى في المدرسة الخاتونية في ماردين (٥٧٢-٥٨٠هـ/١١٧٦-١١٨٥م) (شكل رقم ١٢)، والمدرسة الخارزمية في ماردين (٦٠٨هـ/١٢١١م)، والمدرسة الشاهدية في ماردين (٦٣٧هـ/١٢٣٩-١٢٦٠م)، فشيد المسجد بنفس الأسلوب في المدارس الزنكية وبنفس الحجم تقريباً، وتطور هذا التخطيط في مجمع حاجي قليج في قيصرية ٦٤٧هـ/١٢٤٩م فجعل المسجد يشغل مساحة كبيرة تزيد على مساحة المدرسة (شكل رقم ١٣)، ومن المنشآت التي جمعت بين المدرسة والمسجد أيضاً طاش مدرسة في أقشهر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وكانت ضمن مجموعة معمارية لم يبق منها سوى المسجد والمدرسة وضريح ملحق بها^(٣٦)، وكوك مدرسة في أماسيا حيث ألحق بها مسجد (٦٦٥-٦٦٦هـ/١٢٦٦-١٢٦٧م)^(٣٧) ولا أدل على إعجاب المعمار في الأناضول بهذه الفكرة من إلحاق مدرستين بجامع علاء الدين بقونيه (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م) بعد فترة زمنية من إنشائه وهما المدرسة الزنجيرية

(32) Metin Sözen : Op.Cit, P.27.

(٣٣) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ص ١٨٩ .

(34) Ekrem Akurgal : Lart en Turquie , Paris,1981,P.96.)

(٣٥) ياسر الطباع : المرجع السابق ، ص ص١٩٨،١٩٦،١٩٥ .

(٣٦) أوقطاي أصلان آبا: المرجع السابق، ص ص ٨٥، ١٠٥ .

(37)Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, p. 210.

في ديار بكر ٥٩٥هـ / ١١٩٩م^(٣٨) والمدرسة المسعوديه في ديار بكر (٥٩٥-٦٢٠هـ / ١١٩٨-١٢٢٣م)^(٣٩) (شكل رقم ٢).

ولم يقتصر تعدد الغرض الوظيفي في المنشأة الواحدة على المسجد والمدرسة فقط بل كانت هذه هي البداية التي استقى منها المعمار في الأناضول فكرة الجمع بين أكثر من وظيفة فجمع بين المدرسة والمستشفى كما في مدرسة ومستشفى جوهر نسييه سلطان في قيصريه (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) والتي تضم مدرسة للطب بها قبة ضريحية^(٤٠)، وجمع بين المسجد والمستشفى والضريح كما في مجمع ديوريكي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨-١٢٢٩م)^(٤١)، وبين المسجد والمستشفى كما في مجمع حاجي قليج في قيصريه (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) وطاش مدرسة سي في أقشهر (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وتضم مدرسة ومسجدًا وضريحًا، وجمع بين أربع وظائف كما في جفته منار في أرضروم (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) وتضم مدرسة ومسجدًا وضريحًا وسبيلًا (شكل رقم ١٤)، وفي مجموعة خواند خاتون في قيصريه (٦٣٥-٦٣٦هـ / ١٢٣٧-١٢٣٨م) التي تضم مسجدًا ومدرسة وضريحًا وحمامين^(٤٢).

كما ألحقت المدارس بالخانات مثل مدرسة جاي في أفيون (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) وقد ألحق بها خان شيد في نفس الفترة^(٤٣).

٦- وضع المسجد جنوب المدرسة :

شيد المعمار السوري في العصرين الزنكي والأيوبي المصلى أو المسجد بالجهة الجنوبية من المدرسة مثل المدرسة النورية الكبرى في دمشق (٥٦٧هـ / ١١٧٢م) (شكل رقم ٥) ودار الحديث النورية بدمشق (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) (شكل رقم ١٥)، والمدرسة العادلية الكبرى في دمشق (٦١٣-٦١٩هـ / ١٢٢٢-١٢٢٣م) (شكل رقم ١١) والمدرسة الظاهرية في حلب (٦١٣-٦٣٥هـ / ١٢١٦-١٢٣٧م)^(٤٤) ومدرسة الفردوس في حلب أيضًا (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م)^(٤٥)، وقد تأثرت ثلاث مدارس أرتقية في ماردين بوضع المصلى في جنوب المبنى وهذه المدارس هي المدرسة

(38)Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, p. 210.

(39)Metin Sözen : Op.Cit, P.36.

(٤٠) عبد الله عطيه عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ص ١٨٩-١٩٠؛

Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, p. 210.

(41)Rabah Saoud: Muslim Architecture under .P. 5

(٤٢) منى محمد بدر: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ١٠٧-١٠٩ .

(43)Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, p. 210.

(٤٤) ياسر الطباع : المرجع السابق ، ص ص ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٦ .

(45) Henri Stierlin: Islamic Architecture Taschen's World Architecture ,

Volume 1, (Islam Early Architecture from Baghdad to Cordoba),Italy ,1996 ,p.213 .

الخاتونية (٥٧٢-٥٨٠هـ/١١٧٦-١١٨٥م)، والمدرسة الخوارزمية (٦٠٨هـ/١٢١١م)،
والمدرسة الشاهديه (٦٣٧هـ/١٢٣٩-١٢٦٠م)^(٤٦) (شكل رقم ١٦).

٧- الخانات ذات الحجرات التي تحيط بفناء مكشوف :

كانت الخانات السورية تتكون من شكل مربع ومستطيل يتوسطه فناء يفتح عليه قاعات متنوعة الحجم ، وشيد العديد من الخانات في العصر الزنكي بلغ عددها عشرين خاناً لم يبق منها شيء ، كما شيد في العصر الأيوبي خانات تفوق هذا العدد ، وقد اندثرت هذه الخانات ، ولم يبق من خانات العصر المملوكي سوى خان الدكة الذي يتكون من فناء مكشوف محاط بثماني غرف، وإيوان في الجهة الشمالية الشرقية^(٤٧) (لوحة رقم ١).

وانتقل هذا النوع من الخانات إلى بلاد الأناضول وكان تشييده نادر نسبياً^(٤٨)، بسبب البرد القارس الذي تتميز به غالبية أراضيها مما جعل المعمار يفضل تشييد الخانات التي تتكون من قسمين الأول فناء مكشوف والثاني بهو مغطى، ولكن المعمار في الأناضول وجد فرصة في الأماكن ذات الجو الدافئ في تطبيق هذا التخطيط في خان أودير على طريق أنطاليه-اسبارطه ٦١١-٦١٥هـ /١٢١٦-١٢١٨م الذي اختفى فيه البهو المغطى تماماً (شكل رقم ١٧)، وخان قرقكوز على طريق أنطاليه-أسبرطه (٦٣٤-٦٤٤هـ/١٢٣٧-١٢٤٦م)^(٤٩) (شكل رقم ١٨)، (لوحة رقم ٢).

٨-المجاز القاطع :

احتوت ظلة القبلة في الجامع الأموي بدمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م) على مجاز قاطع شكل رقم ١)^(٥٠)، وتأثرت بعض المنشآت ببلاد الأناضول مثل الجامع الكبير في ديار بكر (٤٨٤هـ/١٠٩١-١٠٩٢م)^(٥١) (شكل رقم ٢). وتأثرت منشآت أخرى بارتفاع البلاطة الوسطى واتساعها ولكنها كانت تسير موازية لباقي البلاطات العمودية على جدار القبلة مثل جامع أشرف أوغلو في بيشهر (٦٩٦-٦٩٩هـ/١٢٩٧-١٢٩٩م)^(٥٢)، كما تأثرت الخانات بارتفاع البلاطة الوسطى وارتفاعها كخان اغدير على طريق دوغو وبايزيد- قارص (١٣هـ/١٣م)^(٥٣) (شكل رقم ١٩).

(٤٦) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق، ص ١٠١ .

(٤٧) الخانات في دمشق / <http://al-hakawati.la.utexas.edu/>

(48) Richard Ettinghausen@ Oleg Grabar : The Art and Architecture of Islam : 650 1250 , yale University Press, ney haven and London 1994 , p. 323.

(٤٩) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٥٠) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٣٢ .

(٥١) عبدالله عطيه عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ٢٥٦ .

(٥٢) عبدالله عطيه عبدالحافظ ، جامع أشرف أوغلو ، ص ٢٩٢ .

(٥٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٤، ٩٣ .

٩- الدهاليز والدركاوات التي تلي المداخل :

إذا كانت المداخل السلجوقية امتازت بعدم وجود دهاليز أو دركاوات خلف إيوان المدخل ، فإن الفضل يرجع للزنكيين في ابتكار ذلك، وربما يرجع السبب في ذلك إلى الحروب التي سادت منطقة الشام في هذه الفترة مما دفع بالزنكيين إلى استدعاء فكرة مداخل مدينة بغداد، ومن أمثلة المنشآت التي طبق بها ذلك المدرسة النورية في دمشق (٥٦٧هـ/١١٧٢م) (شكل رقم ٥)، والبيمارستان النوري في دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) (شكل رقم ٩)، وفي المدرسة العادلية في دمشق (٦١١هـ/١٢١٥م) (شكل رقم ١١)، وفي مدرسة الفردوس في حلب (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) (شكل رقم ٢٠) وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول فظهرت الدهاليز في مسجد طاش بقونيه (٦١٢هـ/١٢١٥م)، حيث أخذت الدهاليز شكل الأروقة ، وفي مدرسة أرتكوش في أتاباي بأسبرطه (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، (شكل رقم ٢١) ، وفي مدخل الجامع الموجود بمجمع حاجي قليج في قيصريه ٦٤٧هـ/١٢٤٩م وفي جامع أشرف أوغلو في بيشهر (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)، وفي خان الأرا على طريق أنطاليه-قونيه (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) وفي مدرسة جاجا بك في قير شهر (٦٧١هـ/١٢٧٢-١٢٧٣م) (٥٤).

أما الدركاوات فوجدت في عدة منشآت وهي إما مغطاة بقبو متقاطع كما في المدرسة الزنجيريه (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وفي مستشفى عز الدين كيكاس الأول (٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م)، وفي إنجه منار مدرسة (٦٥٩-٦٦٤هـ/١٢٦٠-١٢٦٥م) وفي خان غدير على طريق دوغوباييزيد-قارص (٧هـ/١٣م)، أو مغطاة بقبة كما في مدرسة قرطاي في قونيه ٦٤٩هـ/١٢٥١م (شكل رقم ٨)، وفي المدخل الشرقي في المسجد الكبير في ملطيه (٦٧٢هـ/١٢٧٤-١٢٧٣م) (شكل رقم ٢٢) .

- ثانيًا العناصر المعمارية :

١- المداخل المحورية :

كانت المداخل المحورية من مميزات الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م) (شكل رقم ١)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول فوجد في المسجد الكبير في سيواس ٥٩٣هـ/١١٩٧م (٥٥) (شكل رقم ٤) وفي جامع دنيسر (قزلي تبه) (٦٠١هـ/١٢٠٤م) (٥٦) (شكل رقم ٢٣)

(٥٤) أوقطاي أصلان آبا: المرجع السابق، ص ٩٧، ٩١، تخطيط رقم ٢٠، ٢٦، ٢٩، ٣٠.

(٥٥) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ٢٥٨ .

(٥٦) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

٢- المداخل ذات المقرنصات :

كان تنويع المداخل والشبابيك بصفوف من المقرنصات ذات الشكل البسيط من العناصر التي عُرفت عند السلاجقة العظام ، وعُرفت في سوريا وطورها الزنكيون، ولعل أقدم أمثلتها في العالم الإسلامي هو مدخل بيمارستان نور الدين محمود في دمشق (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) الذي توج بعدة حطات من المقرنصات الجصية تنتهي بطاقية (لوحة رقم ٣)، وإذا كانت هذه المقرنصات قد شُيدت من الجص فإنه تلتها أمثلة أخرى مشيدة من الحجر^(٥٧)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول وأصبح من كثرة استخدامه من مميزات عمائر سلاجقة الروم وزخرفت به مداخل الخانات والبيمارستانات والمدارس والجوامع والأضرحة، وأحياناً في تنويع الحنايا التي تزخرف الواجهة أو المحاريب أو شبابيك الأسبلة^(٥٨) ومن أمثلة المنشآت التي توجت مداخلها بصفوف من المقرنصات مدخل خان الاي على طريق قيصريه- أفسراي (٥٥١-٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م) ، وفي مدخل خان السلطان على طريق قونية - أفسراي (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)^(٥٩) (لوحة رقم ٤) ، وفي مدخل مدرسة جاجا بك في قير شهر ٦٧١هـ / ١٢٧٢-١٢٧٣م)

٣- المئذنة المربعة :

شيدت المآذن السورية مربعة الشكل ومن أمثلتها مآذن الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ / ٧٠٧-٧١٤م)، ومئذنة الجامع الأموي في حلب (٩٦هـ / ٧١٦م) وهي ترجع للعصر السلجوقي (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) وفي جامع قلعة حلب (٦١٠هـ / ١٢١٣-١٢١٤م) ومئذنة جامع معرة النعمان (٥٧٥هـ / ١٠٧٩م) (لوحة رقم ٥) وفي الجامع الأموي في بصرى (٩٩-١٠٣هـ / ٧١٧-٧٢١م)، وانتقل هذا التأثير إلى بعض جوامع في بلاد الأناضول كان منها جامع ديار بكر (٤٨٤هـ / ١٠٩١-١٠٩٢م)^(٦٠) (لوحة رقم ٦) وجامع دُنْبِصْر (قزِيل تَبِه) (٦٠١هـ / ١٢٠٤م)^(٦١).

٤- الإيوان ذو الشاذروان :

يعد الإيوان ذو الشاذروان^(٦٢) من الابتكارات المعمارية في عصر نور الدين محمود في المدرسة النورية بدمشق (٥٦٧هـ / ١١٧٢م)^(٦٣) (شكل رقم ٥)، وانتقل

(٥٧) ياسر الطباع : المرجع السابق، ص ١٩٤.

(٥٨) منى محمد بدر: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(٥٩) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ١٢١ ، ١٢٣ .

(٦٠) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية، ص ٢٥٦ ؛ أوقطاي أصلان آبا، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٦١) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٦٢) وجد هذا العنصر من قبل في دور وبيوت الفسطاط ، وكان أحد ثلاثة عناصر مترابطة وهي =

هذا العنصر إلى بلاد الأناضول في قصر أرتقي في ديار بكر (٦١٧هـ/١٢٢٠م)^(٦٤) (شكل رقم ٢٤)

٥- الفناء ذو الحوض :

كان الحوض الذي يتوسط الفناء^(٦٥) من العناصر المعمارية التي عرفت في العمارة الزنكية والأيوبيية في سوريا كما في دار الحديث النورية (٥٤٩هـ/١١٥٤م) في دمشق (شكل رقم ١٥) والبيمارستان النوري في دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) (شكل رقم ٩) (لوحة رقم ٧) والمدرسة النورية بدمشق (٥٦٧هـ/١١٧٢م) (شكل رقم ٥) والمدرسة العادلية في دمشق (٦١٣-٦١٩هـ/١٢١٥-١٢٢٢م) (شكل رقم ١١) ومدرسة الفردوس ب حلب (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) (شكل رقم ٢٠) وانتقل إلى بلاد الأناضول كما في مدرسة ومستشفى جوهر نسييه سلطان بيقصريه (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) (شكل رقم ١٠)، والجامع الكبير في ملطيه (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ومدرسة أرتكوش في أسبرطه (٦٢١هـ/١٢٢٤م) (شكل رقم ٢١)، وفي مدرسة قرطاي في قونيه (٦٤٩هـ/١٢٥١م) (شكل رقم ٨) وفي مدرسة انجه منار في قونيه (٦٥٩-٦٦٤هـ/١٢٦٠-١٢٦٥م) (شكل رقم ٢٥) (لوحة رقم ٨)، وفي مدرسة جاجا بك في قبر شهر (٦٧١هـ/١٢٧٢-١٢٧٣م)^(٦٦).

٦-تعدد المحاريب في جدار القبلة :

احتوى المسجد الأموي بدمشق على خمسة محاريب هي المحراب الكبير ومحراب المالكية ومحراب الصحابة ومحراب الشافعي ومحراب الحنابلة^(٦٧) (شكل رقم ١)، وتأثرت بعض الجوامع في بلاد الأناضول بهذا العنصر كما في مسجد سيلوان (ميفارقين) (٥٤٧-٥٥٢هـ/١١٥٢-١١٥٧م)، وفي الجامع الكبير في أرضروم (٥٧٥هـ/١١٧٩م)^(٦٨) (شكل رقم ٢٦).

=الشاذروان والفسقية والحوض، وكانت من أهم مميزات بيوت ذوي القدرة المالية . فريد شافعي : المرجع السابق ، ص ص ٤٥١-٤٥٣ .

(٦٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق، ص ٥٢؛ محمود مرسي مرسى : العمانر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآثار ، قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٦٣ .

(٦٤) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق، ص ١٤٢ .

(٦٥) سبق وجود هذا العنصر في دور وبيوت الفسطاط وكانت تتوسط الأفنية أو في داخل الأواوين، وتأخذ شكل هندسي منتظم. فريد شافعي : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

(٦٦) أوقطاي أصلان آبا: المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ٩٧-٩٨ ، تخطيط ٢٥ .

(٦٧) عفيف البهنسي : الفن الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ ، ص ص ١٥٥-١٥٦ .

(٦٨) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، تخطيط ٤ .

٧- الأعمدة المترابكة :

تتكون بانككات ظللة القبلة في الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م)، من صفين من الأعمدة المترابكة تحمل عقوداً^(٦٩) (لوحة رقم ٩)، وتأثر معمار الجامع الكبير في ديار بكر بالأعمدة المترابكة هذه في الواجهات الداخلية للصحن التي شيدها الأتابك إيل أيديل في عهد أبي شجاع بن ملكشاه (٥١١هـ/١١١٧-١١١٨م)^(٧٠) (لوحة رقم ١٠)

٨- السقف الجمالوني :

عرفت الأسقف الجمالونية في قبة الصخرة (٧٢هـ/٦٩١-٦٩٢م) وفي المسجد الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م) (لوحة رقم ١١) وفي عدة مساجد من العصر الأموي^(٧١)، وتأثرت بعض عمائر بلاد الأناضول بهذا العنصر ولاقى قبولا بسبب طقسها الممطر، ومن أمثلة ذلك سقف المجاز القاطع (شكل رقم ٢٧) وظلة القبلة في الجامع الكبير في ديار بكر (٤٨٤هـ/١٠٩١-١٠٩٢م) (لوحة رقم ١٢)، وفي مجمع ديوركي (٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م)، ومسجد علاء الدين في قونيه (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م)، وفي واجهة الأضلاع الثمانية المكونة للطابق الأول لقبة الأمير سلق في أرضروم (١٢هـ/١٢٦٦م)^(٧٢).

٩- القباب فوق الآبار:

احتوى الجامع الكبير في حلب على آبار للمياه غطيت بأسقف جمالونية تركز على أعمدة رخامية وظهر هذا العنصر في الجامع الكبير في حلب (لوحة رقم ١٣) وفي جامع حران (٦هـ/١٢م)، وقد تأثر الجامع الكبير في ديار بكر (٤٨٤هـ/١٠٩١-١٠٩٢م) بهذا العنصر حيث غطيت الآبار بأسقف جمالونية (لوحة رقم ١٤).

١٠- العقود :

-عقد حدوة الفرس :

كان عقد حدوة الفرس من العناصر المعمارية السورية التي وجدت في الجامع الأموي بدمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م)^(٧٣) (لوحة رقم ١٥) وانتقل منها إلى بلاد الأناضول ومن أمثلة العماير التي بها مدخل مدرسة جوهر نسييه سلطان في قيصريه (٦٠٢هـ/١٢٠٦م)^(٧٤) (لوحة رقم ١٦).

(٦٩) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٧٠) ياسر الطباع : المرجع السابق ، ص ١٩٠ ؛ أوقطاي أصلان آبا ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٧١) فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية " عهد الولاة " مج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ، ص ١٩٧ .

(٧٢) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ١٢١ ، ١٢٣ ،

(٧٣) فريد شافعي : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٧٤) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ١٩٠ .

-العقود التوأمية

وجدت العقود التوأمية في الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م)، وفي مئذنة الجامع الأموي في بصرى (٩٩-١٠٣هـ/٧١٧-٧٢١م) (لوحة رقم ١٧) وفي التربة العمادية في دمشق (٥٦٧هـ/١١٧٢م) وفي التربة الخاتونية في دمشق (٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وفي تربة ریحان في دمشق (٦٤١هـ/١٢٤٣م) وفي التربة النجمية في دمشق (٥٤٢هـ/١١٤٧م)^(٧٥)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول مثل قبة الأمير سلنوق في أرضروم نهاية القرن (٦هـ/١٢م) (لوحة رقم ١٨)، وفي قبة خواند خاتون في قيصريه (٦٣٦هـ/١٢٣٨م).

-العقد المفصص :

كان العقد المفصص من أكثر العقود التي انتشرت في العمارة الزنكية ومن أمثلة المنشآت التي وجد بها مئذنة الجامع الكبير في حلب (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) (لوحة رقم ١٩)، وفي مدخل البيمارستان النوري في دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) (لوحة رقم ٣)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول ومن أروع أمثاله نجدها في مدخل مقبرة خازن دار المال المنكوجوكي في ديوريكي (٥٩٢هـ/١١٩٦م)، وفي بعض عقود البائكة المطلة على صحن المدرسة الزنجيرية في ديار بكر (٥٩٥هـ/١١٩٨م) وفي مدخل ومحراب مسجد دُنْبِصِر (قزِيل تبه) (٦٠١هـ/١٢٠٤م) (لوحة رقم ٢٠)، وفي مدخل خان إنجير خان على طريق أنطاليه - أسبرطه (٦٣٦هـ/١٢٣٨-١٢٣٩م)^(٧٦).

١١- الأقبية المتقاطعة :

إذا كان أهل الشام قد عرفوا بناء الأقبية نقلا عن العمارة الرومانية ، إلا أنه يرجع الفضل لهم في بناء الأقبية بالحجر حيث كانوا يمتازون بالمهارة والدقة والاتقان في نحت الأحجار، ومن أمثلة العماير التي استخدمت بها الأقبية المتقاطعة قصير عمرا وحمام الصرخ والمسجد الجامع في حلب (لوحة رقم ٢١) ، وفي جامع نور الدين في حماة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) وفي جامع الرها (أوروفيا) (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، وجامع قلعة حلب (٦١٠هـ/١٢١٣-١٢١٤م) وتأثرت بعض العماير في الأناضول، كما في الجامع الكبير في ماردين (٥٧٢هـ/١١٧٦م) وفي المسجد الكبير بقيصريه (٦٠٢هـ/١٢٠٥م)، وفي الطابق الثاني في المدرسة المسعوديه في ديار بكر (لوحة رقم ٢٢)، وفي خان قرة طاي على طريق ملطيه- قيصريه (٦٣٨هـ/١٢٤١م) في تسقيف الممر

(٧٥) قتيبة الشهابي : المرجع السابق ، ص ص ١٦٩، ١٥٢ ، ٢١١ .
(٧٦) أوقطاي أصلان أبا : المرجع السابق ، ص ص ٦٨ ، ١٠٩ ، ١٢٩ .

المؤدي لمسجد الخان^(٧٧)، كما غطيت بعض الدراكوات بالأقبية المتقاطعة وقد ورد ذكرها من قبل .

١٢- شطف الأركان :

كان شطف أركان العمائر من الظواهر المعمارية التي انتشرت في العمارة الإسلامية وذلك بعد ظهورها لأول مرة في العالم الإسلامي في القاهرة في جامع الأقمر (١٥١٩هـ/١٢٥٠م) الذي شيّد في العصر الفاطمي، وانتقل هذا العنصر إلى سوريا بتأثير من العمارة القاهرية ، ومن أشهر العمائر التي بها شطف مقرنص في سوريا جامع الشهابية في حلب (١٥٤٤هـ/١١٥٠م) (لوحة رقم ٢٣)، والمدرسة العادلية في دمشق (٦١١هـ/١٢١٥م) وتأثرت بعض العمائر في الأناضول بهذه الظاهرة ،ومن أمثلة العمائر التي وجد بها الجامع الكبير في أرضروم (١٥٧٥هـ/١١٧٩م) (لوحة رقم ٢٤) .

١٣-الصنجات المعشقة :

كانت الصنجات المعشقة من العناصر المعمارية التي تميزت بها العمارة السورية وكان أول ظهورها في قصر الحير الشرقي (١١٠هـ/٧٣٠م)^(٧٨) (شكل رقم ٢٨) (لوحة رقم ٢٥)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول ولاقى انتشاراً واسعاً فوجد في أعتاب المداخل أو العقود المتوجة لفتحات المداخل أيضاً ومن أمثلة المنشآت التي وجد بها عقد مدخل سلطان خان على طريق آقسراي-قونيه (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) (لوحة رقم ٤)، وفي عتب وعقود المداخل مثل مدخل جامع علاء الدين بقونيه (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م)^(٧٩) وفي مدخل المدرسة المسعوديه (٥٩٥-٦٢٠هـ/١١٩٨-١٢٢٣م)، وفي خان جاردق على طريق اغردير-دنيزلي (٦٢٧هـ/١٢٣٠م)، وفي زازادين خان على طريق قونيه-آقسراي (٦٣٤هـ/١٢٣٧م)، وفي خان الخاتون على طريق أماسيه- توقات (٦٣٦هـ/١٢٣٨-١٢٣٩م) ، وفي صاري خان علي الطريق بين قيصريه- آقسراي (٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م) (لوحة رقم ٢٦) ، وفي مدرسة قرطاي في قونيه (٦٤٩هـ/١٢٥١م) وفي مدرسة جاجا بك في قبر شهر (٦٧١هـ/١٢٧٢-١٢٧٣م)، وفي مدرسة جفته منار بأرضروم (١٣هـ/١٣م)، وفي آق خان غونجالي على طريق اغردير-دنيزلي (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)^(٨٠) .

ثالثاً العناصر الزخرفية :

تميزت العمارة السورية بالعديد من المميزات بل تفردت بأساليب زخرفية نجد تأثير لبعضها في العمائر التركية ببلاد الأناضول ومن أمثلة ذلك مايلي :

(٧٧) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٦٧ ، ٦٩ ، ١٢٨ .

(٧٨) فريد شافعي : المرجع السابق ، ص ص ٢٠١ ، ٢٠٩ .

(٧٩) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(80) Richard Yeomans : the story of Islamic Architecture , Lebanon, 1999 p, 149.

١- الزخارف الرخامية :

كان استخدام الرخام في الزخرفة من ضمن العناصر الزخرفية التي عرفتها العمارة في بلاد الشام ، ومن أشهر أمثلتها في قبة الصخرة (٧٢ هـ / ٦٩١ - ٦٩٢ م)^(٨١) وفي الجامع الأموي في دمشق (٨٨ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٤ م)^(٨٢) (لوحة رقم ٢٧) وتأثرت بعض العماير في الأناضول باستخدام الرخام في الزخرفة ومن أمثلة هذه المنشآت خان السلطان على طريق قوني- أفسراي ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م^(٨٣) ، وفي مدخل مدرسة قرطاي بقونيه (٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) (لوحة رقم ٢٨) ، وفي مدرسة كوك في سيواس (٦٤٧ - ٦٧٨ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٩ م)^(٨٤) وفي مدرسة طاش في آق شهر (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)^(٨٥) .

٢- الزخارف الحجرية :

تمتاز سوريا بتوافر الأحجار الجيرية البيضاء وأحجار البازلت الأسود ، وعرفت زخرفة الحجر المشهر^(٨٦) في مدينة حماة أولاً ، ولكن الأمثلة المؤرخة منها تعود إلى دمشق في القصر الأبلق^(٨٧) الذي شيده السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في دمشق^(٨٨) عام (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ - ١٢٦٧ م)^(٨٩) ، وجامع السنجدار في دمشق (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) (لوحة رقم ٢٩) . وانتقل هذا الأسلوب إلى بلاد الأناضول وبرع سلاجقة الأناضول^(٩٠) في استخدام الحجر بألوانه المختلفة ، وهو ما وافق هواهم في استخدام التأثير

- (٨١) عبدالقادر الريحاوي : العمارة الدينية والمدنية المبكرة في العهد الأموي ، مقال في كتاب الفن الإسلامي، الفن العربي الإسلامي، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥ م ، ص ٤٠ .
- (٨٢) المقدسي : (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر البناء الشامي) ت ٣٨٠ : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩ م ، ص ١٥٧ .
- (٨٣) منى محمد بدر: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .
- (٨٤) عبدالله عطية عبدالحافظ : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ص ١٥٢ ، ١٥٤ - ١٥٥ .
- (٨٥) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق، ص ١٠٥ .
- (٨٦) الحجر المشهر: يأخذ شكل مداميك تمتد في صفوف متوازية منتظمة من اللونين الأبيض والأحمر على التوالي . سامى عبد الحليم ، سامى عبد الحليم ، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، كلية الآداب جامعة المنصورة ١٩٨٤ م ، ص ١٨ .
- (٨٧) الأبلق ، أطلق هذا المصطلح على البناء بلونين الأبيض والأسود وخاصة في الرخام دون الألوان الأخرى ولفظ مشهر أشمل من الأبلق لأنها تطلق على الألوان المختلفة ؛ سامى عبد الحليم ، آثار قاني باى الرماح بالقاهرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٤١٧ .
- (٨٨) وشيد مكانه في العصر العثماني التكية السليمانية ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م .
- (٨٩) سامح عبد الرحمن فهمي : جامع الظاهر بيبرس دراسة معمارية فنية ، مجلة دراسات أثرية اسلامية ، المجلد الثالث ، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٨ م ، ص ١١٦ ؛ سامى عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ص ٣٢ - ٣٣ .
- (٩٠) سلاجقة الأناضول ، أسس هذه الدولة سليمان بن القائد السلجوقي قتلميش ، الذي تمكن من =

اللوني في المواد الخام ، ومن أمثلة المنشآت التي استخدم فيها الحجر المشهر جامع دنيصر (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وفي مستشفى وضريح عز الدين كيكوس في سيواس (٦١٤هـ/١٢١٧م)، وفي خان أورن على طريق بايشهر (٦٠١هـ/١٢٠٤م)، وفي قبة أرتقوش الملحقة بمدرسته بأسبرطه (٦٢١هـ/١٢٢٤م) التي شُيّدت بمداميك من الحجر المنحوت ذي اللونين الأحمر الباهت والأحمر الداكن^(٩١)، واستخدم لوانان من الحجر في خان زازادين (سعد الدين) على طريق قونيه-أقسراي (٦٣٤هـ/١٢٣٧م)^(٩٢).

وفي صاري خان على طريق قيصريه-أقسراي (٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م) (لوحة رقم ٣٠)، وقد استخدم فيه الحجر المنحوت المتعدد الألوان مثل الأصفر والأحمر الشاحب والرمادي الفاتح ، ولكن غلبة اللون الأصفر على باقي الألوان كان سبباً في أن أطلق عليه الخان الأصفر، وفي مدرسة قرطاي بقونيه (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، وفي مدرسة طاش في آق شهر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، والزخارف الحجرية بلونين في الأبواب الداخلية والخارجية لخان آق خان بكونجالي على طريق اغريدير-دنيزلي (٦٥١-٦٥٢هـ/١٢٥٣-١٢٥٤م)، وفي مدرسة جاجا بك في قيرشهر (٦٧١هـ/١٢٧٢-١٢٧٣م)، وفي مقبرة قریش بابا في سنجالي- بويالي كوي بولاية أفيون بداية القرن (٧هـ/١٣م)^(٩٣). كما تأثرت عدة عمائر أناضولية بالزخارف الحجرية الزنكية الثرية ومن أمثلتها المدرسة الزنجيرية في ديار بكر (٥٧٥هـ/١١٨٩م) (لوحة رقم ٣١)، وفي المدرسة المسعوديه في ديار بكر (٥٨٥-٦٢٠هـ/١١٨٩-١٢٢٣م)^(٩٤) (لوحة رقم ٣٢)

٣- الزخارف الرخامية والحجرية معاً :

امتازت العمارة الزنكية والأيوبيه في الشام بالجمع بين الحجر والرخام وهناك مثل يرجع للعصر الأيوبي وهو قصر العزيز في قلعة حلب (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)^(٩٥) (لوحة رقم ٣٣)، وتأثر بهذا الأسلوب الزخرفي جامع علاء الدين في قونيه (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م)^(٩٦) (لوحة رقم ٣٤)

=السيطرة على مدينة إزنيك وقتل على يد قوات السلطان ملكشاه عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وبعد مقتله وجه خلفاؤه كامل قوتهم للسيطرة على وسط الأناضول، ففضى فليج الثاني على الدانشمانيين وانتصر على البيزنطيين ، وانتهت هذه الدولة بسيطرة المغول الفعلية على الأناضول عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م كليفوردا. بوزورث :لمرجع السابق، ص ص ١٨٦-١٨٧ .

(٩١) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٦٨ ، ١٠٢ ، ١١٦ .

(92) Robert Hillenbrand: Islamic Architecture, p. 350.

(٩٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٩٨-٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٣١-١٣٢ ، ٢٣٥ .

(٩٤) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٩٥) عبدالقادر الريحاوي : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٩٦) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

٤- الزخارف الهندسية :

زخرفة كوشات العقود بأشرطة مستقيمة تحصر مربعاً صغيراً في الأركان :
زخرفت كوشتي عقد الإيوان الشرقي في مشهد الحسين بطلب عام (٦٠٨ هـ /
١٢١١ م) (لوحة رقم ٣٥) ، وتأثرت بعض العماثر في بلاد الأناضول بهذا
العنصر الزخرفي ومن أمثلة ذلك واجهة جامع علاء الدين في قونيه (٥٥٠ -
٦١٦ هـ / ١١٥٥ - ١٢١٩ م)^(٩٧) ، وأعلى الحنايا الجانبية لمدخل خان السلطان على
طريق قونيه - أفسراي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)^(٩٨) ، وفي واجهة مدرسة قرطاي في
قونيه (٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) (لوحة رقم ٣٦) .

زخرفة الأقواس المتقاطعة :

كان استخدام الأشرطة المتقاطعة بالحجر ذي اللونين من العناصر الزخرفية
التي عرفت في سوريا ومن أمثلة المنشآت التي وجدت بها مدرسة شادبخت في
حلب (٥٨٥ هـ / ١١٩٠ م) ، وفي محراب مدرسة الفردوس في
حلب (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م)^(٩٩) (لوحة رقم ٣٧) ، وانتقل هذا التأثير السوري إلى بلاد
الأناضول فنجده في أبواب جامع علاء الدين في قونيه (٥٥٠ - ٦١٦ هـ / ١١٥٥ -
١٢١٩ م) (لوحة رقم ٣٨) ، وفي خان السلطان على طريق قونيه - أفسراي
(٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، وفي خان قره طاي على طريق قيصريه -
ملطيه (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ - ١٢٤١ م) وفي صاري خان علي الطريق بين قيصريه -
أفسراي (٦٤٤ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ - ١٢٤٩ م) ، وفي مدرسة وجامع حاجي قليج في
قيصريه (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)^(١٠٠) ، وفي مدرسة
قرطاي (٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م)^(١٠١) ، واستخدم اللون الأبيض والرمادي في
الحشوات^(١٠٢) ، وفي المدخل الشرقي والغربي للجامع الكبير في ملطيه
(٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) ، وتكررت هذه العناصر فوق العقود المدببة للحنايا وفي
الأركان ، واستمر صناع النقوش الحجرية السلجوقية في العمل وفق الأساليب

(٩٧) منى محمد بدر: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٩٨) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، شكل رقم ٨٧ .

(٩٩) اعتماد يوسف القصري : الفنون الإسلامية في الأناضول (آسيا الصغرى) ، مقال في كتاب الفن
الإسلامي ، الفن العربي الإسلامي ، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥ م ، ص ٣٣٣ ؛ ياسر الطباع ،
المرجع السابق ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(١٠٠) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣١ .

(101) Richard Ettinghausen@ Oleg Grabar : The Art and Architecture of Islam , p 325,

ثروت عكاشة : القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٤ م ،
ص ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(102) Richard Yeomans : the story of Islamic Architecture, p , 148.

الزخرفية الزنكية حتى نهاية العصر السلجوقي مثل تلك الموجودة في المسجد الكبير بدولي في قيصريه (٦٨٠هـ/١٢٨١م)^(١٠٣).

العقد ذو الدلاية :

انتشرت زخرفة العقد بينهما دلاية تبدو وكأنها معلقة بدون سند في العمارة السورية في العصر الزنكي والأيوبي، ومن أمثلة العماير التي وجد بها رقبة قبة التربة النجمية بدمشق (٥٤٢هـ/١١٤٧م) (شكل رقم ٢٩)، وفي مدخل المدرسة العادلية في دمشق (٦١٢-٦١٩هـ/١٢١٥-١٢٢٢م)^(١٠٤) (لوحة رقم ٣٩)، وتأثرت بعض المنشآت الأناضولية بهذا العنصر الزخرفي فوجد في أحد عقود البائكة المطللة على صحن المدرسة الزنجيرية في ديار بكر (٥٩٥هـ/١١٩٨م) (لوحة رقم ٤٠) وفي مدخل مدرسة انجه منار بقونيه (٦٥٩-٦٦٤هـ/١٢٦٠-١٢٦٥م) وفي أولو كمبد في أخلاط (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وشكل هنا على هيئة إطار حجري أو جفت على المقبرة^(١٠٥).

٦- زخارف الفسيفساء :

تميزت العماير السورية بزخارف الفسيفساء وكان من أشهرها الفسيفساء في قبة الصخرة (٧٢هـ/٦٩١-٦٩٢م)^(١٠٦) والفسيفساء في الجامع الأموي في دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م)^(١٠٧) (لوحة رقم ٤١) وفي المدرسة النورية في دمشق (٥٦٧هـ/١١٧٢م)، وتأثرت العمارة الأرتقية في جنوب الأناضول بهذا الأسلوب الزخرفي ومن أمثلة ذلك الفسيفساء في القصر الأرتقي في ديار بكر (٦١٧هـ/١٢٢٠م) حيث زخرفت فسقية وخزان المياه بفسيفساء غنية من الزجاج والحجر وهي متأثرة بشكل كبير بالزخارف في فسقية وسبيل المدرسة النورية وبالزخارف الحجرية في البيمارستان النوري (٥٤٩هـ/١١٥٤م)^(١٠٨).

٧-العقد ذو المخدات:

كانت الصنجات المتراسة في العقود من إبتكارات المعمار الفاطمي في برجى بوابة باب الفتوح بالقاهرة (٤٨٠-٤٨٥هـ/١٠٨٥-١٠٩٢م)، وتأثر بهذا العنصر بعض العماير في بلاد الشام ، كما تأثرت بعض عمائر الأناضول بهذا العنصر مثل مدخل الضريح الثماني الأضلاع الملحق بجامع علاء الدين في

(١٠٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٨٢ ، ٩٠ .

(١٠٤) قتيبة الشهابي : المرجع السابق ، ص ص ٣٨٩ ، ٢١١ .

(١٠٥) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ١٠٠ ، وشكل ٧٩ - ٨٠ .

(١٠٦) فريد شافعي: المرجع السابق، ص ص ٢١٥-٢١٧؛ عبد القادر الريحاوي: المرجع السابق، ص ٤٠ .

(١٠٧) المقدسي : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(١٠٨) عبدالله عطيه عبدالحافظ : جامع أشرف أوغلو ، ص ٢٨٧ .

قونيه (٥٥٠-٦١٦هـ/١١٥٥-١٢١٩م)^(١٠٩)، وفي الإيوان الذي علي يسار مدخل خان صاري خان علي طريق قيصريه-آقسراي (٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م) من الداخل والذي يضم سبيل وفي أحد عقود خان كاندمير خان علي طريق قونيه-بيشهر (١٢٠٥-١٢٠٦م)، وفي مدخل جامع أشرف أوغلو في بيشهر (٦٦٩-٦٩٩هـ/١٢٩٧-١٢٩٩م)^(١١٠) (لوحة رقم ٤٢).

٧- الشكل المحاري :

كان الشكل المحاري من العناصر الزخرفية التي وجدت في العصر الزنكي في الشام ووجد متوج لدخلات محاريب زنكية وأيوبية في بلاد الشام كما في مدرسة نور الدين محمود في دمشق (٥٤٠هـ/١١٤٥م) (لوحة رقم ٤٣) ومحراب مدرسة الفردوس في حلب (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، ووجد متوج لدخلات في رقاب بعض القباب مثل رقبة التربة العمادية في دمشق (٦هـ/١٢م)، وفي رقبة قبة التربة الخاتونية (٥٧٨هـ/١١٨٢م)^(١١١)، وتأثرت بعض منشآت بلاد الأناضول ومنها طاقية محراب جامع القلعة في ديوريكي (٥٧٦هـ/١١٨٠-١١٨٢م)، وطاقية محراب مسجد دُنيسر (قزِيل تبه) (٦٠١هـ/١٢٠٤م)^(١١٢) (لوحة رقم ٤٤)، ومحراب مسجد خان قزِيل وفي أورن خان علي طريق بيشهر (٦٠١هـ/١٢٠٤م) وفي الدخلات التي علي جانبي مدخل صاري خان علي طريق قيصريه-آقسراي (٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م)، كما استخدم الشكل المحاري كمناطق انتقال للقباب مثل منطقة انتقال قبة مسجد طاش في قونيه (٦١٢هـ/١٢١٥م)^(١١٣).

٩- رسوم الحيات الحارسة :

اعتقدت بعض الشعوب القديمة أن الكائنات تتقمصها روح ما إما روح خيرة هي روح الأجداد مثلا أو روح شريرة، وكانت مهمة الأرواح الخيرة حراسة الأشياء المادية المحسوسة، مثل قيام الأرواح التي تحل بأجساد الكائنات بحراسة المنشآت كالمعابد والمنازل والآبار والكنوز والأودية^(١١٤)، وورثت الشعوب الإسلامية هذه العادات من الأجداد، ومن ثم أصبح من العادة أن ترسم الحيوانات علي المباني كأسوار المدن وبواباتها وعلى الأبراج والقناطر كطلسم

(109) Dorothy Lamb : Notes on Seljouk Buildings at Konia , The Annual of the British School at Athens, Vol. 21 (1914/1915 - 1915/1916), Pl. VIII.

(١١٠) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ، شكل رقم ١١١ .

(١١١) قنينة الشهابي : المرجع السابق ، ص ص ١٥٢ ، ١٨١ .

(١١٢) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(١١٣) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ص ٦٨ ، ٩٠ ، ١٢٢ .

(١١٤) ثناء أنس الوجود : رمز الأفعى في التراث العربي ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة لقصور

الثقافة ، سلسلة ذاكرة الكتابة (١١) القاهرة ١٩٩٩م ، ص ص ٥٥ ، ٥٨ .

يدفع عنها أذى الأعداء والقوى الشريرة^(١١٥)، ومن هذه الرسوم رسوم الحيات^(١١٦) والأفاعي الملتفة على مدخل قلعة حلب (باب الحيات) والذي يرجع لعهد الظاهر غازي عام (٥٨٨هـ/١١٩٢م) (لوحة رقم ٤٥)، وانتقل هذا العنصر إلى بلاد الأناضول ومن أمثلتها رسوم الحيات الملتفة في أركان وأعلى عقد مدخل الإيوان المطل على فناء خان قرطاي على طريق قيصريه-ملطيه (٦٣٨هـ/١٢٤٠-١٢٤١م) (لوحة رقم ٤٦)^(١١٧).

١٠- رنوك الحيوانات والطيور :

اتخذ السلاطين والملوك صور لحيوانات قوية كرمز أو كرنك لهم ، وربما يكون أول من اتخذ السبع رنگاله هو الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر حاكم الرها ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، وتأثر بذلك سلاجقة الأناضول فاتخذ السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤-٦٤٤هـ/١٢٣٦-١٢٤٦م) صورة أسد لتمثل شخصيته مع هيئة شمس لها وجه آدمي في خلفيتها على جانبي مدخل خان إنجيرخان على طريق أنطاليه- اسبارطه (٦٣٦هـ/١٢٣٨-١٢٣٩م) (لوحة رقم ٤٧)، وخان شرابسا على طريق الانيا قونيه وأنطاليه^(١١٨)، كما احتوت العمائر على رسوم الفهد كما في المدرسة الياقوتية في أرضروم (٦٥١هـ/١٢٥٣م) التي احتوت على نحت لفهدين بينهما شجرة الحياة يعلوهما نسر، وعلى جانبي كتلة مدخل كوك في سيواس (٦٧٠-٦٧١هـ/١٢٧٢م)، كما احتوى مدخل مدرسة جاي في أفيون (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) ، على نقش لأسد كأنه رنك^(١١٩).

المهندسون والحرفيون السوريون :

كان المهندس الذي شيد جامع علاء الدين بقونيه دمشق المنشأ ويسمى " محمد بن خولان الدمشقي"^(١٢٠)، وهو نفس المعمار الذي عهد إليه السلطان علاء الدين بتشييد خانة المعروف بخان السلطان على طريق قونيه - أفسراي

(١١٥) ديمانده، الفنون الإسلامية:ترجمة أحمد عيسى، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٨٢م ، ص ١٠٢.

(١١٦) ظهرت رسوم الثعابين والحيات على العديد من المنشآت الأناضولية بتأثير سلجوقي، ولكنها لم تكن ملتفة كما هي هنا للمزيد راجع أسماء محمد إسماعيل ، دراسة للموروث الفني التركي تطبيقاً على بعض العمائر الإسلامية بآسيا الصغرى حتى عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، بحث تحت الطبع ، منى بدر ، المرجع السابق ، ج ٣ ، شكل ٦١-٦٤ أ.

(١١٧) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ؛

Robert Hillenbrand: Islamic Architecture , p.350

(١١٨) أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٩.

(١١٩) منى محمد بدر: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٧.

(120)Dorothy Lamb : Notes on Seljouk Buildings at Konia , P 32 .

عام (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)^(١٢١)، أما المعمار الذي شيّد المدرسة المسعوديه في ديار بكر فكان من حلب ويدعى " جعفر بن محمود" ^(١٢٢).

الخاتمة :

ساهمت عدة عوامل في نقل العديد من التأثيرات المعمارية والفنية السورية لبلاد الأناضول كان منها الجوار الجغرافي ، وقيام بعض سلاطين السلاجقة بعمل تجديدات في العمائر السورية ، بالإضافة إلى هجرة العديد من المماليك إلى بلاد الأناضول بعد مقتل أقطاي، وانتصار الظاهر بيبرس البندقداري في معركة أبلستين على المغول وسلاجقة الروم ودخوله قيصريه ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، وكان لهذين العاملين تأثير مباشر في نقل العناصر التي سادت في مصر والشام وخاصة في العصريين الأيوبي والمملوكي ، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن تحديدها فيما يلي :

- سُيِّدَت جوامع بتأثير من مساجد سورية مثل جامع ديار بكر وجامع سيواس .
- عرفت بلاد الأناضول إلحاق ضريح المنشئ بالمنشأة وهو مأخوذ عن العمارة السورية في العصر الزنكي .
- كانت المدارس ذات الصحن المغطى من ضمن التأثيرات السورية على عمائر آسيا الصغرى .
- تدين بلاد الأناضول للسوريين وخاصة الزنكيين بمعرفة البيمارستانات ومدارس الطب.
- عرفت بلاد الأناضول المجمعات المعمارية بتأثير من المنشآت الزنكية في سوريا .
- سُيِّدَت بعض المساجد في الجهة الجنوبية من المدارس الملحقة بها وهوتأثير سوري .
- عرفت الخانات بالأناضول ثلاثة تخطيطات كانت إحداها بتأثير مباشر من خانات سوريا وكان يتكون من فناء مكشوف يحيط به حجرات .
- وجدت عمائر بالأناضول سُيِّدَت بالبلاطة الوسطى بها متسعة ومرتفعة بتأثير من المسجد الأموي .
- تميز الجامع الأموي بدمشق بعدة عناصر معمارية تأثرت بها عمائر بالأناضول مثل المداخل المحورية ، والمآذن المربعة والسقف الجمالوني

(١٢١) عبدالله عطية : الآثار والفنون الإسلامية ، ص ١٨١ .

(١٢٢) أوقطاي أصلان أبا : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

والأعمدة المترابكة ، والمحاريب المتعددة ، وعقد حدوة الفرس ، والعقود التوأمية ، والزخارف الفسيفسائية والرخامية .

- تميز الجامع الأموي بطلب بعدة عناصر معمارية وزخرفية تأثرت بها منشآت أناضولية مثل القبو المتقاطع ، والقباب فوق الآبار في الصحن ، والعقد المفصص .

- تفردت العمارة الزنكية بعدة عناصر معمارية تأثرت بها منشآت أناضولية مثل الأواوين ذات الفساقى ، والأحواض التي تتوسط المنشآت ، والدركوات والدهاليز ، والمداخل ذات المقرنصات ، والشكل المحاري .

- احتوت العمائر الأيوبية في سوريا على عناصر معمارية انتقلت إلى بلاد الأناضول منها العقد ذو الدلاية ، والجمع بين الرخام والحجر في الزخرفة ، وزخرفة كوشات العقود بخطوط مستقيمة تحصر بينها مربعاً صغيراً ، وزخرفة الأقواس المتقاطعة ، واتخاذ السلاطين السلاجقة للرنوك الحيوانية.

المصادر :

- الإدريسي (أبي عبدالله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي) ق ٦ هـ/١٢م : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مجلدان، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٤ .
- بن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق أحمد حطيظ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الزخائر رقم ١٩٠، القاهرة ٢٠٠٩م .
- المقدسي(شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي) ت ٣٨٠، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩م .
- المقريزى (تقي الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٤ أجزاء في ٣ أقسام ، ج ١ ، ٢، تحقيق مصطفى زيادة، مطبعة التآليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧-١٩٧١م ، ج ٣ ، ٤، تحقيق سعيد عاشور، مركز تحقيق التراث، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣م .

المراجع :

- اعتماد يوسف القصري ، الفنون الإسلامية في الأناضول (آسيا الصغرى) ، مقال في كتاب الفن الإسلامي، الفن العربي الإسلامي، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥م
- أوقطاي أصلان أبا ، فنون الترك وعماثرهم ، ترجمة أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول ١٩٨٧م .
- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٤م .
- ديمان ، الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٨٢م .
- عبدالقادر الريحاوي ، العمارة الدينية والمدنية المبكرة في العهد الأموي ، مقال في كتاب الفن الإسلامي، الفن العربي الإسلامي، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥م
- عبدالله عطية ، الآثار والفنون الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٧م .
- عبدالله عطية عبدالحافظ : " جامع أشرف اوغلو فى مدينة ببشهر " دراسة أثرية معمارية ، مقال بمجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة، العدد الحادى والأربعون- أغسطس ٢٠٠٧ .
- علي أحمد الطائش ، طرز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول (٤٧٠-٧٠٨هـ/١٠٧٧-١٣٠٨م)، بحث مقدم لندوة الآثار في شرق العالم الإسلامي، من ٣٠ نوفمبر: ١ ديسمبر ١٩٨٨م، كلية الآثار ، جامعة القاهرة .
- قتيبة الشهابي ، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق ١٩٩٥م .
- كليفوردا. بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين علي اللبودي، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشراع العربي بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٥م .
- محمود مرسي مرسي، العماثر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٢م
- منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ٣ أجزاء ، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠٠٢م .

- ياسر الطباع ، العمارة الزنكية والأيوبية في سورية والجزيرة ، مقال في كتاب الفن الإسلامي ، الفن العربي الإسلامي، ج ٢ " العمارة " ، تونس ١٩٩٥م.
المراجع الأجنبية:

- **Ara Altun:** Mardin'de Türk devri Mimarisi, İstanbul , 1971.

- **Creswell,K.A.C.,**Mardin andDiyarbakr

Muqarnas XV:An Annual on, In the Visual Culture of the Islamic World ,1998 .

- **Dorothy Lamb** :Notes on Seljouk Buildings at Konia , The Annual of the British School at Athens,Vol. 21(1914/1915 -1915/1916),PI. VIII.

Ekrem Akurgal : Lart en Turquie Paris,1981.-

- **Henri Stierlin** :Islamic Architecture Taschen's World Architecture, Volume 1,(Islam Early Architecture from Baghdad to Cordoba),Italy 1996.

- **Henri Stierlin** : Taschen's World Architecture World Architecture Turkey from the Solguks to the Ottomans, Italy,1998.

Metin Sözen:the evolution of Turkish Art and Architecture,istanbul ,1987.-

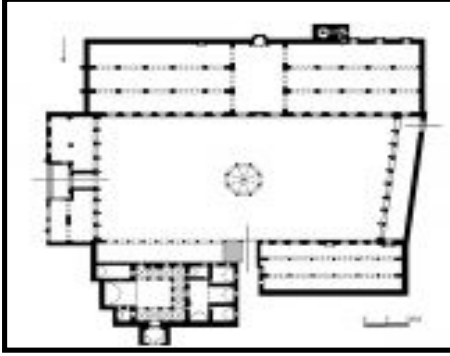
-**Rabah Saoud:** Muslim Architecture under Seljuk Patronage (1038-1327),foundation for science Technology and Civilisation, FSTC, limited,2003-2004.

- **Richard Ettinghausen@ Oleg Grabar** : The Art and Architecture of Islam: 650 1250,yale University Press, ney haven and London 1994.

-**Richard Yeomans** :the story of Islamic Architecture , Lebanon, 1999.

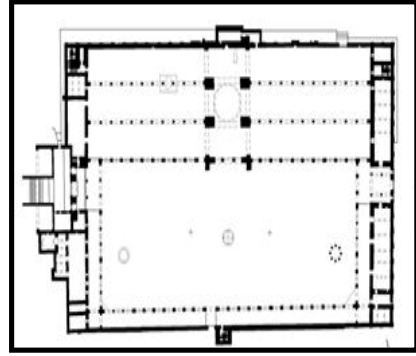
- **Robert Hillenbrand:**Islamic Architecture, form, function and meaning, Edinburgh University Press, 1994

الأشكال

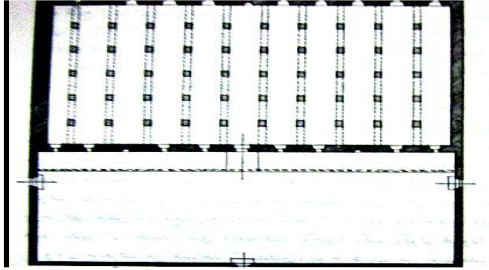


شكل رقم ٢ تخطيط جامع ديار بكر . عن :

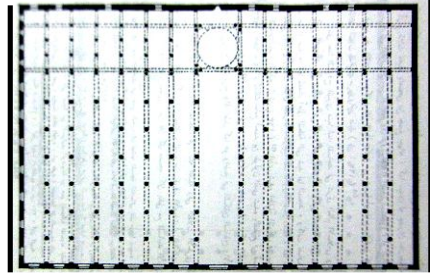
Hillenbrand, R., Islamic Architecture, form, function and meaning , fig , 2,206



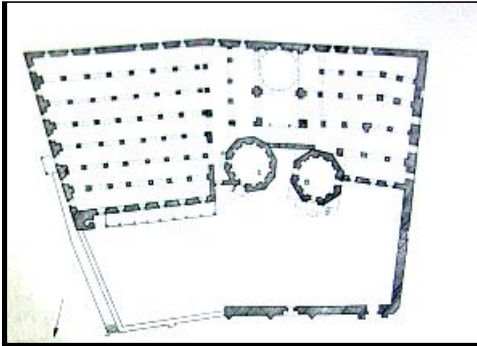
شكل رقم ١ تخطيط الجامع الأموي بدمشق. عن : فريد شافعي ، العمارة العربية ، شكل رقم ١٦٥ .



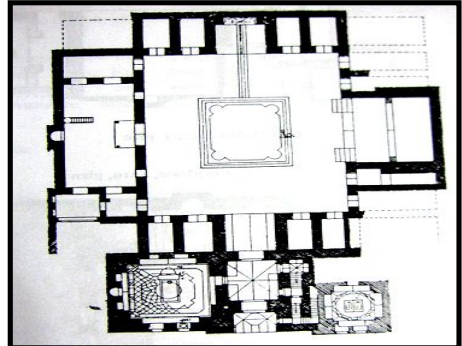
شكل رقم ٤ تخطيط الجامع الكبير في سيواس. عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، تخطيط ٨ .



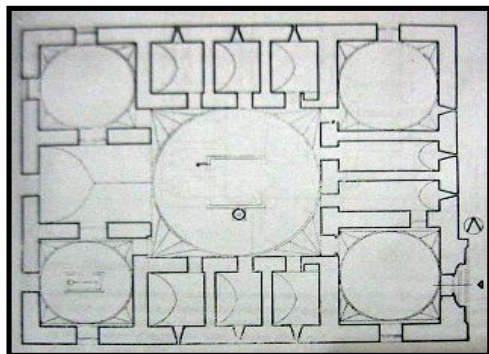
شكل رقم ٣ تخطيط الجامع الأقصى . عن : فريد شافعي ، العمارة العربية ، شكل رقم ١٦٧ .



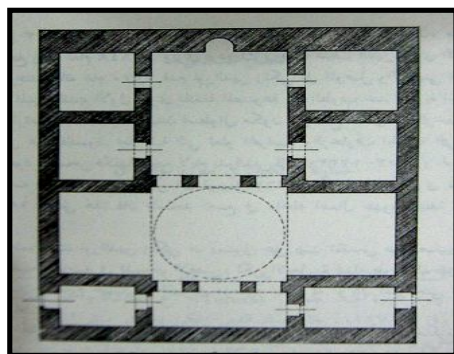
شكل رقم ٦ الضريحان في جامع علاء الدين بقونية. عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، تخطيط ١٢ .



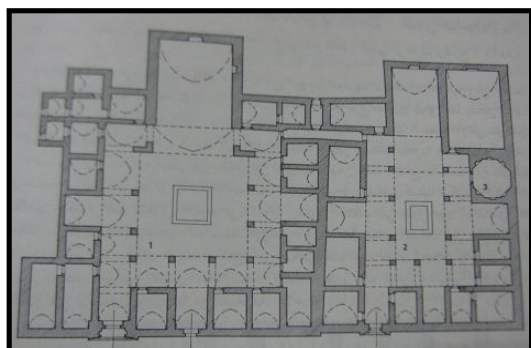
شكل رقم ٥ الضريح الملحق بمدرسة نور الدين محمود . عن : Ettinghausen, R. @ Grabar, O., The Art and Architecture of Islam , fig ,



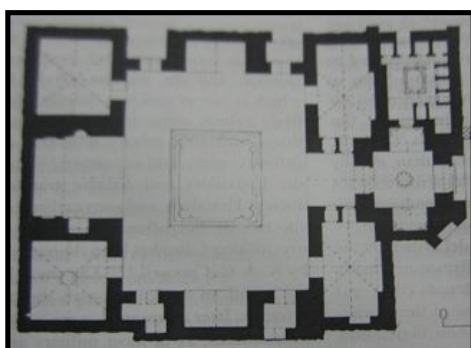
شكل رقم ٨ الصحن المغطى في مدرسة قرطاي .
عن: Sözen, M., the evolution of
Turkish Art ,P .84



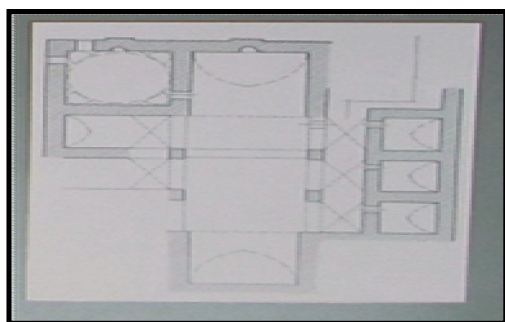
شكل رقم ٧ الصحن المغطى في مدرسة
كمشتكين. عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك
وعمانرهم ، تخطيط ٤ .



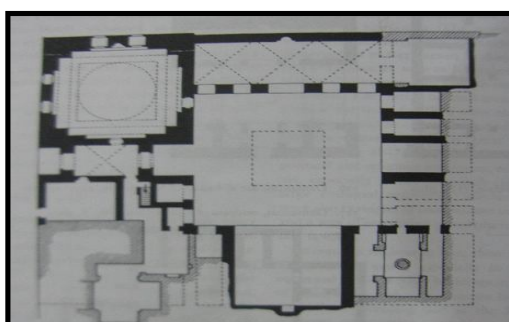
شكل رقم ١٠ مستشفى ومدرسة جوهر نسيبة . عن :
أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك وعمانرهم ، تخطيط ٤ .



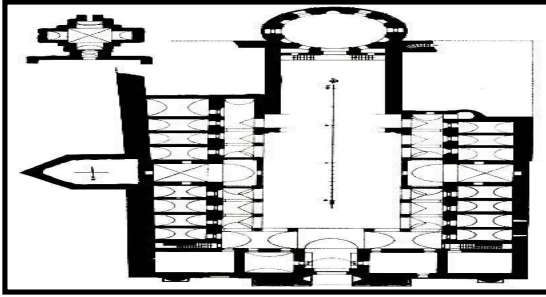
شكل رقم ٩ بيمارستان نور الدين محمود . عن :
Ettinghausen, R. @ Grabar, O., The Art
and Architecture of Islam , fig , 335 .



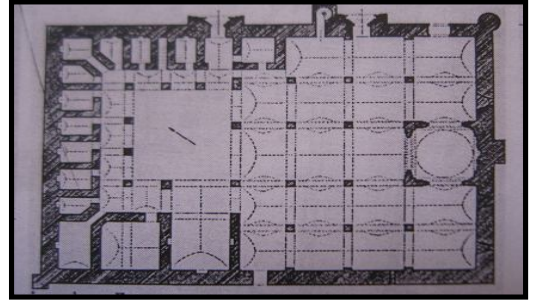
شكل رقم ١٢ المسجد الملحق بالمدرسة الخاتونية.
عن: Altun, A., Mardin'de Türk devri
Mimarisi, İstanbul , 1971, plan , 19 .



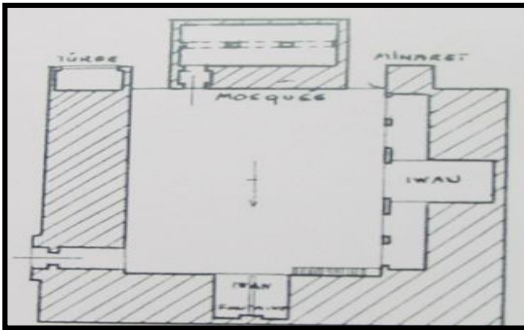
شكل رقم ١١ المسجد الملحق بالمدرسة العادلية
الكبرى. عن : Ettinghausen, R. @
Grabar, O., The Art and Architecture



شكل رقم ١٤ مدرسة جفته منار بأرضروم . عن :
mw1.google.com

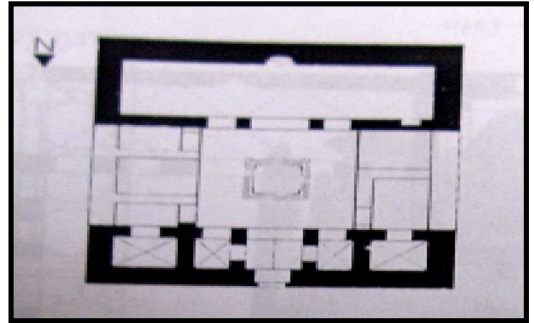


شكل رقم ١٣ مجمع حاجي قليج . عن :
Hillenbrand,R.,Islamic
Architecture,form,function and



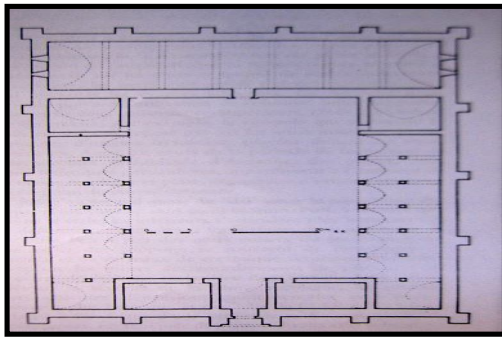
شكل رقم ١٦ وضع المسجد جنوب المدرسة
الشاهدية. عن :

Altun,A., Mardin'de Türk devri Mimarisi,
Plan , 20 .

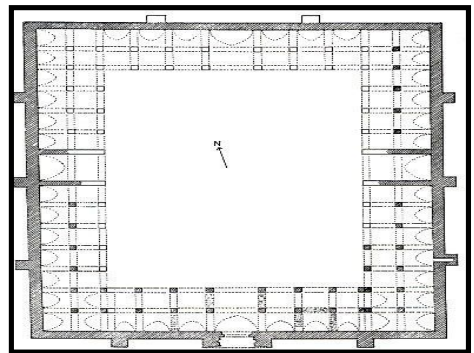


شكل رقم ١٥ وضع المسجد جنوب المدرسة
في دار الحديث النورية. عن :

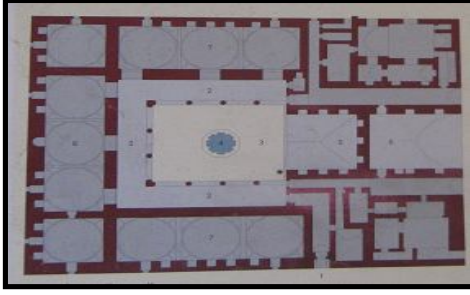
Ettinghausen, R. @ Grabar, O.,



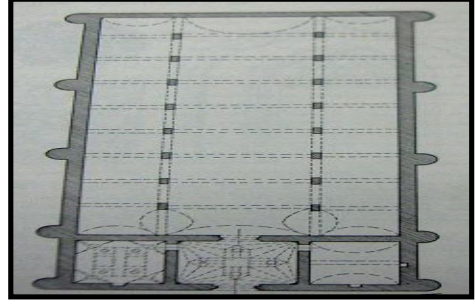
شكل رقم ١٨ خان فرقكوز . عن :
Akurgal ,E., Lart en Turquie , fig 38



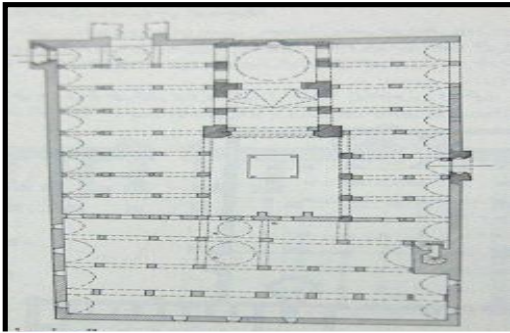
شكل رقم ١٧ خان اودير. عن :
<http://www.turkishhan.org>



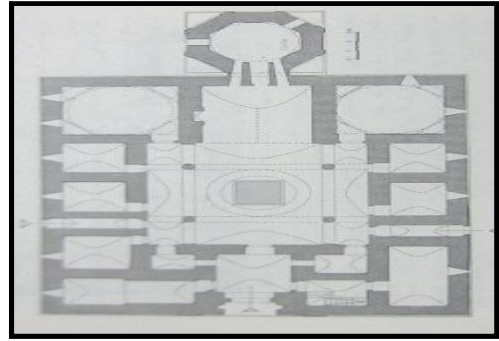
شكل رقم ٢٠ الدهاليز في مدرسة الفردوس . عن :
Stierlin, H., Islam Early Architecture from
Baghdad to Cordoba,p.214.



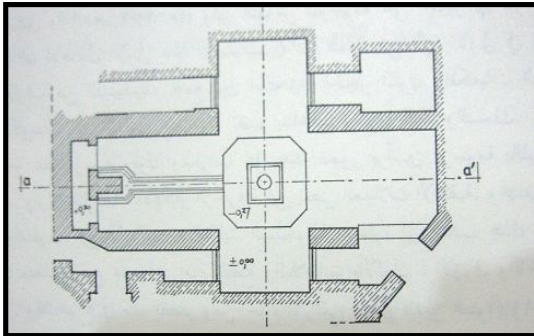
شكل رقم ١٩ اتساع البلاطة الوسطى في خان
اغدير. عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك
وعمانهم ، تخطيط ٣٠ .



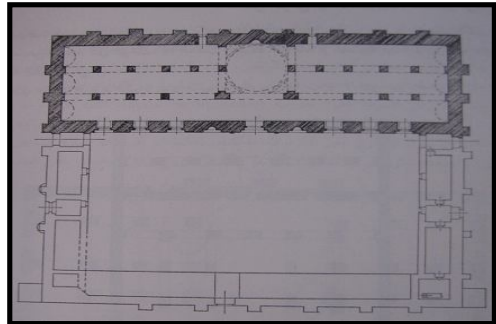
شكل رقم ٢٢ الدركاة المغطاة بقبة في المدخل الشرقي
لجامع منطية . عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك
وعمانهم ، تخطيط ١٤ .



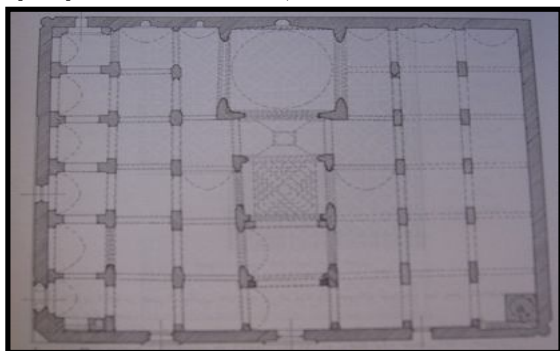
شكل رقم ٢١ الدركاة والدهاليز في مدرسة
ارتكوش. عن : أوقطاي اصلانابا ، فنون
الترك وعمانهم ، تخطيط ٢٢ .



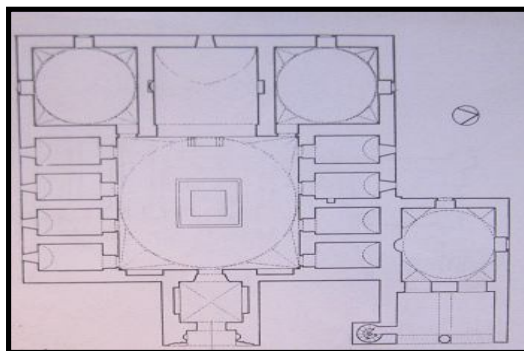
شكل رقم ٢٤ الإيوان ذي الفسقية . عن :
أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك وعمانهم ،
تخطيط ٣٣ .



شكل رقم ٢٣ المداخل المحورية في جامع
دنيصر. عن :أوقطاي اصلانابا ، فنون الترك
وعمانهم ، تخطيط ٦ .

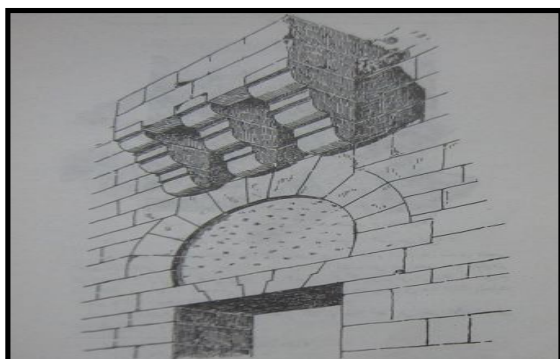


شكل رقم ٢٦ تعدد المحاريب في جدار قبلة الجامع الكبير بأرضروم. عن: أوقطاي اصلانبا، فنون الترك وعماثرهم ، تخطيط ١٠ .

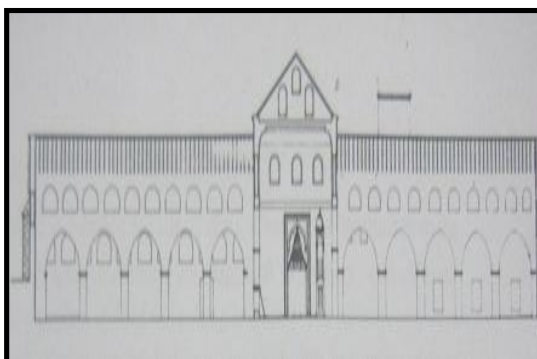


شكل رقم ٢٥ الحوض الذي يتوسط صحن مدرسة أنجه منار. عن:

Sözen,M.,the evolution of Turkish

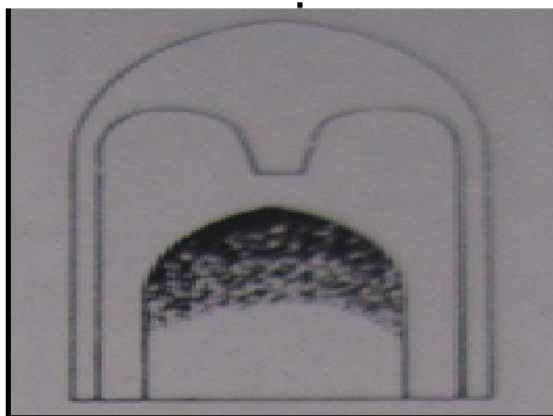


شكل رقم ٢٨ الصنجات المعشقة في مدخل قصر الحير الشرقي. عن: فريد شافعي ، العمارة العربية ، شكل ١٣٦



شكل رقم ٢٧ السقف الجمالوني في المجاز القاطع للجامع الكبير في ديار بكر. عن:

Sözen,M.,the evolution of Turkish Art ,P



شكل رقم ٢٩ العقد ذو الدلاية في قبة التربة النجمية . عن : قتيبة الشهابي ، مشيدات دمشق ، ص ٢١٢ .

اللوحات



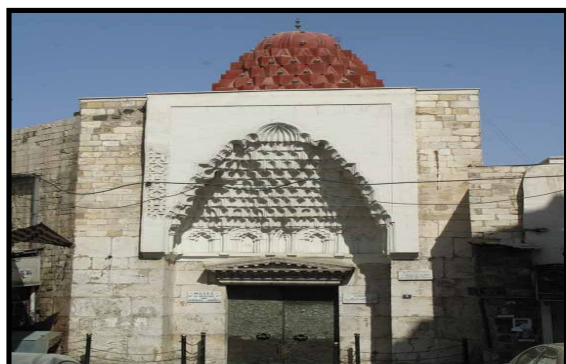
لوحة رقم ٢ الفناء المكشوف في خان قركوز. عن :
www.tourismtoday.net



لوحة رقم ١ مدخل خان الدكة. عن :
<http://www.yasmin-alsham.com>



لوحة رقم ٤ المقرنصات في مدخل خان سلطان. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



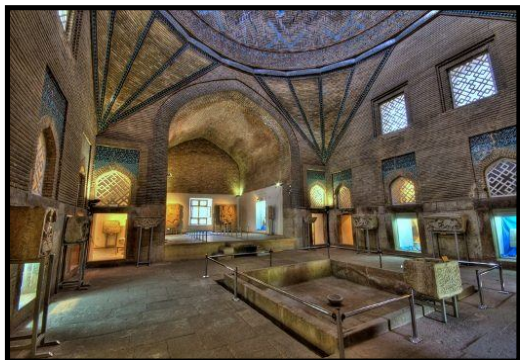
لوحة رقم ٣ المقرنصات في مدخل البيمارستان النوري. عن :
<http://www.egyptianoasis.net>



لوحة رقم ٦ المنذنة المربعة للجامع الكبير. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٥ المنذنة المربعة لجامع معرة النعمان. عن
<http://jarjanaz.ahlamontada.net>



لوحة رقم ٨ الحوض في فناء مدرسة انجه منار. عن :
beykoz-turkocagi.org.tr



لوحة رقم ٧ الحوض في فناء المستشفى النوري. عن:
tishreen.news.sy



لوحة رقم ١٠ الأعمدة المتراكبة في جامع ديار بكر. عن:
[www/archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



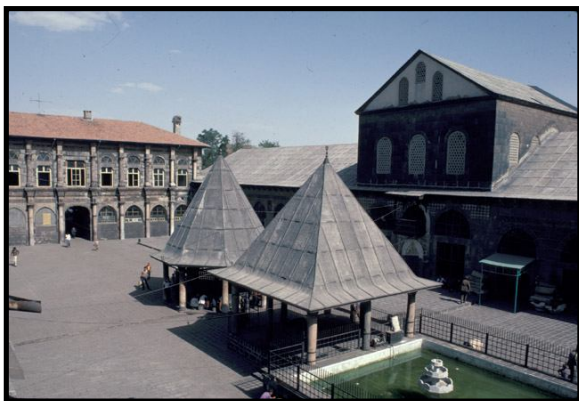
لوحة رقم ٩ الأعمدة المتراكبة في الجامع الأموي. عن:
arabhardware.net



لوحة رقم ١٢ الأسقف الجمالونية في جامع ديار بكر. عن :
[www/archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



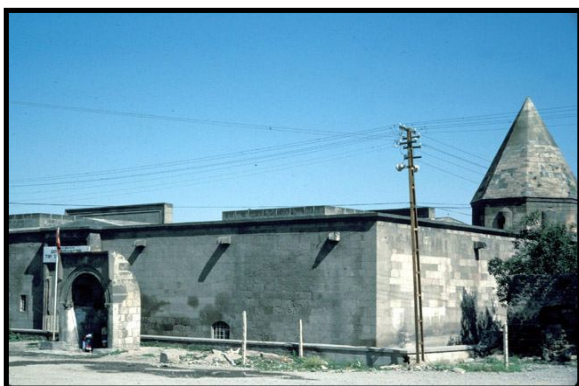
لوحة رقم ١١ الأسقف الجمالونية في الجامع الأموي. عن :
khaled-s.com



لوحة رقم ١٤ الآبار ذات القباب في جامع ديار بكر. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www/archnet.org/library/images)



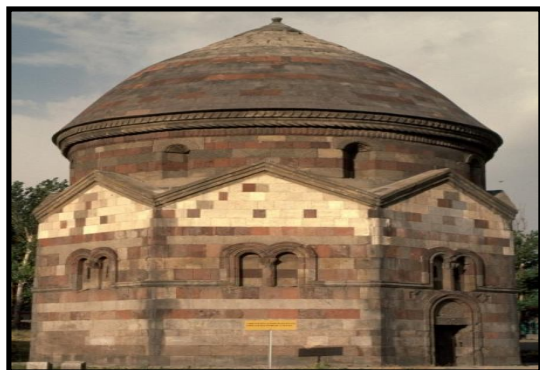
لوحة رقم ١٣ الآبار ذات القباب في جامع حلب. عن:
alshamtoday.net



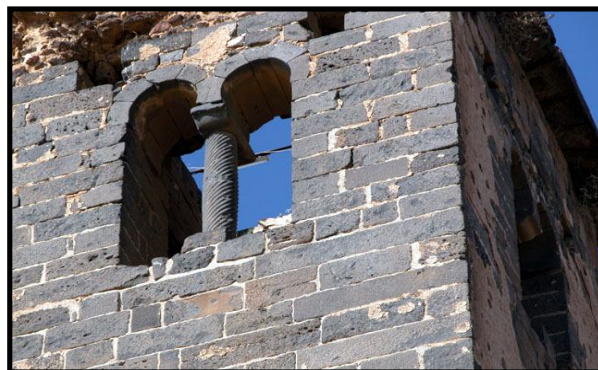
لوحة رقم ١٦ عقد حدوة الفرس في مدخل مستشفى جوهر نسيبة. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www/archnet.org/library/images)



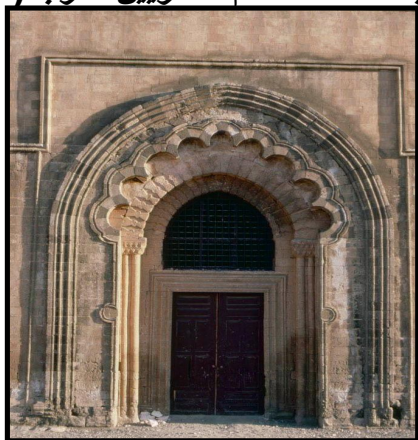
لوحة رقم ١٥ عقود حدوة الفرس في الجامع الأموي. عن:
faculty.ksu.edu.sa



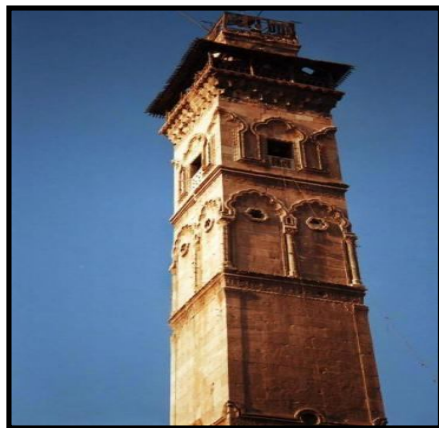
لوحة رقم ١٨ العقود التوأمية في مقبرة سلق. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www/archnet.org/library/images)



لوحة رقم ١٧ العقود التوأمية في الجامع الأموي
ببصرى. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www/archnet.org/library/images)



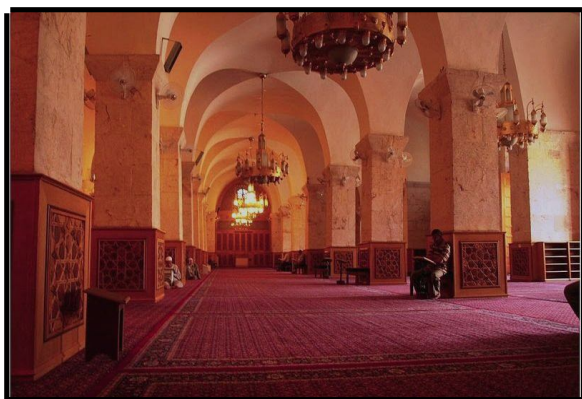
لوحة رقم ٢٠ العقد المفصص في مدخل جامع دنيسر. عن :
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ١٩ العقود المفصصة في مئذنة جامع حلب . عن
<http://www.itihadhalap.com/forum>



لوحة رقم ٢٢ العقود المتقاطعة في المدرسة السعودية. عن:
www /archnet.org/library/images



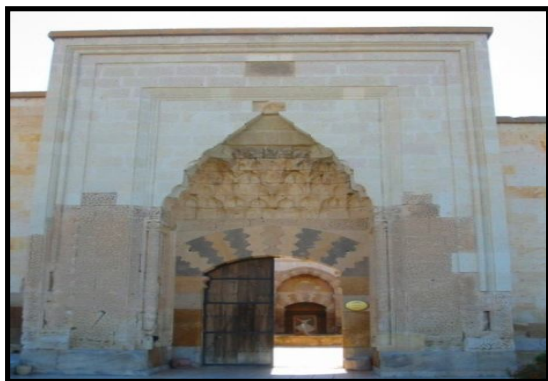
لوحة رقم ٢١ العقود المتقاطعة في جامع حلب . عن:
<http://alshamtoday.net/data>.



لوحة رقم ٢٤ الشطف في الجامع الكبير في أضراروم. عن :
www /archnet.org/librarv/images



لوحة رقم ٢٣ الشطف المقرنص في جامع الشهابية. عن:
www /archnet.org/library/images



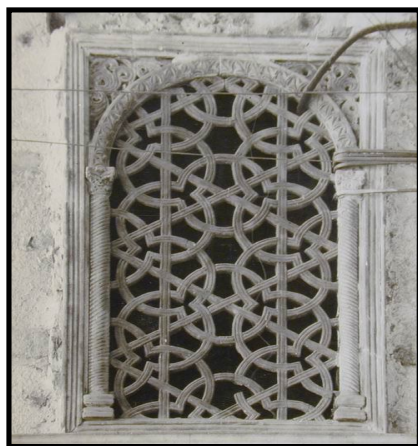
لوحة رقم ٢٦ الصنجات المعشقة في صاري خان. اهداء من د زكريا شيمشير ، جامعة نجم الدين أربكان ، تركيا .



لوحة رقم ٢٥ الصنجات المعشقة في مدخل قصر الحير الشرقي. عن: <http://www.christian-guys.net>



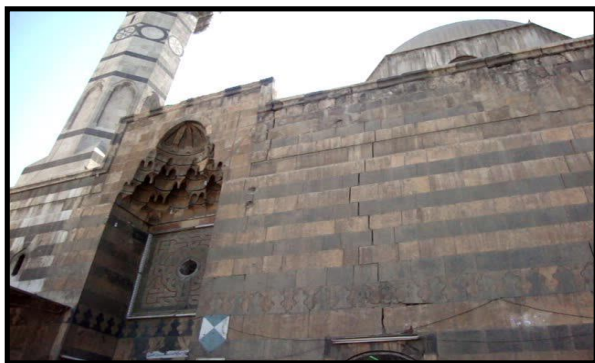
لوحة رقم ٢٨ استخدام الرخام في مدخل مدرسة قرطاي. اهداء من د عماد عوجة



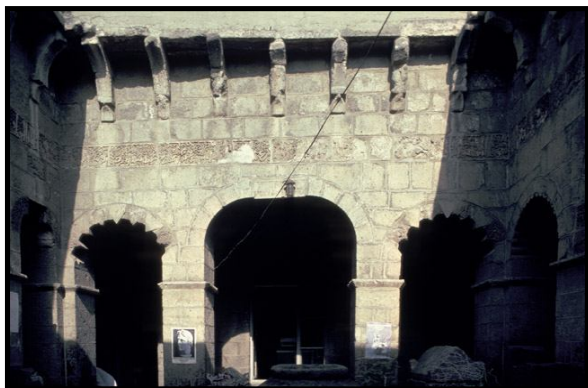
لوحة رقم ٢٧ شمسية رخامية في الجامع الأموي في دمشق. عن: [www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٣٠ الحجر المشهر في صاري خان. عن: <http://www.turkishhan.org/sari.htm>



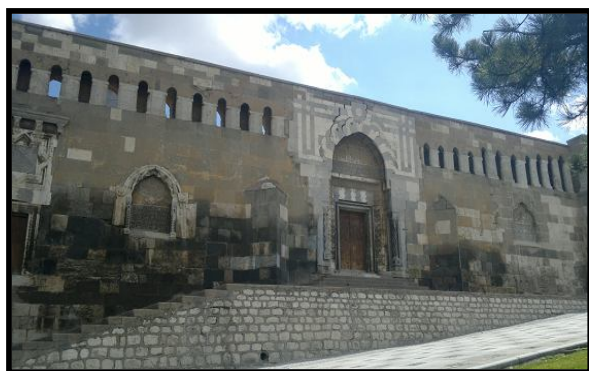
لوحة رقم ٢٩ الحجر المشهر في جامع السنجدار. عن: forums.7hob.co



لوحة رقم ٣٢ الزخارف الحجرية في المدرسة الزنجيرية. عن:
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٣١ الزخارف الحجرية في المدرسة السعودية.
عن: [www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٣٤ الجمع بين الحجر والرخام في جامع علاء الدين. اهداء من د عماد عوجة



لوحة رقم ٣٣ الجمع بين الحجر والرخام في مدخل قصر العزيز. عن: esyria.sy



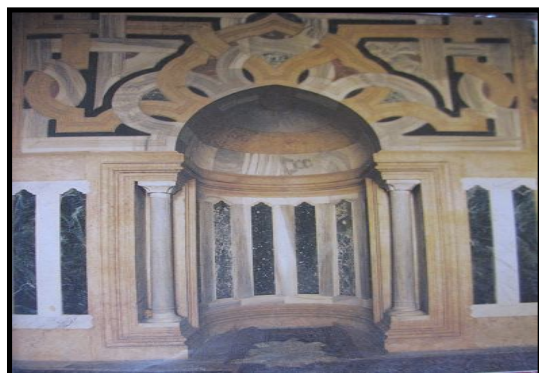
لوحة رقم ٣٦ زخرفة الأشرطة المستقيمة التي تحصر بينها مربعاً في مدرسة قرطاي عن flickrriver.com



لوحة رقم ٣٥ زخرفة الأشرطة المستقيمة التي تحصر بينها مربعاً في مشهد الحسين. عن:
www.vakamar.com



لوحة رقم ٣٨ زخرفة الأقواس المتقاطعة في مدخل جامع علاء الدين. اهداء من د عماد عوجة



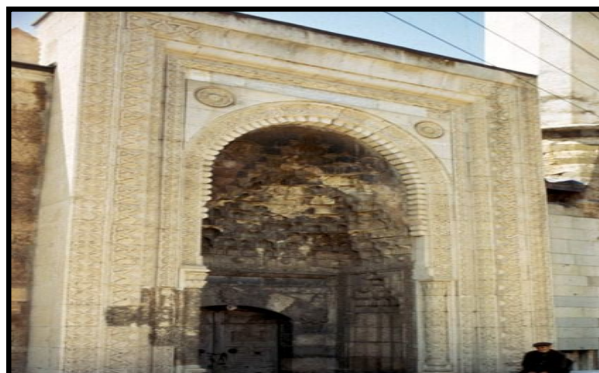
لوحة رقم ٣٧ زخرفة الأقواس المتقاطعة في محراب مدرسة الفردوس. عن: Stierlin, H., Islam Early Architecture, p.217



لوحة رقم ٤٠ العقد ذو الدلاية في المدرسة الزنجيرية. عن



لوحة رقم ٣٩ العقد ذو الدلاية في مدخل المدرسة العادلية. عن [www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ١٤ العقد ذو المخدات في مدخل جامع أشرف أوغلو. عن: [www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



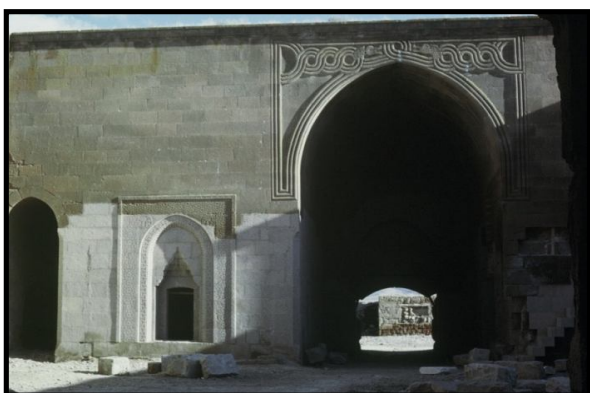
لوحة رقم ٤٠ الفسيفساء في الجامع الأموي بدمشق عن <http://www.esyria.sy/edamascus>



لوحة رقم ٣٤ الطاقية المروحية في محراب جامع دنيسر. عن :
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٤٢ الطاقية المروحية في مدخل المدرسة النورية. عن
[www /archnet.org/library/images](http://www.archnet.org/library/images)



لوحة رقم ٤٥ الحيات الملتفة في خان قرطاي. عن :
<http://www.turkishhan.org/karatav.htm>



لوحة رقم ٤٤ الحيات الملتفة في باب الحيات بقلعة حلب. عن :
<http://www.rep-eye.com>



لوحة رقم ٤٦ الأسد يعطوه شمس لها وجه آدمي . عن :
www.turkishhan.org

الصناعة التقليدية للأجر والقرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي

د/ إسماعيل بن نعمان *

المخلص:

لقد عرفت بلاد المغرب استقرار العديد من الحضارات عبر العصور المتلاحقة، وكان لهذه الحضارات تأثيراتها المختلفة في هذه المنطقة، تجسدت في عادات وتقاليد انصهرت مع العادات والتقاليد المحلية فشكلت موروثا حضريا في جميع ميادين الحياة، منها ميدان صناعة مواد البناء الطينية المحروقة (الأجر والقرميد) التي عمد الإنسان إلى الاعتماد عليها لتعويض النقص الموجود في المواد الطبيعية الأخرى كالحجارة، وللحصول على بناء أكثر صلابة وأكثر مقاومة للعوامل الطبيعية.

مقدمة:

أساس صناعة الأجر والقرميد هو الطين، الذي كثر استعماله في جميع المجالات البنائية والفنية في معظم الحضارات التي عرفتها البشرية كحضارات بلاد الشام وما بين النهرين والفرعنة في مصر والحضارة الرومانية والإسلامية وغيرها^(١)، ويعود هذا لسهولة الوصول إليه، وقلة تكاليفه.

وللحصول على مواد بنائية منه يبحث الإنسان عن طين صلصالي يشكل ويجفف طبيعيا ثم يحرق ليصبح ذو خصائص عالية، تساعد على تقوية المبنى، كما تساعد على إنجاز العناصر الفنية وتغطية السقف وتبليط الأرضية وتكسية الجدران.

وينتج من الطين المحروق عدة أنواع من المنتجات هي الأجر والقرميد والبلاطات الخزفية والمربعات الخزفية والزليج، وسنخص بالذكر في هذا المقال مادتي الأجر والقرميد فقط.

أولا - الأجر:

شكله مستطيل غير مخرم مقاساته مختلفة من منطقة لأخرى، وهو من أقدم مواد البناء الاصطناعية وأكثرها استعمالا من طرف الحضارات القديمة، بحيث يستخدم في بناء مختلف أجزاء المباني، خاصة منها العناصر المعمارية المعقدة مثل القباب والأقواس والعقود المتقاطعة الأضلاع وأطر الفتحات وذلك حرصاً على استقامتها لأنها بمثابة الرابط القوي للمبنى، فضلاً عن الحصول على الدقة والاتزان معاً، كما يستخدم كعنصر ثانوي في بناء الأسوار حيث تتناوب صفوفه مع صفوف الحجارة أو تتداخل

* أستاذ الآثار - جامعة الجزائر ٢

١ - عهد غيف خزام، << تاريخ العمارة الطينية في سوريا: منطقة القلمون نموذجاً >>، في كتاب: المعمار المبنى بالتراب في حوض البحر المتوسط، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، ١٩٩٩، ص.١٧.

معها، ونظرا لصغر حجمه كان يستخدم لحماية السطوح الخارجية للأسوار المنجزة بتقنية الطابية، وتملاً به الفراغات التي تتشكل بعد تآكل أسوار تقنية الطابية^(٢). وتحضيره يتم وفقا لخطوات متتالية تبدأ منذ جلب مادته الأولية من المقالع إلى غاية خروجه من الفرن جاهزا للاستعمال في البناء، وتمر صناعته بالخطوات التالية:

١- اختيار المادة الأولية:

هي عبارة عن تربة صلصالية، والصلصال تراب صخري يتألف من سيليكات الألومين متحدا بالماء، وقليل من الكلس وأكسيد المنغنيز وأكسيد الحديد، وهي التي تكسبه الصلابة واللون المختلف، ويكون لدنا طبيعيا أو بعد إضافة قليل من الماء له^(٣)، ويختلف تركيبه باختلاف مصدره الذي يكون في أقرب مكان للورشة التي تصنع فيها المواد ذات الأصل الطيني، لأنه في غالبية الأحيان يتم اختيار موقع بناء الورشة بالقرب من مصدر المادة الأولية^(٤)، لأن حسن اختيارها يقلل من نسبة النماذج المشوهة. وتتركب الطينة الصلصالية الصافية من ثلاثة عناصر أساسية هي أكسيد السيليس والألومين والماء، وعناصر أخرى ثانوية، وتختلف قيم العناصر الأساسية من منطقة لأخرى كالتالي:

المادة	الرمز الكيميائي	النسبة المئوية
أكسيد السيليس	Si O ₂	من ٤٥ إلى ٨٠%
الألومين	AlO ₃	من ١٥ إلى ٤٠ %
الماء	H ₂ O	من ١٨ إلى ٢٠ %

٢ - للتعرف أكثر على تقنية الطابية، يمكن الإطلاع على مقالنا << البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية الطابية نموذجاً >> في مجلة كان الإلكترونية عبر موقعها على شبكة الانترنت www.historicalkan.co.nr، العدد ١٠، ديسمبر ٢٠١٠، ص.ص. ١٩-٢٦.

٣ - نقولا نقاش، << أجر >>، في دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، مج١، بيروت، ١٩٦٦، ص.ص. ٨١-٨٢.

4 - P.ARAGUAS, Brique et architecture dans l'Espagne médiévale (XII – XV siècle), bibliothèque de la Caza de vélazquez, Espagne, 2003, p.9 .

(٥) ويمكن استخدام كل أنواع الطينة الصلصالية في تحضير القرميد والآجر، وللتقليل من عدم ملائمة بعض الأنواع، يضاف لها قليل من الرمل الناعم، والتراب الرملي والقرميد المطحون، والفحم وأكسيد الحديد المسحوق^(٦)، وفي منطقة القبائل بالجزائر يضاف لها التبن المهشم إلى قطع صغيرة^(٧)، لتزيد من تماسك الطين وتمنعه من التصدع أثناء عملية الحرق.

٢- تحضير المادة الأولية :

عادة ما يكون الطين المستعمل قليل النقاوة، مما يتطلب تنقيته من الشوائب، حيث يترك مدة طويلة معرضا لتأثير ماء المطر فتذوب كل العناصر القابلة للانحلال بالماء، أما الشوائب الأخرى الموجودة فيه فيتم إزالتها بتخلية الصلصال في أحواض يجتازها ماء جار^(٨)، فتترسب الأجسام الثقيلة ويبقى الصلصال صافيا^(٩)، ثم تجمع العجينة الصلصالية في أحواض ويضاف لها الماء باستمرار وكلما امتصته تضاف لها كمية أخرى إلى درجة التشرب الكامل.

وتبقى على حالتها هذه دون تدخل الإنسان مدة يوم أو يومين^(١٠)، وقد تستغرق هذه العملية شهرا أو شهرين^(١١)، ثم توضع في أحواض وتلك عدة مرات بالأرجل وخلالها تضاف لها المواد التي تزيد من جودتها كالرمل الناعم، والتراب الرملي والقرميد المفتت والفحم وأكسيد الحديد المسحوق، وتترك بعدها على شكل قطع في الهواء لتجف قليلا لمدة أربع وعشرين ساعة أو أقل إن كان المناخ ملائما^(١٢)، وعقبها تصبح جاهزة للمرحلة الموالية.

5 - P.ARAGUAS, Op.cit, p.15 .

وقد وردت عند نقولا نقاش في ص.٨٣ بقيم مختلفة، تراوحت بين ٦ إلى ٦٧% بالنسبة لأكسيد السيلييس ١٦ إلى ٣٩% بالنسبة للألومين و ٦ إلى ١٩% بالنسبة للماء.
٦ - نقولا نقاش: المرجع السابق، ص.٨٣ .

7 -J-C. MUSSO, << Tuiles ornées en grande Kabylie >>, in Fichier et documentation berbère, N° 105, Fort National (Algérie), 1970 .p.20.

- R.MAUNIER, La construction collective de la maison en Kabylie, institut d'ethnologie, Paris, 1926, p.37.

٨ - هذه الأحواض تبلغ مقاساتها: ١.٦٠م x ١.٢٥م x ٠.٤٥م، أنظر:

- A.SAADAOU, <<La tuile creuse, matériau caractéristique de la tradition architecturale morisque et Tunisie: diffusion, fabrication et utilisation XVII-XIX é.s>>, in: Actes du IV symposium international d'études morisque , centre d'études et de recherche ottomanes , Zaghuan, 1990, p.296.

٩ - نقولا نقاش، المرجع السابق، ص.٨٤.

10 -J. REVAULT, L.Golvin et A. AMAHAN, Palais et demeures de Fès, tome I, C.N.R.S, Paris, 1985, p.45.

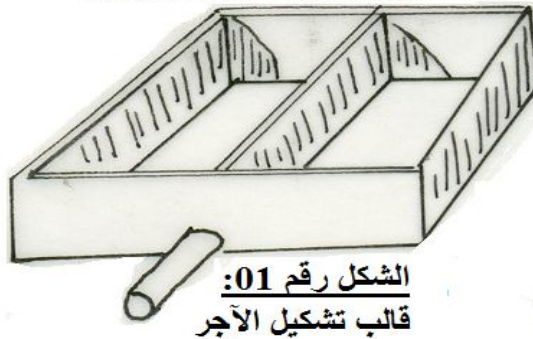
١١ - نقولا نقاش، المرجع السابق، ص.٨٤ .

12 - J.REVAULT et autres, Op.cit, p.45 .

3- تشكيل العجينة :

يتم تشكيلها ب قالب خال من القاعدة (الشكل رقم ٠١) مصنوع من خشب صلب وغير قابل للتسوس، يخضع للرقابة المستمرة من طرف محتسب المدينة الذي يكون عنده نموذج يعلق في مسمار في أحد جدران المسجد^(١٣)، ويحتوي هذا القالب في وسط أحد الضلعين القصيرين على مقبض، ويقسم إلى قسمين حتى يتسنى الحصول على قطعتين من الأجر مرة واحدة، وتختلف سعة هذه القوالب تبعاً للحجم المراد إعطاؤه لقطع الأجر، فمقاساته تحدد حسب ماهو متداول في المنطقة المصنوع فيها، وأحياناً يكون متغيراً داخل المنطقة الواحدة، وأثناء صناعة هذا القالب يوضع في الحسبان إضافة إلى المقاسات المطلوبة للأجر الجاهز للاستعمال، مقدار إضافي يمثل الحالة الحقيقية للعجينة الصلصالية قبل الانكماش الذي يطرأ عليها بعد فقدانها للماء^(١٤).

J.REVAULT et autres, Palais et
demeures de Fés....p.46. عن:



ويوضع هذا القالب على سطح مستو أملس، ثم تُرفع كمية من العجينة وتمدد داخله وتضغط بشكل جيد بواسطة آلة تشبه الساطور تعمل على ملء الفراغات المتبقية داخل القالب وتسويتها حسب الحدود العلوية له^(١٥)، ويُملس سطحها العلوي بتمرير الصانع لراحة يده المبلولة بقليل من الماء، ثم يسحب القالب بمساعدة المقبض الموجود في أحد جوانبه، وتستغرق العملية كلها حوالي عشرون ثانية^(١٦)، ويغسل بالماء لإزالة

١٣ - خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٩٩٧، ص. ١١٤ .

١٤ - نقولا نقاش، المرجع السابق، ص. ٨٥ .

١٥ - نفسه.

- P.ARAGUAS, Op.cit , p.25 .

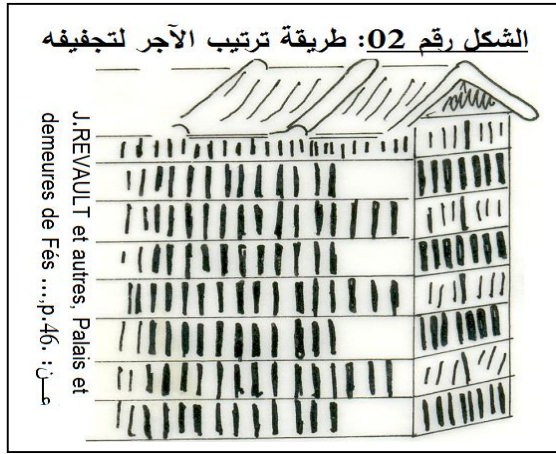
16 - J.REVAULT et autres, Op.cit, p.47.

ما علق به من طين، ويعاد وضعه وملاه مثلما حدث في المرة الأولى، ويستطيع العامل المكلف بالقولبة صناعة عدد يتراوح بين ٤٠٠ إلى ١٠٠٠ وحدة يوميا^(١٧).

٤-التجفيف :

التجفيف الأولي يكون أثناء تشكيل القطع، حيث فور الانتهاء من نزع القالب يبدأ التجفيف التلقائي في الهواء الطلق بعيدا عن أشعة الشمس، وتبقى القطع في أماكنها مدة زمنية تتراوح بين اليومين والثلاثة أيام، حسب الشهر الذي تمت فيه عملية التشكيل، وأفضلها الفترة الممتدة من شهر ماي إلى غاية شهر أكتوبر مع اجتناب شهري جويلية وأوت اللذين تكون فيهما درجة الحرارة عالية فتتسبب في التجفيف السريع للقطع وهذا يؤدي أحيانا إلى تشققها.

وعندما تمتلئ الساحة المجاورة لمكان التشكيل، تُجمع في مكان آخر لمواصلة التجفيف في الهواء مع حمايتها من التعرض المباشر لأشعة الشمس، والنزول المفاجئ للأمطار بقرميد معد خصيصاً لهذا الغرض، وترتب بجانب وفوق بعضها لوضع أكبر عدد ممكن في مساحة صغيرة



(الشكل رقم ٠٢)، فاسحة المجال لصناعة أعداد أخرى إلى أن يصل عددها إلى ما يكفي لملء الفرن^(١٨)، وتفقد القطع ثلاثة أرباع رطوبتها في هذا التجفيف^(١٩)، وهو الماء الرطوبي المتسرب إلى طينتها أثناء وجودها في موقعها الأصلي وخلال تحضيرها.

17 - P.ARAGUAS, Op.cit, p.25.

18 - J. REVAULT et autres, Op.cit, p.47 .

١٩ - نقولا نقاش، المرجع السابق، ص.٨٦ .

٤- الحرق:

تجري هذه العملية بعد الانتهاء من تحضير العدد الملائم لملء الفرن^(٢٠)، الذي تختلف سعته من منطقة لأخرى، ففي إسبانيا مثلا يستوعب من ١٥.٠٠٠ إلى ١٦.٠٠٠ وحدة في أكبرها، وبعضها تنزل إلى غاية ٦.٠٠٠ وحدة، وفي المغرب الأقصى ما بين ١٥.٠٠٠ إلى ٤٠.٠٠٠ وحدة، وتستمر عملية الحرق لمدة ٢٤ ساعة^(٢١)، وتصل في بعض المناطق إلى ٤٠ و ٥٠ ساعة^(٢٢)، وخلال هذه العملية تفقد قطع الأجر الماء المتبقي في عجنتها والذي يكون متحدا مع العناصر التي تتكون منها^(٢٣). وتزيد وتنقص نسبة القطع المشوهة حسب حسن اختيار وتحضير العجينة المخصصة للصناعة، ويفقد الفرن حرارته تدريجيا في مدة ٠٥ أيام^(٢٤).

وفيما يخص مقاسات الأجر فهي:

الطول (سم)	العرض (سم)	السمك (سم)	
٢١ إلى ٢٢	١٠ إلى ١١	٣.٥	النموذج الكبير
١٨	٩	٢.٥	النموذج الصغير

ثانيا - القرميد :

شكله نصف أسطواني أحد طرفيه واسع، والآخر ضيق، يكثر استعماله في دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت له عدة ورشات في مناطق كثيرة من الجزائر عبر مختلف العصور، حتى أصبحت تختص بصناعاته عائلات معروفة تتوارث صناعته أبا عن جد^(٢٥).

يتماثل مع الأجر في طريقة تحضير العجينة، وطبيعة المادة الأولية المتمثلة في التربة الصلصالية وإن كانت أقل جودة من طينة الأجر، ويختلفان في القولية التي تعطيهما شكلهما النهائي، ولمعرفة طريقة تشكيله يمكن الاعتماد على ما ورد في بعض المراجع عنه في مناطق مختلفة من بلاد المغرب الإسلامي مثل منطقة القبائل في

٢٠ - أنظر تفاصيل أكثر حول تركيب الأفران في فاس، والمراحل المتبعة في عملية الحرق في:

- J.REVAULT et autres, Op.cit, p.p.47 à51 .

21 - R.REVAULT et autres, Op.cit, p. 51 .

22 - P.ARAGUAS, Op.cit, p.26 .

٢٣ - نقولا نقاش، المرجع السابق، ص. ٨٢ .

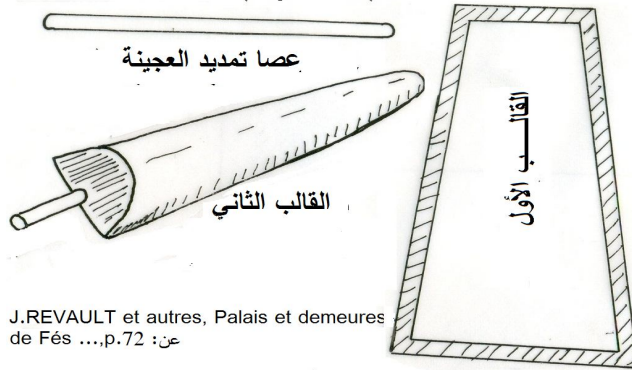
24 - P.ARAGUAS, Op.cit, p.26 .

25 - J-C. MUSSO, Op.cit, p.p 17 - 20 .

الجزائر^(٢٦)، وبعض مدن المغرب الأقصى^(٢٧)، وفي مدن الأندلس^(٢٨). فنصناعتها تتطلب عدة أدوات تساعد على إعطائه شكله النصف أسطواني (الشكل رقم ٠٣) وهي:
 أ- قالب خشبي أو معدني شكله منحرف، يحتوي على ضلعين متوازيين ومتساويين في الطول، وبواسطته تحدد مساحة القرميدة وسمكها (الشكل رقم ٠٣).
 ب- عصا خشبية أسطوانية الشكل، تستعمل لتمديد المادة الأولية داخل القالب (الشكل رقم ٠٣).

ج- قالب آخر شكله نصف أسطواني مصنوع من خشب الزيتون، أو البلوط يحتوي في نهايته الصغرى على مقبض طوله ١١ سم، وقطره ٠.٣٣ سم^(٢٩)

الشكل رقم 03: أدوات تشكيل القرميد المقعر



J.REVAULT et autres, Palais et demeures de Fésp.72 عن:

(الشكل رقم ٠٣).

ولا يختلف الفرن الخاص بالأجر عن غيره الخاص بالقرميد، إلا في بعض التغييرات التي تتناسب مع طبيعة ونوع المادة المحروقة في الفرن، وفي كمية القرميد التي تحرق داخله في كل مرة، فهي تتراوح بين ١.٥٠٠ إلى ٦.٠٠٠ وحدة في فرن ارتفاعه ٢.٠٠م إلى ٢.٥٠م، وترتب قطع القرميد داخله بشكل عمودي مستندة على جهتها الضيقة ثم ترتب فوقها صفوف أخرى إلى غاية الوصول إلى ملأ الفرن^(٣٠).

26 - Ibid.

27 -A.PACCARD, Le Maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture,T.II, édition du centre national de la recherche scientifique, Paris, 1978, p.502 .

28 -A.BAZZANA, Maisons d'Al-andalus: Habitat médiéval et structures du peuplement dans l'Espagne orientale, Collection de la casa de Valazquez, Madrid, 1992, p.86 .

29 -A.BAZZANA, Op.cit, p.86 .

-J-C. -MUSSO, Op.cit , p.p.17-20.

- عبد الكريم بوعمامة، بنو يعلى لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٦، ص..١١٢

30 - J. REVAULT et autres, Op.cit,p.p.27-74.

- J-C. MUSSO, Op.cit , p.p.25-30

وفيما يتعلق بمقاسات القرميد المستعمل في منطقة المغرب الإسلامي فهي تختلف حسب المنطقة والورشة والفترة الزمنية، ولكن بقيم صغيرة، والجدول الموالي يوضح بعض منها^(٣١):

الأندلس	تونس	الجزائر		
		قلعة بني حماد	منطقة القبائل الكبرى	
١٣سم	١٤ إلى ١٦سم	١٠.٨ إلى ١١سم	١٦ إلى ٢٤سم	قطر الجهة الصغيرة
١٨سم	١٩ إلى ٢٢سم	١٦.٥ إلى ١٧.٨سم	٢٢ إلى ٣٣سم	قطر الجهة الكبيرة
٥٠سم أو أقل قليلا	٣٤ إلى ٤٠سم	٣٥ إلى ٣٨سم	٣٥ إلى ٤٨سم	طول القرميدة

وأخير يمكن القول أن هذه الصناعة في بلاد المغرب الإسلامي، جاءت لتلبية حاجة الإنسان في الوصول إلى مبنى صلب مقاوم للعوامل الطبيعية بأقل التكاليف الممكنة، وهي لا تختلف في تقنياتها ومراحلها عن ما هو متداول في مناطق أخرى من العالم.

٣١ - هذه المقاسات تم نقلها من المراجع التالية:

- منطقة القبائل الكبرى في الجزائر:

- J-C. MUSSO, Op.cit , p.10.

- قلعة بني حماد في الجزائر: - رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧، ص. ٢٧٦ .

- تونس:

-A.SAADAoui, Op.cit , p.297

- الأندلس:

- A.BAZZANA, Op.cit, p.p.85-86 .

المراجع المستعملة:

- ين نعمان (إسماعيل)، <البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية الطابية نموذجاً>، في مجلة كان الإلكترونية عبر موقعها على شبكة الانترنت

www.historicalkan.com، العدد ١٠، ديسمبر ٢٠١٠، ص.ص. ١٩-٢٦.

- بورويبة (رشيد)، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧.

- بوعمامة (عبد الكريم)، بنو يعلى لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٦.

- خزام (عهد عفيف): << تاريخ العمارة الطينية في سوريا: منطقة القلمون نموذجاً >>، في كتاب: المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، ١٩٩٩، ص.ص. ١٧-٥٠.

- عزب (خالد محمد مصطفى)، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ط.١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٩٩٧.

- نقاش (نقولا)، << أجر >>، في دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، مج.١، بيروت، ١٩٦٦، ص.ص. ٧٧-٨٨.

-ARAGUAS (P), Brique et architecture dans l'Espagne médiévale (XII – XV siècle), bibliothèque de la Caza de vélazquez, Espagne, 2003

-BAZZANA (A), Maisons d'Al-andalus, Habitat médiéval et structures du peuplement dans l'Espagne orientale, Collection de la casa de Valazquez, Madrid, 1992, p.86 .

-MAUNIER (R), La construction collective de la maison en Kabylie, institut d'ethnologie, Paris, 19261.

- MUSSO (J-C), << Tuiles ornées en grande Kabylie >>, in Fichier et documentation berbère, N°105, Fort National (Algérie), 1970.

-PACCARD (A), Le Maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture, T.II, centre national de la recherche scientifique, Paris, 1978.

-SAADAOUI (A), <<La tuile creuse, matériau caractéristique de la tradition architecturale morisque et Tunisie: diffusion, fabrication et utilisation XVII-XIX é.s >>, in: Actes du IV symposium international d'études morisque, centre d'études et de recherche ottomanes, Zaghuan, 1990, p.p.293-301.

-REVAULT(L), Golvin (L) et AMAHAN (A), Palais et demeures de Fès, tome I, C.N.R.S, Paris, 1985,

استخدام تقنيات الليزر فى تنظيف بقع الـ Foxing من المخطوطات الورقية

د/سوسن سيد درويش • د/هشام محمود إمام • أ/ أيمن صلاح طه محمد •

ملخص البحث

تتعرض المخطوطات الورقية لكثير من العوامل المتلفة كالتلوث الجوى وما يحمله الهواء من جراثيم الفطريات وبويضات بعض الحشرات، وهى العوامل التى تتفاعل مع المكونات الداخلية للمخطوط مسببة العديد من المظاهر التلف المتنوعة مثل البقع اللونية الكيميائية والبيولوجية، وأهمها بقع الـ Foxing، وهى البقع التى يكثر وجودها على صفحات المخطوطات الورقية. ونظراً لما ينتج عن استخدام المذيبات العضوية ومواد التبييض المستخدمة فى إزالة هذه البقع من أضرار لمكونات المخطوطات وسُميتها، تم اللجوء لتقييم إزالتها باستخدام شعاع الليزر، لدراسة مدى قدرته على الحفاظ على الألياف السيليلوزيه، وتقليل معامل أكسدتها بعد المعالجة. ويعد استخدام تقنية Yag laser من أفضل التقنيات المستخدمة فى الترميم نظراً لتكلفتها القليلة، وكفاءتها العالية، وإمكانية ربط هذه التقنية بجهاز الحاسب الآلي. وقد أتبع فى البحث المنهج التجريبي لتقييم استخدام الليزر فى تنظيف بقع الـ Foxing على عينات من المخطوطات الورقية المصنعة من خامات مختلفة والمصابة بهذا النوع من البقع بهدف الوصول لأفضل طرق تنظيف المخطوطات مع الاستعانة بوسائل الفحص المختلفة للتقييم مثل الميكروسكوب الإلكتروني الماسح

(Scanning Electron Microscopy)، والأستريو ميكروسكوب (Stereo Microscope)، والتحليل بالأشعة تحت الحمراء (FTIR-ATR)، والتحليل بتقنية الأستطيف الإنهيارى المستحث بواسطة الليزر (LIBS). واختتم البحث بمناقشة النتائج والتوصيات الخاصة باستخدام الليزر فى تنظيف بقع الـ Foxing من المخطوطات.

الكلمات الافتتاحية : المخطوطات - الليزر - الحديد - البقع - الخواص - الأكسدة .

قسم الترميم - كلية الآثار - جامعة القاهرة

المعهد القومى لعلوم الليزر - جامعة القاهرة

المعهد العالى للسياحة والفنادق وترميم الآثار بالإسكندرية

١- المقدمة

غالباً ما تعاني المخطوطات والمطبوعات الورقية القديمة من الضرر الناتج عن نمو العديد من أنواع الكائنات الحية الدقيقة في ظروف الرطوبة المرتفعة مثل الفطريات والبكتيريا والأكتينوميستات. وتعد الفطريات أخطر أنواع هذه الكائنات تأثيراً على المخطوطات والمطبوعات الورقية القديمة لما تفرزه من العديد من أنواع الإنزيمات السليوليزية التي تقوم بتحلل سلاسل السليلوز - المكون الرئيسي للورق- إلى سلاسل قصيرة وهو ما يُفقد الورق خواصه الميكانيكية. إضافة إلى ما تقوم به الفطريات من تكسير للعناصر المعدنية الموجودة في الورق وما عليه من أضرار أو ألوان لاستخدامها في عمليات التمثيل الغذائي الخاصة بها. وخلال هذه العملية تنتج هذه الفطريات بضعاً ملونة على الأوراق القديمة، وتحتوى هذه البقع على نواتج التمثيل الغذائي الناتج عن الفطر الذي يقوم بتحويل أيونات المعادن اللالونية إلى بضع ملونة مرئية^(١)، كما ترتبط دور هذه الفطريات في إحداث بقع الـ Foxing بوجود الحديد كمصدر للحبر الحديدي في الورق حيث تقوم الفطريات بأكسدة الحديد II إلى الحديد III وهو ما يؤدي إلى انتشار البقع في الصفحات بدأ من أحرفها إلى الداخل حيث تظهر في شكل نقط بنية دقيقة الحجم تختلف في مظهرها عن بقع صدأ الحديد أو بقع تحلل اللجنين أو بقع الحموضة الزائدة وجميعها ذات لون بني (شكل ١).

ويرجع تاريخ البحث في طبيعة بقع الـ Foxing لسنة ١٩٣٠م والتي زادت بتطور تكنولوجيا صناعة الورق والإفراط من استخدام مواد التبييض الكيميائية أثناء عملية الصناعة^(٢) مثل مادة كلوريت وهيبوكلوريت الصوديوم التي استخدمتا في تبيض اللب المحضر من القطن والكتان^(٣). وبناءً على ذلك فإن الأوراق التي صنعت من قماش الخرق Rag Paper واستخدمت في صناعة المطبوعات والمخطوطات الورقية منذ القرن السادس عشر ١٦ - التاسع عشر ١٩ الميلادي ظهر عليها هذا النوع من البقع^(٤). هذا وقد تم تصنيف بقع الـ Foxing إلى ثلاثة أنواع^(٥) طبقاً لما ذكره

(^١) Anowska, H.M.S., Moomaw, R.W., "Laser stain removal of fungus - induced stains from paper", JAIC, Vol 33, No. 1, Article 2, 1994, pp 25- 32

(^٢) Rebrikova, N.L., Manturovskaya, N.V., "Foxing A new approach to an old problem, restauratur, vol 21, No. 1, 2000, pp, 85- 94.

(^٣) Shaikh, A., Pai, R. H., Balasubra, M. and Khande, V. G., "Anaerobic digestion of cotton and linseed plant Stalks for the preparation of pulp and paper, cellulotics: pulp Fiber and environmental aspects, India, 1993, p. 77.

(^٤) Stark, C., "Book ologist, s Glossary of Terms: foxing, the Book ologist, s, No 1, Issn 1544, march 26, 2003, pp 1-3 .

(^٥) John, H., Peter, D., Archives Damage atlas, Atool for assessing damage, 2010, p 42

(1984, Cain and Miller 1982) النوع الأول باسم بولس (Bulls eye) وهو نوع مستدير وصغير ذو مركز أسود داكن ودوائر وحلقات متحدة المركز (٦) ويحتوى مركز البقعة على نسب عالية التركيز من الحديد ويقل فى الأطراف حيث تصبح فى المنتصف أكثر إسودادا وهشاشية (٧). كما يُعرف النوع الثانى باسم قشر الثلج (Snow flake) وهو نوع ذو حافة صدفية وشكلها غير منتظم وألوانها تتراوح بين المحمر إلى الأصفر وفى بعض الأحيان لا تظهر هذه الألوان فى الضوء العادى ويظهر هذا النوع تحت الأشعة فوق البنفسجية بلون أبيض ثلجى ويحتوى على نسب عالية من الحديد عن باقى الأجزاء المحيطة به وبالفحص ظهرت دلائل على النشاط الفطرى فيه . أما النوع الثالث فيمثل البقع المتداخلة مع الـ (Stain confused with foxing) وهو نوع ذو ألوان مختلفة يصيب الكتب والمطبوعات الورقيه وغالباً ما يظهر بلون مصفر فى الضوء المرئى وتحت الأشعة فوق البنفسجية ويعطى لون أبيض مزرق إلى أبيض وظلال من الإشعاعات البرتقالية الصفراء حول النص وهى الألوان التى تمثل ألوان الجراثيم الفطرية المتواجدة على سطح الورق والمتغلغله فيه (٨) (٩) (١٠).

وبناءً على ذلك فإن تنظيف بقع الـ Foxing تعتبر من الخطوات الهامة والأساسية فى عمليات ترميم وصيانة المخطوطات الأثرية و ذلك ليس لتحسين المظهر الجمالى فحسب بل لمنع امتداد تأثيرها المتلف وإبراز حالتها الأصلية والحفاظ عليها للأجيال القادمة. ونظراً لما ينتج عن استخدام المذيبات العضوية ومواد التبييض المستخدمة فى إزالة بقع الـ Foxing من أضرار لمكونات المخطوطات وسميتها، جاء التفكير فى إزالتها باستخدام تقنية الليزر - التى أثبتت كفاءة عالية فى إزالة العديد من أنواع البقع الأخرى - وتقييم دورها فى الحفاظ على الألياف السيليلوزيه سليمة، وتقليل أكسدة الألياف الورقية بعد المعالجة .

(٦) Mary – Lou , E. Florian , “ The role of the conidia of fungi In fox spots , studies in conservation , 41, 1996, pp 65- 75 .

(٧) Rajmalwar ,S.A. , and Kharbade ,B . V . , " Biotechnological approach for removing foxing stains in library and archival paper materials , unit of national research laboratory for conservation of cultural property , ministry of culture , Guvt , of India , conservation of cultural property in india , vol 38 , 2009 , pp 57- 60 .

(٨) Cain , C . Eugene . . " Classification of Foxing " Japan.1982.

(٩) Antoinette,O. , Jonathan,D. ,” Foxing – Wiki , Book & paper conservation , Catalog BP Chapter B , 2009, PP 1- 29 .

(١٠)Hussam el-Din Abdel Hamid Mahmoud (Prof .faculty of archeology – Cairo University) - .Lectures, ٢٠١٢.

٢- المواد والطرق المستخدمة:

١-٢- أشعة الليزر المستخدمة فى التنظيف

تم إستخدام جهاز Nd : YAG laser ذو الأطوال الموجية المختلفة موديل PL 7010, NY81.30, USA ، حيث استخدم أربعة أنواع من أشعة الليزر مختلفة الأطوال الموجية كما يلى :

- 1st harmonic وهو شعاع ليزر (IR) ذو الطول الموجى 1064 nm بطاقة ٣٠٠ مللى جول بمعدل أعلى من ٣٠ هيرتز .
- 2st harmonic وهو من نوع ليزر (Green) ذو الطول الموجى ٥٣٢ nm مضافاً له Crystal KTP (Potassium tri phosphate) ليعطى شعاع من الليزر الأخضر .
- 3st harmonic وهو ليزر (UV) ذو الطول الموجى 355nm مع إضافة Crystal DKDP ويسمى بـ (the third harmonic) .
- 4st harmonic وهو ليزر (UV) ذو الطول الموجى 266nm مع إضافة Crystal KDP ويسمى بـ (the fourth harmonic) (١١) .

٢-٢- تجهيز العينات الورقية

تم تجهيز العينات الورقية المصنعة حديثاً والمصابة ببقع الـ Foxing على النحو التالى (شكل ٢) :

- العينة A صنعت من لب القطن.
- العينة B صنعت من لب الكتان.
- العينة C صنعت من (لب قطن + كتان + خشب) بنسبة ١:٢:٢
- العينة D وهى عينة قديمة مصنوعة من لب الكتان يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٢٢م ومصابة ببقع الـ Foxing تم أخذها من بعض الفواصل المتساقطة من المجلد الرابع لمخطوط وصف مصر بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالسيدة زينب رضى الله عنها.

٢-٣- طريقة التنفيذ والمعالجة

تم استخدام أشعة الليزر فى تنظيف بقع الـ Foxing الموجودة على الأوراق المصابة بتوجيه أطوال موجية مختلفة (١٠٦٤-٥٣٢-٢٦٦-٣٥٥ نانوميتر) إلى البقعة بدرجات متفاوتة من الشدة بدءاً باستعمال طاقة صغيرة تزداد تدريجياً بزيادة تركيز شعاع الليزر للحصول على معدل آمن من النبضات التى تسمح

(١١) المعمل المركزى - المعهد القومى لعلوم الليزر - جامعة القاهرة

بإزالة البقع دون التأثير على خواص وألياف الورق، (شكل ٣). و توضح الجداول (١-٤) ظروف التعريض المختلفة لأشعة الليزر (٥٣٢ نانوميتر) المستخدمة مع العينات الورقية المصابة ببقع الـ Foxing والتي أعطت أفضل النتائج في إزالة البقع (شكل ٤).

جدول رقم (١) يوضح ظروف التعريض المختلفة لأشعة الليزر عند

Sample no.	Wave length (λ)	Energy fluence $J\text{ Cm}^2$	Focused or Un Focused Beam	No. of pulses	Pulse duration	Beam Shape	Work distance W.D.
A1	532 nm	40m.j	Focused 6mm	5HZ 3min	10ns*	circle	15cm
A2	532nm	40m.j	Focused 6mm	2HZ 2min	10ns	circle	15cm

الطول الموجي ٥٣٢ نانوميتر للعيينة A

Sample no.	Wave length (λ)	Energy fluence $J\text{ Cm}^2$	Focused or Un Focused Beam	No. of pulses	Pulse duration	Beam shape	Work distance W.D.
B1	532nm	20 m.j	Unfocused 2mm	1HZ 30sec	10ns	Circle	15cm
B2	532nm	40m.j	Focused 6mm	5HZ 4min	10ns	Circle	15cm

* ns = عدد النبضات لكل ثانية

جدول رقم (٢) يوضح ظروف التعريض المختلفة لأشعة الليزر عند الطول

الموجى ٥٣٢ نانوميتر للعينة B
جدول رقم (٣) يوضح ظروف التعريض المختلفة لأشعة الليزر عند الطول
الموجى ٥٣٢ نانوميتر للعينة C

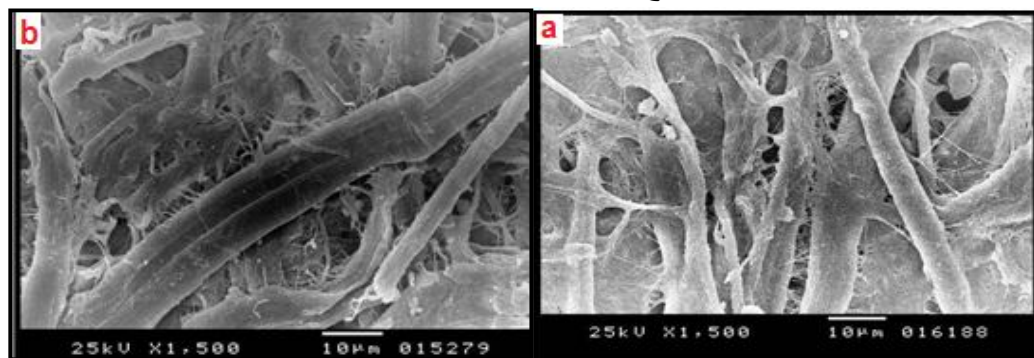
Sample no.	Wave length (λ)	Energy fluence $J\text{ Cm}^2$	Focused or Un Focused Beam	No. of pulses	Pulses duration	Beam shape	Work distance W.D.
C1	532nm	40m.j	Focused 6mm	5HZ 4min	10ns	circle	15cm
C2	532nm	50m.j	Focused 2mm	10HZ 1min	10ns	circle	15cm

جدول رقم (٤) يوضح ظروف التعريض المختلفة لأشعة الليزر عند الطول
الموجى ٥٣٢ نانوميتر للعينة D

Sample no.	Wave length (λ)	Energy fluence $J\text{ Cm}^2$	Focused or Un Focused Beam	No. of pulses	Pulses duration	Beam shape	Work distance W.D.
D1	532nm	40m.j	Focused 6mm	5HZ 4min	10ns	circle	15cm
D2	532nm	40m.j	Focused 2mm	10HZ 1min	10ns	circle	15cm

٣- مناقشة النتائج

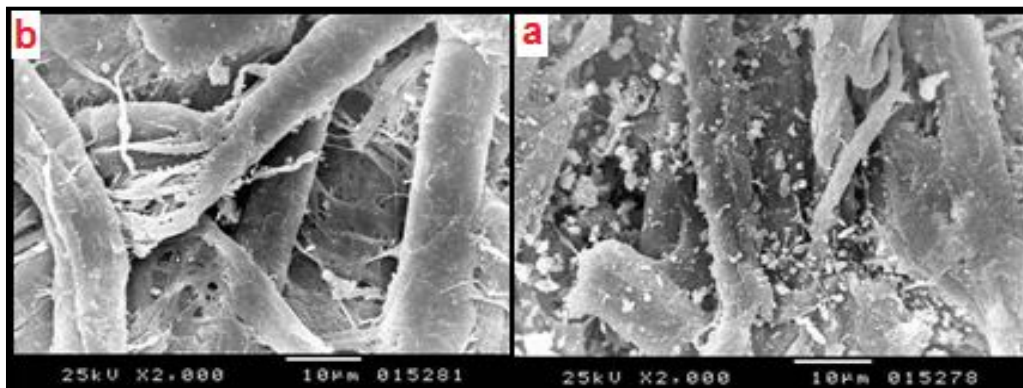
أوضحت نتائج التنظيف باستخدام أشعة الليزر من نوع الياج عند طول موجى 532 نانوميتر وبقوة 40 مللى جول نتائج مرضية و كفاءة عالية فى إزالة بقع الـ foxing الموجودة على سطح الأوراق للأنواع الأربعة من الأوراق محل الدراسة التجريبية من البحث. وتبين من خلال التقييم البصري للعينات الورقية المصابة ببقع الـ foxing إزالة البقع الموجودة على الأوراق فى جميع ظروف التشغيل ولوحظ عند زيادة تركيز شعاع الليزر باستخدام عدسات خاصة أن له تأثير كبير على ألياف الورق وربما تصل إلى درجة الاحتراق للأوراق لذا استخدم شعاع ليزر ذو قوة أقل تزداد تدريجياً إلى أن نحصل على نتيجة جيدة فى إزالة البقع دون التأثير على ألياف الورق (شكل ٤). وتبين من خلال التقييم من خلال الفحص بجهاز الأستريوميكروسكوب (١٢) مدى نجاح عملية التنظيف بأشعة الليزر دون التأثير على ألياف الورق (شكل ٥). وأوضح التقييم بجهاز الميكروسكوب الإلكتروني الماسح SEM (شكل رقم ٦- ٧) (١٣) للعينات الورقية المصنعة حديثاً من لب القطن والكتان والمصابة ببقع الـ Foxing، أن أشعة الليزر نجحت فى إزالة البقع البنية الموجودة على الأوراق.



شكل رقم (٦) يوضح الفحص بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح لعينة ورقية (a) قبل عملية التنظيف بأشعة الليزر بتكبير X١٥٠٠، (b) بعد عملية التنظيف بتكبير X ١٥٠٠.

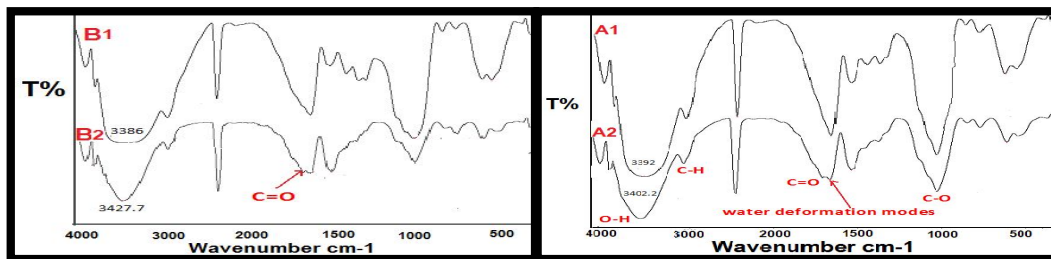
(١٢) معامل قسم ترميم المخطوطات - مكتبة الإسكندرية .

(١٣) وحدة الميكروسكوب الإلكتروني - كلية العلوم - جامعة الإسكندرية .

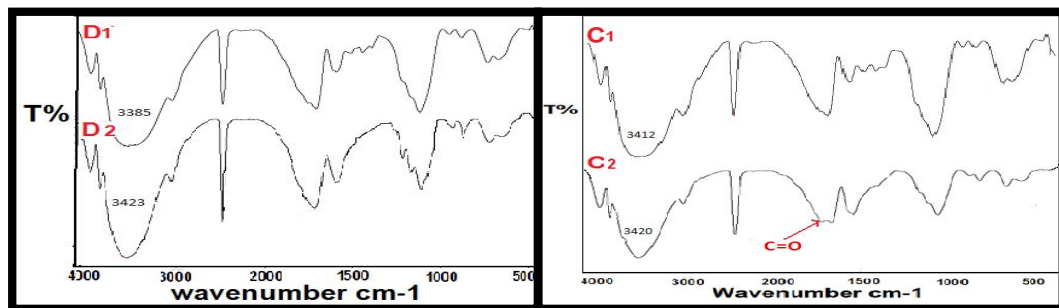


شكل رقم (٧) توضح الفحص بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح للعينة الورقية قبل عملية التنظيف بأشعة الليزر بتكبير X 2000 (a) بعد عملية التنظيف بتكبير X 2000 (b).

هذا وقد تبين من خلال التقييم باستخدام الأشعة تحت الحمراء FTIR-ATR أن المعالجة بالليزر تؤدي إلى انخفاض حاد في شدة الامتصاص في مجموعة O-C في المنطقة (1160-1030 cm⁻¹) يصاحبه انخفاض آخر في مجموعة H-O عند O ≈ 3390 cm⁻¹ ويرجع السبب في ذلك إلى أن ذرات الكربون المتواجدة في حلقة السليلوز C₁، C₂...C₆ والتي تحمل مجموعات الهيدروكسيل تتحول تدريجياً عن طريق الأكسدة إلى مجموعات كربونيل، وقد تم تأكيد هذه النتائج عن طريق ظهور مناطق امتصاص جديدة عند (1708 cm⁻¹) واتساع شريط الامتصاص عند (1641 cm⁻¹)، شكلي (٨، ٩) كما يمكن أن يعزى تلف العينات الورقية نتيجة لوجود أيونات الحديد في منطقة الإصابة ببقع الـ Foxing والتي تعمل على تحفيز عملية الأكسدة الناتجة عن المعالجة بأشعة الليزر.



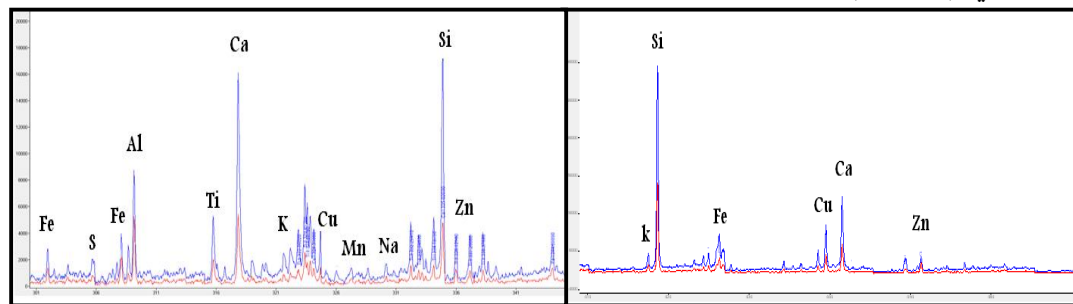
شكل رقم (٨) يوضح التحليل بالأشعة تحت الحمراء FTIR للعينات غير المعالجة ببقع الـ Foxing (A1 & B1) والعينات المعالجة من البقع (A2 & B2).



شكل رقم (٩) يوضح التحليل بالأشعة تحت الحمراء FTIR للعينات غير المعالجة ببقع الـ Foxing (D1 & C1) والعينات المعالجة من البقع (D2 & C2)

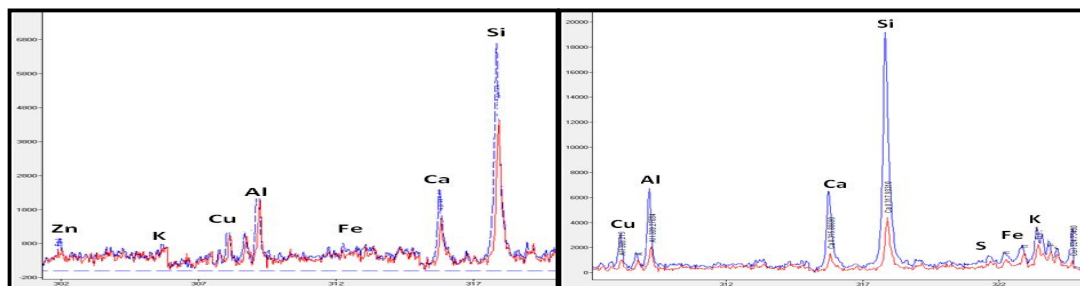
تمت معالجة العينات الورقية باستخدام تقنية (LIBS) طبقاً لنظام التشغيل التالى:
Nd : YAG Laser, 1064 nm , Energy = 102 mj , Gate delay = 1 ms , Gate width = 10 ms , Single shot (1- 12) , 10 shot (13- 15).⁽¹⁴⁾

وقد تبين من خلال تقييم العينات المصابة ببقع الـ Foxing وجود بعض العناصر فى تركيب الورق مثل الألومنيوم Al، الكالسيوم Ca، التيتانيوم Ti، الحديد Fe، النحاس Cu حيث زادت نسب هذه العناصر خاصة الحديد والنحاس فى العينات المصابة ببقع الـ Foxing وقلت فى العينات المعالجة بأشعة الليزر، شكلي (١٠،١١).



Wavelength (nm) ● قبل - ● بعد

شكل رقم (١١) يوضح التحليل باستخدام تقنية (LIBS) للعينات الورقية A & B المعالجة بأشعة الليزر



Wavelength (nm) ● قبل - ● بعد

شكل رقم (١٣) يوضح التحليل باستخدام تقنية (LIBS) للعينات الورقية C& D المعالجة بأشعة الليزر

كما تبين من خلال قياس الخواص الميكانيكية والضوئية للأوراق (١٥) جدول (٥) نجاح المعالجة بأشعة الليزر في زيادة خاصية البياض للأوراق المصابة والتقليل من درجة العتامة بينما تأثرت خواص الشد والتمزق والانفجار سلبياً مما يعطى مؤشراً على أن المعالجة بأشعة الليزر تؤثر بالإيجاب على الخواص الضوئية للأوراق المعالجة وتقلل من الخواص الميكانيكية لها مما يستلزم إجراء عمليات التقوية بعد الانتهاء من هذه المعالجات.

جدول رقم (٥) يوضح قياس الخواص الميكانيكية والضوئية للأوراق غير المعالجة والمعالجة بأشعة الليزر

العينات	قوة الشد Kg		مقاومة الانفجار k \ lbn		مقاومة التمزق g		درجة البياض %		درجة العتامة %	
	Value	Change %	Value	Change %	Value	Change %	Value	Change %	Value	Change %
A ₁ *	2.3	0.00	20.0	0.00	120.0	0.00	60.3	0.00	92.3	0.00
A ₂	2.2	-4.54	19.2	-4.16	118.4	-1.35	62.5	+3.52	90.5	-1.98
B ₁	3.4	0.00	18.5	0.00	50.5	0.00	51.2	0.00	99.0	0.00
B ₂	3.1	-9.67	17.3	-6.93	47.7	-5.87	53.1	+3.57	98.2	-0.81
C ₁	3.9	0.00	30.2	0.00	105.4	0.00	50.1	0.00	97.8	0.00

(١٥) معامل الفحص الطبيعي - شركة راكتا لصناعة الورق - الإسكندرية .

C ₂	3.4	-14.70	28.9	-4.49	103. 6	-1.73	52.3	+4.20	95.4	-2.51
D ₁	0.243	0.00	2.5	0.00	16.0	0.00	36.1	0.00	78.4	0.00
D ₂	0.197	-23.35	1.9	- 31.57	14.6	-9.58	40.5	+10.8 6	76.4	-2.61

*A₁=control of sample A, B₁= control of sample B, C₁= control of sample C & D₁= control of sample D.

الشكر والتقدير

يتقدم الباحثون بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ حسام الدين عبد الحميد محمود أستاذ بقسم ترميم الآثار - كلية الآثار - جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور/ عبد المجيد محمد قمره، الأستاذ بمعمل الميكروبيولوجي بقسم أمراض النبات كلية الزراعة- جامعة الإسكندرية، ، وإلى الأستاذ الدكتور / محمد أبو السعود الأستاذ بقسم أمراض النبات - كلية الزراعة - جامعة الإسكندرية ، وإلى الأستاذ الدكتور /أحمد رفيق الأستاذ بقسم تكنولوجيا صناعة الأغذية - كلية الزراعة - جامعة الإسكندرية على مساعدتهم في البحث .

قائمة المراجع :

- 1- Anowska, H.M.S ., Moomaw,R.W. , "Laser stain removal of fungus – induced stains from paper", JAIC, Vol 33,No.1, Article 2, 1994, pp 25- 32
- 2- Roberts, M.T. , “ Foxing book binding and the conservation of books : Adictionary of descriptive , 2009,pp 1-4 .
- 3- Corte, H. , Cellulose Water inter actions" Hand Book of paper Science, the Raw materials and processing of paper making, Vol 1, New York, 1980, pp 14- 15
- 4- Cain , C . Eugene ." Classification of Foxing " , Japan.1982.
- 5- Yao,N., Stanley,T. , "Foxing on 18th century paper:A Lithograph Print” Princeton University, 2006,PP 1-20
- 6- Rebrikova,N.L.,Manturovskaya,N.V., “ Foxing Anew approach to an old problem, restauratur, vol 21, No 1, 2000, pp, 85- 94.
- 7- Shaikh, A., Pai, R. H. , Balasubra,M. and Khande ,V . G ., "Anaerobic digestion of cotton and linseed plant Stalks for the preparation of pulp and paper, cellulotics: pulp Fiber and environmental aspects, India, 1993, p. 77.
- 8- Stark,C., “ Book ologist,s Glossary of Terms: foxing , the Book ologist,s , No 1, Issn 1544, march26, 2003, pp 1-3 .
- 9- Kaplan,J.,Jeffrey, L.k. ,And Robert,N., Method to remove foxing stains from paper &celluloid items, pulp&paper News service,2007,pp1-5
- 10- Hussam el-Din Abdel Hamid Mahmoud (Prof .faculty of archeology – Cairo University) - .Lectures, ٢٠١٢.
- 11- Manso,M., Pessanha,S .,And Oliveira,M., Characterisation of foxing stains in eighteenth to nineteen the century drawing using non- destructive techniques, © springer- verlag, 2009, pp2029-2036

12- Zarema,R. , wirth,M., Suppression of foxing in historical books using in painting , Dept- computing and information science, university of Guelph, canada, © springer, 2009, pp 855- 864

13- Kollia,Z.,Sarantopoulou,E.,Cefalas,A.,Kobe,S.,And Samardzija,Z.,Nanometric size controle and treatment of historic paper manuscripts and prints with laser light at 157 nm, Applied physics A, Material science&processing , 2004, pp 1-4

14- Kollia,Z.,Sarantopoulou,E.,Cefalas,A.,Kobe,S.,And Samardzija,Z. , Removing foxing stains from old paper at 157nm , Applied surface science, El sevier, 2002,pp 1-6

15- John ,H ., Peter ,D. , Archives Damage atlas, Atool for assessing damage , 2010, p 42

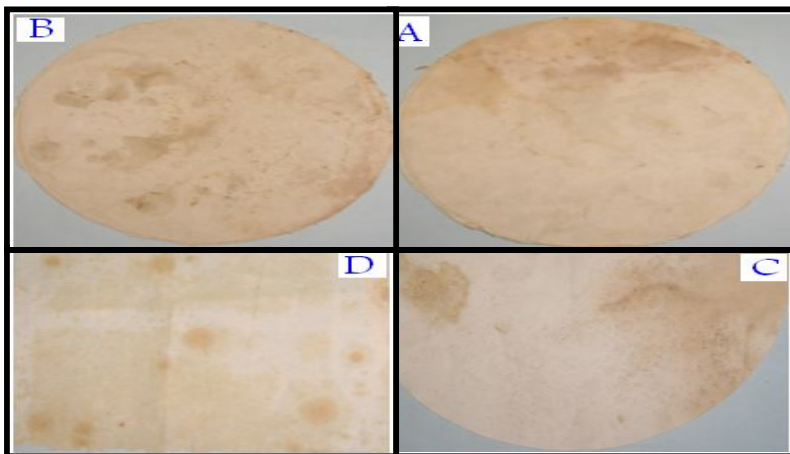
16- Mary – Lou , E. Florian , “ The role of the conidia of fungi In fox spots , studies in conservation , 41, 1996, pp 65-75 .

17- Rajmalwar ,S.A. , and Kharbade ,B . V. , " Biotechnological approach for removing foxing stains in library and archival paper materials , unit of national research laboratory for conservation of cultural property , ministry of culture , Guvt , of India , conservation of cultural property in india , vol 38 , 2009 , pp 57- 60 .

18- Antoinette,O. , Jonathan,D. ,” Foxing – Wiki , Book & paper conservation , Catalog BP Chapter B , 2009, PP 1-29 .



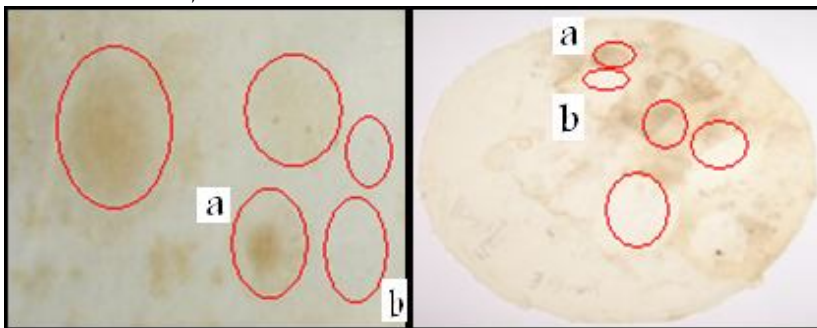
صورة رقم (١) توضح ظهور بقع الـ foxing على صفحات الورق



صورة رقم (٢) يوضح العينات الورقية A,B,C&D



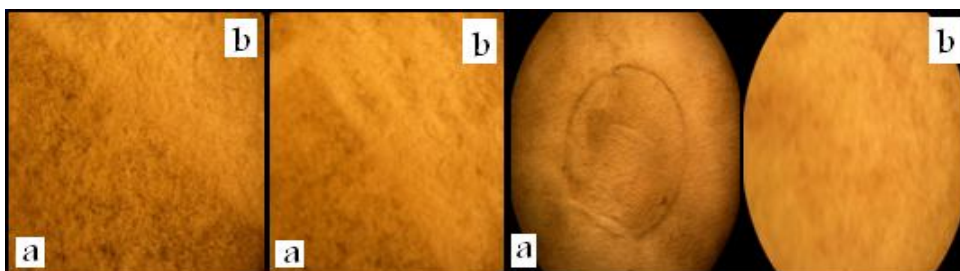
صورة رقم (٣) يوضح تنظيف بقع الـ foxing باستخدام ليزر Green ذات الطول الموجي ٥٣٢ نانوميتر



بعد التنظيف (b)

قبل التنظيف (a)

صورة رقم (٤) يوضح نتيجة التنظيف بأشعة الليزر



بعد التنظيف (b)

قبل التنظيف (a)

صورة رقم (٥) يوضح ألياف الورق قبل وبعد المعالجة بأشعة الليزر

جامع بشتاك الناصرى بالقاهرة
(٧٣٦-٧٣٧هـ/١٣٣٦-١٣٣٧م)
دراسة معمارية وثائقية جديدة

د/ عاطف عبد الدايم عبد الحى*

فى شعبان عام ٧٣٦هـ/ مارس - أبريل عام ١٣٣٥م بدأ الأمير بشتاك
(١) الناصرى (٢)

* كلية الآثار - جامعة الفيوم

(١) ورد اسم بشتاك فى النص الكتابى الذى يوجد أعلى باب مئذنة الجامع حيث جاء فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما مهده لنفسه المقر الأشرف بشتاك المالكى الناصرى والابتدا فى مستهل شهر رمضان المعظم سنة ست وثلاثين وسبعمائة و فرغ آخر شهر رجب الفرد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة" وورد اسم بشتاك فى معظم المصادر التاريخية والوثائقية التى سوف أشير إليها لاحقاً بدون ألف بعد التاء باستثناء وثيقة الأمير قراقبا الحسنى ونظراً لأن النص التأسيسى يشير إلى اسم بشتاك وليس بشتك فقد استخدمت الاسم الأول (بشتاك) فى هذا البحث. انظر: عبد اللطيف إبراهيم علي، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم الآثار (فرع الآثار الإسلامية)، إشراف محمد مصطفى زيادة، وفريد شافعي ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، تحقيق رقم ١٠٠، ص ١٠، تحقيق رقم ٣٢٢، ص ٣١؛ عبد اللطيف إبراهيم علي، سلسلة الوثائق التاريخية القومية، مجموعة الوثائق المملوكية ١، وثيقة الأمير أخور كبير قرقبا الحسنى، دراسة ونشر وتحقيق، مجلة كلية الآداب، المجلد الثامن عشر، ج ٢، ديسمبر ١٩٥٦م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩م، من ص ١٨٣ إلى ص ٢٥١، ص ٢٠١؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، الطبعة الثانية، القاهرة، أوراق شرقية ١٩٩٣م، ص ١٤٥؛ عبد اللطيف إبراهيم علي، سلسلة الدراسات الوثائقية (١) الوثائق فى خدمة الآثار - العصر المملوكى، دار الطباعة الحديثة، د. ت، ص ٤٨.

(٢) بشتاك الناصرى: صوابه فى الكتابة (بش تك) وبشتاك بفتح الباء الموحدة من تحت وترقيقها وسكون الشين المعجمة وبعده تاء مثناة من فوق مفتوحة وكاف معناه فى اللغة التركية خمسة، هو الأمير سيف الدين بشتك الناصرى أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاون أشتراه بستة آلاف درهم أصله من بلاد الأذربك، مات فى ربيع الآخر عام ٧٤٢هـ/ سبتمبر - أكتوبر ١٣٤١م مقتولاً بمحبسه بالإسكندرية، ويصفه المؤرخون بأنه " كان كثير التيه لا يحدث مباشره إلا بترجمان ويعرف بالعربى ولا يتكلم به " ويصفه ابن تغرى بردى بأنه كان من أجل مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاون وكان كريماً بحيث أنه كان يذبح فى سماطه فى كل يوم خمسين رأساً من الغنم و فرساً بالإضافة إلى الدجاج والأوز والطيور، وقد شيد الأمير بشتاك عدة منشآت بالقاهرة اندرس بعضها ومنها دار وحمام ومسجد بشارع محمد على و خانقاه كانت تقع فى مواجهة جامع، أما قصره بشارع المعز فهو لا يزال باقياً حتى اليوم. كراسات لجنة حفظ الآثار العربية لعام ١٩٠٢م، ص ١٥٣ وما بعدها؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف ٨١٣ - ٨٧٤هـ/ ١٤١٠ - ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءاً، تحقيق محمد فهيم شلتوت وآخرين، القاهرة، =

فى إنشاء جامع^(٣) حمل اسمه^(٤) وصفه المقريزى بأنه بخط قبو الكرماني على بركة الفيل^(٥) التى لم يعد لها وجود الآن^(٦).

=الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٢٩-١٩٧٢م، ج٩، ص ١٨؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء فى ١٢ مجلد، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب ١٩٥٦-١٩٧٣م، ج٢، ق٣، ص ٥٥٩، ص ٦١٤؛ ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أبى الفضل بن أحمد. ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، القاهرة، أم القرى للطباعة والنشر ١٣٨٥-١٣٨٧هـ/١٩٦٦-١٩٦٧م، ج١، ص ٤٧٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١-١٩٨٣م، ج٣، ص ٢٠٦؛ سعاد محمد حسن، الحمامات فى مصر الإسلامية دراسة أثرية معمارية، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٨٣م، ص ٩٩؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ج٣، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م، ص ٣٦٧، ص ٣٧٢؛ ابن كثير (أبو الفدا الحافظ)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخرون، المجلد السابع، ج١٣، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٠٣؛ اليوسفى (موسى بن محمد بن يحيى. ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م)، نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيظ، الطبعة الأولى، عالم الكتب ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٣٠، هامش ٥؛ شاهدة فهمى كريم، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاون، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢١٤، المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ج٢، ص ٣٠٩.

^(٣) فى عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦ - ١٢٢٧م خطب بجامع الأمير سيف الدين بشتاك الذى كان قد عمره بجوار "المكين ابن قروينه بخط قبو الكرماني وجاء من أحسن ما يكون فى مثل ذلك المكان من الجودة... فإن المكان الذى عمر فيه كان يسكنه الأفرنج والنصارى وكثير من الكتاب المسلمين...". اليوسفى، المرجع السابق، ص ٣٨١، ص ٣٨٢.

Raymond (A), Cairo City of History, translated by Willard Wood, The American University in Cairo press 1993, p133.

^(٤) ذكر ابن إياس أن الذى أنشأ هذا الجامع هو الأمير بشتاك العمرى والصحيح أن الذى أنشأ هذا الجامع هو الأمير بشتاك الناصرى. ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ٥ أجزاء، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢-١٩٨٤م، ج١، ص ١٤٧؛ سعاد ماهر، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٠٩.

^(٥) المقريزى، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٠٩.

^(٦) بركة الفيل: كانت بركة الفيل تمتد من سكة الحبانية حتى شارع مارسينا والحلمية والميدان تحت القلعة ويحدها غرباً شارع بورسعيد الحالى وكانت مساحتها فى العصر المملوكى حوالى أربعين فداناً واتخذت الشكل البيضاوى المفرطح من جهتها الغربية ولم تكن على شكل فيل كما يرى العامة كم أنها لم تكن عميقة وقد تعددت الآراء حول اسمها؛ فقد ذهب البعض =

وذكر على مبارك أن هذا الجامع يقع فى نهاية شارع درب الجماميز أو شارع بشتاك^(٧) عند اتصاله بشارع الخليج المصرى^(٨) المعروف الآن بشارع بورسعيد (شكل رقم ١)

إلى القول بأنها نسبت إلى دار الفيل التى كانت فى عهد عبد العزيز بن مروان ونسبها البعض الآخر إلى دار الفيلة التى أنشأها خمارويه بن أحمد بن طولون وفى رأى ثالث أن اسمها جاء من اسم دار الفيل التى أنشأها كافور الإخشيدى وذكر البعض أنها منسوبة إلى رجل يسمى الفيل من أمراء أحمد بن طولون ، وقد لعبت هذه البركة - خلال العصر العثماني - دوراً مهماً كمنطقة جذب لكبار الأمراء حيث أصبحت محل سكن عليّة القوم وفى عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م لم يتبق من مساحتها سوى قطعة صغيرة أقيم عليها بعد ذلك قصر عباس الأول والى مصر وهو المعروف بسرّاء الحليمية. ابن دقماق (محمد بن محمد بن أحمد القرشى . ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، قسمان فى مجلد واحد ، بولاق ١٣١٠هـ/١٨٩٣م ، ق ١ ، ص ٤٥ ؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على . ت ٨٢١هـ/١٤١٨ م) ، صبح الأعشى فى صناعة الأنشا ، ٤ اجزاء ، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ، مصر ، وزارة الثقافة والأرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجم والطباعة والنشر ١٩٢٢م ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٥٨ ؛ عبد اللطيف إبراهيم على ، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغوري ، ، تحقيق رقم ٢٩٢ ، ص ٢٨ ؛ عبد الرحمن ذكى ، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك ٩٦٦هـ - ١٥١٧م ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - أبريل ١٩٦٩م ، ج ٢ ، دار الكتب ١٩٧١م ، من ص ٦١٩ إلى ص ٦٤٣ ، ص ٦٢٦ ، ص ٦٢٧ ؛ أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ، روزا اليوسف ١٩٧٤م ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ ؛ محمد كمال السيد محمد ، أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ، ص ٣٨٧ ؛ محمود حامد الحسيني ، التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية الفسطاط - العسكر - القطن - حتى نهاية العصر الفاطمي ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص ٣٠١ ، ص ٣٠٣ ، هامش رقم ١ ؛ ص ٣١٣ ، هامش رقم ٤ ؛ شفيقة قرني سيد أبو نصر ، دراسة أثرية عمرانية لشارع الصليبية بالقاهرة حتى العصر الجركسي ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٣م ، ص ٥ ؛ محمد الششتاوي سند الرفاعي ، منتزهات القاهرة فى العصرين المملوكي والعثماني ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ١٤٦ ، هامش رقم ٢ .

^(٧): شارع بشتاك ويقال له شارع درب الجماميز ابتداءه من آخر شارع ضلع السمكة وانتهاه شارع اللبودية تجاه حارة اسماعيل بيك وكان فى القديم يعرف بخط قبو الكرمانى وكان يسكنه جماعة من الأفرنج. على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م ، ص ٩١ .

^(٨): كان الخليج المصرى عبارة عن قناة قديمة تسمى قناة أمينس تراجانوس ثم أعاد حفرها عمرو بن العاص بعد الفتح الإسلامى لمصر بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقبل إنشاء مدينة القاهرة عرف هذا الخليج باسم خليج مصر أما فى العصر الفاطمى فيبدو أنه عرف فى السنوات الأولى باسم خليج القاهرة أو خليج أمير المؤمنين كما عرف باسم خليج =

وقد تعرض جامع الأمير بشتاك - مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي - للتغيير والتبديل والإصلاح^(٩) فتغيرت معالمه بحيث خرج فى تخطيطه عن

=اللؤلؤة نسبة إلى منظرة اللؤلؤة ويبدو أيضاً أنه أثناء حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قد تغير اسم الخليج لشهرة هذا الحاكم وأفعاله غير المسئولة حيث عرف في عهده باسم الخليج الحاكمى بل إن ناصر خسرو كان يعتقد أن الحاكم بأمر الله هو الذى أمر بحفره واستمر هذا الاسم فى العصر المملوكى والعثمانى ، وظل الخليج كذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى حيث تم ردمه نهائياً ونتج عن ذلك نشأة شارع جديد عرف باسم شارع الخليج المصرى وقد وسع هذا الشارع عدة مرات كان آخرها عام ١٩٣٠م ، وفى عام ١٩٥٦م أطلق عليه مسمى شارع بورسعيد تخليداً لذكرى استيصال مدينة بورسعيد أمام العدوان الثلاثى. حجة رقم ٩٩٩ أوقاف - ١٥ جماد أول ، سنة ٩٦٥هـ ، ص ٩ ، س ١٢ - س ١٩ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٣ ؛ عبد الرحمن ذكى ، القاهرة تاريخها وأثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المورخ (٩٦٩ - ١٨٢٥ م) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص ١٧١ ، ص ١٧٢ ؛ السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن) ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جزآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ج ١ ، ص ١٥٦ ؛ ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أبي الفضل بن أحمد . ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، أنبا الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ١٠١ ؛ محمد كمال السيد محمد ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ؛ ابن مماتى (الأُسعد بن مماتى . ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ٢٠٥ ؛ جومار ، مدينة القاهرة ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل مع مقدمة عن التطور العمرانى لمدينة القاهرة حتى سنة ١٨٠٠ ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٥٦ وما بعدها ؛ ناصر خسرو علوي ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م ، ص ١٠٧ ؛ محمد الششتاوي ، متنزهات القاهرة ، ص ٢٦٣ ؛ المقرئزى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ؛ شحاتة عيسى ، القاهرة ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، د.ت ، ص ٢٥٢ ، ص ٢٥٣ ؛

Mackenzie (N.D), Ayyubid Cairo, A topographical Study, The American University in Cairo Press, 1992, p.89.

^(٩): أنشأ مصطفى باشا فاضل أخو الخديو إسماعيل وابن إبراهيم باشا بن محمد على باشا سراى مجاورة لجامع بشتاك استخدمت كديوان للمدارس الملكية والكتابخانه الخديوية وديوان عموم الأوقاف وهى التى توجد بها اليوم مدرسة الخديوية الثانوية المطلة على شارع بورسعيد وكان من نتيجة ذلك أن قامت الأميرة ألفت هانم قادن معتوقة محمد على باشا ووالدة مصطفى باشا فاضل المذكور عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ - ١٨٦٣م بعمارة جامع بشتاك " فصار الجامع فى داخل حدود السراى تحيط به من ثلاث جهات وجعلت له عمداً عظيمة من الرخام وجددت منذنته ومطهرته وأقامت شعائره وفرشته بالبسط بعد فرشته بالبلاط ". على باشا مبارك ، المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ ، ج ٤ ، ص ١٣٧ ؛ شاهنده فهمى كريم ، =

نمط المساجد والجمامع التي كانت شائعة في العمارة الإسلامية خلال العصر المملوكي في مصر والشام.

فالجامع الحالي يتكون من واجهة بسيطة بها باب يطل على شارع درب الجماميز ثم يلي ذلك رحبة يوجد بها مدخل على يمين الداخل ، وفي مواجهة الداخل من الباب الأول يوجد الباب الأصلي القديم للجامع وقد ملئ جوفه العميق بخمسة صفوف من الدلايات يتوسطها طاقية بها إشعاعات محارية، وعلى يسار المدخل الأصلي مئذنة الجامع وهي مئذنة أصيلة ، ويؤدي الباب القديم إلى داخل الجامع وهو يتكون من ستة أروقة وخمس بانكات يتوسطها منور تعلوه شخشيخة وتتكون كل بانكة من خمس عقود تميل قليلاً إلى شكل حدوة الفرس محمولة على أعمدة رخامية مستديرة باللون الأبيض المجزع، وفي وسط الضلع الشرقي محراب من الرخام وعلى يمين المحراب يوجد المنبر الخشبي ، وفي الضلع الجنوبي الغربي توجد حجرة تضم عدداً من رفات أسرة مصطفى باشا فاضل وهم : مصطفى باشا فاضل المتوفى عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٦م) ، وأحمد رشدي بك نجل مصطفى باشا فاضل المتوفى عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م)^(١٠). (لوحة رقم ١)

ونتيجة لما حدث لهذا الجامع من تغير فإن لجنة حفظ الآثار العربية عندما أدركته مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لم تسجل منه سوى الباب الداخلي والمئذنة^(١١) (لوحة رقم ٢ ، لوحة رقم ٣).

مما سبق يتضح أن هذا الجامع قد تغيرت معالمه مع التقادم الزمني لا سيما تخطيطه الداخلي (لوحة رقم ٤ ، شكل رقم ٢) ومن ثم فإن هذا البحث يهدف إلى دراسة هذا الجامع من خلال ما توفر من معلومات أمدتنا بها الحجج والوثائق^(١٢) الشرعية^(١٣) (ملحق رقم ١ ، ملحق رقم ٢).

=المرجع السابق ، ص ٢١٨ ؛ عبد الحميد نافع بك ، ذيل خطط المقريزي ، تحقيق خالد عزب ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م ، ص ٧٠.

^(١٠) للاستزادة راجع: سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ وما بعدها ؛ شاهنדה فهمي كريم ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ وما بعدها.

^(١١) كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، المجموعة العشرون لسنة ١٩٠٣م ، ص ٩٧.

^(١٢) اصطلاح على تعريف الوثيقة (Act-Deed) بأنها إعلان مدون عن شيء له طبيعة قانونية صيغ في قالب دبلوماسي (La forme diplomatique) مناسب للظرف أو موضوع الوثيقة وعصرها أما كلمة حجة بالضم في حد ذاتها تعنى الدليل والبرهان فهي إذن السند القانوني أمام القضاء كما أنها ترادف لفظ عقد أو وثيقة تماماً. عبد اللطيف إبراهيم علي ، وثيقة الأمير أخور كبير ، ص ١٩٢.

^(١٣) عثر على عدة وثائق مهمة ذات صلة وثيقة بجامع الأمير بشناك؛ ولعل من أهمها وثيقة كشف محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة بسجلات محكمة الباب العالی- سجل ١١٧- =

وهذه المعلومات ذات فائدة كبيرة فى التعرف على تخطيط الجامع المذكور قبل إدخال تلك التغييرات والإصلاحات السابق الإشارة إليها. وقبل التعرض لما جاء من وصف وثائق لبعض عناصر هذا الجامع - قبل عمليات التجديد التى حدثت له - يجدر بنا الآن الإشارة إلى مسمى هذا الجامع الذى ورد فى المصادر الوثائقية. فمن الثابت تاريخياً - من خلال ما كتب عن هذا الجامع فى مصادر العصر المملوكى - أنه عرف باسم جامع بشتاك الناصرى ولكن وثائق الوقف تصفه بأنه جامع بشتاك للكام^(١٤).

= ماده ١٧٨٣ ومؤرخة فى ١٤ جمادى الأولى عام ١٠٤٦هـ أى ١٤ أكتوبر عام ١٦٣٦م ، هذا بالإضافة إلى بعض الوثائق الأخرى المحفوظة بسجلات الأوقاف والمحاسبة بوزارة الأوقاف المصرية ومنها : حجة شرعية بملف رقم ٣٧١٨ صادرة عن محكمة مصر ومؤرخة فى ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يولييه ١٨٩٧م ، وحجة شرعية بملف رقم ٣٧١٨ صادرة عن محكمة مصر الشرعية فى يوم الأحد ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٢هـ/ الموافق ٢٢ فبراير ١٩١٤م ، وحجة شرعية غير مكتملة بملف رقم ٣٧١٨ وهى محررة من محكمة مصر الابتدائية الشرعية ومؤرخة فى يوم الإثنين ١٧ العقدة ١٣٣٣هـ/ ٢٧ سبتمبر عام ١٩١٥م ، ومجموعة من الحجج الشرعية عبارة عن تقارير أهلية وخيرية وأحكام.^(١٤) ورد فى القاموس أن اللكام اسم جبل كُغراب ورُمَان: يُسَامَتْ حَمَاءٌ وَشَيْزَرٌ وَأَفَامِيَّةٌ ، وَيَمْتَدُّ شَمَالاً إِلَى صَهْيُونَ وَالشُّعْرَ وَبِكَاسٍ، وَيُنْتَهِي عِنْدَ أَنْطَاكِيَّةٍ وَيَتَّصِلُ بِحَمَصٍ فَيَسْمَى لِبْنَانٍ وَقَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: "... وَهُوَ الْجَبَلُ الْمَشْرِفُ عَلَى أَنْطَاكِيَّةٍ وَبِلَادِ ابْنِ لِيُونَ وَالْمَصِيصَةِ وَطَرَسُوسَ وَتِلْكَ الثُّغُورُ " وَأَضَافَ يَاقُوتُ أَيْضاً أَنَّ : " اللُّكَّامُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ وَيُرْوَى بِتَخْفِيفِهَا وَهُوَ فِي شَعْرِ الْمُتَنَبِّىِّ مَخْفَفٌ فَقَالَ:

بأرض ما اشتهدت رأيت فيها فليس يفوتها إلا الكرام
فهلا كان نقص الأهل فيها وكان لأهلها منها التمام
بها الجبلان من صخر وفخر أتانا ذا المغيث وذا اللكام.

وذكر الكرخى فى وصفه لمدينة مطية أنها دون جبل اللكام ومما ساد فى الأمثال " قولهم أبدال اللكام لا يزيدون على سبعين وهم الذين جاءت الآثار بأن الله تعالى إنما يرحم العباد ببركتهم مهما توفى واحد منهم قام بدلاً منه لا يسكنون إلا هذا الجبل " واللکم فى اللغة العربية هو اللکز فى الصدر يقال لکمه یلکمه لکماً واللکم الضرب باليد وقيل هو اللکز والدفع. الكرخى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفاسى الأصبخى)، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، محمد شفيق غربال، مصر، وزارة الإرشاد القومى ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٤٦ ؛ ابن زكريا (أبو الحسن أحمد بن فارس)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المجلد الخامس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٢٦٤ ؛ الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى الواسطى) تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ١٧ ، تحقيق على شيرى ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، باب اللام ، ص ٦٥٦ ؛ النووى (أبو زكريا محيى الدين بن شرغ) ، تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب =

وهذا الاسم عرف في العصر العثماني^(١٥) وتحديداً قبل جمادى الأولى عام ١٠٤٦هـ/ أكتوبر ١٦٣٦م حيث ورد أول ذكر لهذا الاسم في التاريخ المذكور سابقاً وهو تاريخ حجة الكشف ذات الصلة بهذا الجامع والتي ورد بها : " جامع المرحوم بشتاك للكام^(١٦) ...

=العلمية ، د.ت، ص١٢٩؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٥، بيروت، دار صادر، د.ت، ص٢٢.

^(١٥): لم يرد في أى مصدر من مصادر العصر المملوكى ما يشير إلى مسمى جامع باسم جامع بشتاك للكام.

^(١٦): هناك عدة دلائل وقرائن وبراهين توضح أن جامع بشتاك للكام هو نفسه جامع بشتاك الناصرى ومن ذلك أنه ورد في الوثائق الشرعية - ذات الصلة بمسجد بشتاك للكام - ما يشير إلى علاقة جامع بشتاك للكام بالتجديدات التى قامت بها الأميرة ألفت هانم قادن معتوقة محمد على باشا ووالدة مصطفى باشا فاضل نجل إبراهيم باشا ابن محمد على باشا ومن ذلك ما ورد بحجة شرعية نصها " ... ان حضرة القاضي قرر البرنسييس نازلي هانم افندى كريمة المغفور له المرحوم مصطفى فاضل باشا نجل جنتمکان المغفور له الحاج ابراهيم باشا والي مصر كان في النظر والتحدث علي وقف جدتها والدة والدها المشار اليه هي الست الفت قادن افندى معتوقه جنتمکان المغفور له المرحوم الحاج ابراهيم باشا والي مصر كان ... في النظر والتحدث علي المسجد المعروف بجامع بشتاك للكام المستجد الانشا والعمارة انشا وتجديد الواقفه المشار اليها الكائن بمصر بشارع درب الجماميز ... " وعندما تحدث عبد الحميد نافع بك عن المساجد بشارع درب الجماميز ذكر أن بهذا الشارع مسجد بشتاك للكام وقد وصفه بأنه مسجد كبير وقال بأن والدة حضرة مصطفى باشا نجل المرحوم إبراهيم باشا سر عسكر قد جدته وتم في عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١ - ١٨٦٢م كما أشار على مبارك إلى أن والدة مصطفى باشا فاضل هي التي قامت بتجديد جامع بشتاك الناصرى وورد ضمن الأماكن التي قررت لجنة حفظ الآثار عدم تسجيلها منزل وقف بشتاك للكام بدرب الجماميز وهذه الأماكن هي التي أوقفها الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا عند إصلاحها لهذا الجامع كما اتضح ذلك من نصوص الوثائق الشرعية السابق الإشارة إليها ومما سبق يتضح أن الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل قامت بتجديد جامع بشتاك الناصرى وحيث أن هذه الأعمال والتجديدات قد وردت في وثائق الوقف باسم جامع بشتاك للكام ولم يرد في المصادر التاريخية ولا الوثائقية ما يشير إلى وجود جامع آخر يعرف باسم بشتاك للكام فإن ذلك كله يؤكد بما لا يترك مجالاً للشك بأن جامع بشتاك للكام هو نفسه جامع بشتاك الناصرى وهكذا يتضح - من العرض السابق - أن جامع بشتاك الناصرى قد عرف في العصر العثماني باسم بشتاك للكام أما عن سبب تسميته بهذا الاسم فلم يرد في المصادر - على اختلاف أنواعها - ما يشير إلى العلاقة بين هذا الجامع وذلك الاسم ومهما يكن من أمر فإن صفة اللكام قد أصقت بالأمير بشتاك في العصر العثماني لسبب غير معلوم لنا إذ أن النص الذى ورد بوثيقة الكشف ينص على أنه " جامع المرحوم بشتاك للكام " وهذا يرجح أن المرحوم بشتاك - المشار إليه بحجة الكشف - لم يكن شخصاً آخر غير بشتاك الناصرى. وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر - ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يولييه ١٨٩٧م ، ص ١ ، س ١٧ - =

قريباً من درب الجماميز " (١٧) (شكل رقم ٣ ، وملحق رقم ١) ثم شاع هذا الاسم بعد ذلك كما يتضح من بعض الوثائق الشرعية الأخرى (شكل رقم ٤- أ)، (شكل رقم ٥ أ) (١٨)

عمارة جامع بشتاك في ضوء وثيقة الكشف

ذكرت الدكتوراه شاهنדה فهمي كريم ما نصه : " لقد حاولنا دراسة هذا الجامع من حيث تخطيطه وعمارته في محاولة لألقاء الضوء على تخطيط جامع بشتاك المقام في مكانه هذا الجامع ولكنه لم يمكن الحصول من المراجع القديمة أو المراجع المكتوبة في العصر التركي على ما يدل على تخطيط الجامع القديم كما أنه لا توجد آثار داخلية للجامع القديم لتساعد على تفهم التخطيط القديم ولكنه من الملاحظ أن مساحة هذا الجامع تعتبر صغيرة نسبياً بالنسبة لجوامع العصر المملوكي وتصل إلى أقل من ربع مساحة جامع قوصون وقد تكون هي نفس المساحة إذا أخذنا في الاعتبار وجود خانقاه مقابلة ويربطهما ساباط (١٩) كدليل على صغر مساحة الجامع القديم مما أدى إلى أن يقوم منشئه بتشيد الخانقاه (٢٠) أمامه كما يدل صغر مساحته على عدم احتمال قيام قبة أمام محرابه ولا يمكن الحكم في غياب الأدلة على كون تخطيطه كان يشتمل على صحن تحيط به الأروقة من جوانبه الأربعة" (٢١).

=عبد الحميد نافع بك ، المرجع السابق، ص ٧٠. على باشا مبارك ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٧. كراسات لجنة حفظ الآثار المجموعة السابعة عشر عن عام ١٩٠٠م ، ص ١٢٦. (١٧) دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالي - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ٢- س ٣.

(١٨) وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر - ٥ صفر عام ١٣١٥هـ / ٦ يولييه ١٨٩٧م ، ص ١ ، س ٦ ، س ٧ ؛ وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر الشرعية في يوم الأحد ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٢هـ / الموافق ٢٢ فبراير ١٩١٤م ، ص ١ ، س ٥ ، س ٦ ؛ وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر الابتدائية الشرعية - الأثنين ١٧ العقدة ١٣٣٣هـ / ٢٧ سبتمبر عام ١٩١٥م ، ص ١ ، س ١٤ ، س ١٥.

(١٩) ساباط: الساباط هي السقيفة بين بنائين تحتها طريق أو ممر مشترك الأستطراق غالباً عبد اللطيف إبراهيم علي ، دراسات تاريخية وأثرية ، تحقيق رقم ١٤٨ ، ص ١٦.

(٢٠) الخانقاه كلمة فارسية معناها بيت العبادة وأصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك. عبد اللطيف إبراهيم علي ، المرجع السابق ، تحقيق رقم ٤١.

(٢١) شاهنדה فهمي كريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٠.

وفى الواقع أن وثيقة الكشف التى بين أيدينا المؤرخة فى ١٤ جمادى الأولى عام ١٠٤٦هـ/ ١٤ أكتوبر ١٦٣٦م^(٢٢) تمدنا ببعض المعلومات المهمة التى تزيل الأبهام السابق ذكره ، وهذا يتضح من خلال بعض التفاصيل المهمة ذات الصلة الوثيقة بعمارة جامع بشتاك قبل عملية التجديد الشاملة التى حدثت له فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى والتى غيرت من معالمه المعمارية. وفى الحقيقة أن جامع بشتاك اللكام كان خلال عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م فى حالة يرثى لها فقام الأمير يوسف أفندى بترميمه^(٢٣). ومن خلال ما ورد بوثيقة الكشف (شكل رقم ٣، ملحق رقم ١) يمكننا أن نتبين العناصر المعمارية القديمة بجامع بشتاك كما يلي:

١- المداخل

اشتمل الجامع المذكور على مدخلين أحدهما وهو البحرى (الشمالى الغربى) وكان يشرف على شارع لم تذكر الحجة الشرعية اسمه وهو بلا شك شارع درب الجماميز والمدخل البحرى المذكور هو نفسه المدخل القديم الذى لا يزال باقياً حتى اليوم والذى يؤدى عبر دهليز إلى الجامع من الداخل (لوحة رقم ٢).

أما المدخل الثانى فكان يوجد بالضلع الجنوبى الغربى وكان يتوصل إليه من زقاق يوجد به منزل الأمير يوسف أفندى الذى قام بترميم هذا الجامع وهو مدخل كبير كان له جنبان كبيران يكونان بينهما دهليزاً يعلوه سقف ويؤدى إلى داخل الجامع^(٢٤).

والوصف السابق لمدخل الجامع الذى كان بالضلع الجنوبى الغربى يدعوا إلى القول بأن هذا المدخل كان يشبه المدخل الحالى الذى يعود بتاريخه إلى العصر المملوكى.

ويؤكد ذلك ما ذكره اليوسفى بقوله "...وعمل وجه الجامع جهة بركة الفيل"^(٢٥) وهذا يعنى أن واجهة الجامع الرئيسية كانت مشرفة على بركة الفيل وهذا ينطبق على الواجهة الجنوبية الغربية التى كان بها المدخل السابق ذكره ومن ثم برزت أهمية هذا المدخل كونه شئيد بالواجهة الرئيسية.

(٢٢): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجلات محكمة الباب العالى- سجل ١١٧- مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ.

(٢٣): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى- سجل ١١٧- مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ٢ - س ٣.

(٢٤): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى- سجل ١١٧- مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ٧ - س ٨.

(٢٥): اليوسفى ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢.

كما أن المعلومات الوثائقية السابق ذكرها وكذلك الأثرية تدعو إلى القول بأن هذا الجامع كان يضم مدخلاً ثالثاً بالضلع الشمالي الشرقي وربما يؤكد ذلك وجود آثار هذا المدخل بالضلع الشمالي الشرقي للجامع الحالي (لوحة رقم ٥)

وقد أشار البعض إلى أن هناك مدخل آخر يوجد على يمين الداخل من الباب الرئيسي الحالي المطل على شارع درب الجمايز والمؤدى إلى الميضاة الحالية على أنه من الآثار الباقية^(٢٦) (لوحة رقم ٦) ، وهذا ليس صحيحاً إذ لم يرد له ذكر بحجة الكشف بل أن مكانه كان شارعاً يفصل بين الخانقة والجامع.

٢- التخطيط

تشير حجة الكشف إلى أن جامع بشتاك كان به إيوان ؛ ويغلب على الظن أن لفظ إيوان هنا يعبر عن الرواق^(٢٧) ويتأكد ذلك من بعض الدلائل الأثرية التى تشير إلى أن هذا الجامع لم يكن يتبع التخطيط الإيوانى بل كان يتبع تخطيط الجوامع التقليدية المكونة من صحن وأروقة ومن هذه الدلائل بعض العناصر المعمارية التى أشارت إليها حجة الكشف ومنها اشتمال هذا الجامع على عقود محمولة على أعمدة إذ ورد بها ما نصه : " وبرخامه واعمدته وقواعدها وقناطرها تعمير وتجديد " ^(٢٨) وفى نص آخر جاء ما يلى : " مالت الأعمدة الرخام التى بالصف الذى تجاه المصلحة [كذا] ^(٢٩) فى صحن الجامع واختلت قواعدها واشرفت القناطر الحجر التى علوها على السقوط وتعطلت الصلاة من الإيوان التى هى به وانقلع الحجر المفروش فى أرضه وتكسر بعضه" ^(٣٠) (ملحق رقم ١)

ومن الدلائل التى تشير إلى هذا التخطيط التقليدى تعدد مداخل الجامع وهذا عادة لا يتوافق مع التخطيط الإيوانى بل يتوافق مع تخطيط الجوامع التقليدية المشتملة على صحن أوسط وأروقة.

وليس من شك فى أن الأميرة ألفت هانم - عندما قامت بعمارة جامع بشتاك عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ - ١٨٦٣م - قد استخدمت نفس الأعمدة التى كانت موجودة بالجامع المذكور إذ أنه من غير المنطقى أن تقوم الأميرة ألفت هانم بتحويل تخطيط الجامع المذكور من صحن أوسط وإيوانات إلى بانكات وعقود محمولة

^(٢٦): شاهنדה فهمى كريم ، المرجع السابق ، ص ٢١٦.

^(٢٧): من الجدير بالذكر هنا أن لفظ إيوان فى بعض الأحيان قد يعبر عن الرواق كما يتضح من بعض الوثائق الشرعية.

^(٢٨): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، ص ٦.

^(٢٩): صحتها المصلى

^(٣٠): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، ص ١٩ ، ص ٢٠.

على أعمدة لأن ذلك يعنى جلب أعمدة رخامية جديدة للجامع مما يزيد فى نفقات البناء كما أن طرز الأعمدة الحالية واشكالها تشير إلى قدمها (لوحة رقم ٧).

ويبدو من خلال ما توفر من معلومات بحجة الكشف السابق الإشارة إليها أن بعض العناصر المعمارية بجامع الأمير بشتاك - ومنها موضع المنذنة بجوار المدخل والقبة التى تعلو مربع القبلة والمنبر - كانت تتشابه مع جامع الناصر محمد بن قلاون بالقلعة أثر رقم (١٤٣) ١٧٣٥هـ/١٣٣٥م وجامع الطنبغا الماردانى أثر رقم (١٢٠) ٧٣٩ - ٧٤٠هـ/١٣٣٩-١٧٤٠م ويدل على ذلك أن الأمير بشتاك كان من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاون والناس على دين ملوكهم كما أن جامع بشتاك شيد فى نفس الفترة التى شيد فيها جامع الناصر محمد بن قلاون وجامع الطنبغا الماردانى. (شكل رقم ٦ ، وشكل رقم ٧).

٣- القبة أعلى مربع القبلة والمنبر

من المميزات التى تسترعى الأنتباه وجود القبة فوق مربع القبلة أو المحراب فقد أشارت حجة الكشف إلى أنه كان يعلو مربع القبلة والمنبر بجامع بشتاك قبة وأن هذه القبة حدث بها تجديد بحيث أنها كانت مدهونة باللونين الأحمر والأصفر^(٣١) والقبة المذكورة هنا تشبه تلك التى توجد بجامع الناصر محمد بالقلعة وجامع الطنبغا الماردانى بالتبانة كما سبق القول.

وقد عرفت القبة التى تعلو مربع المحراب فى نماذج سابقة على جامع بشتاك فقد وجدت - على سبيل المثال لا الحصر- بالجامع الأموى بدمشق (٨٧هـ/٧٠٦م)^(٣٢) وفى جامع القيروان بتونس (٢٤٨هـ/٨٦٢-٨٦٣م)^(٣٣)

(٣١): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ - جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ٦.

(٣٢) عفيف البيهنسى، الجامع الأموى الكبير أول روائع الفن الإسلامى، سوريا ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨م ، ص ١٠٣ ؛

Peteira (J), Islamic Sacred architecture A stylistic History, New Delhi 1994,p 25.

Stierline (H), Islamic, Volume 1, Early Architecture from Baghdad to Cordoba, Taschen 1996, p46,

Ali (W), The Arab Contribution to Islamic Art from the Seventh to the Fifteenth Centuries, The Royal Society of Fine Arts, Jordan, The American University in Cairo press 1999,p30.

Hillenbrand (R), Islamic Architecture from Function and meaning, The American University in Cairo press 2000,p71.

(٣٣): أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م، ص ٢٠٨ ؛

كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية فى مصر، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م ، ص ٢٠٩ ؛

Burchhardt (T), L,art de L,islam, Paris 1985,p 202, Stierline (H), Islamic, p170.

Hillenbrand (R), Islamic Architecture,p74.

والمسجد الأقصى بالقدس الشريف (١٦٣هـ/٧٨٠م)^(٣٤) وفى مصر بالجامع الأزهر أثر رقم (٩٧) (٣٥٩ - ٣٦١هـ/٩٧٠ - ٩٧٢م)^(٣٥) وجامع الحاكم أثر رقم (١٥) (٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م)^(٣٦) وبمشهد الجيوشى أثر رقم (٣٠٤) (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)^(٣٧) كما ظهرت القبة التى تعلو مربع المحراب فى أعمال السلطان لاجين عام (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)^(٣٨) بجامع أحمد بن طولون أثر رقم (٢٢٠) (٢٦٣ - ٢٦٥هـ/٨٧٦ - ٨٧٩م) وجامع السلطان الظاهر بيبرس أثر رقم (١) (٦٦٥ - ٦٦٧هـ/١٢٦٦ - ١٢٦٩م)^(٣٩) وجامع الناصر محمد بن قلاون بالقلعة أثر رقم (١٤٣) (٧٣٥هـ/١٣٣٥م)^(٤٠) وجامع المرادانى أثر رقم

³⁴⁾Korbendav (Y), L,Architecture Sacree De L,islam, Acr edition, Paris 1997,p 302. Stierline (H), Islamic, p50 . Stierline (H), Islamic, p39.

^(٣٥): ك. أ. س، كريزول، العمارة الإسلامية فى مصر، المجلد الأول الأثريديون والفاطميون (٩٣٩ - ١١٧١م)، ترجمة عبد الوهاب علوب، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٤م، ص ٩٣؛

Stierline (H), Islamic, p153. Ali(W), op.cit,p142.

Korbendav (Y), L,Architecture,p 48.

³⁶⁾:Peteira (J), Islamic Sacred architecture,p 27, Korbendav (Y), L,Architecture,p 48.

^(٣٧): كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص ٢١٢؛

مصطفى عبد الله شيحة، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ٢٠-٦٤٨هـ/٦٤١-١٢٥٠م، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٢م، ص ١٢٦؛

محمد ماجد خلوصى، المسجد عمارة وطراز وتاريخ، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٠٠؛

Creswell (K.A.C). The Muslim Architecture of Egypt , Ikhshids and Fatimids, Oxford 1937,p155-160 .

^(٣٨): فريد شافعي، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، المجلد الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م، ص ٤٨٨؛

حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨؛

Liebich (H.S), L,art Islamique Bassin mediterraneen,Paris 1983,P42,

Burchhar (T), L,art 202, Stierline (H), Islamic, plate, p144.

Raymond (A), Cairo, p132.

Korbendav (Y), L,Architecture,p 48.

^(٣٩): محمد ماجد خلوصى، المسجد، ص ٢١٤؛ حسنى محمد نوبصر، العمارة الإسلامية فى مصر (عصر الأيوبيين والمماليك)، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، د.ت، ص ١٤٣؛

Creswell (K.A.C), the works Of Sultan Bibars AL- Buuduqdari in Egypt, le Caire 1926.

Bloom (J.M), The mosque of Baybars Al-Bunduqdari in Cairo,Annales Islamic Islamologiques, tome xviii Institut Francais d,Archeologie Orientale. du Caire ,1982.fig.10,p7.

⁴⁰⁾:Korbendav (Y), L,Architecture,p 49.

(١٢٠) ٧٣٩ - ٧٤٠هـ / ١٣٣٩ - ١٧٤٠م^(٤١) كما عرفت فى المدارس ذات الإيوانات وتعتبر القبة التى تعلو الإيوان الرئيسى بمدرسة صرغتمش بشارع الصليبية أثار رقم (٢١٨) (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) من أقدم القباب الباقية فوق محراب مدرسة^(٤٢).

٤- المنبر

يفهم مما سبق أن الجامع المذكور كان به منبر غير أن حجة الكشف لم تشر إلى المادة التى صنع منها أو أية تفاصيل قد تساعد فى وصفه وصفاً أثرياً ولكن من المرجح أنه كان من الخشب على منوال المنابر التى شاعت فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون إذ أشارت حجة الكشف إلى أن المنبر كان مدهوناً باللونين الأحمر والأصفر^(٤٣).

٦- جدران الجامع

كانت جدران الجامع المذكور أثناء تجديد الأمير يوسف أفندى فى حالة سيئة فقام بتبييضها^(٤٤).

٧- سقف الجامع

تدلنا حجة الوقف على أن سقف الجامع كان محاطاً من أعلى بسور مبنى بالطوب الأجر بارتفاع قامة الإنسان وهو من تجديدات الأمير يوسف أفندى^(٤٥).

٨- أرضية الجامع

كانت أرضية الجامع المذكور مفروشة بالأحجار وهى متنوعة منها ما هو قديم يعود إلى تاريخ الإنشاء ومنها ما تم تجديده فى ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م أما الصحن فكانت أرضيته مفروشة بالرخام^(٤٦).

(٤١): حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ ؛

Raymond (A), Cairo,p133,

Korbendav (Y), L,Architecture,p 50.

(٤٢): حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٢؛ عبد اللطيف إبراهيم على ، سلسلة الدراسات الوثائقية (١) الوثائق فى خدمة الآثار، ص٤٧، هامش ٢.

(٤٣): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س٦.

(٤٤): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س٢١.

(٤٥): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س٨.

(٤٦): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س٦.

٩- الميضأة

نصت حجة الكشف على أن المدخل البحري (المدخل الشمالي الغربى) كان يؤدي إلى دهليز به على يسار الداخل ميضأة^(٤٧) ومن المؤكد أن هذه الميضأة كان يتوصل إليها من باب يوجد على يسار المار بالدهليز المذكور وهذا الباب لا وجود له الآن غير أنه يوجد بدهليز المدخل الحالى - الذى يعود بتاريخه إلى العصر المملوكى - على يسار الداخل دخلة متوجة بصدر مقرنص (لوحة رقم ٨) من المرجح أنها كانت فتحة باب تؤدي إلى الميضأة المذكورة والتي أغلقت فى التجديدات التى قامت بها الأميرة ألفت قادن حيث يوجد الآن خلف هذه الدخلة حجرة للعاملين بالجامع هى بلا شك جزء من هذه الميضأة.

وهذه الميضأة الوارد ذكرها بحجة الكشف كانت مغطاة بسقف من الخشب النقى الجيد على هيئة جمالون وبها فسحة تتقدم فسقية^(٤٨) مكونة من أربعة أحواض من الحجر الأبيض وستة بزاييز من النحاس الأحمر كما كان يوجد بالدهليز السابق ذكره " تسعة أحواض من الحجر جديدة محضرة برسم البنا فى بيوت الخلا " .

وكان يتم صرف مياه الفسقية وبيوت الأخلية (دورات المياه) فى الخليج المصرى عن طريق سراب (قناة) تصل بينهما^(٤٩).

وفى عام ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م حدث هبوط لأرضية الفسقية وبيوت الأخلية بحيث أصبحت فى مستوى أقل من مستوى الخليج المصرى ومن ثم فعندما كان فيفيض الخليج بالزيادة وقت الفيضان كانت المياه ترتفع فى الفسحة وبيوت الأخلية مما يترتب على ذلك تضرر الناس من النجاسة ولذلك كانت أرضية الفسقية وبيوت الأخلية تحتاج إلى ارتفاع يعادل ذراع بزراع العمل^(٥٠)

(٤٧): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ - جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ٩ .

(٤٨): فسقية والجمع فساقى وهذا المصطلح له عدة معان ومنها القبر ومن معانيها الفساقى الرخامية التى توجد بالدورقات وسط الإيوانات ويصل إليها الماء فى أقصاب من الرصاص مغمية فى الحوائط والأرض. عبد اللطيف إبراهيم علي ، دراسات تاريخية وأثرية، تحقيق رقم ١٠٠ ، ص ١٠ ، تحقيق رقم ١٨٧ ، ص ١٩ .

(٤٩): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ - جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، س ١٣ .

(٥٠): قال الماوردى أن الأذرع سبعة أقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهى البلاية ثم الهاشمية الكبرى وهى الزيادة ثم العمرية ثم الميزانية والذراع حسب ما ذكره كريسول يساوى ٥٤,٠٤ سم ، وتوجد عدة أنواع للذراع منها ذراع العمل ويساوى ٦٦,٥ سم والذراع البلدية وتساوى ٥٨,٢٦ سم وذراع البريد ويساوى ٤٩,٨٧٥ سم والذراع الهاشمية وتساوى ٦٦,٥ سم أو ٦٠,٠٥ سم وذراع الملك ويساوى ٦٦,٥ سم =

حتى يتم صرف المياه بسهولة^(٥١). ويفهم مما ورد بحجة الكشف أنه كانت توجد بئر مياه متصلة ببيوت الأخلية والحفنية عن طريق قصبه من الرصاص كانت تحتاج إلى إصلاح ، كما أن الفسقية وبيوت الأخلية كانت صغيرة المساحة ومن ثم احتاجت إلى توسيع لتستوعب الزيادة في أعداد المترددين على الجامع^(٥٢).

١٠- مساحة الجامع في عصر الإنشاء

من خلال ما ذكر سابقاً يتضح أن مساحة الجامع الحالية ليست هي المساحة التي كان عليها وقت الإنشاء أو على أقل تقدير ليست نفس المساحة التي كان عليها الجامع المذكور قبل عملية التجديد الشاملة التي قامت بها الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل مع نهاية القرن التاسع عشر فالبقايا الباقية من هذا الجامع تدل دلالة واضحة على أنه كان مسجداً كبيراً فحماً حافلاً بشتى الصناعات^(٥٣) ومن المحتمل أن الجزء المتخرب الذى يوجد بالجهة الجنوبية الغربية للجامع الحالى كان من ضمن مساحة الجامع فى العصر المملوكى (لوحة رقم ٩).

والزراع المعمارية وتساوى ٧٩,٨ سم أو ٧٥ سم وزراع المساحة ويساوى ٦٦,٥ سم، هذا وقد ذكر القلقشندي سبعة أنواع من الأذرع وقال فى الذراع السابعة وهي السوداء أنها هي التي يتعامل بها الناس فى مصر ، وذكر المقرئى أن الذراع السوداء هي أطول من ذراع الدور بأصبع وتلثي أصبع وأول من وضعها هارون الرشيد وقد شرح القلقشندي ذراع العمل بأنه هو الذراع السوداء وقال بأن طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل وهو نفسه الذراع الهاشمي ، هذا وقد زاد هذا الذراع فى العصر العثماني حوالي ١٠ سم عن الذراع فى العصر المملوكى. الماوردي ، (أبى الحسن على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ) ، الأحكام السلطانية فى الولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، مكتبة ومطبعة مصطفى الابى الحلبي وأولاده ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ١٥٢ ؛ القلقشندي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧ وما بعدها ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ - ص ٤٤٣ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٥٩ ؛ جومار ، مدينة القاهرة ، الخطوط العربية على عمائر القاهرة ، ترجمة زهير الشايب ، ومنى الشايب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ١٠ ، ص ١٥٨ ؛ أسامة طلعت عبدالنعيم خليل ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة حتى عصر المماليك ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣٢٧ . ولفرد جوزيف دल्ली ، العمارة العربية بمصر مع شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربى ، ترجمة محمود أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م ، ص ١٠ .

(٥١) : دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤

جمادى الأولى ١٠٤٦ هـ ، س ١٤ - س ١٦ .

(٥٢) : دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤

جمادى الأولى ١٠٤٦ هـ ، س ١٥ ، س ١٦ .

(٥٣) : حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

وهذا فى الواقع يتوافق مع ما اشتهرت به عمائر الأمير بشتاك والتى تميزت بالضخامة والفخامة كما هو الحال فى قصره بشارع المعز^(٥٤).

١١- خانقاة بشتاك

فى أول شهر ذى الحجة عام ٧٣٦هـ/ يوليو - أغسطس ١٣٣٦م أقام الأمير بشتاك أمام جامعہ على الخليج المصرى خانقاه^(٥٥) " رتب فيها صوفية وفقراء ورتب لهم الرواتب الحسنة وعمل ساباط على الطريق السالكة ورتب ساير ما يحتاج إليه من أبواب الوظائف ... " ^(٥٦).

وهذه الخانقاه لا وجود لها الآن ومكانها اليوم سبيل وكتاب الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل والذى شيدهته فى عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م - ١٨٦٤م " ورتبت مرتبات سنوية لخدمة الجامع والأطفال الذين بالمكتب والمعلمين والمؤدبين ووقفت على ذلك أوقافاً دارة ... " ^(٥٧).

وتفيدنا حجة الكشف ذات الصلة بجامع الأمير بشتاك فى التعرف على ما حدث لخانقاه الأمير بشتاك التى كانت أمام الجامع المذكور مطلة على الخليج المصرى.

فقد كانت هذه الخانقاه فى عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م فى حالة سيئة للغاية إذ أن حجة الكشف تصف ما كان موجوداً من عمارة أمام الواجهة الشمالية الغربية لجامع بشتاك بأنها متخرية^(٥٨) وهذا ينسحب على موقع خانقاة بشتاك.

ولما كان مكان هذه الخانقاه فى حالة سيئة فقد طلب الأمير يوسف أفندى هدم ما تبقى منها وإنشاء مجموعة من الدكاكين التى تعلوها أروقة بحيث تكون مطلة على الخليج من جهة والشارع الفاصل بينها وبين جامع بشتاك اللكام من جهة أخرى على أن توقف هذه المنشآت على الجامع المذكور^(٥٩).

وهكذا يتضح مما سبق أن خانقاه بشتاك اللكام كانت خلال القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى فى حالة سيئة وشيدت مكانها مجموعة من الحوانيت التى كانت تعلوها أروقة ومن ثم فإن سبيل الأميرة ألفت

^(٥٤): حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

^(٥٥): حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

^(٥٦): اليوسفى ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢ . المقريزى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ؛ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠ .

^(٥٧): على باشا مبارك ، المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ ، ج ٤ ، ص ١٣٧ ؛ شاهنده فهمى كريم ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ ؛ عبد الحميد نافع بك ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

^(٥٨): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، ص ٢٦ .

^(٥٩): دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجلات محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل الذى شيدته فى عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م - ١٨٦٤م (لوحة رقم ١٠) قد حل محل تلك الحوائيت التى كانت موقوفة على جامع بشتاك اللكام.

١٢- أوقاف جامع بشتاك اللكام

تفيدنا الحجة الشرعية المؤرخة فى ٢٢ فبراير عام ١٩١٤م (شكل ٥- أ،ب) فى التعرف على أوقاف جامع بشتاك اللكام والتى تنص على ما يلى: " ... اعيان وقف المسجد المذكور هي اولا منزلين واربعة دكاكين بواجهة المسجد المذكور ثانيا منزل وحوش فسيح بالحبانية ثالثا قهوة بجهة قواديس بشارع باب الخلق رابعا احكار علي احدي وثمانين محلا بجهات متفرقة خلاف احكار علي امكنة متنازع فيها مع بطركحانه^(٦٠) الاقباط خامسا مرتب بالرزنامجه^(٦١) قدره ٦٧

مليم شهريا وانه يوجد لوقف المسجد المذكور صهريج ومكتب امام المسجد منبه عليهما في وقفية وقف الست الفت قادن افندي معتوقة المرحوم الحاج ابراهيم باشا والي مصر كان المحررة من الباب العالي بمصر بتاريخ ٢٥ صفر ١٢٨١... " (٦٢).

^(٦٠): بطركحانه: البطرک معرب (Patricius) ويعنى القائد عند الرومان وبطربرك كلمة يونانية الأصل (Patriarches) ومعناها رئيس الأبياء من (Patria) أى أهل الأب واسرته ومن (rche) أى رأس وأول. وخانه بمعنى مكان أى مكان رئيس الأبياء أو مقر البطريرك وقد ظهر هذا اللقب لأول مرة فى الكنيسة فى مصر فى حوالى عام ٢٦٤م واختص به فى ذلك الوقت بطربرك الإسكندرية فقط . السيد آدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، لبنان ، بيروت ١٩٨٠م ، ص٢٤ ؛ طوبيا العيسى ، تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحرفه ، القاهرة ، دار العرب ١٩٨٨ - ١٩٩٩م ، ص ١١ ، حرف الباء ؛ مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم، موسوعة الفيوم ، سلسلة تاريخ وحضارات الفيوم ، ج ١ التاريخ، الطبعة الأولى، دار أنطون ٢٠١٠م ، ص٥٤ ، هامش رقم ١.

^(٦١): الرزنامجه: فى الفارسية الروزنامه والمقطع جى فى التركىة يعنى النسبة ومصطلح روزنامه فى الفارسية مكون من مقطعين روز بمعنى يوم ونامه بمعنى كتاب والمعنى الإجمالى كتاب اليوم أى دفتر اليومية وديوان الروزنامه فى مصر ديوان مالى كان من مهامه جى الضرائب والأنفاق على جهات البر وقد كانت هذه الكلمة من مصطلحات البيروقراطية المصرية حتى عهد قريب. أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩م ، ص١١٨ ؛ السيد آدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، ص٧٥ ؛ زين العابدين شمس الدين نجم. معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة: ٢٠٠٦م ، ص٢٩٣ ؛ اكمل الدين احسان أوغلى = =وصالح سعداوى صالح ، الثقافة التركىة فى مصر جوانب من التفاعل الحضارى بين المصريين والأترک مع معجم للألفاظ التركىة فى العامية المصرية، أستانبول: ٢٠٠٣م ، ص٣٧٩.

^(٦٢): حجة شرعية بملف رقم ٣٧١٨ صادرة عن محكمة مصر الشرعية فى يوم الاحد ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٢هـ/الموافق ٢٢ فبراير ١٩١٤م ، ص ١ ، س ٦- ١١.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع جامع بشتاك الناصرى بالقاهرة دراسة جديدة فى ضوء وثائق الوقف يمكن إجمال نتائج هذا البحث فيما يلى:

- من خلال الوثائق الشرعية ثبت أن جامع بشتاك الناصرى بالقاهرة المشيد فى العصر المملوكى قد عرف فى العصر العثمانى باسم جامع بشتاك اللكام.

- على الرغم من تغير معالم جامع بشتاك الناصرى خلال القرن التاسع عشر الميلادى إلا أن هذه الدراسة توصلت إلى عدة عناصر مهمة لتخطيط جامع بشتاك اللكام قبل عملية التجديد الشاملة التى حدثت له فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وتتضمن ما يلى :

- اشتمل جامع بشتاك الناصرى على ثلاثة مداخل أحدهما - وهو لا يزال باقياً حتى اليوم - وهو المدخل الشمالى الغربى الذى يلى دهليز المدخل المنشئ فى القرن التاسع عشر الميلادى ، والمدخل الثانى بالضلع الجنوبى الغربى وهو لا يقل فخامة عن المدخل الحالى أما المدخل الثالث فيرجح أنه كان بالضلع الشمالى الشرقى.

- أثبتت هذه الدراسة أن جامع بشتاك الناصرى لم يكن يتبع التخطيط الإيوانى بل كان يتبع تخطيط الجوامع التقليدية المكونة من صحن وأروقة وأن الأميرة ألفت هانم والدة مصطفى باشا فاضل - عندما قامت بعمارة جامع بشتاك عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ - ١٨٦٣م - استخدمت نفس الأعمدة التى كانت موجودة بالجامع المذكور.

- ثبت من خلال هذه الدراسة أن مربع القبلة أو المحراب بجامع بشتاك الناصرى كانت تعلوه قبة حدث بها تجديد بحيث أنها كانت مدهونة باللونين الأحمر والأصفر.

- أثبتت هذه الدراسة أن مiazza الجامع فى العصر المملوكى لم تكن محل المiazza الحالية بل كانت توجد على يسار المدخل البحرى الأسمى (المدخل الشمالى الغربى).

- أثبتت هذه الدراسة أن مساحة الجامع الحالية لم تكن هى نفسها المساحة التى كان عليها وقت الإنشاء أو على أقل تقدير ليست نفس المساحة التى كان عليها الجامع المذكور قبل عملية التجديد الشاملة التى قامت بها الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى.

- ثبت من خلال هذه الدراسة أن خانقاه بشتاك كانت خلال القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى فى حالة سيئة وشيدت مكانها مجموعة من الحوانيت التى كانت تعلوها أروقة ومن ثم فإن سبيل الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل الذى شيدته فى عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣ - ١٨٦٤م قد حل محل تلك الحوانيت التى كانت موقوفة على جامع بشتاك الناصرى.

— أمكن من خلال هذه الدراسة التعرف على بعض أوقاف جامع بشتاك الناصرى التى كانت موقوفة عليه.
— اشتملت هذه الدراسة على ملحقين الأول منهما هو نص وثيقة الكشف ذات الصلة بجامع بشتاك الناصرى والملحق الثانى عبارة عن حجج مرتبطة بمسجد بشتاك الناصرى وموقوفاته محفوظة بوزارة الأوقاف المصرية.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الشرعية

— وزارة الأوقاف المصرية ، حجة رقم ٩٩٩ أوقاف - ١٥ جماد أول ، سنة ٩٦٥هـ

— دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محكمة الباب العالى - سجل ١١٧ - مادة ١٧٨٣ - ١٤ جمادى الأولى ١٠٤٦هـ .

— وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر - ٥ صفر عام ١٣١٥هـ / ٦ يوليه ١٨٩٧م.

— وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر الشرعية في يوم الاحد ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٢هـ / الموافق ٢٢ فبراير ١٩١٤م.

— وزارة الأوقاف المصرية ، سجلات أوقاف ومحاسبة ، ملف التولية رقم ٣٧١٨ ، حجة صادرة عن محكمة مصر الابتدائية الشرعية - الأثنين ١٧ العقدة ١٣٣٣هـ / ٢٧ سبتمبر عام ١٩١٥م.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية

— ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ - ١٩٨٤م.

— ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف ٨١٣ - ٨٧٤هـ / ١٤١٠م - ١٤٧٠م) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزءاً ، تحقيق محمد فهيم شلتوت وآخرين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٢٩-١٩٧٢م.

— ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٣، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

- ابن دقماق (محمد بن محمد بن أحمد القرشى . ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ م) ،
الانتصار بواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، قسمان فى مجلد
واحد ، بولاق ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م .
- ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أبى الفضل بن أحمد . ت
٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء ، القاهرة ،
أم القرى للطباعة والنشر ١٣٨٥-١٣٨٧هـ / ١٩٦٦-١٩٦٧م .
- ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أبى الفضل بن أحمد . ت
٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، أنبا الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة
١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ابن زكريا (أبو الحسن أحمد بن فارس) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد
السلام محمد هارون ، المجلد الخامس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار
الجيل ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- ابن كثير (أبو الفدا الحافظ) ، البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملح
وآخرون ، المجلد السابع ، ج ١٣ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب
العلمية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ابن ممتى (الأسعد بن ممتى . ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ، قوانين الدواوين ،
تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ،
القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩م .
- أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م ،
ص ٢٠٨ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م .
- اكمل الدين احسان أوغلى و صالح سعداوى صالح ، الثقافة التركية فى مصر
جوانب من التفاعل الحضارى بين المصريين والأترك مع معجم للألفاظ
التركية فى العامية المصرية ، أستانبول: ٢٠٠٣م .
- أسامة طلعت عبدالنعم خليل ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة
حتى عصر المماليك ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة
زهير الشايب ، القاهرة ، روزا اليوسف ١٩٧٤م .
- جومار ، مدينة القاهرة ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل مع مقدمة عن
التطور العمرانى لمدينة القاهرة حتى سنة ١٨٠٠ ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ،
القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- جومار ، مدينة القاهرة ، الخطوط العربية على عمائر القاهرة ، ترجمة زهير الشايب ، ومنى الشايب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، أوراق شرقية ١٩٩٣م.
- حسنى محمد نوبصر ، العمارة الإسلامية فى مصر (عصر الأيوبيين والمماليك) ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، د.ت.
- الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى الواسطى) تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ١٧ ، تحقيق على شيرى ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- زين العابدين شمس الدين نجم . معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة: ٢٠٠٦م.
- سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١- ١٩٨٣م.
- سعاد محمد حسن ، الحمامات فى مصر الإسلامية دراسة أثرية معمارية ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٣م.
- السيد آدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، لبنان ، بيروت ١٩٨٠م.
- السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن) ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- شاهنדה فهمى كريم ، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- شحاتة عيسى ، القاهرة ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، د.ت.
- شفيقة قرني سيد أبو نصر ، دراسة أثرية عمرانية لشارع الصليبية بالقاهرة حتى العصر الجركسي ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٣م.
- عبد الحميد نافع بك ، ذيل خطط المقرئى ، تحقيق خالد عزب ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- طوبيا العنيسى ، تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحرفه ، القاهرة ، دار العرب ١٩٨٨ - ١٩٩٩م.
- عبد الرحمن ذكى ، القاهرة تاريخها وأثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المورخ (٩٦٩ — ١٨٢٥م) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

— عبد الرحمن ذكي ، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك ٩٦٩ هـ - ١٥١٧ م ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - أبريل ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، دار الكتب ١٩٧١ م.

— عبد اللطيف إبراهيم علي ، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغوري ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، قسم الآثار (فرع الآثار الإسلامية) ، إشراف محمد مصطفى زيادة ، وفريد شافعي ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

— عبد اللطيف إبراهيم علي ، سلسلة الوثائق التاريخية القومية ، مجموعة الوثائق المملوكية ١ ، وثيقة الأمير أخور كبير قرقجا الحسني ، دراسة ونشر وتحقيق ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الثامن عشر ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٥٦ م ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩ م ، من ص ١٨٣ إلى ص ٢٥١ .

— عبد اللطيف إبراهيم علي ، سلسلة الدراسات الوثائقية (١) الوثائق في خدمة الآثار - العصر المملوكي ، دار الطباعة الحديثة ، د . ت .

— عفيف البهنسي ، الجامع الأموي الكبير أول روائع الفن الإسلامي ، سوريا ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨ م ، ص ١٠٣ ؛

— على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م.

— فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، المجلد الأول ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.

ف. ويستنفلد ، جدول السنين الهجرية بلباليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ م.

— القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي . ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الأعشى فى صناعة الأنشا ، ٤ أجزاء ، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ، مصر ، وزارة الثقافة والأرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجم والطباعة والنشر ١٩٢٢ م.

— ك. أ. س. كريزول ، العمارة الإسلامية فى مصر ، المجلد الأول الأخشيديون والفاطميون (٩٣٩ - ١١٧١ م) ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٤ م.

— كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، المجموعة السابعة عشر عن عام ١٩٠٠ م.

— كراسات لجنة حفظ الآثار العربية لعام ١٩٠٢ م.

— كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، المجموعة العشرون لسنة ١٩٠٣ م.

- الكرخى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفاسى الأصبخري) ، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال ، محمد شفيق غربال ، مصر ، وزارة الإرشاد القومى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- الماوردى ، (أبى الحسن على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية فى الولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، مكتبة ومطبعة مصطفى الابى الحلبي وأولاده ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- محمد الششتاوى سند الرفاعي ، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكي والعثماني، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- محمد كمال السيد محمد ، أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- محمد ماجد خلوصى، المسجد عمارة وطراز وتاريخ ، القاهرة ١٩٩٧م.
- محمد مختار باشا ، التوقيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الأفرنكية والقطبية ، جزءان ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، القاهرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- محمود حامد الحسيني ، التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية الفسطاط - العسكر - القطائع - حتى نهاية العصر الفاطمي ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- مصطفى عبد الله شبيحة، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ٢٠-٦٤٨هـ/ ٦٤١-١٢٥٠م ، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٢م.
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٤ أجزاء فى ١٢مجلد ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة دار الكتب ١٩٥٦-١٩٧٣م.
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت.
- مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم، موسوعة الفيوم ، سلسلة تاريخ وحضارات الفيوم ، ج ١ التاريخ، الطبعة الأولى، دار أنطون ٢٠١٠م
- ناصر خسرو علوي ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
- النووى (أبو زكريا محيى الدين بن شرخ) ، تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، د.ت.

— ولفرد جوزيف دالى، العمارة العربية بمصر مع شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربى ، ترجمة محمود أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.

— ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٥ ، بيروت ، دار صادر ، د.ت.

— اليوسفى (موسى بن محمد بن يحيى. ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م) ، نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق ودراسة أحمد حطيط ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Ali (W), The Arab Contribution to Islamic Art from the Seventh to the Fifteenth Centuries, The Royal Society of Fine Arts, Jordan, The American University in Cairo press 1999.

- Bloom (J.M), The mosque of Baybars Al-Bunduqdari in Cairo, Annales Islamic Islamologiques, tome xviii Institut Francais d, Archeologie Orientale. du Caire 1982.

- Burchhardt (T), L, art de L, islam, Paris 1985.

- Creswell (K.A.C), the works Of Sultan Bibars AL-Buuduqdari in Egypt, le Caire 1926.

- Creswell (K.A.C). The Muslim Architecture of Egypt , Ikhshids and Fatimids, Oxford 1937.

- Hillenbrand (R), Islamic Architecture from Function and meaning, The American University in Cairo press 2000.

- Korbendav (Y), L, Architecture Sacree De L, islam, Acr edition, Paris 1997.

- Liebich (H.S), L, art Islamique Bassin mediterraneen, Paris 1983.

- Mackenzie (N.D), Ayyubid Cairo, A topographical Study, The American University in Cairo Press, 1992, p.89.

- Peteira (J), Islamic Sacred architecture A stylistic History, New Delhi 1994.

- Raymond (A), Cairo City of History, translated by Willard Wood, The American University in Cairo press 1993.

- Stierline (H), Islamic Volume 1, Early Architecture from Baghdad to Cordoba, Taschen 1996.

اللوحات والأشكال

أولاً اللوحات



لوحة رقم (٢): المدخل الشمالي الغربي
الداخلي لجامع بشتاك (تصوير الباحث)



لوحة رقم (١): منظر عام لجامع بشتاك
(تصوير الباحث)



لوحة رقم (٤): جامع بشتاك من الداخل
(تصوير الباحث)



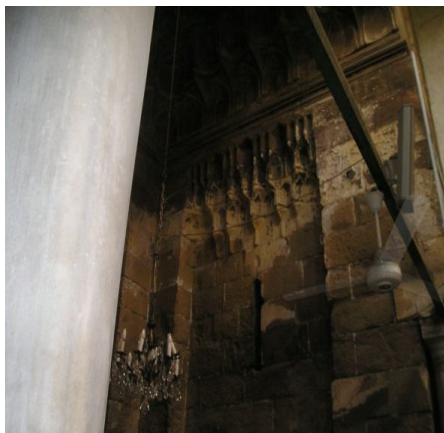
لوحة رقم (٣): منذنة جامع بشتاك
(تصوير الباحث)



لوحة رقم (٦): المدخل المؤدى إلى دورة المياه
بجامع بشتاك (تصوير الباحث)



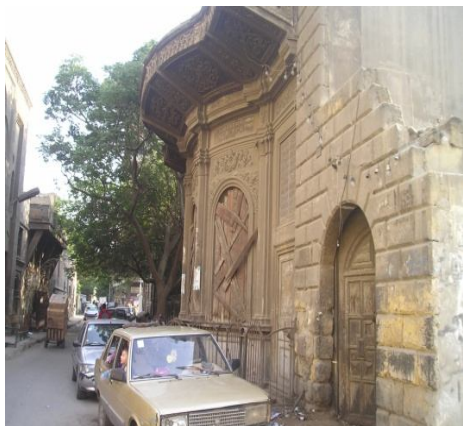
لوحة رقم (٥): الجدار الشمالي الشرقي
لجامع الحالية بشتاك من الداخل
(تصوير الباحث)



لوحة رقم (٨): دخلة مقرنصة بدهلينز
القديم بجامع بشتاك (تصوير الباحث)



لوحة رقم (٧): بعض الأعمدة الحاملة
للعقود المدخل بجامع بشتاك (تصوير الباحث)

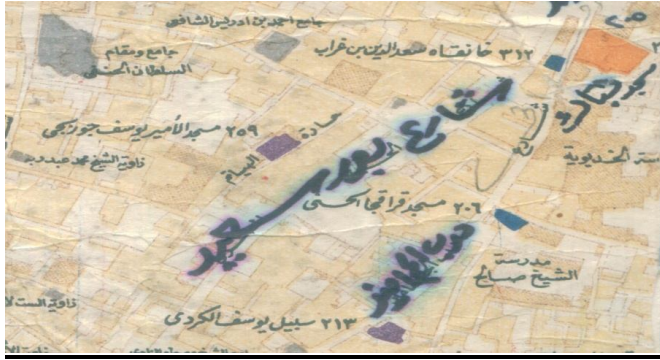


لوحة رقم (١٠): منظر عام لسبيل
والدة مصطفى باشا (تصوير الباحث)

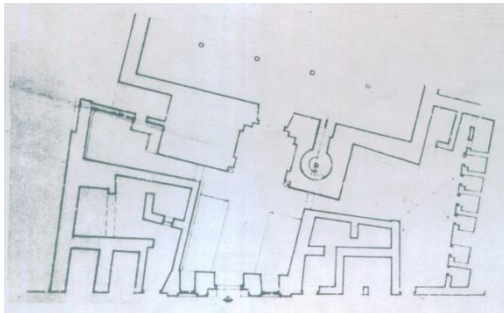


لوحة رقم (٩): أماكن متخرية خلف جامع
بشتاك الأميرة ألفت هاتم (تصوير الباحث)

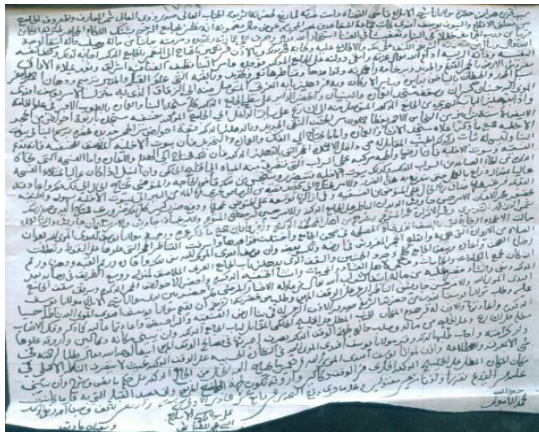
ثانياً: الأشكال



شكل رقم (١): موقع جامع بشتاك على خريطة القاهرة (عن هيئة المساحة المصرية)



شكل رقم (٢): مسقط أفقى لجامع بشتاك يوضح الجزء الأثرى المتبقى بالجامع الحالى (عن شاهدة فهمى كريم)



شكل رقم (٣): وثيقة كشف جامع بشتاك (عن دار الوثائق القومية بالقاهرة)

٩٥٠ تاريخه ما بين ٥٧ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥١ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٢ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٣ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٤ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٥ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٦ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٧ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٨ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٥٩ هـ قومه من ارض مصر ...
 ٩٦٠ هـ قومه من ارض مصر ...

شكل رقم (٤- أ): وثيقة وقف مؤرخة في ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يوليه ١٨٩٧م (عن وزارة الأوقاف المصرية)

٩٧٢
 وثيقة وقف مؤرخة في ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يوليه ١٨٩٧م
 من وزارة الأوقاف المصرية
 رقم ١٤٥٠
 حلت في ٤٤ ما ١٩١٤

شكل رقم (٤- ب): تكملة وثيقة الوقف المؤرخة في ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يوليه ١٨٩٧م (عن وزارة الأوقاف المصرية)

٩٧٣
 تكملة وثيقة الوقف المؤرخة في ٥ صفر عام ١٣١٥هـ/ ٦ يوليه ١٨٩٧م
 من وزارة الأوقاف المصرية
 رقم ١٤٥٠
 حلت في ٤٤ ما ١٩١٤

شكل رقم (٥ - أ): وثيقة وقف مؤرخة في ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٢هـ/ ٢٥ فبراير ١٩١٤م (عن وزارة الأوقاف المصرية)

ملحق رقم (١)

نص وثيقة الكشف

- ١- سبب تحريره هو أن حضرة مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة دامت عزته لما رفع لحضرته الشريفة الجنب العالى صدر ذوى المعالى شمس المعارف والمعروف الجامع
- ٢- بين فضيلتى الاقلام والسيوف يوسف افندى كاتب جماعة المقاعدين [كذا] بمصر المحروسة عرض حال مضمونه أنه نظر بجامع المرحوم بشتك اللكام المجاور لمنزله الكاين
- ٣- قريبا من درب الجماميز خلا فى البنا وتعفيشا [كذا] فى الفنا استخار الله تعالى وصرف على عمارته وتجديده ومرمته جانبا من ماله وصلب حاله ابتغا لوجه
- ٤- الله تعالى وسال من حضرته الشريفة الكشف على ذلك والاطلاع عليه وكتابة حجة بذلك وبالأذن فى تعمير ما يحتاج الى التعمير بالجامع المذكور اجابة لذلك وكشف بنفسه
- ٥- التقية وذاته الزكية ادام الله تعالى عزته وابقى دولته على الجامع المذكور فوجده عامر البنا نظيف الفنا فيه اشراق ونور يملا الافاق
- ٦- مفروش الارض بالحجر القديم والجديد وبرخامه واعمدته وقواعدها وقناطرها تعمير وتجديد وبالقبة التى علو القبة والمنبر ترميم ودهان احمر واصفر
- ٧- مسبل الجدر والحيطان بالبياض بدائره وساير الاركان وبه فى دهليز بابه الغربى المتوصل منه إلى الزقاق الذى به منزل الامير يوسف افندى
- ٨- المومى اليه جنبان كبيران وسقف مستجد العمارة والبنيان والحضير الداير على سطح الجامع المذكور كله مستجد البنا والعمارة بالطوب الاجر فى علو القامة
- ٩- واذا [كذا] بدهلين الباب البحرى من الجامع المذكور المتوصل منه الى الشارع على يسار الداخلى الى الجامع المذكور حنفية مستجدة باربعة احواض من الحجر
- ١٠- الابيض بها ستة بزاييز من النحاس الاحمر بغطاء جملون من الخشب النقى الجديد وبالدهليز المذكور تسعة احواض من الحجر جديدة محضرة برسم البنا فى بيوت
- ١١- الاخلية جميع ما ذكر اعلاه مستجد الانشا والعمارة واما ما يحتاج الى الفك والعمارة والتجديد فان بيوت الاخلية الملاصق [كذا] للحنفية فانه قديم
- ١٢- البنا وليس له ثبات وكذلك الجنب المقابل له من داخل الاعمدة الحجر التى بالدهليز المذكور فان ذلك يحتاج الى الهدم والاعادة واما الفسحة التى تجاه

١٣- الفسقية وبيوت الاخلية فان ارضها واطية [كذا] مركبة على السراب التى تنصرف منه المياه الى الخليج الحاكى وان النيل اذا كان عاليا تمتلا الفسحة

١٤- المذكورة من الما الصاعد من السراب المذكور وكذلك بيوت الاخلية فيتضرر ويتنجس من ذلك قاضى الحاجة والمتوضى يحتاج الحال الى فك ذلك واعادته

١٥- عاليا بمقدار ذراع بالعمل حتى يندفع به هذا الضرر والامر يحتاج الى تجديد قصبه من الرصاص يجرى فيها الما من البير الى بيوت الاخلية بسهولة والحفية

١٦- القديمة فى غير محلها ضاق به الحال على المتوضى من الفسقية وفى ازالتها توسعة على المتوضى بمحلها ودفع ضرر كبير كل ذلك ضرورى محتاج اليه وجميع ذلك

١٧- بحضور فخر الاعيان الامير حسن جاويش الديوان الناظر على الجامع المذكور والامير حسين ابن مصطفى المنوفى والامير عساف جاويش والامير سليمان جاويش والشيخ العمدة

١٨- شمس الدين محمد الشويرى وفخر الاقران محمد المنوفى وغيرهم من اهل المحلة المذكورة واخبروا بان جميع ما ذكر عمره ورممه مولانا يوسف افندى المومى اليه بعد ان

١٩- مالت الاعمدة الرخام التى بالصف الذى تجاه المصلحة [كذا] فى صحن الجامع واختلت قواعدها واشرفت القناطر الحجر التى علوها على السقوط وتعطلت

٢٠- الصلاة من الايوان التى هى به وانقلع الحجر المفروش فى ارضه وتكسر بعضه وان يوسف افندى المومى اليه بنى ذلك واعاده ورمم القبة ودهنها ورمم

٢١- رخام الصحن واعاده وبيض الجامع كله وجدد الجنبين والسقف الذى بدلهيز باب الجامع الغربى الملاصق لمنزله ووسع الطريق فى رحابه بعد

٢٢- ان كان مجمع القمامات والنجاسات وممكن لاهل الفساد والمحرمات وانشا الحنفية المذكورة واحضر الاحواض الحجر المذكورة وبرنق [كذا] سقف الجامع

٢٣- المذكور وبنى وانشا حضير عليه من ماله ابتغا لثواب الله تعالى من مائه [كذا] الاخبار المرضى ثم حضر بين بين يدى مولانا شيخ الاسلام مولانا يوسف

٢٤- افندى المومى اليه والامير حسن جاويش الناظر الشرعى على الوقف المرقوم وطلب من حضرته الشريفة ان يقيم مولانا يوسف افندى المومى اليه ناظرا حسبيا

٢٥- عليه وطلب مولانا يوسف افندى من حضرته الشريفة صدور الاذن الشرعى له وبنا ارض الفسقية والمراحيض واعادتها عالية كما ذكر وفك الاجناب

٢٦- المذكورة واعادتها والاذن له فى هدم المكان الخراب المطل على الخليج

الحاكي المقابل لباب الجامع المذكور وان بينى مكانه دكاكين واروقة علوها

٢٧- مطلة على الشارع وعلى الخليج من ماله وصلب حاله لجهة الوقف

المذكور يصرف اجرتها فى مصالح الوقف المرقوم ابتغا لوجه الله تعالى وطلبنا لرحمته فى

٢٨- دار كرامته واجاب طلبهما لذلك وقر [كذا] مولانا يوسف افندى المومى

اليه فى النظارة الحسينية على الوقف المذكور بحيث لا يتصرف الناظر الاصلى فى

٢٩- شى الا بمعرفته واطلاعه واذن لمولانا يوسف افندى المومى اليه فى

تعمير ما يحتاج اليه الحال من الجامع المذكور على حكم ما نص وشرح وان

يبتنى [كذا]

٣٠- مكان المكان المطل على الخليج المذكور الجارى فى الوقف دكاكين

واروقة تكون لجهة الجامع المرقوم وان يعيد القبلة التى به على ما كانت

٣١- عليه فى القديم تقريراً واذنا شرعيين مقبولين وعلى ما جرى وقع التحرير

فى رابع عشر جمادى الاولى سنة ست واربعين والى وحسبنا الله ونعم الوكيل

٣٢- حرر الشيخ علم مولانا شيخ الاسلام

٣٣- محمد الامولى الشيخ محمد الطناشى

حجج مرتبطة بمسجد بشتاك اللكام وموقوفاته محفوظة بوزارة الأوقاف المصرية

نوع المستند	موقع التسجيل	تاريخ التسجيل	سجل تحت رقم	دفتر جهة
قرار	م. مصر	١٥ الحجـة ١٣١٥	٧/٩٥٠	تقارير أهلية
قرار	م. مصر	١٩١٤/٢/٢٢ م	٧/٢١١٩	تقارير خيرية
قرار	م. مصر	١٩١٥/٩/٢٧ م	١٥/١٢٨١	تقارير خيرية
قرار	م. مصر	١٩٣١/٣/١٤ م	١٥/٢٢٣٩	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣١/٦/٢٠ م	١٥/٢٣١٣	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣١/٧/١١ م	١٥/٢٣٢٩	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣٣/١٠/١٤ م	١٦/٢٩٦٠	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣٤/١/١٣ م	١٦/٢٧٢٥	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣٣/١٠/١٤ م	١٦/٢٧٣٥	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣٤/٦/١١ م	١٦/٢٧٦٥	أحكار
قرار	م. مصر	١٩٣٨/١/١٨ م	١٦/٢٩٤٦	أحكار

قلعة بني حماد: عوامل التمدن وأسباب الخراب

د/ عبدالقادر دحدوح

مقدمة:

اهتم المسلمون منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء المدن، باعتبار أن الحاجة الداعية إليها ضرورية في كل مكان وزمان، ومن ثم بدأت حركة التعمير، فاستقر المسلمون أولاً بالمدينة المنورة، ثم توسعوا وانتشروا، وكان لزاماً عليهم بناء مدن وقلاع وحصون، فشيّد منها الكثير على مر التاريخ. غير أن هذه الحركة العمرانية الواسعة والسريعة لم تتم بصورة عشوائية، وإنما وفق معايير وقواعد حددها رجال الفكر العمراني الإسلامي، ويعلل هؤلاء العلماء أسباب خراب واندثار بعض المدن الإسلامية إلى عدم استجابتها لهذه القواعد.

ومادامت قلعة بني حماد واحدة من هذه المدن التي عمرت ثم خربت فجأة، فما هي الأسباب التي كانت وراء خرابها؟ ألم تستجب هي الأخرى لقواعد الفكر العمراني الإسلامي؟ ما هي الظروف المصاحبة لنشأتها واختيار موقعها؟ وما هي عوامل تطور عمرانها؟

١- مدخل تاريخي:

يرجع استقرار الإنسان بمنطقة المعاضيد حيث تقع قلعة بني حماد إلى فترات ما قبل التاريخ، واستمر خلال الفترات القديمة، ولا زالت العديد من البقايا تشهد على ذلك، مثلما هو الحال في المخابئ الصخرية التي تقع إلى الشمال من القلعة على ضفاف وادي فرج، وعدة أماكن توجد بها بقايا أدوات حجرية مثل قمة الغورين ودوار المعاضيد وفي المحيط الداخلي للقلعة، كما لا تزال بقايا أثرية قديمة منها موقع تيحمامين^(١).

أما خلال الفترة الإسلامية فإن أقدم إشارة إلى تعمير الموقع ترجع إلى بداية الحكم الفاطمي وبالتحديد إلى ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد، حيث يذكر ابن حماد الصنهاجي بأن الخليفة الفاطمي المنصور حاصر أبا يزيد بقلعة كيانة، وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد^(٢)، وقد جاء ذكر هذه الواقعة عند كل

* أستاذ محاضر بالمركز الجامعي لتبليغ الجزائر

^١ - (ACHILLER.R, «La Kalaa et Tihamamine», in: Recueil des Notice de la Société Archéologique du Département de Constantine, 1903, P235-239, 240-241.

^٢ - (ابن حماد الصنهاجي (أبو عبد الله محمد)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٤٢.

من البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م) ^(٣)، وعبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ^(٤) وصاحب كتاب عيون الأخبار عماد الدين إدريس (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م) ^(٥)، وغيرها من المصادر التاريخية.

وقد تعددت التسميات التي عرفت بها هذه القلعة، حيث ذكر ابن حماد وإدريس عماد الدين اسم قلعة كيانة، كما أورد ابن حماد لها اسماً آخر وهو قلعة المرى ويقول بخصوص هذا الاسم «سمتها البربر المرى وإنما هي المرآة، لمرآة كانت منصوبة عليها في الزمان الأول» ^(٦)، وعند ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ^(٧) وابن خلدون ^(٨) تعرف باسم قلعة كتامة، في حين تعرف حسب كل من البكري ^(٩) وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ^(١٠) وصاحب كتاب الاستبصار ^(١١) بقلعة أبي طويل.

ويبدو أن القلعة كانت تعرف في الأول باسم قلعة كيانة ثم قلعة أبي طويل، وبقي هذا الاسم متداولاً إلى أن جاء حماد واختط قلعته التي حملت اسمه، ومن خلال الأوصاف التي قدمها كل من ابن حماد وبالأخص صاحب كتاب عيون الأخبار يظهر أن قلعة كيانة أو قلعة أبي طويل كان موضعها في قمة جبل تاقربوست، حيث يستدل من الأحداث المرتبطة بحصار أبي يزيد في هذه القلعة أنها كانت تشغل قمة جبل تلتف حولها منحدرات متوعدة بها صخور، حيث يذكر صاحب كتاب عيون الأخبار: «قلعة كيانة وهي أحصن تلك الجبال وامنعها، ليس لها إلا مسلك واحد وطريق متوعر على ظهر جبل منيع لا يرام مسيرة يوم، ثم ينتهي

^٣ - البكري (ابو عبيد)، كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه ادريان فان ليوفن و اندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، قرطاج، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٧١٠.

^٤ - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم عبادة كحيلية، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، ج ٤، ص ٤٤.

^٥ - عماد الدين (إدريس)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط ١، ص ٤١٥، ٤١١، ٤٢٢، ٤٣٨.

^٦ - ابن حماد الصنهاجي (ابو عبد الله محمد)، المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٣.

^٧ - ابن الأثير (ابو الحسن علي)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٧١، ج ٧، ص ٢٠٠.

^٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤.

^٩ - البكري (ابو عبيد)، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١٠.

^{١٠} - الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٩٩٠، ج ٤، ص ٤٤٢.

^{١١} - مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٦٧، ١٦٨.

إلى رمال، منها كانت تأتيهم الميرة»^(١٢)، ثم يواصل وصفه لوقائع المعركة فيقول: «وقد صار المارقون (أتباع أبي يزيد) على أعلى التلال يلقون الصخور العظيمة من رؤوسها، فلا تمر برجل ولا دابة إلا طحنت ما تمر عليه وصيرته رميما، وغادرته هشيما، واستمر القتال إلى نصف النهار، وكل الناس وملوا وعطشوا، وأثخن الأولياء جراحا، وأخذتهم الحجارة، وكاعوا عن النزال، وأتعبهم شديد القتال، فزجرهم الإمام وأغضبه كلالهم وملالهم، وكر بنفسه على الأعداء، ومعه ثلاثة آلاف فارس وأكثر من عشرة آلاف رجل حتى توسط في الوعر الذي لا مسلك فيه للخيل والرجال»^(١٣)، وبناء على هذا النص وغيره ومعاينتنا الميدانية للموقع والذي لاحظنا فيه منحدرات شديدة ليس من السهل اجتيازها من جميع الجهات فيما عدا الجهة الشمالية، ويتخلل هذه المنحدرات صخور عالية وكأنها أسوار، وعليه يتأكد لنا أن هذا الموضع هو الذي كانت تشغله قلعة كيانة (أنظر المخطط الملحق والصورة رقم ١)، وهو الموضع الذي لا زالت تظهر فيه بقايا بعض البنايات.

أما قلعة حماد فهي تقع أسفل الجبل من ناحية القبلة (الجهة الجنوبية الشرقية)، وهو نفس الشيء الذي ذكره ابن حماد «جبل كيانة وهو المطل على القلعة»^(١٤)، وقد كان بناء هذه القلعة على حسب ابن خلدون في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م من طرف حماد بن بلكين، واستمرت الأشغال بها إلى غاية سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م^(١٥)، في حين يذكر ياقوت الحموي بأنها «قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وهو أول من أحدثها في حدود سنة ٣٧١هـ/٩٨٢م، وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى، وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء حسن إنما اختطها حماد للتحصن والامتناع»^(١٦)، ومن خلال عرض هذا النص يظهر لنا شيء من التضارب، حيث يشير ياقوت الحموي إلى حماد هو من اختط القلعة^(١٧)، ومن جهة أخرى

^{١٢} - عماد الدين ادريس، المصدر السابق، ص ٤١٥، ٤١٦.

^{١٣} - نفسه، ص ٤١٥، ٤١٦.

^{١٤} - ابن حماد الصنهاجي (ابو عبد الله محمد)، المصدر السابق، ص ٢٥.

^{١٥} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧١.

^{١٦} - الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

^{١٧} - لقد فهم بعض الدارسين من النص المذكور أن بلكين بن زيري هو أول من اختط القلعة، في حين سياق الحديث يشير إلى أن حماد هو أول من استحدثها وقد أكد المؤلف هذه الحقيقة في آخر النص حين قال: إنما اختطها حماد للتحصن والامتناع. أنظر: العربي (اسماعيل)، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠، ص ١٢٢. بويحيوي (عز الدين)، تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط (من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة)، أطروحة دكتوراه دولة في =

يذكر بأن استحداثها كان في سنة ٣٧١هـ/٩٨٢م، ولما نرجع إلى المعطيات التاريخية فإن حماد لم يعرف عنه تولي الولاية قبل وفاة أبيه بلكين بن زيري في سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م، حيث يذكر ابن خلدون أن المنصور « عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة وكان يتداولها من أخيه يطوفت وعمه أبي البهار»^(١٨)، وفي موضع آخر يذكر ابن خلدون أن المنصور « عقد لأخيه حماد على أشير»^(١٩)، ويبدو أن حماد حافظ على ولايته هذه إلى غاية وفاة المنصور وتولي ابنه باديس شؤون الحكم^(٢٠)، حيث يذكر ابن عذارى أن باديس عين حماد على أشير في شهر صفر سنة ٣٨٧هـ/فيفري-مارس ٩٩٧م^(٢١)، ومن جهة أخرى فإن جل الأحداث التاريخية التي تسبق سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م لا تشير إلى بناء القلعة ولا من تولى حكمها، ولو كان بناؤها في السنة التي ذكرها ياقوت الحموي لكانت كتب التاريخ تناقلت أخبارها، وعليه فإن التاريخ الذي ذكره ياقوت الحموي غير دقيق، في حين يبقى قول ابن خلدون هو الأقرب إلى الصواب.

ومنذ ذلك التاريخ عمرت قلعة بني حماد فشيدت «أسوارها واستكثر فيها من المساجد و الفنادق، فاستبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن»^(٢٢)، واتخذها حماد وخلفاؤه من بعده عاصمة لملكهم إلى غاية بناء الناصر مدينة بجاية وانتقاله إليها في سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م، ومن هذا التاريخ بدأ يدب الخراب في القلعة شيئاً فشيئاً جراء ما لقيته من ضربات عديدة، أهمها هجوم بنو هلال في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، وثانيها هجوم الموحيدين في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، وثالثها هجوم بنو غانية في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م^(٢٣)، ومن ثم تخرب عمرانها وتحولت

= الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠١-٢٠٠٢، ص ٢٣٠.

^{١٨} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٧.

^{١٩} - نفسه، ص ١٥٧.

^{٢٠} - يذكر اسماعيل العربي بأن حماد ظل على هامش الحياة السياسية إلى أن عينه الأمير باديس بن المنصور على ولاية أشير في شهر صفر سنة ٣٨٧هـ/فيفري-مارس ٩٩٧م، والحقيقة أنه سبق وان كان واليا على أشير في عه المنصور مثلما رأينا. أنظر: العربي (اسماعيل)، المرجع السابق، ص ٩١.

^{٢١} - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان و إلفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٤٨.

^{٢٢} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧١.

^{٢٣} - نفسه، ص ١٧١، ١٧٧، ١٧٤، ١٩١. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧، ص ٢٣٦، ٢٤٦. سالم =

إلى أنقاض تتناثر أحجارها في أرجائها، لا يظهر منها بشكل جلي سوى بعض من جوانب الجامع الكبير ومئذنته وجانب من قصر البحر وقصر المنار^(٢٤).

٢- عوامل التطور العمراني للقلعة:

تختلف عوامل اختيار مواضع المدن و تطورها، فمن المدن ما بنيت في مواضع لها قداسة دينية، وأخرى ذات حصانة طبيعية، وأخرى في ملتقى الطرق التجارية الكبرى، وقد تجتمع هذه العوامل أو بعضها في بعض المدن^(٢٥)، وفي جميع الأحوال وضع رجال الفكر العمراني الإسلامي مجموعة من الضوابط التي ينبغي توفرها في مواضع المدن لضمان استمرارها وازدهار عمرانها^(٢٦).

وإذا عدنا بقلعة بني حماد إلى ظروف ظهورها وسائرنا تاريخ تطور عمرانها من التأسيس إلى الخراب لوجدنا أن هناك مجموعة من العوامل كانت وراء اختيار حماد لموضعها، ونفس العوامل كان لها الدور الكبير في استمرار عمرانها وتطوره قبل أن يطرقها الخراب.

= (السيد عبد العزيز)، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ص ٨٠٣.

^{٢٤} - عن هذه المنشآت انظر: بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣، ٢١٠-٢٢٠. GOLVIN.L, Le Magrib central a l'époque des Zirides recherches d'archéologie et d'histoire, Paris, 1957, P.182-192. GOLVIN.L, Recherche Archéologique à La Kalaa des Beni Hammad, Paris, 1965, P.199. De BEYLIE.L, La Kalaa de Beni Hammad, Paris, 1909, P. 32-84. MARÇAIS.G, L'Architecture musulman d'occident, Tunisie, Maroc, Algérie, Paris, 1954, P.81-84, 75..

^{٢٥} - للمزيد أكثر أنظر: الموسوي (مصطفى عباس)، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢.

^{٢٦} - توجد هناك العديد من الكتابات التاريخية في هذا الشأن ولعل أهم تلك المصادر التي

تحدثت عن شروط اختيار مواضع المدن في الإسلام نذكر ما يلي: ابن أبي الربيع (شهاب الدين احمد)، سلوك المالك في تدبير الممالك، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦، ص ١٠٦. ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد الهمداني)، مختصر كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٨/١٤٠٨، ص ١٤٣. القرويني (زكريا ابن محمد بن محمود)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٨. ابن أبي زرع (علي الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص ٤٠. ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٠-٢٩٢. ابن الأزرقي (ابو عبد الله محمد الاندلسي)، بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، د.ت، ج ٢، ص ٧٦٤-٧٦٧.

أ-العامل السياسي:

تلعب المعطيات السياسية دورا كبيرا في اختيار مواضع المدن وتطور عمرانها أو انحصاره، فأما بالنسبة للمعطيات السياسية المرتبطة باختيار موضع القلعة فإن حماد كان يدرك أن بناء القلعة والإستقلال بها سيدفع بإبن أخيه الأمير باديس بن المنصور الزييري إلى محاربتة، ومحاولة إخضاعه ثانية، كما كان حماد يدرك أن توسيع رقعة دولته سيكون على حساب القبائل الزناتية على الخصوص، ومن ثم فإن هذه القبائل لن تبقى مكتوفة الأيدي بل ستواجهه، ولم يستبعد حماد أيضا أن تجتمع زناتة وتشكل قوة خطيرة تهدد عاصمته.

وانطلاقا من هذه المعطيات عمل حماد على اختيار موقع يكون بعيدا عن الزيريين من جهة الشرق وعن الزناتيين من جهة الغرب، ومن ثم وقع اختياره على موقع كان موضعا لقلعة حصينة تحصن فيها قائد أكبر ثورة هددت الوجود الفاطمي ببلاد المغرب، ونعني به أبو يزيد بن مخلد بن كيداد، وهي القلعة التي قال فيها الخليفة الفاطمي المنصور بعد حصاره لأبي يزيد « لو علم الفاسق (يقصد أبو يزيد) موضعا أوعر من هذه القلعة لصار إليه»^(٢٧).

كما أن حماد وإن اختار هذا الموضع الذي كانت فيه في الأصل قلعة إلا أنه لم يبن قلعته على أنقاض القلعة القديمة وإنما شيدها في أسفل الجبل من الناحية القبالية للقلعة الأولى، وفي هذا دافع سياسي كان يهدف من خلاله إيصال رسالة بطريقة غير مباشرة إلى باديس الزييري بأن له رغبة ذاتية في الظهور والتملك، وتظهر هذه الرغبة بصورة جلية في اختياره لموضع القلعة الذي لا يبعد عن مدينة المسيلة سوى ٢٦ كلم، إذ كان يمكنه الاستقرار بهذه المدينة، كما كان من الممكن أن يستقر في مدينة أشير التي عُين عليها واليا.

أما فيما يخص أثر العامل السياسي في تطور عمران القلعة فيمكن رصده في أمرين أساسيين، الأول اتخاذها عاصمة للدولة بداية من تأسيسها في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م إلى غاية بناء بجاية في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، وانتقال كرسي العرش إليها سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م، وخلال هذه الفترة عرفت الدولة الحمادية أزهى أيامها، فبعد أن مرت بمرحلة البناء والاستقلال عن الزيريين (٣٩٨-٤٠٦هـ/١٠٠٨-١٠١٦م)، ثم فرضت هيبتها على القبائل الزناتية المجاورة، ووصل ملكها غربا إلى تنس وحوض الشلف، وشرقا إلى ما وراء جبال الأوراس وتبسة، وجنوبا إلى ما وراء ورقلة^(٢٨).

الأمر الثاني يتمثل في الاستقرار السياسي بالقلعة، فقد اتسم الحكم الحمادي في بداية أمره بالاستقرار وعدم الصراعات فقد حكم حماد إلى غاية سنة

^(٢٧) - عماد الدين ادريس، المصدر السابق، ص ٤٣٧.

^(٢٨) - بو عزيز (بجوى)، «ملاحم من قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية»، عن مجلة الثقافة، العدد ٣٦، السنة ١٩٧٧، ص ١٥.

٤١٩هـ/١٠٢٨م، ثم خلفه ابنه القائد مدة خمس وعشرين سنة وتوفي في شهر رجب ٤٤٦هـ/أكتوبر ١٠٥٤م، ثم خلفه ابنه محسن، إلا أنه في عهد هذا الأخير ظهرت اضطرابات داخل البيت الحاكم قتل على إثرها محسن بعد تسعة أشهر من الحكم ثم خلفه ابن عمه بلكين بن محمد (٤٤٧-٤٥٤هـ/١٠٥٥-١٠٦٢م) ثم قتل وخلفه الناصر (٤٥٤-٤٨١هـ/١٠٦٢-١٠٨٨م)، ومن هنا يظهر أن الدولة الحمادية عرفت بالقلعة استقرارا داخليا لمدة حوالي ٤٦ سنة قبل أن تظهر الصراعات والاضطرابات.

وبالإضافة إلى الاستقرار الداخلي لم تشهد القلعة هجوما خارجيا قبل بناء بجاية- غير أربع مرات، الأول كان على يد الأمير باديس الزيري بين ٢٨ جمادي الأولى ٤٠٦هـ/١٣ نوفمبر ١٠١٥م و ٢٩ ذي القعدة ٤٠٦هـ/٩ ماي ١٠١٦م، وهجوم الأمير المعز بن باديس وحصاره للقلعة بين سنتي ٤٣٢-٤٣٤هـ/١٠٤٠-١٠٤٢م، الهجوم الثالث قاده علي بن ركان في حوالي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، أما الهجوم الرابع فكان من طرف قبائل بني هلال بعد معركة سببية (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)، وفي جميع هذه الحالات لم يقدر العدو على اقتحامها، وعلى العكس من ذلك كانت للحكام الحماديين سطوة كبيرة ووصلوا في غزواتهم وحرروبهم إلى فاس التي افتتحها الأمير بلقين بن محمد في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، وبعد دخول بني هلال بايع أهل تونس والقيروان وقسطيلية وصفاقس الأمير الحمادي الناصر ودخلوا في طاعته^(٢٩).

ب- العوامل الطبيعية:

ب-١- الحصانة الطبيعية:

تعد الحصانة الطبيعية أهم العوامل التي روعيت في اختيار الموقع، فقد كان حماد يدرك خطورة الموقف، وأنه واقع بين فكي كماش يمثله الزيرون من جهة الشرق والزناطين من جهة الغرب ومن ثم عمل على اختيار موقعا يكون محصنا طبيعيا، ويبدو أن حماد كانت له خبرة بالمنطقة، فقد رأينا بأنه ولي على أشير والمسيلة، ثم على أشير منذ تولي أخيه المنصور (٣٧٣-٣٨٦هـ/٩٨٣-٩٩٦م) حكم الدولة الزيرية، واستمر في عمله خلال حكم الأمير باديس وتوسعت ولايته لتصل إلى قسنطينة وتيجس والقصر الأفريقي^(٣٠).
وحسب المصادر التاريخية والجغرافية فإن قلعة بني حماد كانت ذات حصانة ومنعة طبيعية متميزة، حيث يقول بشأنها البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٥م):

^{٢٩} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧١-١٧٣. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢٧، ٤١، ٥٦، ٦٠-٦١.
^{٣٠} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٧، ١٥٨. أنظر أيضا: ابن الأثير (أبو الحسن علي)، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٧٦. بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ١٧-٢١.

«وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة»^(٣١)، بينما يفصل الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) أكثر في هذه الحصانة فيقول: «وهي في سند جبل سامي العلو، صعب الارتقاء، وقد استدار سورها بجميع الجبل، ويسمى تاقربست»، ثم يواصل الإدريسي حديثه ليحدد لنا نقطة ضعف القلعة والتي كانت في الجهة الشمالية منها في قوله: «وأعلى الجبل متصل بسيط من الأرض ومنه ملكت القلعة»^(٣٢).

صاحب كتاب الاستبصار (٦هـ/١٢م) يقول في هذا الشأن: «وهي-القلعة- في جبل عظيم، وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال»^(٣٣)، أما ياقوت الحموي فيذكر بأن حماد اختار موقع القلعة للتحصين والامتناع بها، وهو يشبهها بقلعة أنطاكية في حصانتها فيقول بأنها: «قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية»^(٣٤).

ابن الأثير يرى أن بقاء ملك حماد وورثته من بعده إنما يرجع لحصانة القلعة ومنعتها فيقول: «ولولا تلك القلعة لأخذ -حماد- سريعا وإنما امتنع هو وأولاده بعده بها، وهي من امنع الحصون»^(٣٥)، وفي موضع آخر يقول: «وهي من أحصن القلاع وأعلاها لا ترام، على رأس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها»^(٣٦).

وعلى الرغم من الهجمات التي تعرضت لها القلعة خلال هذه الفترة من قبل الزيريين، إلا أن الحصانة التي كانت تتمتع بها كانت لها درعا واقيا، ولم يستطع أعداؤها النيل منها، وقد كان أول هجوم من قبل الأمير الزيري باديس نصير الدولة بتاريخ ٢٨ جمادي الأولى ٤٠٦هـ/١٣ نوفمبر ١٠١٥م واستمر إلى غاية وفاة باديس في يوم ٢٩ ذي القعدة ٤٠٦هـ/٩ ماي ١٠١٦م^(٣٧)، أما الحصار الثاني فكان على يد المعز بن باديس في سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م وقد دام لسنتين، ولم يقدر على اقتحامها^(٣٨).

^{٣١} - البكري(ابو عبيد)، المصدر السابق، ص ٧١٠.

^{٣٢} - الإدريسي(ابو عبد الله محمد الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، القارة الافريقية وجزيرة الاندلس، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٠٩.

^{٣٣} - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٦٧.

^{٣٤} - الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٣.

^{٣٥} - ابن الأثير (ابو الحسن علي)، المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٧٢.

^{٣٦} - نفسه، ج ٩، ص ٣٧٣.

^{٣٧} - بوروية (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢٧.

^{٣٨} - يذكر ابن خلدون بان هذا الحصار دام لمدة طويلة في حين حددها ابن عذارى بسنتين إلا أنه يذكر بان بداية الحصار كانت في سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م. انظر: ابن خلدون=

لم يكتف الحماديون بالحصانة الطبيعية لمدينتهم، وإنما أحاطوها بسور من جميع جهاتها (أنظر المخطط الملحق والصورة رقم ١، ٢)، يمتد على مسافة ٧ كلم، بسمك يتراوح بين 1,20 و 1,60م، وهو يساير مرتفعات قمة الغورين في الجنوب الغربي، وجبل تقربوست في الجهة الشمالية، ويساير في الجهة الشرقية وادي فرج قبل أن يتسلق الجبل، وهو يأخذ شكلا غير منتظم، عرض نصفه الجنوبي أوسع بمرات كثيرة عن نصفه الشمالي الذي يمتد في شكل طولي.

فتحت في هذا السور ثلاثة أبواب، هي باب جراوة في الجهة الجنوبية الشرقية الذي يؤدي إلى برج غدير عبر قنطرة سيدي عيسى التي لا تبعد عنه سوى بحوالي ٢٨٠م جنوبا. باب الأقواس يقع في الجهة الشرقية، أما باب الجنان فيفتح في الجهة الغربية أسفل قمة الغورين. وتدعيما لسور القلعة أقام الحماديون برج المنار (أنظر الصورة رقم ٣) بالقرب من باب الأقواس وقد كان له دور في الاستطلاع، حيث كان مزودا بمرايا ترسل وتستقبل إشارات ضوئية من أماكن بعيدة تصل حسب بعض الأقوال إلى بجاية وتونس^(٣٩).

ب-٢- الموارد المائية:

يعد الماء من أبرز الشروط التي يؤكد عليها رواد الفكر العمراني، فهو المحرك الرئيسي لعجلة الحياة للإنسان والمدن بصفة عامة، ووجوده بموقع المدينة ومحيطها له انعكاسات كبيرة على نموها وتطورها، وكثيرا ما تشيد المصادر التاريخية والجغرافية بالمدن التي يتوفر فيها الماء.

وتعد قلعة بني حماد من المدن الوافرة بالمياه على اختلاف مصادرها، فهي من جهة مبنية على ضفة وادي فرج الذي يحدها من الجهة الشرقية، وقد وصفه صاحب كتاب الاستبصار بأنه: «نهر كبير»^(٤٠)، ولا يزال هذا النهر جاريا وتتدفق منه المياه بشكل كبير وقد وقفنا عليه في الزيارة الميدانية، وقد كان الحماديون يستغلون مياهه بعدما شيّدوا ساقية تربطه بأعلى المدينة حيث يقع باب الأقواس، ولا تزال بعض بقايا هذه الساقية ماثلة إلى يومنا هذا، وتقدر غزارته بـ ٦٠م^٣ في الثانية، ومعدله السنوي في حالة الفيضان يصل إلى

= (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧٢. ابن عذاري (المراكشي)، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٥.

^{٣٩} - بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣. أنظر أيضا: العربي (اسماعيل)، المرجع السابق، ص ١٢٣

MARÇAIS.G, op-cit, P.92. GOLVIN.L, Le Magrib central, op-cit, P185-186. De BEYLIE.L, op-cit, P. 32-34

^{٤٠} - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٦٨.

٦٣٧٩٠٠م^(٤١)، ومن خلال دراستنا لطبوغرافية الموقع تأكد امكانية جلب الماء إلى القلعة من هذا النهر حيث تبين أن الفتحة التي تقع عند باب الأقواس لا يزيد ارتفاعها على مستوى سطح البحر عن ١٠٥٦م بينما يأخذ النهر في الارتفاع عن هذا المستوى في النقطة المشار إليها في الصورة المرفقة بالبحث (أنظر الصورة رقم ٤)، ليتجاوز بداية من تلك النقطة مستوى ارتفاع باب الأقواس ويصل في بعض النقاط إلى ما يزيد عن ١١١٥م، كما توجد بالموقع وفي اسفل برج المنار بقايا لساقية^(٤٢) يمكن القول بشأنها أنها هي الأخرى كانت مجلوبة من نفس النهر ولأن مستواها منخفض مقارنة بالأجزاء العلوية من المدينة كقصر المنار ودار البحر فإنها كانت خاصة بحي جرواية الذي يوجد في مستوى أقل انخاضاً.

ويتغنى الشاعر ابن حماد في قصيدتين بعين كانت بالقلعة تسمى عين السلام جاء في القصيدة الأولى:

وهل أردن عين السلام على الصدى فابرد من حر الضلوع النواهل
أما في القصيدة الثانية فيصف فيها عذوبة وصفاء ماء عين السلام، فيقول:
على عين السلام صب غذاه ماؤها العذب النمير
تأود ايكها وجرت صباها وشمالها كما فتق العبير
وابرد ما يكون الماء فيها واندى حين يحتدم الهجير
وما ادري ايجري فوق در أم ابتسمت بمنبعها الثغور^(٤٣)

وبالإضافة إلى وادي فرج وعين السلام كانت القلعة تضم العديد من الآبار والصحاريح، ذكرتها المصادر كصاحب الاستبصار الذي أشار إلى صحريج دار البحر وقال بأنه: «صحريج عظيم تلعب فيه الزوارق يدخله ماء كثير»^(٤٤)، وقد أكدت الحفريات وجود هذا الصحريج (أنظر الصورة رقم ٥)، وهو يتوسط القصر ويعد اكبر الأحواض بالقلعة حيث يبلغ طوله ٦٧م وعرضه ٤٧م أما عمق فقد يصل إلى ١,6م^(٤٥).

^(٤١) - خرياش (عبدالنور)، نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد دراسة أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص ١٩، ١٨، ٢٥، ٢٦. يشير الباحث إلى أن امكانية جلب الماء من وادي فرج باتجاه باب الأقواس غير ممكنة لكن المعطيات الطبوغرافية مثلما اوضحناه في المتن تؤكد بأن الأمر ممكن، ويشير إلى أن القناة المارة عبر باب الأقواس مجلوبة من وادي الجفين وهو بعيد بشكل أكبر مقارنة وادي فرج.

^(٤٢) - نفسه، ص ٤٣.

^(٤٣) - ابن حماد (ابو عبدالله محمد الصنهاجي)، المصدر السابق، ص ١٤.

^(٤٤) - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٦٨.

^(٤٥) - (GOLVIN.L., Le Magrib central, op-cit, PP188-189.)

كما كشفت الحفريات عن وجود صهاريج أخرى، الأول يقع جنوبي المدينة وهو على شكل مستطيل ١٢×٦م وعمقه ١م، أما الثاني فهو يمثل الحوض العلوي لقصر المنار، وهو ذو شكل مستطيل ١١,٩٠×٤,٣٠م وعمقه ٠,٩م كان الماء يأتيه عبر قناة محفورة في الأرض، الحوض الثالث يعتبر الحوض السفلي لقصر المنار (أنظر الصورة رقم ٦) حيث يقع جنوب غربي الحوض العلوي وهو ينخفض على مستواه بمتريين غير أنه أكبر منه (٦,٦٥م) الحوض الرابع عثر عليه في صحن الجامع، وهو ذو مقاسات تقدر بـ ١١,١٥×٥,٤٠م وارتفاعه الداخلي ٢,٨٠م كان يزود بالماء عبر قناة، وهو مغطى بقبو تهدمت أجزاء منه (٤٦)

أما الآبار فقد كانت هي الأخرى عديدة مما يدل على توفر القلعة على مياه جوفية كثيرة، حيث تم الكشف عن مجموعة من الآبار في كل من دار البحر وقصر المنار، الأول مكون من حوض مستدير قطره الداخلي ١١,٨٥م وبجانبه ثلاث غرف مبنية تحت الأرض يوصل إليها الماء من الحوض عبر قناة، أما الثاني فهو يقع غربي القسم الجنوبي الأوسط من القصر، يتشكل هذا الجب من حوضين متوازيين طولهما ١٣,٨٥م وعرضهما ٣,٥٠م وارتفاعهما ٢,٥٠م، وهما يتصلان ببعضهما البعض بواسطة خمسة أبواب معقودة فتحت في السور الفاصل بينهما (٤٧)

ب-٣- الموارد الاقتصادية:

يمكن إدراج تحت هذا العنصر مجموعة من الشروط التي وضعها رجال الفكر العمراني الإسلامي، وهي تتمثل في طيب المزارع، وطيب المراعي، والقرب من الاحتطاب (٤٨)، إن هذه الشروط يمكن القول بأن القلعة كان لها نصيب كبير منها، فهي ذات تربة خصبة كما جاء في المصادر، حيث يذكر الإدريسي بأنها من أحسن البلاد خصبا وأغزرها خيرا وحنظتها رخيصة وأن الفلاحة بها «إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع، وأحوالهم صالحة» (٤٩).

صاحب كتاب الاستبصار هو الآخر يقول بأنها: «على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات» (٥٠) ويبدو أن المقصود من النظر العظيم هو سهل

(٤٦) - بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢١٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤. أنظر أيضا: BOURUIBA.R, L'art religieux musulman en Algérie, Alger, 1981, P.29.

(٤٧) - بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٢٧٢.

(٤٨) - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩١. أنظر أيضا: ابن أبي

زرع (علي الفاسي)، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٤٩) - الإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٥٠) - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٦٧.

الحضنة، أما ياقوت الحموي فيقول بأنها: «تحف بها رساتيق ذات غلة، وشجر مثمر كالتين والعنب في جبالها وليس بكثير»^(٥١).

ومن هنا نرى بأن القلعة كانت ذات تربة خصبة، وكانت حولها مزارع كثيرة وبساتين، خاصة في ظل وجود وادي فرج الذي من دون شك كانت تحف به جنات، وقد سمي أحد أبواب القلعة بباب الجنان نسبة إلى الجنات، مما يدل على أنه كان يفتح على جنات كبيرة تستحق أن تكون إسمًا لهذا الباب، الذي كان أحد الأبواب الثلاثة الرئيسية للمدينة.

وقد صاحب هذه التربة الخصبة والمزارع الوافرة المراعي الكثيرة والتميزة، ونستشف ذلك من نص الإدريسي الذي يقول بأن: «لحومها طيبة سميحة...كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم»^(٥٢)، فطيب اللحم وسمنه دلالة على جودة المراعي ووفرتها، كما أنها تدل على جودة الثروة الحيوانية، التي هي الأخرى من دون شك كانت كثيرة، فاشتهار القلعة بالصناعات النسيجية يعني وجود المادة الأولية وهي الصوف، والتي كانت على حسب ياقوت الحموي شديدة النعومة^(٥٣).

أما الاحتطاب فإن المصادر لا تتفي ولا تؤكد وجوده بالقلعة، ولكن حتى لو لم يكن بها فهو متوفر في المناطق المجاورة كجاية والقل وبونة^(٥٤)، و حسب بعض الدراسات الحديثة فإن الجبال التي تشرف على القلعة تكثر بها أشجار البلوط والعرعار والأرز والزيتون^(٥٥).

ب-٤- المعطيات المناخية:

أولت مصادر الفكر العمراني الإسلامي أهمية كبيرة لجودة الهواء واعتدال المكان، واعتبرت أن صحة الإنسان مرهونة به، وكثيرا ما أشادت بالمدن التي عرفت بطيب هوائها وصفاء جوها^(٥٦)، ومن هذه المدن قلعة بني حماد، حيث يذكر بشأنها الإدريسي: «والحنطة تخرزن بها العام والعامين، ولا يدخلها الفساد، ولا يعثر بها تغيير»^(٥٧).

^{٥١} - (الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٣.

^{٥٢} - (الإدريسي(أبو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص١١٧.

^{٥٣} - (الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٣.

^{٥٤} - (بورويبة(رشيد)، المرجع السابق، ص١٣٤.

^{٥٥} - (BEYSSADE.P, Monographie de la Commune Mixte des Maadid, Imprimerie Officielle, Alger, 1948, P11, 12, 15.

^{٥٦} - (ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج١، ص٢٩١.

^{٥٧} - (الإدريسي(أبو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص١١٧.

وقد أثبتت الكشوفات الأثرية وجود عدة مطامير بالقلعة، كذلك التي عثر عليها في صحن دار قريبة من قصر السلام^(٥٨). كما عبر ياقوت الحموي عن جودة هواء القلعة في قوله: «لأهلها صحة مزاج ليس لغيرها»^(٥٩).

ج-العامل الإقتصادي:

لقد استغل الحماديون الموارد الطبيعية التي كان يتوفر عليها الموضع والأقاليم القريبة منه، حيث استغلت خصوبة التربة في إقامة المزارع والجنات والحدائق، واستغلت المحاجر في البناء والتعمير، حيث يظهر استعمال الحجارة في أغلب المباني المكتشفة بالقلعة بداية من السور والجامع إلى دار البحر وقصر المنار، كما أنهم استغلوا الثروة النباتية والحيوانية و المعدنية في إقامة ورشات الحرف والصنائع، حيث كانت تصنع بالقلعة «أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقعة الا الوجدية التي تصنع بوجدة، يساوي كساء عيد من عمل القلعة ٣٠ ديناراً»^(٦٠)، وكانت تعرف هذه الأكسية بالأكسية القلعية وهي تتميز بنعومة صوفها ونسيجها المتقن والمطرزة بالذهب^(٦١).

كما تدل الصناعات الفخارية والخزفية على الرقي الفني الذي بلغه الفنان الحمادي بالقلعة، فقد تم العثور على بقايا فخارية وخزفية عديدة ومتنوعة الاشكال والزخارف، فقد عرف الحماديون الخزف بالمينا، وانتجوا الخزف ذي البريق المعدني^(٦٢)، وزينوا بناياتهم ببلاطات وفسيفساء خزفية ذات اشكال وزخارف والوان مختلفة^(٦٣).

الصناعات المعدنية هي الاخرى كانت متطورة بالقلعة، ولا زالت بقايا بعض التحف الى الآن، وهي معروضة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلامية والمتحف الوطني سيرتا والمتحف الوطني بسطيف، وهي عبارة عن مجموعة من الحلبي عبارة عن خواتم وابازيم واقراط ودبابيس، وتحف اخرى على شكل عصفرين ورجل اسد، وقطع معدنية مجهولة الهوية بعد تأكلها^(٦٤).

^{٥٨} - بورويبة(رشيد)، المرجع السابق، ص ١٣٠.

^{٥٩} - الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٣.

^{٦٠} - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٧٠.

^{٦١} - الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٣.

⁶² - (GOLVIN.L, Recherche, op-cit, PP195-216. ACHILLER.R, « La Kalaa de Beni Hammad», Recueil des Notice de la Société Archéologique du Département de Constantine, 1909, P.205.

⁶³ - (GOLVIN.L, Recherche, OP-CIT, P.199. – MARÇAIS.G, OP-CIT, P.99.

⁶⁴ - (GOLVIN.L, Recherche, OP-CIT, PP. 261,263,266,267,270,271.

انظر ايضا: بورويبة(رشيد)، مدن مندثرة تاهرت سدراثة اشير قلعة بني حماد، نشر وزارة الاعلام والثقافة، مركب الطبع رغاية، الجزائر، ١٩٨١، ص ١٢٦-١٢٧.

وبالإضافة الى هذه الصنائع شهدت القلعة صناعات اخرى، كالصناعات الزجاجية، حيث اكتشف فرن كان مستعمل خصيصا لهذه الحرفة، وحوله قطع زجاجية متناثرة عبارة عن اعناق ومصبات ومقايض^(٦٥).

إن انتشار الحرف والصنائع بالقلعة وتميزها عن غيرها بالجودة كما كان الحال بالنسبة للمنتجات النسيجية دفع بالقلعة إلى استقطاب التجار من نواحي وأقاليم عدة، فقد كانت حسب البكري «مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب»^(٦٦)، وقد ساعدها في الوصول إلى هذه المرتبة هو إشرافها على الطرق التجارية، حيث كان يربطها بالقيروان طريقان وطريق نحو تنس وطريق إلى بجاية^(٦٧)، وقد انعكس هذا على عمران المدينة فاستكثر بها حماد الفنادق، وقصدها من البلاد القاصية أرباب الصنائع لنفاق أسواق الحرف والصنائع بها^(٦٨).

د-العامل الاجتماعي:

لقد تظن حماد عند تأسيسه لقلعته للعامل الاجتماعي وأولى له أهمية بالغة، حيث أحضر قبيلة جراوة وأفرد لها حيا يقع في الركن الجنوبي الشرقي من القلعة يحيط به سور يفصله عن باقي الأحياء^(٦٩)، وأجبر سكان مدينتي المسيلة وحمزة للنزوح إليها بعد أن خربهما^(٧٠).

وتبدو حكمة حماد في اختياره للتركيبة البشرية التي ستتشكل منها قلعته، حيث عمل على تنويع هذه التركيبة، بحيث لا يمكن لأحد منها أن تشكل قوة خطيرة قد تهدد أمن المدينة وربما الدولة ككل، كما أنه حرص على التنويع حتى تتلاقح الأفكار والتجارب وتزدهر المعارف والحرف والصنائع بالقلعة، لقد كان بإمكان حماد أن يكتفي بنقل أهل المسيلة التي هي أقرب المدن (٢٦ كلم) إلى القلعة، ولكنه تعمد إحضار سكان من قبائل شتى، وهي التركيبة التي ازدادت تنوعا مع الوقت وصرنا نرى في القلعة سكانا مسيحيين خصصت لهم كنيسة وبعد غزو الهلاليين لتونس وفد عليها أهل القيروان^(٧١).

65 - (GOLVIN.L, Recherche, OP-CIT, P.235-245.

٦٦ - (البكري(ابو عبيد)، المصدر السابق، ج٢، ص٧١٠.

٦٧ - (الادريسي (ابو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص١٠٦، ١١٧-١١٨، ١٥٧-١٦٠.

٦٨ - (ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧١.

٦٩ - (الحموي(ياقوت)، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٣.

٧٠ - (ابن خلدون(عبدالرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧١.

٧١ - (ابن عذارى (المراكشي)، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٤. انظر ايضا: البكري(ابو عبيد)، المصدر السابق، ص ٧١٠. بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص٥٤، ١٥٨-١٦١.

MARÇAIS.G, «La Kalaa des Beni Hammad d'après deux Publications Récentes»,Reccueil des Notice de la Société Archéologique du Département de Constantine, 1908, P165.

لقد كان لتنوع التركيبة البشرية بالقلعة دور إيجابي في استقرار واستتباب الأمن داخل القلعة، حيث لم تسجل لنا المصادر التاريخية صراعات بين أحياء المدينة وسكانها، وانعكس -من دون شك- أيضا على الجانب الحرفي الذي تنوعت فيه المصنوعات تقنيا وفنيا.

وبفضل هذه العوامل وغيرها إستبحر عمران القلعة «واتسعت في التمدن ووصل إليها من الثغور القاصية البلد البعيد طلاب العلم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها»^(٧٢)، وصارت «من أكبر البلاد قطرا، وأكثرها خلقا، وأغزرها خيرا، وأوسعها أموالا، وأحسنها قصور ومساكن»^(٧٣)، كانت القلعة يقول صاحب الاستبصار «مدينة عظيمة... (بها) مباني عظيمة وقصور منيعة»^(٧٤).

٣- أسباب خراب القلعة:

من العرض السابق يظهر أن القلعة كانت تحتل موقعا استراتيجيا يتوفر على كل شروط الحياة حصانة طبيعية، مياه مستعذبة، تربة خصبة، موارد اقتصادية زراعية ورعية وصناعية، ومناخ ملائم وهواء نقي، فضلا عن مركزها الإداري، وبهذه العوامل اتسع عمرانها وتطور وصارت مدينة عظيمة يحتوي عمرانها على مختلف المرافق، مساجد قصور فنادق أسواق رائجة وتجارة رابحة، علماء وصناع وحرفيون، سكان من مختلف القبائل والأجناس ذوو ثقافات وتقاليد متنوعة، بربر وعرب ومسيح، كل هذا لم يكن مدعاة إلا لنمو القلعة واستبحار عمرانها ولم يكن داعيا إلى خرابها فأين الخلل؟

من خلال تتبع تاريخ القلعة يظهر لنا أنها مرت بمرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى تمتد بين سنتي ٣٩٨-٤٦١ هـ/ ١٠٠٨-١٠٦٨ م وفيها شهدت القلعة أزهى أيامها، فقد كانت مقرا وعاصمة للدولة الحمادية، تطور عمرانها وقصدها الناس من كل مكان، وعمرت أسواقها حتى صارت مدينة عظيمة.

أما المرحلة الثانية فيمكن تحديدها بين سنتي ٤٦١-٥٤٧ هـ/ ١٠٦٨-١١٥٢ م وفيها تم بناء مدينة بجاية وانتقل إليها كرسي الحكم وصارت العاصمة الرئيسية للدولة الحمادية، في حين بدأت القلعة تفقد أهميتها على الرغم من بعض الأعمال المعمارية التي أنشئت فيها خلال هذه المرحلة، كما هو الحال بالنسبة للمنصور الذي شيد بها قصر المنار وقصر الكوكب وقصر الملك، واستقر بها مدة سنتين في أول حكمه (٤٨١-٤٨٣ هـ/ ١٠٨٩-١٠٩١ م) قبل أن ينتقل إلى

^(٧٢) - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧١.

^(٧٣) - (الأدريسي) (أبو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص ١٠٩.

^(٧٤) - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

بجاية^(٧٥)، ثم عاد إليها في فترات لاحقة لكننا لا نملك التاريخ بالتحديد، حيث يذكر ابن خلدون أن المنصور بعد فتحه لتلمسان في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م «انكفأ راجعا إلى حضرته بالقلعة»^(٧٦).

وبعد وفاة المنصور سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م خلفه ابنه باديس وقد كان بالقلعة فخرج منها واستقر ببجاية إلى أن وافته المنية بها قبل أن يكمل سنة من حكمه، ثم خلفه أخوه العزيز الذي استقر هو الآخر ببجاية^(٧٧)، وفيه يقول ابن الخطيب: «هو الذي استوطن بجاية ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب»^(٧٨)، ومنذ ذلك التاريخ صارت بجاية هي العاصمة الأولى والرئيسية للدولة إلى غاية نهاية حكمهم، وقد كان آخر الأمراء الحماديين يحيى بن العزيز زار القلعة في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ونقل ما بقي بها من ذخائر إلى بجاية^(٧٩)، ولم يمر على القلعة وقت طويل حتى هاجمها الموحدون في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م وقتلوا بها ثمانية عشر ألفا وأضرموا في مساكنها النيران وخرّبوا عمرانها^(٨٠).

وبعد هذه التقدمة التاريخية تظهر معالم الظروف التي كانت وراء خراب القلعة والتي يمكن القول بأن بناء مدينة بجاية واتخاذها عاصمة للدولة يعد من أهم الأسباب وأبرزها، حيث كان بناء هذه المدينة في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م، ويرجع اختيار الناصر لموضعها واختطاطها لمشورة محمد بن البعبع وزير تميم بن المعز الذي بعثه لعقد الصلح مع الناصر، حيث يذكر ابن الأثير بأن محمد بن البعبع لما اختلا بالناصر قال له بأن: «تميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما بت إلا فيها لبعض الجند والرعية لتميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد إفريقية»^(٨١).

ومن خلال هذا النص يظهر أن الدافع إلى بناء بجاية هو اتخاذها ميناء تنطلق منه الجيوش الحمادية لحصار المهديّة عاصمة الزييين من الناحية البحرية وهي النقطة التي يمكن تملكها منها، خاصة وأن الناصر كانت له أطماع لضم إفريقية إلى ملكه منذ استنجد أهل القيروان وتونس وقسطيلية و صفاقس به بعد

^{٧٥} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧٤-١٧٦. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص٧٤، ٧٧.

^{٧٦} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧٦.

^{٧٧} - نفسه، ص١٧٦. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص٧٩، ٨٠.

^{٧٨} - ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام، جزء خاص بتاريخ بني حماد، تقديم رابح بونار، نشر بمجلة الأصالة، العدد ١٩، ١٩٧٤، ص٩٥.

^{٧٩} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧١.

^{٨٠} - نفسه، ص١٧٧. أنظر أيضا: أنظر أيضا: ابن الأثير (ابو الحسن علي)، المصدر

السابق، ج٩، ص٣٧٣. بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص١٠٦.

^{٨١} - ابن الأثير (ابو الحسن علي)، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٤.

انهزام الزيريين أمام الهلاليين وانحصارهم في المهديّة، ولما استتجدت به قبائل الأثبيج ضد رياح في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م وخرج إلى تونس في جيش من صنهاجة وزناتة وعرب الأثبيج وعدي، ومن جهة أخرى أمد الأمير الزيري تميم قبائل رياح المال والسلاح والتقوا الناصر في سببية إلا أن الناصر انهزم وولى راجعا إلى القلعة، كما عاود الكرة في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م، وحاصر الأربس حتى افتتحها، وفي السنة الموالية افتتح القيروان^(٨٢).

وإذا كان هذا هو الدافع من بناء بجاية حسب رواية ابن الأثير فإن لصاحب كتاب الاستبصار وابن خلدون رأي آخر، حيث يذكر الأول بأن المنصور -وفي الحقيقة هو الناصر- بعد هزيمة سببية لجأ إلى القلعة وبها: «نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعم حتى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده، فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية»^(٨٣).

أما ابن خلدون فيذكر بأن بنو هلال نازلوا القلعة «وخرّبوا جنباتها و أحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الأمصار ثم طبنة والمسيلة فخرّبوها، وأزعجوا ساكنيها وعطفوا، على المنازل والقرى والضياح والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه، واحتطبوا الشجر، واطهروا في الأرض الفساد، وهجروا ملوك إفريقيا والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار وملكوا عليهم الضواحي يتحينون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم، ولم يزل هذا دأبهم حتى هجر الناصر بن علناس سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية، ونقل إليها ذخيرته، وأعدّها لنزله، ونزلها المنصور من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل (بني هلال) وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواطهم واستقروا بها وتركوا القلعة»^(٨٤).

ومن هذه النصوص يظهر أن بناء بجاية على حسب ابن الأثير كان بغرض استخدامها نقطة انطلاق لمهاجمة المهديّة عاصمة بني زيري من الناحية البحرية، إلا أن هذا لم يحدث، فالمصادر التاريخية لا تذكر أي غزوة للناصر على المهديّة بحرية كانت أو برية بعد انتقاله إلى بجاية، وربما كانت أبعد نقطة

^{٨٢} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٧٣. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص٦١-٦٥. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٩. ابن الأثير (ابو الحسن علي)، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٢-٣٧٣.

^{٨٣} - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٢٩.

^{٨٤} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص١٩، ٢٠.

وصل إليها بعد تشييده بجاية هي القيروان التي افتتحها في سنة ١٠٦٨هـ/١٠٦٨م.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول أن الناصر كان له هذا الطموح إلا أن إمكانياته لم تكن تسمح بذلك، حيث لا توجد هناك إشارة إلى استغلال الحماديين للأسطول البحري قبل عهد العزيز بن المنصور الذي فتح به جزيرة جربة، ومن بعده استعان يحيى بن العزيز، بالأسطول البحري وحاصر المهديّة برا وبحرا خلال سنة ١١٣٦هـ/١١٣٦م^(٨٥).

أما صاحب كتاب الاستبصار وابن خلدون فهما يربطان الحدث بغزو بني هلال لبلاد الحماديين وتغلبهم عليها وتضييقهم الخناق على الناصر وحصاره في القلعة، بعد أن خربوا القرى والمدن، وأزعجوا السكان، وفرضوا عليهم الإتاوات والمغارم، وصعب على الناصر التحكم في بلاده، ورد المظالم عنهم، الأمر الذي دفع بالناصر إلى اختيار موضع موصول بالبحر يصعب على بني هلال حصاره.

ويبدو أن لهذا الرأي ما يسندّه تاريخياً، حيث يشهد التاريخ أن الحماديين في مواجهاتهم للهلاليين لم يسجلوا سوى الهزائم والانتكاسات، حيث تذكر المصادر أن المعز بن باديس استنجد بالقائد بن حماد لرد القبائل الهلالية عن القيروان، فأرسل إليه كتيبة من ألف فارس، إلا أن الجيش الصنهاجي انهزم في نهاية الأمر، وتملك بنو هلال القيروان في سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)^(٨٦)، ثم تقدم الهلاليون إلى المغرب الأوسط، وحاول الحماديون صدهم لكن من دون جدوى، كما حاولت قبائل زناتة ردهم وانهزمت هي الأخرى أمامهم، ولم يجد الحماديون غير اللجوء إلى الصلح، واكتفوا بإدارة المدن في حين تملك بنو هلال الأرياف^(٨٧).

وفي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م أجاب الناصر بن علناس دعوة قبائل الأثبيج وعدي وخرج معهم لحرب قبائل رياح بافريقية إلا أنهم انهزموا في معركة سببية بعد أن تخاذلوا فيما بينهم، واستغلت القبائل الهلالية الموقف وتقدمت إلى البلاد

^(٨٥) - نفسه، ص ١٦١-١٦٢. انظر أيضا: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٢. ابن أبي دينار (ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم)، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، مطبعة النهضة بتونس، ١٣٥٠هـ، ص ٨٥. بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص ٩٤-٩٨، ١٢٨.

^(٨٦) - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥. انظر أيضا: عبد الحميد (سعد زغلول)، تاريخ المغرب الكبير، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩٠، ج ٣، ص ٤٢٩-٤٣٧.

^(٨٧) - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٩-٢٠. انظر أيضا: عبد الحميد (سعد زغلول)، المرجع السابق، ص ٤٢٩-٤٣٧.

الحمادية وحاصروا الناصر بالقلعة، وملكوا ما جاورها من المدن والقرى^(٨٨)، ومن ثم أدرك الناصر خطورة الموقف، فهو من جهة لم يكن قادرا على مواجهة هذه القبائل، ومن جهة ثانية لم تكن هناك قوة يمكنه أن يستند بها، حيث كانت الدولة الزيرية جروحها لم تلتئم بعد، وكانت قبائل زناتة ربما هي الملجأ الأخير إلا أنها هي الأخرى لم تصمد أمام الهلاليين، وهنا يمكن لنا أن نتساءل ألم يكن بمقدور الناصر أن يصمد بالقلعة ويتحصن بها خاصة وأن القلعة اشتهرت بحصانتها؟.

إن المعطيات التاريخية تشهد على أن القلعة كانت حصينة، فقد سبق وأن حوصرت أربع مرات (الأول: ٤٠٦هـ - ١٠١٥-١٠١٦م، الثاني: ٤٣٢-٤٣٤هـ/١٠٤٠-١٠٤٢م، الثالث: حوالي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، الرابع: ٤٥٧هـ/١٠٦٥م) ولم يقدر الأعداء على فتحها وولوا على أعقابهم خائنين^(٨٩)، أما الهجوم الذي سبق الحصار الأول وفتحت أثناءه القلعة، فإن ذلك يرجع إلى أسباب خارجة عن نطاق الحصانة، حيث قرر حماد الخروج من القلعة وعدم التحصن بها وملاقاة العدو بعيدا عنها ليمنعها من الخراب، ولم يترك فيها إلا حامية صغيرة بقيادة إبراهيم، لكن هذا الأخير لما رأى الأمير باديس صرف إليها جيشا لفتحها قام بتخريبها نكاية في العدو^(٩٠).

ولما انهزم حماد وتفرق جمعه وحفائه من زناتة الذين لجأ إليهم، ورأى ما لحق بالقلعة من ضرر، قرر العودة إليها، والتحصن بها، وجمع المؤونة اللازمة، وهنا لابد أن نقف عند هذه الحادثة لننتبين الأسباب الحقيقية التي كانت وراء خروج حماد من قلعته وعدم التحصن بها في أول الأمر، إذ لا يمكن تقبل أن حماد كان يظن أن خروجه منها سيلفت نظر العدو عنها، فالقلعة كانت بالنسبة لحماد وورثته «مركزا لذخائرهم ومستودع أسلحتهم»^(٩١)، وقد كان باديس من دون شك يدرك هذا تماما فشن عليها هجوما.

يبدو أن خروج حماد من القلعة لم يكن بداعي عدم إيمانه بحصانتها وإنما كان يفتقد إلى الثقة في قدرة قوته على تحمل الهجوم، ولذلك قرر الخروج منها والبحث عن حلفاء آخرين يقوي بهم عضده، وكان ذلك الحليف بعض من قبائل زناتة، لكنها في الأخير خذلتهم وانحازت إلى باديس، ويبدو أيضا أن حماد لم يكن يثق فقط في القدرة العسكرية لجنده وإنما في ولائهم له، وقد سبق وان لدغ من هذا الحجر مرات، وعبر عن هذا الشعور صراحة لما رأى موكب وفاة

^{٨٨} - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٩. انظر أيضا: ابن الأثير (ابو الحسن علي)، المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٧٢-٣٧٣.

^{٨٩} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧١-١٧٣.

^{٩٠} - ابن عذارى (المراكشي)، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٥-٢٦٨.

^{٩١} - (الادريسي) (ابو عبد الله محمد الشريف)، المصدر السابق، ص ١١٧.

الأمير باديس والجند ملتف حوله فقال: «مثل هؤلاء يخدم الملوك، وصلت أنا إلى افريقية في ثلاثين ألف فارس، ما منهم إلا من أحسنت إليه، وأنعمت عليه، فعدت إلى القلعة، وما بقي معي منهم إلا أقل من ستمائة، وأنا بين أظهرهم أرجى، وهذا ميت أطاعه هؤلاء كما كان حيا»^(٩٢).

وإذا كان هذا هو الحال مع حماد فإن الناصر بن علناس احتفى بالقلعة في أول هجوم تعرض له من طرف قبائل بني هلال خلال سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م وتحصن بها مدة جاوزت ثلاث سنوات، وعلى الرغم من صمود القلعة في وجه بني هلال إلا أنه قرر في الأخير اللجوء إلى مدينة بجاية في سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م^(٩٣).

ويبدو أن لجوء الناصر إلى بجاية لم يكن بدافع إحساسه بأن القلعة لا يمكنها أن تصمد أمام الهلاليين، وإنما كان بسبب عدم قدرته على تحمل التخريب والتدمير وقطع الطرق والمواصلات التي ستعزل المدينة عن عالمها الخارجي، ولذلك لجأ إلى بناء مدينة بجاية، التي وإن حاصرها بنو هلال من البر فإن المؤن ستبقى ترد عليها من البحر، وهي نفس الطريقة التي اهتدى إليها المعز بن باديس، لما تخلى عن القيروان ولجأ إلى المهديّة^(٩٤).

ومن هنا يظهر أن رأي ابن الأثير يكمل ما جاء به كل من صاحب كتاب الاستبصار وابن خلدون، حيث يمكن القول أن خراب القلعة أساسا مرده إلى: أولاً: بناء مدينة بجاية وانتقال كرسي الحكم إليها، وأن هذا كان يستجيب لعدة معطيات أهمها:

● هجوم القبائل الهلالية وتملكها لمعظم المدن والقرى و الأرياف المحيطة بالقلعة، مما جعل القلعة تعيش وكأنها في معزل عن عالمها الخارجي، الأمر الذي دفع بالناصر إلى اختيار موضع بجاية المبنية على البحر، وهو المنفذ الذي لم يكن بمقدور بنو هلال استغلاله.

● تطلع الحماديين إلى ملك افريقية خاصة و أن الدولة الزيرية كانت تمر بفترات ضعف رهيبية، وقد كان هذا يتطلب من الحماديين التقرب إلى البحر و بناء أسطول يمكن من خلاله مهاجمة مدينة المهديّة عاصمة الزيريين.

ثانياً: الهجومات المدمرة التي تعرضت لها القلعة وتمكن الأعداء من خلالها فتح أبوابها واقتحام أسوارها وتخريب عمرانها والتي نذكر من أهمها:

^{٩٢} - ابن عذارى (المراكشي)، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٨.

^{٩٣} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٩. انظر أيضا: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٩.

^{٩٤} - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٩. انظر أيضا: عبد الحميد (سعد زغلول)، المرجع السابق، ص ٤٣٦-٤٣٨.

- هجوم الموحدين في سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م^(٩٥).
- هجوم بنو غانية في حوالي سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م^(٩٦).

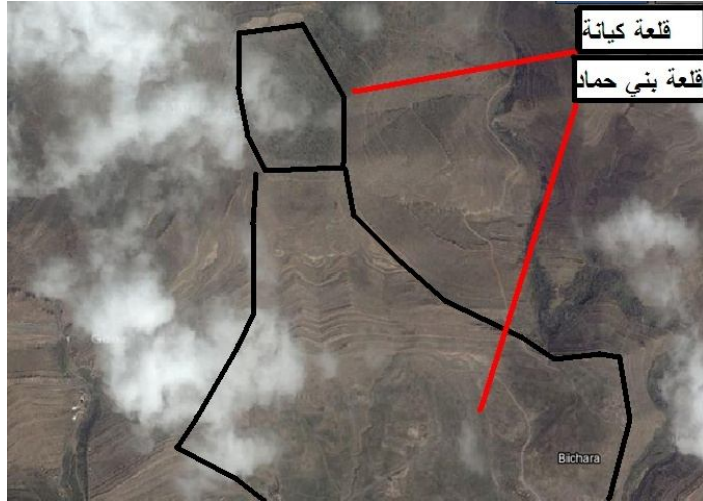
خاتمة:

هكذا إذا نشأت القلعة في مكان تتوفر فيه كل شروط التمدن، واستطاعت في ظرف وجيز (٤٠٨-٤٦١هـ/١٠١٩-١٠٦٨م) أن تكسب شهرة بين المدن، بل وتنافس مدنا تاريخية كالمهدية وفاس والقيروان، لكن بعد هذه الفترة تغيرت الأوضاع، وعرفت بلاد المغرب ظهور قوى، وأطرافا جديدة، ساهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في دخول القلعة مرحلة الأفول، ففقدت ثقلها السياسي، ومركزها الإداري كعاصمة للدولة الحمادية، لتشهد في خاتمة المطاف، هجومات عنيفة على يد الموحدين، ومن بعدهم بنو غانية حولتها إلى خراب.

^{٩٥} - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج٦، ص ١٧٧، ١٩١.

^{٩٦} - نفسه، ج٦، ص ١٩١. أنظر أيضا: سالم (السيد عبد العزيز)، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٠٣.

مخطط قلعة بني حماد عن دي بيلي



الصورة ١: منظر عام لموقع القلعة (قلعة كيانة و قلعة بني حماد)



الصورة ٣: مخطط توضيحي لإمكانية جلب الماء بالقلعة من وادي فرج

الصورة ٢: جزء من بقايا سور القلعة



الصورة ٥: بقايا صهريج قصر المنار

الصورة ٤: بقايا صهريج قصر البحر

التأثيرات الحضارية المتبادلة على الفخار في الساحل الغربي للخليج العربي من الألف الخامس قبل الميلاد الى نهاية العصر الحديدي

أ.د. /علاء الدين عبدالمحسن شاهين*
أ. / سلطان مطلق الدويش**

مقدمة

يعتبر فخار العبيد أقدم فخار عثر عليه بمواقع ساحل الخليج الغربي ويصنع من مادة طينية خضراء مخلوطة بالقش ومصنوعة على العجلة الفخارية ويحمل الأشكال والأنماط الزخرفية التي يمكن أن نربطها بالمرحلتين الثانية والثالثة العبيدية والتي تنتشر في مواقع الخليج العربي (٥٠ موقعاً أغلبها وجد بها الفخار الملون)، كما تتميز مراكز الخليج بالفخار المحلي الأحمر اللون والمعمول من مادة طينية مخلوطة بالرمل والتي شكّلت في البداية باليد بدءاً من مرحلة العصر النحاسي.

تتميز هذه الفترة بوجود كسر من الفخار الملون المطابق لذلك النوع الموجود في القرى الزراعية لحضارة العبيد^(١) في جنوب العراق . كما وجدت هذه الكسر بشكل خاص في مستوطنات صيادي السمك في المرخ والمواقع المماثلة في الساحل الغربي للخليج. إن الأساس المشترك بين مجموعة المواقع العبيدية في الخليج العربي وبين المواقع العراقية يتمثل في تشابه فخارها الملون من نماذج صناعة الفخار العبيدية مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف صناعة الفخار السمج والآلات الصوانية عن الصناعات المماثلة من مواقع العراقية ، اي انها تكشف عن تقاليد صناعات محلية^(٢) . ويتميز فخار العبيد بزخرفته الجميلة ويظهر وجه الآنية وكأنه قطعة زخرفية واحدة ، والزخرفة على الأواني الفخارية تحمل خطوطاً متوازية أو متقطعة أو متعرجة^(٣) . وجدير بالذكر أنه

* أستاذ دكتور – كلية الآثار – جامعة القاهرة

** إدارة الآثار - الكويت

^١ سُمي لغة بهذا الاسم بعد اكتشافه لأول مرة في تل العبيد بالقرب من مدينة أور القديمة، وقد اتضحت أنواعه بصورة دقيقة بعد التحريات التي جرت في مواقع قروية أخرى مثل أور، واريبدو، وحاج محمد في الجنوب، وتبه كورا وتل الأريجية وتل حسونة في الشمال ، لقد انتشر هذا الفخار في جميع أرجاء بلاد الرافدين وفي البلاد المجاورة مثل سوريا، والأناضول، وسواحل الخليج العربي، وإيران : تقي الدباغ ، الفخار في عصور ما قبل التاريخ ، ج٣، بغداد ، ١٩٨٥، ص٢٠

^٢ رضا جواد الهاشمي ، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، طبع في ج بغداد ، بغداد، ١٩٨٤ ، ص١١١.

^٣ سليمان البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق.م ، الكويت ١٩٧٤،

ص ٥٢

في مواقع شمال جون الكويت كشف عن أهم مواقع الفخار في الخليج العربي وهما موقعي طبيج (H3)^(٤)، وبحره ١ شمال دولة الكويت.^(٥) في الألف الرابع قبل الميلاد يعتبر الإناء الفخاري ، والذي يسمى لدى الأثاريين بالإناء ذي الحافة المائلة ، والذي عثر عليه في مدافن الخليج في الألف الرابع قبل الميلاد في ابقيق ومدافن الصبية (SBHG17)^(٦) ومدافن طوى سليم وطوى سعيد في عمان^(٧)، وفي مدافن حفيت في الإمارات^٨ وهو يُعدُّ أبرز فخار لهذا العصر ، حيث صمم الإناء بطريقة القالب على عكس الفخار الذي يصنع بالدولاب السريع^(٩). وقد وشاعت صناعة هذا الإناء في حضارة جمده نصر في بلاد الرافدين. "فخاريات الألفين الثالث والثاني ق.م هي الفخاريات المعروفة بفخاريات هارابا ، الموقع الأثاري المشهور في وادي السند . وقد عثر عليها في مواضع متعددة من منطقة الخليج العربي مثل قلعة البحرين ورأس الجنز بعمان^(١٠) ، وتتميز بكونها فخاريات متوسطة الخشونة أو غير مصقولة ، ذات صبغة حمراء ، وأحياناً تكون رقيقة ، وهي غالباً ذات زخارف ورسومات^(١١)." وقد اعتبرت هذه الفخاريات دليلاً على التبادل التجاري بين المنطقتين خلال العصر البرونزي.^(١٢)

^٤ روبرت كارتر ، فخاريات امنطقة ج ، موقع H3 ، تقرير اسبوعي ، الكويت ، ترجمة بارعة النقيب ، ٢٠٠٢ ، ص ١ .

^٥ Lukasz rutkowski , Some Remarks about Safeguarding Archaeological Sites of the AS-Sabbiya Region, Kuwait , 2011, p3.

^٦ سلطان مطلق الدويش ، مدافن مدينة الصبية بدولة الكويت ، دراسة أثرية ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم - قسم شبة الجزيرة العربية ، ٢٠٠٩ ، ص ٨٤ .

^٧ دى كاردي وأخرون ، أعمال التنقيب في منطقتي طوى سليم وطوى سعيد في المنطقة الشرقية عام ١٩٧٨ ، ط١ ، وزارة الثقافة والتراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٤ ، ص ٤٠ .

^٨ معاوية ابراهيم ، المدافن في الخليج العربي ، ط١ ، ص ١٣٥ .

^٩ ديفد وجوان ، نشؤ الحضارة، ترجمة لطفي الخوري، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٦٦ .

^{١٠} خليفة الراسبي ، رأس الجنز ، ندوة الخليج الاولى لدول مجلس التعاون الخليجي ، ٢٠٠٣ ، دولة الكويت ، ص ١٠٧ .

^{١١} kervan M, " Indian ceramics : in Southern Iran and Eastern Arabia Repertory , Classification and Chronology " in Traditition and Archaeology . pp. 38-39 .

^{١٢} حمد بن صراي " العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبة القارة الهندية وجنوبي شرق آسيا من ق.٣ق.م إلى ق.م " ط١ ، الجمعية التاريخية السعودية ، الإصدار العشرون ، ٢٠٠٦ ، ص ٢١٥

التأثيرات الفخارية لحضارة العبيد خلال الألف الخامس قبل الميلاد

لاشك أن فخار العبيد يمتاز بشدة حرقه ، بحيث يكتسب طينة لوناً أخضر وصلابة شديدة ويكون في هذه الطين شي من التبن في غالب الأحيان ، وأشكال أنية دور العبيد متعددة ومنتظمة ، متقنة الصنع ، رقيقة الجوانب، ومنها الصحن الجميل المكتشف في تبة كورا (٤١١٥٢ م ع) والأسفاط والأطباق ذوات الحافة المائلة إلى الخارج المصبوغة بخطوط عريضة سوداء (٦٨٥٨ م ع).....^(١٣). وقد صنعت أنواع فاخرة من الأواني الفخارية خلال عصر العبيد الثاني في بلاد الرافدين لها لون واحد، ومزخرفة بخطوط هندسية غالباً^(١٤)، كُشِفَ عن مثيلات لها في مواقع الخليج العربي . ينقسم الفخار في مستوطنات الخليج العربي إلى قسمين رئيسيين: الفخار الأحمر^(١٥) ، المصنوع محلياً وهو مصنوع يدوياً ، ولم يتعرض لدرجة حرارة أكثر من ٦٠٠ درجة ومن المحتمل في عدم وجود أفران أنه تعرض للحرق وهذا يظهر من شكل الفخار الأحمر في الأطراف والأسود في وسط بنية الفخار ، ويستخدم في الحياة اليومية ، ويتكون من القدور والطاسات، والأكواب ، وتبلغ نسبته في مستوطنات العبيد الرئيسة في شرق السعودية والكويت ٢٠ % . أما الفخار الآخر فهو فخار مستورد من بلاد الرافدين عن طريق التجارة، وهو جيد الصناعة صُنِعَ في أفران، ولون طينته أخضر عليه زخارف ورسوم أغلبها هندسية وهو شبيه لفخار بلاد الرافدين خلال فترة العبيد المبكرة ، ويستخدم في الحفلات والمناسبات الرسمية^(١٦) أهم القرى التي تعود إلى حضارة العبيد في سواحل غرب الخليج ووجد بها كميات كبيرة من الفخار عين قناص^(١٧) ، الدوسرية^(١٨) ، أبو خميس^(١٩) / شرق السعودية ، موقع طبيح H3^(٢٠) ،

^{١٣} فرج بصمجي " بحث في الفخار - صناعته وأنواعه في العراق القديم " سومر العدد ٤ ، ١٩٤٨ ، ص ٤٦

^{١٤} سلطان محيسن ، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ - المزارعون الأوائل ، دمشق ، الابجدية ص ١١٢

^{١٥} عثر عليه في الصبية ، وأبو خميس، والدوسرية، عين السيج، والخور، وجزيرة دلما، ومراوح دلما، ومراوح

^{١٦} حسب رأي للدكتورة أن خبيزة في فخار ما قبل التاريخ وعضوة البعثة البولندية في الكويت .

^{١٧} H.A,McCLURE AND N . Y AL-SHAikh , Palaeogeography of an Ubaid archaeological site, Saudi Arabia , , Arabian archaeology and epigraphy , 1993, p 113

^{١٨} A. .H. Masry , prehistory in northeastern Arabia ; the problem of interregional interation . field research projects , coconut grove florida , 199. p 781

^{١٩} A. .H. Masry , prehistory in northeastern Arabia ; the problem of interregional interation . field research projects , coconut grove florida 1991.p 87

^{٢٠} Cartr&, Crawford Maritime interactions in the Arabian Neolithic , Evidence From H3, AS -Sabiyah, an ubaid -Related Site in Kuwait, Leiden.Boston 2010 : 3,17:18

بحرة ١ (٢١) / الصبية شمال الكويت ، وجزيرة مراوح (مروح)، (٢٢) الإمارات العربية المتحدة .

وموقع حليلة في الجانب الإيراني قرب بوشهر حيث يوجد بها فخاريات تشابه فخاريات الصبية وحجي محمد (عبد ٢)

تأثيرات فخار الألف الرابع قبل الميلاد خلال الألف الرابع قبل الميلاد

تتضمن اللقى النادرة التي عُثِرَ عليها في سواحل غربي الخليج العربي ، ويحتمل أن يعود تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، مجموعة من اللقى جرى تحديد تاريخها على أساس ترابط مزعوم بينها وبين نماذج فترة الوركاء المتأخر في بلاد الرافدين الجنوبية. (٢٣)

ويرجح أن بعض المواقع التي عثر عليها في ساحل عمان كانت عبارة عن أكوام من الأصداف والقواقع البحرية والكثير من عظام الرخويات، وهو ما فسره بعض العلماء بأن هذه المواقع كانت مقراً لهؤلاء الصيادين خلال الألف الرابع قبل الميلاد. (٢٤)

ويتميز فخار هذه الفترة بالجرار الصغيرة ذات الحواف المائلة إلى الخارج ، والقواعد البارزة ، وتتركز الزخارف في أجزائها العليا ، وأخرى بيضاوية الشكل ، بقواعد مسواه ورقاب قصيرة بحواف ممسوحة ، وتحت الرقبة قُسمت الأبدان إلى قطع بأشكال شبة منحرفة. (٢٥)

وهناك من يرى ان فخار حفيت تطور تدريجيا من جرار ذات شفاه مائلة للخارج ظهرت في موقع شهري سخطة في الطبقات ١٠-٨ والتي أورشخت الى ٣٢٠٠-٢٧٠٠ ق.م الى جرار أسطوانية صغيرة ذات شفاه مائلة للخارج ورقاب اسطوانية ، ويعتقد ان تطور الفخار الايراني ظهر في مدافن حفيت وان تاريخه يعود الى نحو ٢٨٠٠-٢٧٠٠ ق.م^{٢٦} أنظر خريطة رقم (٢) توضح توضح انتشار فخار الألف الرابع قبل الميلاد

²¹ lukaszRutkowski , AS – Sabbiya , Kuwaiti- Polish , Archaeological Mission ,2007-2010, Warsa-ALAHRA 2011, , p 42

²² Mark Beech , the late stone age south – eastern Arabia , new results from excavations on Marawah Island and umm Az-zamul, Abu Dhabi , Emirate , uae , Archoeology of the arabian peninsula through the ages , 2006 , p113 .

^{٢٣} كالى .س م أسانتوني ، المسح الأثري في امارة الشارقة ، إدارة الإعلام والثقافة ، الشارقة ، التقرير ، الثالث ، ط٢ ، ١٩٩٧ ، ص ١٢

^{٢٤} دانيال ت. بوتس ، الخليج العربي في العصور القديمة ، ج ١ ، ط ١ ، ترجمة إبراهيم خوري ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٠

^{٢٥} بدرية عبدالله الهزاني ، اقتصاد ماجان وتأثيراته على صلاتها وثقافتها ٢٥٠٠-١٩٥٠ ق.م، رسالة الماجستير، قسم التاريخ / كلية الآداب ،جامعة الملك سعود ، ١٩٩٧ ص ١٨٤

²⁶ Tosi, M, , The dating of Umm An- nar culture and a proposed sequence for oman in the third millennium B.C. , JOS .VOL , 1976.P90

جرار صغيرة مشابهه لجرار وُجِدَت في جبل حفيت، وسوسة، وفي وثبة يحي بايران ، وفي بلاد الرافدين وفي أوورك^(٢٧)

فخار الألف الثالث قبل الميلاد :

فخار أم النار

في الألف الثالث ق.م ظهر فخار أم النار في شبه جزيرة عمان ، والذي يمتاز بأنه مصنوع بواسطة العجلة ومادته من الطين الناعم وبعض الأواني مصنوع من الطين المخلوط بالرمل وخاصة تلك الأواني الفخارية الخشنة والكبيرة ، وتراوح ارتفاع الأواني الصغيرة من ١٠-١ سم ، وبعضها يبلغ ارتفاعه ٦ سم ، ورقابها قصيرة وحوافها مائلة إلى الخارج ، وتأخذ الأواني الكروية شكلا كرويا أو شكل مزهرية بجسم مخروطي أسفل الأكتاف التي تأخذ شكلا مائلا ، ولها قواعد عريضة ، وجميع الأواني باستثناء الكبيرة تحمل زخرفة مطلية ، وتقتصر الزخرفة على الجزء العلوي من الأواني، وأحيانا تغطيها كلها وتمتد إلى داخل الإناء ، وتتألف الزخرفة من خطوط مائلة أو مثلثات أو صفوف من الخطوط أو شبة دائري وتطلى باللون الأسود وأحيانا تحمل الزخرفة أشكال حيوانات.^(٢٨)

جرار فخارية من الساحل الغربي للخليج العربي متأثرة بفخار عصر فجر السلالات :

١- جرة فخارية تتميز بوجود زخرفة لأشكال حيوانية من عصر فجر السلالات ، اكتشفت في مدفن حقل أبيق جنوب شرق المملكة العربية السعودية.^(٢٩)
٢- جرة فخارية من عهد فجر السلالات ، اكتشفت في جزيرة تاروت^(٣٠) وهو الفخار المصنوع محليا وأن كانت فيه محاولة لتقليد أشكال الفخار الأجنبي ، وبشكل خاص يمثله من فخار فجر السلالات ونوع من أواني الخزف ذات النتوءات في شكل السلاسل^{٣١}

"أولا :فخار فجر السلالات الأخضر، عثر عليه في موقع الرفيعه ، في شرق المملكة العربية السعودية على قطعة واحدة من هذا الفخار المقلد ، وهو مصنوع من عجينة

²⁷ - D.T. Potts - Before the Emirates: an Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 BC to 676 AD , p 37

^{٢٨} سليمان البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٧٤م ، ص ١٥٩

²⁹ piesinger .c.m (1983) legacy of dilmun : the roost of ancients maritime trade in eastesn coastal Arabia in the 4-3 millennium B.C, Thesis . un Wisconsin . p 268

³⁰ Crawford .H. op .cit, p 45

^{٣١} جمال سعد عمر ، التجارة في الخليج العربي في الألف الثالث ق.م رسالة دكتوراة ، جامعة الملك سعود ، قسم الآثار والمتاحف ، ١٤١٢هـ ، ص ١٣٢

خضراء صفراوية على السطحين ، بة شوائب من حبيبات الرمل الناعم ، سماكته ٠.٤ سم - ٠.٦ سم^{٣٢}

ثانيا : فخار فجر السلالات الأحمر ويندرج تحت هذا النوع العديد من العناصر المقلدة
١- فخار فجر اسلالت الأحمر ، مادة هذا الفخار أحمر قرميدي غير مبطن متوسط الخشونة خلطنته متوسطة الحبيبات ، سماكته ٠.٤ - ١.٣ سم ، وعثر عليه بكميات كبيرة في مقابر بقيق / شرق السعودية ويمثل ٥٥% من فخار الموقع وتوجد لهذا النوع من الفخار أشكال شبيهه من عهد فجر السلالات في وادي الرافدين وأشكال خاصة في شرق الجزيرة العربية ، ولهذا تعتقد باسنجر: أنه مصنوع في هذه المنطقة بالذات وبالتحديد منطقة بقيق وأن أشكاله هي نسخة من أواني عصر فجر السلالات من وادي الرافدين، تتميز أواني فخار فجر لسلالات الاحمر بأنها عالية مرتفعه الكتف، منها ماهو بحزوز على الكتف وزخرفة نقاط ، وتوجد أواني خزن كبيرة البدن عنقها العمودي متصل بالبدن بدون ثنية ، ونوع أخر من أواني الخزن قاعدة مستوية ، أو على شكل حلقة ، وثمة أواني كروية الشكل بلا حافة بعضها مزخرف بحز أسفل الفوهة ، والقصات بفوهة واسعة عليها زخرفة نتوات بشكل سلسلة ، أما الحافة فهي بارزة عن البدن وعبارة عن اطار متوسط العرض ، يصلها بالبدن عنق قصير ويوجد ما يقابل الأشكال المذكور أعلاه وزخارفها من عصر فجر السلالات من وادي الرافدين في كل لاجاش وأوروك والعبيد ونيبور وأور وتل أسمر وخفاجي"^(٣٣)

٢- فخار فجر السلالات : يتميز هذا الصنف بمادته المتوسطة والمنعم على سطحه الداخلي والخارجي ومبطن بالقار من الداخل والخارج ، وعثر قطعه واحدة منه مبطنه ببطانه حمراء من الداخل وفي مدافن هيلي عثر أواني فخارية تؤرخ الى فترة السلالات الباكرة وتشابه تلك التي عثر في تل عقرب في بلاد الرافدين.^(٣٤)

فخار الألف الثاني قبل الميلاد (فخار ديلمون ٩) :

يعتبر فخار فترة باربار نسبة إلى قرية باربار في البحرين من ابرز أنواع الفخار الديلموني ، ويتميز فخار باربار بوجه عام بأنه عبارة عن جرار كبيرة الشكل ذات بسيط متخنة نحو الداخل أو مطوية، وله أعناق ضيقة يتراوح طولها بين ٣-٥ سم . ويلاحظ

^{٣٢} جمال سعد عمر ، التجارة في الخليج العربي في الألف الثالث ق.م رسالة دكتوراة ،

جامعة الملك سعود ، قسم الآثار والمتاحف ، ١٤١٢هـ ، ص ١٦٣

^{٣٣} على راشد المدبليوي ، تجارة ماجان في العصور القديمة ٣٠٠٠ - ١٣٠٠ ق.م ، رسالة دكتوراه ،

جامعة الملك سعود ، كلية الآداب قسم التاريخ ، الرياض ، ٢٠١٣ ، ص ٢١٨

^{٣٤} محمد عبد النعيم، قطر آثار ما قبل التاريخ وفجره ، ترجمة عبدالرحيم خبير ، الهند ، حيدر آباد ،

١٩٩٨ ، ص ٥٠

أن الأبدان تكون مزخرفة بتضليعات أفقية على هيئة سلسلة أو نادرة على شكل خطوط حادة متصلة.^(٣٥)

إن الاختلافات الإقليمية في صناعة الفخار بين فيلكا والبحرين محدودة للغاية حيث يظهر التشابه العام من خلال مقارنة الفخار في الموقعين وان كانت هناك بعض الاختلافات الملحوظة.^(٣٦)

فاللقى الأثرية الفخارية في جزيرة فيلكا ، والتي تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، والشبيه من حيث المادة والشكل بفخار بربر الديلموني الطراز (صورة رقم ٦)، مشكلة باليد وهي التي تمثل النسبة الكبرى في المنتجات الفخارية^(٣٧) بينما يتميز الفخار الرافدي المستورد بمعالجته بمواد عضوية مثل القش^(٣٨) ولقد كانت نسبة القطع الفخارية المستوردة في مستهل الألف الثاني متوسطة في جزيرة فيلكا ، لكن التأثير الفني أخذ يزداد على الإنتاج المحلي . وقد توصل هوجلاند في دراسة فخار المدينة الثانية والثالثة في قلعة البحرين إلى أن الاختفاء شبه التام لفخار بلاد الرافدين المستورد في منطقة الخليج مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد.^(٣٩)

في جزيرة فيلكا عثر على الفخار الديلموني بكثرة في مواقع F3,F6 وموقع الخضر في شمال الجزيرة ، وعثر فيها على أوان فخارية كاملة ، وعلى كسر فخارية كثيرة تعود إلى فترات زمنية متفاوتة إبتداء من مستهل الألف الثاني قبل الميلاد.^(٤٠) . ووجدت معظم هذه اللقى داخل المباني أو بالقرب منها وكشف في المبنى الواحد عن أنواع عديدة من فترات مختلفة في طبقات مختلفة نتيجة لإستمرار التوطن في مكان واحد وبناء البيوت الجديدة فوق القديمة . ونورد على سبيل المثال " قصر الحاكم " في الموقع F6 ، الذي مر ذكره سابقا ، حيث يعود الفخار الذي كشف عنه في الطبقة السفلي إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد ، ويعود فخار الطبقة العليا إلى حوالي ١٤٠٠ ق.م أي خلال الفترة الكاشية^(٤١) لقد دلت اللقى الفخارية في مواقع العصر البرونزي في جزيرة فيلكا (F3,F6) على أنواع كثيرة ، منها ما هو مستورد ومنها ما هو محلي صرف أو خاضع للتأثيرات الفنية والتقنية الخارجية ، ويلاحظ ذلك في تفاوت تركيب المادة الطينية التي صنعت منها الأنية، وفي التقنية المستخدمة في صنعها وفي أشكالها وزخارفها . فنوعية

³⁵ FlennigHojlund, The Burial mounds of BAHRAIN , MINSTRY OF INFORMATION , Bahrain, 2007, p11

³⁶ Hojlund,pottery,p.163

³⁷ Hojlund,pottery,p.169

^{٣٨} غادة حجاوي ٢٠٠١ "شواهد أثرية على تاريخ الكويت القديم" أبحاث الندوة العلمية لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية - بين التاريخ والآثار في منطقة الخليج العربي ، الكويت ، ص ٥٨

^{٣٩} غادة حجاوي،(بين التاريخ والآثار في منطقة الخليج العربي) ٢٠٠١م ، ص ٣٩

⁴⁰ Hojlund ,Pottery,139-144,Calvet,Failaka,1986-88,

⁴¹ Edens,B.T.,p.200

الفخار المحلي يكون فيها الطين معالجا بإضافة نسبة من الرمل أو القواقع إلى مكوناته، بينما يتميز الفخار الرافدي البابلوي المستورد بمعالجته بمواد عضوية (القش)^(٤٢) أما من الناحية التقنية فيلاحظ أن الفخار المحلي قد نفذ بتشكيل اليد ، وبخاصة في الفترات المبكرة من العصر ، ثم يستخدم الدولاب فيما بعد تدريجيا ، أما الفخار المستورد فيشكل بواسطة الدولاب . ومن حيث الأشكال والزخارف فكل فترة لها ما يميزها من الخصائص.^(٤٣) وقد كشف في مواقع العصر البرونزي فخار ذو طينة حمراء مزخرف بأشكال هندسية أو حيوانية أو آدمية منفذة باللون الأسود على شققات من أكتاف جرار كبيرة لها وما يماثلها في فخاريات عمان المنسوبة إلى وادي سوق ، ويؤرخ هذا الفخار، كما تعتقد كارتر ، في نهاية الألف الثالث ومستهل الألف الثاني قبل الميلاد.^(٤٤)

ومن اللقى الفخارية التي كشف عنها في جزيرة فيلكا النوع المعروف بفخار بربر ، ويعتبر هذا الفخار ، إضافة إلى الأختام المسطحة المستديرة أهم عناصر حضارة ديلمون التي ازدهرت في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد^(٤٥) . وفخار بربر عبارة عن طين أحمر ذي عصابات دائرية ناتئة ، يعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد وقد عرف في منطقة الخليج كلها ، حيث استمر إنتاجه منذ المراحل المتأخرة من الألف الثالث قبل الميلاد^(٤٦) وقد عثر على فخار بربر، في أماكن خارج البحرين وفيلكا، مثل بعض مدافن الظهران في المملكة العربية السعودية وفي موقع الخور في قطر وغيرها^(٤٧) كما كشف عن أقدم الفخاريات في جزيرة فيلكا في تل F6 في الطبقات الواقعة تحت أرضية مبنى " القصر " مما يعني أن هذه الطبقات تعود إلى فترة سابقة على تأسيس المبنى . وقد خلقت طبقات مبنى القصر التي تلتها من هذا النوع من الفخار مما يدل على أن إنتاجه قد توقف. وقد قامت تريزا كارتر في عمل حفرة مجاورة للقصر حيث كشف عن استمرار فخاريات باربار^(٤٨) ، وبرز الفخار في هذا الموقع من خلال

^{٤٢} غادة حجاوي " شواهد أثرية على تاريخ الكويت القديم" أبحاث الندوة العلمية لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية - بين التاريخ والآثار في منطقة الخليج العربي ، الكويت ٢٠٠١ ، ص ٥٧

^{٤٣} غادة قديمي " شواهد أثرية على تاريخ الكويت القديم" أبحاث الندوة العلمية لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية - بين التاريخ والآثار في منطقة الخليج العربي ، الكويت ٢٠٠١ ، ص ٥٧

^{٤٤} Carter, Kuwait-reallexon, p.394

^{٤٥} Carter : Kuwait-Reallixikon, p.392

^{٤٦} هيا الثاني وهشام الصفدي ، الخليج العربي ، ص ١٤٠-١٤٢

^{٤٧} تريزيا هورد كارتر " استطلاع : بعثة جونز هوبكنز إلى الخليج العربي، ١٩٧٢م.

^{٤٨} ٤٨- فرانسوا سال تقرير انجازات البعثة الفرنسية ، ١٩٨٨ م جزيرة فيلكا ، وزارة الاعلام ، ص ٣٨

حفريات البعثة الفرنسية^(٤٩)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يوجد في تل F3 متأخرة في زمن إنشائه عن مبنى القصر .

وقد ظهرت الصلات مع بلاد الرافدين من خلال كسرة فخارية لونها أحمر محرز عليها كتابات مسمارية ، انظر شكل رقم (١) (k.m.1303)

فخار العصر الحديدي في غرب الخليج العربي

تميزت أواني هذا العصر بالأباريق ذات المصبات المفتوحة ، والزمزميات ذات المقابض الصغيرة ، والجرار ذات المقابض الممتدة حتى الجسم ، صنع أغلبها من طينة حمراء وتحمل زخرفة ملتفة على البدن وتحمل أشكالاً هندسية عبارة عن خطوط و دوائر وسطها نقط .

وقد تمثلت المرحلة الثانية تقريبا في جميع مواقع العصر الحديدي في شبة جزيرة عمان، ومن بينها ساروق الحديد والقصيص ،بالإضافة إلى زخرفة الثعابين ، فمط الفخار المشخص لهذه المرحلة هو الأباريق ذات المصبات على نحو جسر متصل بالحافة . ولهذه الأباريق المميّزة ما يقابلها بشكل واضح في غرب إيران والبحرين^(٥٠) نماذج لمصنوعات فخارية تحمل سمات فنية متبادلة من جزيرة العرب وفي بعض مقابر الحجر عثر على آثار تعود إلى العصر البابلي ، في وسط القبر عثر على بضع أوعية ربما تعود إلى العصر البابلي الحديث عثر في احدها على كوب من الفخار برأس مدبب

^{٤٩} فواز الخريشة وخالد الناشف ، دبي : حضارة وتقدم عبر ثلاثة آلاف عام ، دائرة السياحة

والتسويق ، دبي ٢٠٠٧ ، ص ٣١

^{٥٠} سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ،

البصرة ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠٤

الاشكال والخرائط



خريطة رقم (1) التأثير القادم من بلاد الرافدين وبلوشستان والسند الى غرب الخليج خلال الفترة من الالف الخامس الى الالف الاول قبل الميلاد.

المصدر : Mery, 1996, EBA, Cerams,Gulf,BDF,Adobe Reader ,p176-177

ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر (دراسة تاريخية أثرية)

د/ لطيفة بورابة*

أنشئت في مدينة الجزائر العديد من الزوايا والأضرحة في الفترة العثمانية. وكانت تؤدي دورا اجتماعيا ودينيا، و اقتصاديا هاما لدرجة أصبحت بعض الحومات (الأحياء) داخل المدينة تسمى باسمها: مثل حومة سيدي هلال و حومة سيدي رمضان، و حومة سيدي الفاسي وغيرها. ويمكن تمييز نوعين منها: زوايا الأضرحة أي تلك التي تضم أضرحة الأولياء الصالحين، مثل زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية عمر التنسي وغيرهما.

و الزوايا التي لا تضم أضرحة الأولياء، وقد تم تأسيسها لأغراض محددة: كزاوية كجاوة و هي خاصة بالتعليم و زاوية الأشراف (الشرفة)^(١) و التي تخص فئة الأشراف و غيرهما.

وقد تضاعف عدد الأضرحة والزوايا في مدينة الجزائر منذ أواخر القرن السادس عشر، حيث ذكر محمد بن علي التمغروطي الذي زار وأقام فيها مدة شهرين بعد عودته من سفارته من استانبول بين ١٥٨٩م و ١٥٩٠م قائلا: « أن في هذه المدينة قبر الولي الصالح، أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي وقبر الولي الصالح أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري، وقبر الولي الصالح أبي النور، كذا يقال له عند أهل البلد، وهو الذي يوجد قبره في رأس الجبل، إلى أن يقول:... و فيها غيرهم من الصالحين »^(١).

* أستاذة محاضرة بمعهد الآثار - جامعة الجزائر-٢- بوزريعة

١ - تقع في شارع الجنينة ورنقة بروس، يرجع بناؤها إلى عهد الداوي محمد بكداش (أوائل القرن الثامن عشر)، الذي أمر ببنائها تقريبا إلى الأشراف، ورجال الدين في الجزائر، وكانت لها مقبرة، ومسجد، وأرض، ومساكن، ومطاهر، وأوقاف، صادرها الفرنسيون سنة ١٨٤١م، واستولوا عليها، ثم هدموها، أنظر: - أبو القاسم سعد الله؛ تاريخ الجزائر الثقافي ١٨٣٠-١٩٥٤، ج٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ط١، ص١١٥

٢ - ياسين بودريعة؛ أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة الماجستير تخصص تاريخ حديث، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧، ص. ٧١

١- ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي^(٣):

هو أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف بن طلحة بن عمر بن نوفل بن عمار بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن معضل بن عبد البر بن فيس بن هلال بن عامر بن حسن بن محمد بن جعفر بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤). ولد سنة ٧٨٦ هـ/١٣٨٥م بواد يسر في الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر^(٥).

ينتسب الشيخ العلامة عبد الرحمن الثعالبي، إلى قبيلة الثعالبة،^(٦) التي قطنت سهل متيجة، وبقيت محافظة على سيادتها حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ثم بدأت تفقد أعيانها في عهد أبي حمو الثاني أمير بني عبد الواد، جراء الصراعات الداخلية التي عرفتها المنطقة، فأبيد عدد كبير منهم، وحُوّل آخرون إلى عبيد^(٧).

ويعتبر الولي الصالح سيدي عبد الرحمن أشهر فقهاء الجزائر، ففي بداية القرن التاسع الهجري رحل إلى المشرق للدراسة، و توقف في مدينة بجاية سنة ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩م، والتقى بأصحاب الشيخ عبد الرحمن الوغليسي، وأخذ عنهم أصول الفقه، ومن بجاية ذهب إلى تونس في أواخر سنة ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م، حيث التقى بالشيخ عيسى الغبريني الأوبي البرزلي وغيرهما من الفقهاء. ثم ذهب إلى القاهرة، وهناك درس على يد الشيخ ولي الدين العراقي

^٣ - تناولت معظم المصادر التاريخية شخصية هذا الولي الصالح وضريحه، باعتباره أحد المزارات الكبرى في المدينة، كما أن هناك العديد من المراجع التي خصصت دراسات مفصلة عن شخصيته، أو عن ضريحه، بالإضافة إلى الكتابات الأثرية الموجودة داخل ضريحه.

^٤ - حسب الكتابة الأثرية التي تزين ضريح سيدي عبد الرحمن، داخل قاعة الصلاة، أنظر؛ Gabriel Colin; *Corpus des inscriptions Arabes et Turques de l'Algerie*, Ernest Leroux, Paris, 1901, n° 5, p.9

^٥ - محمد بن ميمون الجزائري؛ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١، ص ٣٣٤ ياسين بودريعة؛ المرجع السابق، ص ٣٨.

^٦ - الثعالبة بطن من بطون قبيلة صنهاجة من طبقة بني ملكان بن كرت من بني علي بن بكر بن صغير، موطنهم بمتيجة من بسيط الجزائر، بعد نزوحهم من جبال التيطري، ولكنهم زحزحوا منها إلى متيجة، ودخل الثعالبة في إيالة مليكش من صنهاجة بمتيجة، (لمزيد من التفاصيل أنظر؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٥، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٨٤).

^٧ - Albert Devoux; *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Alger, Typographie Bastide, pp 37, 38

أغلب علوم الفقه خاصة الحديث والسنة، ومنحه الإجازة، وبعد أدائه فريضة الحج في مكة أقام علاقات مع فقهاء بارزين. وفي طريق عودته درس على يد العلامة التونسي الإمام أبي عبد الله محمد بن مرزوق، والذي أجازته لتدريس معظم الفروع العلمية^(٨).

ومن أهم مؤلفاته: روضة الأنوار ونزهة الأخيار، والجواهر الحسان في تفسير القرآن^(٩)، ويُعد من أشهر مؤلفاته، ورياض الصالحين وتحفة المتقين، وشرح مختصر ابن الحاجب، والأنوار في آيات النبي المختار، والتقاط الدرر^(١٠)، الدرر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات (ألفه سنة ٨٥١هـ)، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، وغيرها، بالإضافة إلى ما يزيد عن ثلاثين مؤلفاً آخر^(١١).

أما عن ضريحه أو زاويته فقد دفن الشيخ الثعالبي خارج باب الوادي في مقبرة الطلبة^(١٢).

حيث ذكر نور الدين عبد القادر « دفنوا الشيخ عبد الرحمن الثعالبي خارج باب الواد في مكان مرتفع، جعلوا على ضريحه قبة صغيرة »^(١٣).

ومما توضحه إحدى وثائق المحاكم الشرعية في عدد من عقودها كتلك المتعلقة بحبس لحانوت خارج باب عزون لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي خارج باب الواد، والمؤرخة بأوائل شعبان ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م، -، وهذا نصها: «..... فإن انقرضوا عن آخرهم وأتى الحمام على جميعهم رفيعهم ووضيعهم رجعت إحدى الحانوتتين المذكورتين وهي الثلاثة باعتبار الخارج من الزاوية المذكورة، حبسا على رجلين اثنين احدهما يقرأ سورة الإخلاص والآخر يقرأ الحزب عند صلاة الظهر وعند صلاة العصر كل ذلك بمسجد الولي الصالح

⁸ - Albert Devoulx; Op. Cit, pp 37et 38

- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ٣٣٥ و ٣٣٦
- أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة؛ معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلبي، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١٠٧

^٩ - انتهى من تأليفه في ١٥ ربيع الأول من سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م.

^{١٠} - انتهى من تأليفه في النصف الثاني من رجب سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م.

^{١١} - أمينة سليمة صاري؛ طبقات الفقهاء المالكية، من خلال مخطوط الجامع الكبير للعلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١١، ص ٦٤ إلى ص ٧٣

^{١٢} - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ٣٣٧

^{١٣} - نور الدين عبد القادر؛ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، ١٩٦٥ ص ١٦٦

البركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته أمين، الملاصق بضريحه خارج باب الواد. أهد أبواب محروسة الجزائر.....»^(١٤).

٢- أوقاف ضريح سيدي عبد الرحمن:

تعتبر زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أكبر زوايا مدينة الجزائر، وتذكرها أغلب الوثائق باسم ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، حيث تم بناؤها على ضريح أحد أشهر أولياء المدينة. وقد أوقف عليها سكان المدينة (حكاما وأعيانا، وعمامة) العديد من العقارات، مما ساهم في تغطية مصاريفها، ونشاطاتها الاجتماعية، والخيرية. كالوقفية التي قام بتأسيسها الداي أحمد^(١٥) لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م.^(١٦) وكانت فئة الحرفيين أكثر الفئات الاجتماعية اهتماما بالوقف على الأضرحة، والزوايا، نذكر منها وقفية السيد محمد، أمين جماعة الحدادين، حيث قام بوقف دار عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، وكان مرجع الوقف لضريح عبد الرحمن الثعالبي^(١٧). إلى جانب وجود فئة محبسة أوقفت على ضريح سيدي عبد الرحمن كفئة العلماء، وحفظ القرآن، والشرفاء.^(١٨) وفي هذا الشأن أشار دوفولكس إلى أن أملاك ضريح سيدي عبد الرحمن بلغت ١١ عقارا في القرن ١٢هـ/ ١٨م، لكنه لم يوضح طبيعة هذه العقارات. وبلغت سنة ١٨٣٤م ٦٩ عقارا، وارتفع دخلها إلى ٦٠٠٠ فرنك فرنسي تقريبا، و١٣ عقارا معطلا بسبب تحويله لمصالح الإدارة الفرنسية، أو تهديمه من طرفها.^(١٩) ويتطلب تسيير الوقف على الأضرحة تشكيل جهاز إداري يسهر على تسييرها، ويشرف على إدارتها، ويتكون من وكيل يشرف على الضريح، و شاوش، وإمام، وحزابين وغيرهم.^(٢٠)

^{١٤} - المحاكم الشرعية، علية ١٣٢، وثيقة رقم ٢٨

^{١٥} - تولى أحمد باشا الحكم يوم الجمعة من جمادى الثانية عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م خلفا للداي مصطفى باشا.

أنظر؛ أحمد شريف الزهار: مذكرات أحمد شريف نقيب أشرف الجزائر (١١٦٨-١٢٤٦هـ/ ١٧٥٤-١٨٣م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ١٩٨٠م، ص ٩٥.

^{١٦} - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ٧٨.

^{١٧} - ياسين بودريعة، نفس المرجع، ص ١٣٠.

^{١٨} - نفسه، ص ١٣٨.

^{١٩} - Albert Devoulx, Op, Cit, p.42

^{٢٠} - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ١٦٩.

وكانت زاوية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي قبل سنة ١٨٣٠م تتكون من: وكيل، وشاوش وثلاث أئمة، وثلاثة حزابين، وذباح، ووكيلة، إلى جانب شيخ الحضرة الذي يرأس الاجتماعات الخيرية.^(٢١)

٣- اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين:

شيد أهل مدن المغرب هذه الأضرحة بسبب انتشار اعتقادات حماية الأولياء الصالحين لمدينتهم. فكانت كل مدينة تحتمي بولي صالح، من العين ومن الغارات، ومن نكبات الطبيعة، فمدينة تلمسان كانت تحتمي بسيدي أبي مدين، ومدينة الجزائر بسيدي عبد الرحمن الثعالبي، فهو السيف وسور حرماها، كما جاء في القصيدة الشعبية التي خلدت انتصار الجزائريين على الحملة الدانمركية على المدينة في سنة ١٧٧٠م، وهذه مقتطفات منها:

أولهم سيدي الثعالبي * وهو السيف وسور حرماها
في حماه البهجة مشرفة * وبجاه مصطفىانا^(٢٢)

وكان أهل هذه المدينة، إذا هاجمهم عدو، ينبشون قبور الأولياء، ويأخذون عظامهم، ويقصدون البحر، يضربونه بها، فيهيج، ويحطم سفن العدو.^(٢٣)

هذا إلى جانب اعتقاد الناس ببركة الأولياء، وقدرتهم على شفاء المرضى، فكانت زيارة الأضرحة للاستشفاء، يقصدها الناس لمعالجة مختلف الأمراض: كالأضرار العضوية كمرض الحمى، ورمد العين (ophtalmie)، والصداع النصفي وشفاء العقم بالنسبة للنساء، والأمراض النفسية كالجنون والعين.^(٢٤)

وتخصصت الأضرحة في علاج أنواع من الأمراض دون الأخرى، فكان ضريح سيدي علي الزواوي^(٢٥) يحتوي على عين ينبثق منها الماء بغزارة، يعتقد أنها تساعد في شفاء الحمى المتكررة، والمحافظة على استمرار الإنجاب، والأمانة الزوجية.^(٢٦)

²¹ - Albert Devoulx, Op, Cit, p.42

²² - عائشة غطاس؛ الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ١٧٠٠-١٨٣٠ مقاربة اجتماعية- اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار- الروبية، ص ١٢٢، ١٢٣

²³ - ياسين بورديعة، المرجع السابق، ص. ٨٠ و٨١

²⁴ - « Les marabouts guérisseurs » In BSGO, n° 44, p.295 Abou-beckr Abdesmém Ben choaib;

²⁵ - كان يقع خارج باب عزون (من أبواب مدينة الجزائر)، وقد أسندت مهمة الإشراف عليه عائلة بوخمي، وكان يضم أيضا مسجدا صغيرا، ومقبرة، وقامت الإدارة الفرنسية بتهديم هذه المؤسسة بعد احتلالها للمدينة سنة ١٨٣٠، أنظر:

207 Albert Devoulx, Op, Cit, p²

²⁶ - Ibid, p. 207

وضريح يحي الطيار، يختص بشفاء الحمى و"المس". وأوراق شجرة الخروب الموجودة في مقبرة ضريح عبد الرحمن الثعالبي تشفي الحمى.^(٢٧) وهناك جانب آخر غير الأوقاف، و الزيارات، التي تعبر عن مدى احترام أهل مدينة الجزائر لأوليائهم، وهي التحيات التي يقدمها رياس البحر عند خروجهم من مدينة الجزائر، و عند عودتهم إليها. حيث ذكر شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر في مذكراته « وكان من عادة رؤساء المراكب الجهادية أنهم يوم السفر يودعون الأمير، وبعد الخروج من عنده يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح، سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به، ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي نفعنا الله به، أمين. »^(٢٨) زيارات الأضرحة:

كان لأضرحة الأولياء بمدينة الجزائر، خلال العهد العثماني، دور كبير في سلوك عدد كبير من أفراد المجتمع^(٢٩)، و ساهم في تعلقهم بها، و زيارتها في مواعيد مختلفة، للدعاء أو طلب الشفاء، أو الوفاء بندر، و ما إلى ذلك. وقد كتب حمدان خوجة في مؤلفه « إن المرابطين الذين يقطنون بين القبائل يعلمون الناس الأخلاق و يفسرونها بقدر المستطاع، وبقدر إدراك هؤلاء السكان. كما يعلمونهم الصلاة، و يهدونهم إلى مكارم الأخلاق، و مقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة المحفوفة بالاحترام، و تعتقد القبائل أن كل دعائهم مقبول عند الله الذي يؤمنون بقداسته و جلاله. وهكذا، فعلى سخط أو على بركة المرابط تتوقف سعادة القبائل الخيالية.»^(٣٠)

أما فيما يخص الزيارات لهذه الأماكن فكانت يومية و في أي وقت، حيث يستطيع الفرد أن يتوجه للضريح، إما بمفرده أو مصحوبا بأحد أفراد عائلته. و في أثناء الزيارة كانت تقام طقوس معينة في هذه الأضرحة، تعكس هدف الزيارة، سواء لطلب الشفاء، أو لطلب حل مشكلة ما، حيث عادة ما ترافق هذه الزيارات ذبح الدواجن، أو ذبح حيوانات أخرى كالبقرة، أو الكباش، أو الماعز، و غيرها، فبعض الأضرحة كانت تستخدم شخصا لذبح مختلف الحيوانات التي يتم جلبها إلى الضريح. وكانت تعطى له أجره شهرية. و من الطقوس التي

٢٧ - ياسين بورديعة، المرجع السابق، ص ٧٩، ٨١، ٨٦.

٢٨ - أحمد شريف الزهار: المصدر السابق، ص ٦١، ياسين بورديعة، المرجع السابق، ص

٩١

٢٩ - Jacques Carret; Le maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en Algerie, Alger, 1959, 12, 13,

٣٠ - حمدان بن عثمان خوجة؛ المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبييري، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧، ص ٥٦ و ٥٧.

كانت تقام في الأضرحة، الطواف حول الضريح و استعمال البخور والشموع (صورة رقم ٥) والشرب من الماء الموجود هناك، سواء كان بئرا أو ماء عنصر. لا اعتقاد الزائرين أن هذه المياه مباركة، و لها قدرة خاصة في الشفاء^(٣١)

كما حرص سكان مدينة الجزائر على الحصول على قبور في أضرحة بعض الأولياء وذلك بشرائها في حياتهم ليدفنوا فيها بعد مماتهم، لا اعتقادهم بأن الدفن قرب الولي يوفر لهم الحماية في الآخرة، حيث وردت كتابة في إحدى القبور الموجودة في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نصها: " أنا في حماك وحمى القرآن"^(٣٢)

٤- تأسيس ضريح سيدي عبد الرحمن:

يعتبر ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أشهر أضرحة العاصمة ليس في المدينة فحسب وإنما في كل البلاد الجزائرية، وهو يقع في الجهة الشمالية لشارع ابن شنب، بين ثانوية الأمير عبد القادر والصور الشمالي. وكانت زاوية عبد الرحمن الثعالبي تحتوي على مسجد له منارة أنيقة مربعة الشكل، وقبة حيث تضم قبر الولي الذي يعلوه تابوت محاط بالأعلام و النذور. وهناك محلات لسكن الوكيل ومستخدمي الضريح، و بيت عبارة عن ملجأ خاص بالأهالي، ومقبرة خاصة، وأخيرا مراحيض و أماكن للوضوء. و تضم زاوية عبد الرحمن الثعالبي قبور لعدة شخصيات منهم: قبر شيخه أبي جمعة بن حسين المكناسي (وهو ولي صالح من المشهورين بالعلم و الصلاح و معاصر للولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي و من شيوخه) الموجود داخل الضريح عند أقدام تابوت سيدي عبد الرحمن، و قبر حسن باشا^(٣٣)، و قبر مصطفى باشا^(٣٤)،

٣١ - ياسين بوردية، المرجع السابق، ص. ٩٠ و ٩١

٣٢ - ياسين بوردية، المرجع السابق، ص ٩٣.

٣٣ - تولى حسن باشا الحكم سنة (١٢٠٥ هـ - ١٢١٢ هـ / ١٧٩١ م - ١٧٩٨ م)، خلفا للداي محمد بن عثمان (١١٧٩ هـ - ١٢٠٥ هـ / ١٧٦٦ م - ١٧٩١ م)، وكان يشغل منصب وكيل للخرج من سنة ١٧٧٥ م إلى غاية سنة ١٧٨٨ م، ثم أصبح خزناجيا قبل أن يصبح دايًا على الجزائر، (أنظر:- أحمد شريف الزهار: المصدر السابق، ص ٦١ ، و يوسف أمير؛ أوقاف البدايات بمدينة الجزائر و فحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية، (١٠٨١ هـ - ١٢٤٦ هـ / ١٦٧١ م - ١٨٣٠ م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩ - ٢٠١١، ص ٨٧)

٣٤ - هو مصطفى بن ابراهيم الذي تولى الحكم بعد حسن باشا سنة (١٢١٢ هـ - ١٢٢٠ هـ - ١٧٩٨ م - ١٨٠٥ م)، أيام السلطان العثماني سليم الثالث، وذكر شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر في مذكرته في ذكره لولاية مصطفى باشا الذي كان خزناجيا في عهد خاله الداى حسن باشا مايلي: « ولما توفي حسن باشا، تولى حفيده مصطفى الخزناجي، وكان رجلا =

وقبر عمر باشا^(٣٥). أما خارج الضريح فتوجد قبور كثيرة منها قبر سيدي منصور^(٣٦)، وقبر خضر باشا^(٣٧)، ويدل على ذلك الكتابة الأثرية المنقوشة على شاهد القبر، جاء في نصها:

هذا القبر المرحوم بكرم // الله المنعمس في رحمة // الله السائر إلى عفو الله //
خضر باش غفر الله له توفي آخر ذ الحجة متم // سنت ١٠١٤ فأنله الله
بعفوه // الجميل وبكرمه الجزيل //^(٣٨)
وغيرهم^(٣٩) (صورة رقم ٢)^(٤٠).

شُرع في بناء مسجد ضريح سيدي عبد الرحمن في عهد الداوي الحاج أحمد العليج الأتاشي سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م،^(٤١) وهذا حسب اللوحة الرخامية المثبتة أسفل الباب - مدخل المسجد- وقد جاء في نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد //
تمّ البناء بعون الله عن يده أميرنا ذو الجاه // ان فاق
ارباب السخا والفضل الحاج أحمد بن الحاج مصل //
ارشده الله إلى التوفيق بحرمة الفاروق والصدّيق //
تارخه يا سائلًا بصدق في النظم قد جعلته بشوق //

=صالحا....» (أنظر:- أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص ٧١، و رشيد مريخي؛ الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا ١٢١٢هـ - ١٢٢٠هـ / ١٧٩٨م - ١٨٠٥م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٠-٢٠١١، ص. ١٦)

- وهو ما توضحه الكتابة الشاهدية للقبر، التي تحتوي على عمود رخامي، في أضلاعه الخمسة كتابة منقذة بالحفر البارز، وعلى العمود هالة على شكل عمامة^{٣٥} - تولى الحكم خلفا للداوي محمد باشا سنة ١٢٣٠هـ - ١٢٣٢هـ / ١٨١٥م - ١٨١٧م، أنظر؛ أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص ١١٧

^{٣٦} - حسب الكتابة التي وجدت عند أسفل التابوت الذي يغطي قبر سيدي منصور، والتي نقلها كولان في سجله تشير إلى أنه كان إماما، نصها: « الحمد لله تعالى وصلى الله / على سيدنا محمد توفي الشيخ الإمام ولي / ربنا الاعز الأشهر شيخ الهدى إمامنا منصور حف / به الهناء والسرور في شعبان كانت الوفاة إذ هكذا / حديث الرواة من عام خمسين ونقط دال من بعد ألف صح في المقال / ؛ (أنظر؛ ؛ Gabriel Colin, Op, Cit, n° 24, p. 44)

- تولى الحكم سنة (١٥٩٥م - ١٥٩٦م)، وللمرة الرابع سنة (١٦٢٠م - ١٦٢٣م)،^{٣٧} Mouloud Gaid; l'Algerie sous les turcs; édition Mimouni, Alger, Hichem, 2^{eme} édition, p.112. أنظر؛

^{٣٨} - Gabriel Colin, Op, Cit, n° 18, p. 32

^{٣٩} - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. ٣٥١

ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ٤١

^{٤٠} - Paul Guion; La casbah d'Alger, Publisud, Paris, 1999, p.

^{٤١} - Albert Devoulx, Op, Cit., pp 37, 38

عام ثمني وميا والف//»^(٤٢) أي أتم هذا البناء بعنايته وكرمه الحاج أحمد ابن الحاج مصل.

وُفِرغ من بناء المسجد في عهد الأمير عبدي^(٤٣) سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م، وهو ما تشير إليه اللوحة الرخامية الموضوعة داخل جدار قاعة الضريح، وهذا نصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله//

« كمل البناء بحمد ربّ فاتح • بمحرم يسمو بحسن واضح//

سنة اثنتين وأربعين تعقب • مائة ألفا اسرعت كالجامع//

في مدة الامضا الأمير المرتضا • عبدي وقاه الله كلّ طوايح//

ولقد سعى فيه الوكيل محمّد • الفاضل المشهور بابن الواضح//

الله يعطينا وآياه الرضى • ويقيلنا من كلّ ذنب فاضح//

هما لذات القطب لار ي • ركنا لمقهور وقصد الرابع//»^(٤٤)

وذكر في هذه اللوحة الرخامية الثانية اسم الوكيل الذي عمل على تحقيق هذا البناء وهو محمد الفاضل بن الواضح^(٤٥) 1108هـ/1696م - 1697م.

٥- الدراسة المعمارية لضريح سيدي عبد الرحمن:

تغطي هذه المنشأة المعمارية مساحة قدرت ب ٤٠٠ متر^(٤٦)، ويتكون من مربع مركزي مغطى بقبة يقوم على أربعة عقود حائطية كبيرة.^(٤٧)

⁴² -Gabriel Colin, Op, Cit,n° 42, p. 69;

^{٤٣} - كرد عبدي باشا (١١٣٦هـ - ١١٤٥هـ / ١٧٢٤م - ١٧٣٢م)، تقلد عدة مناصب في إيالة الجزائر: باي على بايليك التيطري، ثم آغا الصبايحية لعدة سنوات، قبل أن يصبح دايا على الجزائر. وتولى السلطة سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م خلفا للداي محمد باشا بن حسن، (أنظر: - أحمد توفيق المدني؛ محمد عثمان باشا، داي الجزائر (١٧٦٦ - ١٧٩١)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦ ص ٤٩ و يوسف أمير؛ المرجع السابق، ص. ٨٢)

⁴⁴ -Gabriel Colin,n°63,pp 99 et 100

^{٤٥} - الوكيل هو المسؤول على صيانة هذه المؤسسة، وتسبير مدخلها. وقد أورد ألبير ديفولكس في كتابه بعض وكلاء ضريح عبد الرحمن الثعالبي وهم: الحاج مصطفى بن واضح (١١٨٠هـ / ١٧٦٦م / ١٧٦٧م)، و محمد بن أحمد بن تركية (١٢٠٨هـ - ١٧٩٣م / ١٧٩٤م)، الحاج محمد (١٢١٦هـ - ١٨٠١م / ١٨٠٢م)، الحاج حميدة بن محمد المقاييسي (١٢٢٩هـ - ١٨١٣م / ١٨١٤م)، محمد بن رويلة (١٢٢٩هـ - ١٨١٣م / ١٨١٤م)، حمود بن الشيخ سيد بلقاسم (جمادى ١٢٤٥هـ - ٨ إلى ١٧ نوفمبر ١٨٢٩م، (أنظر: -

41,42 (A. Devoulx, Op,Cit,pp.

⁴⁶ - A. Devoulx, Op,Cit,p.39

^{٤٧} - عبد العزيز لعرج؛ « الكتابات الأثرية في البلاطات الخزفية بضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر». في مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧، ص ٢٦

إن للقبّة دورا هاما في هندسة المعالم الدينية في المدينة أثناء العهد العثماني. و المعروف أن الميزة الأساسية للمساجد تكمن في أن قاعة الصلاة ذات شكل مربع، والقبّة تعلو مركزها. ويرتكز عقد قبّة مسجد سيدي عبد الرحمن مباشرة على قاعدة مسطحة الشكل. فتحت في قبّة مسجد سيدي عبد الرحمن أربعة و عشرون نافذة. (صورة رقم ١)^(٤٨)

والملاحظ أنه لا وجود للأروقة في مخطط المسجد، بينما حُملت عقود الزاوية مباشرة على الأعمدة الملتصقة بالجدار.

كما يحتوي المسجد على محراب معقود بعقد منكسر، متجاوز، مزخرف بمربعات خزفية. جلبت له من مصادر مختلفة أهمها البلاطات العثمانية، وهي أجمل الأنواع جميعا، إلى جانب بلاطات خزفية أوروبية (إيطالية واسبانية) وتونسية^(٤٩) (صورة رقم ٣)

وتعد البلاطات المرسومة بالكتابات في ضريح سيدي عبد الرحمن من أجمل البلاطات التي تتوفر عليها المعالم التاريخية، في الجزائر، في العهد العثماني^(٥٠). وهي بلاطات مربعة وبلاطات مستطيلة، شكلت بها إطارات اللوحة، أو البحور (الخراطيش) التي تزينها الكتابات. ومواضيع زخارفها هي: زخارف نباتية وزخارف كتابية، والزخارف الهندسية (صورة رقم ٤).

- منڈنة ضريح سيدي عبد الرحمن: (صورة رقم ٢)

يتجلى تطور خصائص فن المعمار الإسلامي، في مدينة الجزائر، من خلال بناء المآذن وزخرفتها.

وإنّ أهم ما يميز هذا المسجد الضريح، من الناحية المعمارية، منڈنته الفريدة في شكلها، ومحافظةها على صبغتها المغربية.

ويتبين ذلك من خلال مخططها المعماري، وهي فريدة أيضا من حيث العناصر المعمارية الزخرفية التي ازدانت بها.

وقد وصفها الأوروبيين في كثير من المواضع، لما تحمله من مميزات معمارية وحضارية وفنية. فوصف المؤرخ ب. بوايي منڈنة المسجد، كالتالي « هي مربعة الشكل، مؤطرة بعدة صفوف من الأعمدة الصغيرة، تعلوها سلسلة من العقود، ومزخرفة ببلاطات خزفية مطلية بألوان مختلفة. تبدو المنڈنة

48 - Paul Guion, Op, Cit,p.49

٤٩ - عزة بنت عبد الرحيم محمد بن شاهين؛ « الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نموذجاً (٧٨٦ - ٨٧٥هـ) (١٣٨٣ - ١٤٧٩م). ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج١، ص ٢٧٦
٥٠ - نفسه، ص ٢٨٤

منتصبة، تتوسط شجر السرو»^(٥١). وتقع هذه المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية، وهي ذات قاعدة مربعة، يصل ارتفاعها إلى 14,10 م^(٥٢). أمّا عن المظهر الخارجي للمئذنة فقد أدمجت ثلاث واجهات ضمن مرافق المسجد، ولم يبق إلا الواجهة الجنوبية الشرقية التي حافظت على أجزائها كاملة، وهي مزدانة بأربعة حقول مستطيلة تفصل بينها مداميك من الأجر: الحقل الأول: مستطيل مجوف من ثلاث حنايا على شكل عقد حدوة الفرس المنكسر، يعلو هذه القطعة إفريز من المربعات الخزفية. الحقل الثاني: مكوّن من تقويسة على أعمدة صغيرة، وشكلت العقود على هيئة مقبض القفة (d'anse de panier)، والمجموع متوج بإفريز من المربعات الخزفية.

الحقل الثالث: مطابق تماما للحقل الثاني.

بينما توجّ جوسق المئذنة بصف من إثني عشرة طنّف (شرافة)، أربعة منها في الزاوية. أما النافوس فهو على شكل متوازي السطوح، مزخرف من جهته العليا بشريط من المربعات الخزفية، ومغطى بقبيبة بسيطة^(٥٣) (صورة رقم ٢) ويتبيّن مما تقدم أنّ بقاء عمارة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بأصالتها إلى يومنا هذا مرّدّه إلى القيمة العلمية والروحية لعبد الرحمن الثعالبي الموصوفة في كتب التراجم: بالشخصية العالمية، وهو الفقيه الأصولي الذي حقق مكانة علمية، وروحية في أوساط العامة و السلطة. فانتهى في الأخير من خلال مزارات الناس بالولي الصوفي.

و قد ساهمت السلطة العثمانية في الاهتمام بهذه المعالم، و نمو عددها، و ذلك بتوفير المصادر المالية التي سمحت بصيانتها و حفظها من الاندثار، و قد كان الوقف من أهم هذه المصادر.

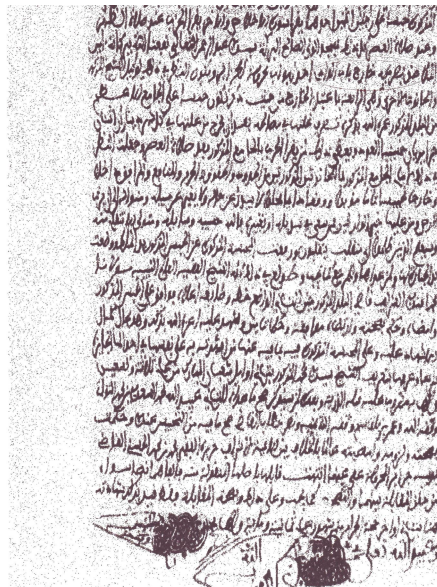
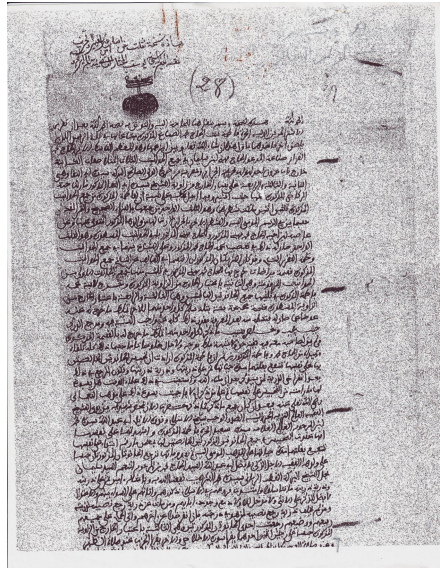
نموذج من الوثائق المصورة :

الملحق رقم ١: عقد تحبّيس بتاريخ أوائل شعبان ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م. فاطمة بنت الحاج محمد الصباغ، حانوت خارج باب عزون قرب ضريح أبي التقا لصالح مسجد الولي عبد الرحمن الثعالبي.

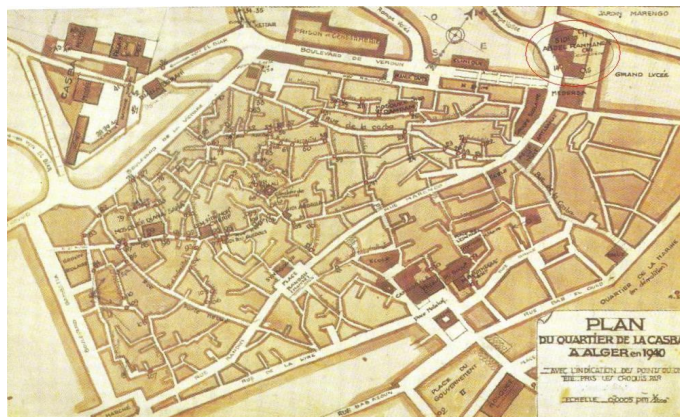
⁵¹ - P. Boyer; La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1964,p.80

⁵² - p.40 Rachid Dokali; Les mosqueés de la période Turque à Alger,S.N.E.D, Alger, 1974,

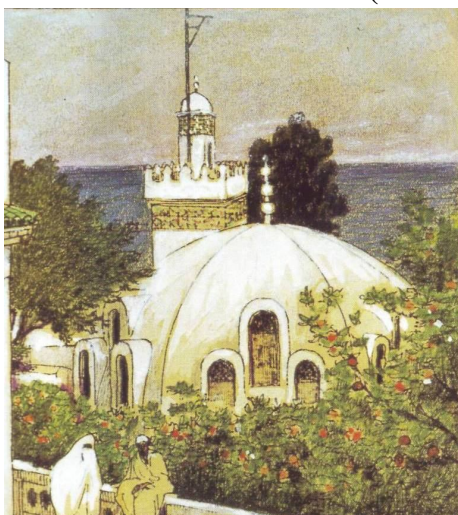
⁵³ - Ibid,p.42



المصدر: المحاكم الشرعية: رقم العنبة ١٣٢ - ١٣٣ ، رقم الوثيقة ٢٨



شكل رقم ١: موقع ضريح سيدي عبد الرحمن بالنسبة لمدينة الجزائر
عن / (P. Guion)



صورة رقم ١: ضريح سيدي عبد الرحم صورة رقم ٢: المنذنة و المقبرة الموجودة القبة
المركزية والمنذنة- عن / (P. Guion) خارج ضريح سيدي عبد الرحمن عن / (P. Guion)



صورة رقم ٤ :
مربعات خزفية بزخرفة نباتية كتابية داخل قاعة الضريح



صورة رقم ٣ :
محراب ضريح سيدي عبد الرحمن



صورة رقم ٥ : بعض الطقوس التي تمارس في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي
إلى يومنا هذا

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

- ابن خلدون عبد الرحمن؛ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ج ٥، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.
- الزهار أحمد شريف؛ مذكرات أحمد شريف نقيب أشرف الجزائر (١١٦٨-١٢٤٦ هـ/١٧٥٤-١٨٣ م)، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٠ م.
- ابن ميمون محمد الجزائري؛ التحفة الملاضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.

- المراجع باللغة العربية:

- أمير يوسف؛ أوقاف البدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية (١٠٨١هـ-١٢٤٦هـ/١٦٧١م-١٨٣٠م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩-٢٠١١.
- بودريعة ياسين؛ أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧.
- سعد الله أبو القاسم؛ تاريخ الجزائر الثقافي ١٨٣٠-١٩٥٤، ج ٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ط ١٥.
- ابن شاهين عزة بنت عبد الرحيم محمد؛ «الإبداع المعماري والفني في الأضرحة الجزائرية ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نموذجاً (٧٨٦-٨٧٥هـ) (١٣٨٣-١٤٧٩م)». ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان ٢٠١١، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج ١، ص ٢٦٩ إلى ٢٨٨.
- صاري أمينة سليمة؛ طبقات الفقهاء المالكية، من خلال مخطوط الجامع الكبير للعلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢.

مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب (١٤)

- غطاس عائشة؛ الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ١٧٠٠-١٨٣٠مقاربة اجتماعية- اقتصادية المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار- الروبية.
- المدني أحمد توفيق؛ محمد عثمان باشا، داي الجزائر (١٧٦٦-١٧٩١)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦.
- مريخي رشيد؛ الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ١٢١٢هـ-١٢٢٠هـ/ ١٧٩٨م-١٨٠٥م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٠-٢٠١١.
- نورالدين عبد القادر؛ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، ١٩٦٥.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Boyer(P); La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1964.
Jacques Carret; Le maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en Alger, Alger, 1959.
colin (G); Corpus des inscriptions Arabes et Turques de l'Algerie, Ernest Leroux, Paris, 1901
Dokali(R); Les mosqueés de la période Turque à Alger,S.N.E.D, Alger, 1974.
Paul Guion; La casbah d'Alger, Publisud, Paris, 1999.
Mouloud Gaid; l'Algerie sous les tures; édition Mimouni, Alger, Hichem, 2^{eme} edition,

الكساء عند الشاسو الرحل في الرسومات المصرية

د/ محمد حسن محمود علامه*

ملخص

تغلّبت على بلاد الشام شعوب غفيرة وبخاصة في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. ومن بينها شعب الشاسو الذي يحاول بعض الباحثين ومنهم Michael، Astour، وغيرهم ربطهم بالإسرائيليين، ولعل هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على كساء الشاسو الذي يعد من المؤشرات وبخاصة العرقية الذي يميز شعبا عن آخر، وأنهم _ أي الشاسو _ لا علاقه لهم بالإسرائيليين، فمن هذا القبيل لا الحصر، يبدو لنا أن كساء الشاسو فيه تطابق مع كساء سكان حضرموت، إذ نجد أن غطاء الرأس بما يشمل عليه القلنسوة وربطات الرأس العربية تتماثل إلى حد بعيد وتتشابه مع ما يرتديه شعب الشاسو.

Abstract

Many ethnic groups rolled on Levant area especially in the half of the second millennium B.C, among of them was shosou group ,some researchers including Astor,Michael and others try to connect them with Israelis , this research aims to shed a light on the shosou clothing which is one of the indicators that distinguishes ethnic characteristic of people from another also make a point that shosou have nothing to do with Israelis, and their clothing much similar with clothe residents of Hadramout especially headscarf including the hood and the Arab ties .

المقدمة

تشكل الكثير من الشعوب في منطقة بلاد الشام في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، حيث رسخت فيها حضارات جمة حددت مصير الكثير من الحضارات العالمية لدرجة كبيرة. ومع الأسف فإن كثيرا من الأحداث التاريخية لا تزال يكتنفها الغموض، حيث أننا لا نستطيع الحديث عن جميع الشعوب الذين أسهموا في الأحداث التاريخية، فمنهم من لا نعرف إلا اسمه فقط، أو من خلال المشاهد الجدارية المصرية، ومن بين الشعوب التي قطنت بلاد الشام الكنعانيون الحضريون، والفينيقيون والساشو الرحل، الذين تجولوا في أرض كنعان، واستوطنوا أحيانا في المدن. ويهدف هذا البحث إلى دراسة الكساء عند الشاسو، لأنه أحد المؤشرات العرقية المهمة التي من خلالها نستطيع تمييز شعب عن آخر، وأنهم عبارة عن مجموعة عرقية ليس لهم علاقة بإسرائيل.

فالدراسات السابقة عن هذا الموضوع لمجموعة من الباحثين منهم أستور، ميشيل (Astour, Michael)¹، ودونالد ردفور (Donald B. Redford)² فجميعهم ربطوا بين الشاسو والإسرائيليين، فاعتقدوا أن الاسم الهيروغليفي للشاسو من Yhw الذي يتوافق مع الكلمة العبرية yhwh أو Yahweh وأن هذا الاسم قد ظهر على حجر موآب، وكما حاول هؤلاء الباحثون ربط الشاسو مع كلمة إسرائيل التي ذكرت على لوحة الفرعون مرنبتاح، والتي فيما بعد شكلت مملكة إسرائيل في فلسطين، وأيد ذلك الباحث ريني أنسون (Rainey Anson)³ من خلال نصوص رسائل تل العمارنة.

الخلفية التاريخية للشاسو

في البداية الشاسو كلمة مصرية تعني البدو الرعاة، ظهوروا في بلاد الشام والجزيرة العربية من القرن ١٥ _ ١١ ق.م، وهذا الاسم أطلق على مجموعة من الشعوب في شرق الأردن، وذكروا ضمن قائمة أعداء أمنمحات الثالث على قواعد أعمدة معبده، ولاحقا نسخت من قبل سيتي الأول أو رع مسيس الثاني وتذكر القائمة⁴ ست مجموعات من الشاسو: شاسو من srr، شاسو من Lbn، شاسو من smt، شاسو من wrbr، شاسو من yhw، وشاسو من pypsps.

¹ Astour, Michael C. "Yahweh in Egyptian Topographic Lists." In Festschrift Elmar Edel, eds. M.G and E. Pusch, Bamberg, 1979. p18.

² Redford, Donald B. Egypt, Canaan and Israel In Ancient Times. Princeton: Princeton University Press. 1992, p272-3

³ Rainey, Anson. "shasu or Habiru. Who Were the Early Israelites?" Biblical Archeology Review 34:6(Nov/Dec). 2008.

⁴ Sivertsen, Barbara J. The Parting of the Sea Princeton University Press. Princeton University Press, 2009. p.118.; Hasel, Michael G. Domination and Resistance: Egyptian Military Activity in the Southern Levant, 1300-1185BC. Probleme der Agyptologie 11. Leiden, 1998, Brill, pp.217-239.

ومن الملاحظ أن الشاسو يختلفون عن إسرائيل الوارد ذكرها في لوحة مرنبتاح^٥، فالشاسو مجموعة مستقلة عنهم لأنهم يرتدون ملابس مختلفة وتسريحة شعر مغايرة، ووصفت بشكل مختلف من قبل الكتبة المصريين. علاوة على ذلك يتم وصف الإسرائيليين كمجموعة عرقية مختلفة، وفي معظم الأحيان وصف الشاسو بالمدافعين عن التلال، واعتقد أنهم يرجعون إلى الكنعانيين الذين يدافعون عن الحصون في مدينة عسقلان، جازر، ينوع^٦.

ومن المعروف أن سكان أرض كنعان في الألف الثانية ق.م لا ينتمون إلى مجموعات لغوية متنوعة فحسب، وإنما إلى أنماط اقتصادية _ ثقافية مختلفة، إلى جانب السكان الساميين لغويا والحضريين^٧ وقد اصطدم المصريون مع القبائل الرحل منذ فترة حكم الفرعون أمنحوتب الثاني (القرن ١٥ ق.م)، وأطلقوا عليهم شاسو^٨، وكما أشرنا سابقا يعني رعاة الماشية، الرحل، البدو، وقد جاءوا من شرق الأردن ومن ثم انتشروا في جنوب ووسط كنعان^٩.

وتوجد في الكرنك مشاهد معارك سيتي الأول مع الشاسو التي جرت وقائعها بين سيلا وغزة إذ استوطن الشاسو بالقرب من سيناء، ويتضح من تلك المشاهد أن سيتي الأول انتصر عليهم ابتداء من سيلا وحتى كنعان^{١٠}، كما جرت الحرب مع الشاسو في وسط فلسطين^{١١}، ولاحقا في السنتين السادسة والسابعة من فترة حكم رمسيس الثاني وصل الجيش المصري إلى الأردن حيث تقع مملكة مؤاب، وأدوم _ سعير، وتمكنت القوات المصرية من السيطرة على الأردن، وخاصة الأراضي التي كان يقيم عليها الشاسو الرحل^{١٢}، ولم تقتصر حياة الشاسو على مهنة الرعي وشبه الرعي، وإنما سكنوا المدن لفترة طويلة، وكانت أعدادهم كثيرة، حتى أن بعض المدن أشار المصريون إليها بأنها تقع في أرض الشاسو^{١٣}،

⁵ Yurco, 1986, p. 195, 207; Hasel, Michael G. "Merenptah's Inscription and Reliefs and the Origin of Israel" in Beth Alpert Nakhai ed. The Near East in the Southwest: Essays in Honor of William G. Dever, pp. 19-44. Annual of the American Schools of Oriental Research 58. Boston: American Schools of Oriental Research. 2003. p. 27-36.

⁶ Stager, Lawrence E. "Forging an Identity: The Emergence of Ancient Israel". In Michael Coogan (Ed), The Oxford History of the Biblical World, New York: Oxford University Press. 2001. P. 92.

⁷ Urkunden IX. 5. 1308?; Janssen J. J. Beuteliste. S. 142.

⁸ Ranke H. Die ägyptischen Personennamen. Glutetiste, S. 1035, Bdl. sS. 117. N34.; Cerny J. Coptic Etymological Dictionary. Cambridge. 1927. P. 252.

⁹ Giveon R. Shosou. P. 235, 241.

¹⁰ Spalinger A. J, The Northern Wars of Seti I: An Intergative Study, JARCE, 1979. Vol. XVI. p. 30.

¹¹ Ibid, p. 31.

¹² Kitchen K. A. Pharaoh Triumphant: The Life and Time of Ramesses II Warminster. (England), 1982, p. 67.; Spalinger A. J, Op. Cit. p. 30.

¹³ Giveon R. Shosou. P. 235.

ولعل ذكر الشاسو الرحل قد حوته المصادر المصرية فقط^{١٤}، إذ نجد صورهم على جدران المعابد، والتي هدتنا إلى أن نوضح بعض صفات الثقافة المادية للشاسو. وتأييدا لما سبق بيانه فإن مشاهد معارك سيبي الأول تجسد معركة من خلف جدران حصن في أرض كنعان^{١٥}، والأرجح أن يكون من غزة^{١٦}، فمشاهد الأشخاص تختلف عن بقية سكان المدن الأخرى، وقد ذكرتهم النقوش بالخيبيين.

الكساء عند الشاسو

أما أردية الشاسو وملابسهم كمؤشر من المؤشرات العرقية فهي على النحو الآتي: يرتدي الشاسو مئزرا قصيرا، لا يصل إلى الركبة، وكانوا متحزمين بحزام، ومن الجهة الأمامية في وسط المئزر يتدلى شريط عمودي (صورة ٢، ٣) وربما هدب في نهايته، ولف الشاسو صدورهم بعصبة من الإبط وحتى الخصر (صورة ٤)، أما المدافعون عن الحصن فكانوا يرتدون أشرطة أفقية على الجسم، يعتقد أنها درع من الكتان فريد من نوعه.

ويتميز الشاسو بغطاء الرأس غير المألوف، وهي على نوعين: الأول كسوة الرأس تشبه القلنسوة، ويتسع هذا النوع عندما يوضع على الرأس، أما النوع الثاني فيربط على الرأس عصابة، وشعر الرأس في الحالتين مرتب. ويؤكد شكل القلنسوة والعصبة المتنوع انه لم يكن عندهم على منوال واحد لشكل غطاء الرأس، ومع ذلك فهو يتميز به الشاسو، وقد أحاطت اللحية الصغيرة الحادة الدقن فقط، مما أتاح للوجه مساحة واسعة.

أما مشاهد الكرنك^{١٧}، التي تظهر انتصار سيبي الأول وجليه للأسرى من الشاسو، فكانت تبدي الأسرى وهم يرتدون عباءات فوق المأزر، وتتدلى العباءة من الكتف فتغطي اليد حتى الكوع (صورة ٨، ٩)، وشدت على الجسم بحزام، وتتدلى حتى الكاحل. ويشاهد أيضا من غطاء الرأس عند بعض رجال الشاسو أنها تكون مزينة بأهداب من الخلف. ونلاحظ أن الشعر قد برز من تحت غطاء الرأس في مثل هذه الصور، أما الفنان المصري لم يعدها منفردة وإنما نقلها بصورة عامة أو بجداول، علما أن هذا الشعر رتب في المكان الذي يمكن أن تخاط فيه أهداب^{١٨}، وهناك مظهر آخر لغطاء الرأس عند

¹⁴ Gorg M. Namenstudies. P 235.; SSW_ Beduinen Undsufl- Nomeden. Biblische Notizen Bamberg. 1980. H.II.S.18-20.

¹⁵ Prichard J.B. Fig 327,329.; Smith W.S. Interconnexions. Fig.214.; Giveon R. Shosou. PL. vg ,Rosellini I Mon. Civili.III.lavXLVIII.

¹⁶ Faulkner R.O. Egypt. P. 219; Row A. The Topography and History of Beth- Shan. Philadelphia. 1930.p9,pl,39.

¹⁷ Ibid.PI.V(a-f);Capart J. Thebes. Fig.65; Wrezinski W. Atlas,II,Taf.43; Pritshard J.B. ANE.Fig.326.

¹⁸ Giveon R. Shosou. P. 252-253.; Helck W. Beziehung. S.335.

البعض من الشاسو حيث يتكون من شرائط على الجبهة ترتفع إلى الأعلى ويظهر على الخلف شعر كثيف يشبه شعر الخيل أو لفائف النخيل^{١٩}. (صورة ٦).

ويبدو أن أردية المحاربين يختلف عن المدنيين عند الشاسو، فمن مشاهد معركة قادش في الأقصر^{٢٠}، رأينا أن المحاربين كانوا يرتدون مئزرا قصيرا أو كسوة للرأس.

هذا وقد ظهر الشاسو ضمن جيش الفرعون منذ فترة حكم رعمسيس الثالث، ونراهم قد ارتدوا ملابس قصيرة^{٢١}، مثل هذه النقبة الموجودة على الأسرى من الشاسو المجلوبين من بلاد أمورو من قبل رعمسيس الثالث، ويرجح أن مثل هذه الملابس هي نقبة مخططة زينت في نهايتها بأشرطة عريضة من الكتان أو الجلد، ومثل هذه الأشرطة تقسم النقبة طوليا وعرضيا إلى عدة أقسام، وغالبا ما تزين نهاية الدرز بشرابيش أسفل ذيل الثوب.

ويربط الباحث جيفون (Giveon.R)^{٢٢}، عدد الشرابيش على النقبة بأصل الشاسو أي أنهم ينتمون إلى قبائل متنوعة) ، فتراكم الشرابيش على المئزر يرجع إلى الشاسو والآسيويين من مقبرة حور محب، ومن المؤسف أن هذا الافتراض يعد اجتهادا وظننا لا تؤيده المصادر الكتابية، وقد زينت الشرابيش القمصان الميتانية^{٢٣}، والمآزر السورية^{٢٤}، والكنعانية^{٢٥}.

ومما هو جدير بالذكر أن أسلوب تزيين الملابس بالشرابيش كان منشرا في أرض كنعان، فهو لم يقتصر على الشاسو، كما زين الشاسو صدورهم بتعاويز دائرية الشكل تشبه إلى حد بعيد تلك التعاويز التي كانت ترتديها الشعوب السامية الحضرية.

لقد وصلت رسومات أكثر تفصيلا عن الشاسو من لوحات صغيرة عليه أسرى أجنب من مدينة هابو والقنطرة^{٢٦}، وإذا قورن هؤلاء الأسرى مع الشاسو فنرى مماثلة الملابس وغطاء الرأس على اللوحات، ومع ذلك فهناك فروق بينهما.

ومن مشاهد المعابد نجدهم يرتدون أي الشاسو مآزر ونقبا، وإن كانت القمصان عندهم نادرة، كما نجد المآزر والنقب القصيرة لا تصل إلى الركبة، وتتكون ملابس الأسرى على اللوحات الصغيرة من القمصان التي لها أكمام، والنقب الكتانية مخططة من مقاطع صغيرة عليها عوارض طولية من الأشرطة أو المآزر، ويذكرنا شكل غطاء الرأس ببعض غطاء الرأس عند الشاسو في اللوحات الصغيرة.

¹⁹ Rosellini I. Man. Civili. Tav XLIX, L.; Smith W.S. Interconnexions. Fig70; Daressy G. Plaquettes Emaillees...pl.IV.

²⁰ Nabbi A. The Sea-Peoples.P 116.; Sandars N. K. The Sea-Peoples.P.35.

²¹ Medinet Habu. II.PI62,98-100.

²² Giveon R. Shosou. PL.III.IV.

²³ Smith W. S. Interconnections, Fig.92.

²⁴ De Garis Davies N. Gardiner A. The Tomb of Tfuy...PIXIX.

²⁵ De Gans Davies N. Faulkner R.O.A. Syrien Trading...PI. VIII.

²⁶ Daressy G. Plaquettes MILLEES. PI.IV,13,15.; Smith W. S. Inerconnections. Fig 70.; Giveon R. shosou.PI.XIII.; Bossert H. The Altsyrien. Fig o56.; Hayes W.C. Glazed Tiles from a Palace of Ramesses II at Kantir. New York.1937. Fig.10.; Osing J. Les Populations Asiatiques. Le mond de la Bible.1985.N. 41.

ونجد أن الصدر لف بأشرطة كتانية طولية، عند كل ثلاثة من أربعة أسرى ، وثلاثة مشاهد بالنقب أو (المآزر)، ونرى في أعلاها قمصانا طويلة تصل حتى الكاحل، ويكون لون الجزء العلوي أسود، مزخرفا يتخذ شكل حلقات صفراء ، ويبرز من تحت النقبة القصيرة نقبة طويلة لونها أخضر، وجميعها مثنية. (صورة ٩).

أما غطاء الرأس فتتكون من إطار على الجبين يرتفع إلى الخلف أو إلى الأعلى متخذا شكل لفائف مقطعة، وبصورة عامة، يمكن أن تكون المشاهد على شكل خطوط كنتورية للقلنسوة التي وجدت عند الشاسو في مشاهد مدينة هابو في الكرنك. (صورة ٩).

هذا ويمكننا القول إن تشابه الخطوط الكنتورية في غطاء الرأس، وشكل النقبة، واستخدام أشرطة كتانية على الصدر، تجعلنا نستنتج أن اللوحات الصغيرة من مدينة هابو، قد أعطت فكرة ناضجة عن هندام الشاسو الرحل.

كما أن اختلاف الملابس وتباينها في مشاهد المعارك أو في جلب الأسرى يتبين ارتداء المحاربين من الشاسو ملابس خفيفة ومناسبة للمعارك، وأضيف أيضا إلى انه في اللوحات الصغيرة من مدينة هابو يظهر الشاسو فقط، بينما الشعوب الأخرى بصورة منفردة.

على أن ظهور النقبة المجزأة بأشرطة عرضية وطويلة ظهرت عند الشاسو كان نتيجة احتكاكهم بشعوب البحر، مع أن الشاسو كان عندهم قبل ذلك المآزر فقط. أما الزخرفة فنجدها عند الشاسو شبيهة للتعاويذ_ المزخرفة المنتشرة في بلاد كنعان، فهي تتخذ أشكال ميداليات دائرية، أو على شكل حلقة، وفي أحد الحالات صليب^{٢٧}.

ومما هو جدير بالذكر أن كل صفات ملابس الشاسو تشبه إلى حد بعيد الملابس العربية المعاصرة، وبالذات ملابس سكان حضرموت، حيث إنهم لفترة قريبة جدا كانوا يرتدون نقبا أو مآزر، وقمصان ومناديل مربوطة على الرأس بالطريقة السابقة نفسها. حيث أننا نضع في الحسبان أن أراضي الجزيرة العربية هي مكان تشكل ما قبل الأقوام العربية، فعزلة حضرموت والتغيرات المناخية الطفيفة أتاحت الفرصة على نموذج الكساء القديم، كما أننا نقول أن صورة القلنسوة عند الشاسو وصور ربطات الرأس العربية إذا لم تتشابه بسبب الالتفاف المقتضب للثياب فإنها قريبة الشبه ببعضها البعض.

طراز الكساء عند الشاسو

أخذ الكساء عند الشاسو شكلين ذو طراز واحد: الأول كساء كامل، والثاني خفيف، ويتكون الكساء الكامل من قميص ملون له أيدي طويلة يصل إلى الكاحل، (صورة ٩) أو تنورة سفلية ذو ثنيات وعلى الرأس منديل ربط على شكل قلنسوة، أو قلنسوة وأحيانا خوذة، والشعر مرتب تحت القلنسوة، ولحاهم قصيرة على شكل أسفيل. أما الكساء الخفيف فنجده بكثرة، حيث يتكون من منزرا، وقميص، ومنديل أو قلنسوة، ومع مرور

²⁷ Medinet Habu.II.PI.98?

الوقت نتيجة اتصالهم بشعوب البحر ظهر عندهم مئزرا مخيطا، وأحياناً لفوا على صدورهم دروع.

الخاتمة

بما أن الكساء هو أحد المؤشرات العرقية المهمة في تميز شعب عن آخر فقد زدتنا مشاهد الكرنك بالهينات الخارجية لكثير من شعوب أرض كنعان، ومن بينهم الشاسو الرعيون الرحل، سكان السهوب والمناطق شبه الصحراوية، إذ كانت لهم ثقافة مادية خاصة بهم، ونفيد في هذا المقام أنهم شكلوا عرقية واحدة، ليس لها علاقة بإسرائيل المدونة على لوحة مرنبتاح، وقد انفرد الشاسو بأحد المؤشرات العرقية المائلة في الكساء والتي ميزتهم عن غيرهم من الشعوب ، والأرجح أن كساء الشاسو يماثل كساء سكان حضرموت في العصر الحديث، وكسوة الرأس ولا سيما القلنسوة عند الشاسو وصور ربطات الرأس العربية حيث إن كلا منهما تشاكل وانطبق وتقارب واتفق.



الحوض الجاف بالدخيلة "دراسة أثرية معمارية وتقييم للوضع الراهن ومتطلبات الترميم والصيانة "

- د. محمد كمال خلاف
- د. أحمد محمد أمين

ملخص البحث

يهدف البحث إلي دراسة الحوض الجاف الأثري الواقع بمدينة الدخيلة بالإسكندرية وتتبع أهميته من أنه نمط متميز وغير تقليدي في العمارة الإسلامية كما أن النماذج الباقية منه نادرة، وقد أمر محمد علي باشا بإنشاء الحوض الجاف بالدخيلة بالإسكندرية سنة ١٨٣٥م لعمارة السفن وإصلاحها ضمن اهتمامه الاستراتيجي بتعزيز القوي البحرية وزيادة الأسطول وقد تناول البحث الحوض الجاف من الناحية الأثرية والمعمارية مع دراسة الوضع الراهن له ومظاهر التلف والتدهور التي يعاني منها وقد تم عمل دراسة تحليلية لمكونات ومظاهر تلف مواد البناء للحوض الجاف، حيث تم أخذ عينات من الأحجار والمونات وطبقات البياض وذلك لدراسة تركيبها المعدني باستخدام الميكروسكوب المستقطب والميكروسكوب الإلكتروني الماسح وطريقة حيود الأشعة السينية، كما تم دراسة الخواص الفيزيائية والميكانيكية للأحجار الجيرية المستخدمة في تشييده للتعرف علي حالتها، وقد بينت نتائج هذه الدراسة أن الأحجار الجيرية المستخدمة في البناء أحجار جيرية أوليتية والتي تحتوي علي الحفريات ذات الشكل البطروخي ، كما أوضح الفحص بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح تفكك مكونات الاحجار وتعرض بعض أجزائها للإذابة ووجود أملاح متبلورة بين المكونات المعدنية ووجود فجوات وانفصالات . أظهرت نتائج التحليل بحيود الأشعة السينية أن الأحجار الجيرية المستخدمة في بناء الحوض تتكون أساسا من معدن الكالسيت $CaCO_3$ Calcite ونسبة ضئيلة من معدن الكوارتز SiO_2 Quartz إضافة إلى بعض أكاسيد الحديد Iron Oxides ، ونسبة ضئيلة من معدني الدولوميت Ca, Mg Dolomite و $(CO_3)_2$ والهاليت $NaCl$ Halite، كما وجد أن المونة المستخدمة بالحوض عبارة عن خليط من الجير والرمل، أما بالنسبة لطبقات البياض فقد تبين أنها تتكون من معدني الكالسيت والكوارتز، وقد احتوت كل من المونة وطبقات البياض علي معدن الهاليت (كلوريد الصوديوم) نتيجة تعرض الأحجار لماء البحر مما أدى إلي تلف وتدهور المونة وطبقات البياض ، كما أظهرت نتائج دراسة خواص الخواص الفيزيائية والميكانيكية للأحجار الجيرية

• أستاذ مساعد - بقسم الترميم كلية الآثار - جامعة الفيوم
• مدرس بقسم الآثار الإسلامية كلية الآثار جامعة الفيوم

المستخدمة في بناء الحوض انخفاض قوة تحمل الضغط للأحجار مع زيادة نسبة إمتصاصها للماء ومساميتها ، وذلك بسبب ما تتعرض له من عوامل تلف داخلية وخارجية متنوعة أدت بدورها للعديد من مظاهر التلف وقد أنضح من الدراسة مدي التأثير المتلف لمياة البحر والرياح المحملة بالرمال في تلف وتدهور مواد بناء الحوض الجاف وقد أختتم البحث بتوصيات ترميم وعلاج وصيانة الحوض الجاف من مظاهر التلف والتدهور للحفاظ عليه وحمايته كمثال نادر في مصر لهذا النوع من العمارة.

١- مقدمة

الحوض الجاف هو بناء متين مبني من أحجار صلبة بناحية من البحر متسعة عميقة تُختار بقرب البر، يستخدم لاستيعاب السفن التي تخرج من الماء بهدف عمارتها أي القيام بأعمال الإصلاح للأجزاء المغمورة من السفينة و تنظيفها و إعادة دهانها و من ثم إعادة السفينة إلى البحر. ويصمم الحوض الجاف تلبية لهذا الغرض الوظيفي؛ فيجعل طوله بحيث يتسع لأكبر سفينة أو حجم نوع معين من السفن وعرضه بنسبة معينة، وله فتحة من جهة البحر تُسد بباب بهيئة مخصوصة، وتجعل فيه منافذ صغيرة تفتح وتقفل بحسب الحاجة، فإذا أريد إدخال سفينة فيه للإصلاح والصيانة يُفتح الباب فتدخل السفينة بسهولة، ثم يسد فينزع الماء منه حتى يجف، وبعد تمام العمارة يملأ الحوض ثانية ويفتح الباب فتخرج السفينة^١.

يمثل الحوض الجاف بهذا الشكل نمط معماري غير تقليدي في العمارة بصفة عامة والعمارة الإسلامية بصفة خاصة، والنماذج الأثرية الباقية منه بصفة عامة قليلة للغاية، ويمثل الحوض الجاف بالدخيلة - موضوع البحث - النموذج الأثري الوحيد الباقي في مصر ومن هنا تأتي أهميته وضرورة الحفاظ عليه وترميمه، واستغلاله سياحياً. ويمكن إعتباره عمارة نوعية لغرض وظيفي محدد دعت الحاجة لإنشائه.

تبوأ مصر الصدارة في ركوب البحر وصناعة السفن^٢ بين شعوب العالم القديم. وهذه الريادة جاءت كنتيجة مباشرة لموقعها الجغرافي الفريد بين قارات العالم القديم الثلاث؛ آسيا وإفريقيا وأوروبا. فكان إتصالها بمن حولها من شعوب تلك القارات شمالاً وشرقاً عبر البحر ممثلة في البحرين الأبيض المتوسط والأحمر، وجنوباً مع شعوب إفريقيا عبر نهر النيل الذي يجري بامتداد طولها، ويربط كذلك بين أجزائها.

^١ - <<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/172248/dry-dock>>؛ "Dry-dock"، an article in *Encyclopaedia Britannica*, 15 July, 2013.

^٢ - ماهر، سعاد. البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، ص ١٥-١٦.

وطبقاً للمؤرخ اليوناني أثيناياوس فإن البطالمة في مصر (بالإسكندرية) هم أول من ابتكروا الحوض الجاف لصيانة السفن وبنائها في الفترة عقب وفاة بطليموس الرابع (٢٢١-٢٠٤ ق.م)^٣، ويدعم هذا القول شهرة مدينة وميناء الإسكندرية التي أنشأها الإسكندر الأكبر كعاصمة لمصر، وازدهار مدرسة الإسكندرية القديمة ومكبتها الشهيرة خلال العصر الهليني، حيث ازدهرت علوم الرياضة والطبيعة والفلك على أيدي علماء من أمثال بطليموس القلوذي وأرشميدس، ومنها تخرج مهندسون برعوا في تخطيط الموانئ ورسم الخرائط، واستمرت الإسكندرية الميناء البحري الرئيسي والأكثر أهمية في مصر منذ نشأتها وحتى الآن^٤.

في الواقع إن تاريخ صناعة السفن بمصر عريق، فكانت مصر على صلات تجارية قوية بجزر كريت وصقلية منذ عهد الأسرتين الأولى والثانية، وعلى صلات بحرية كذلك ببلاد بنت (الصومال) مند عهد الأسرتين الرابعة والخامسة (٢٤٧٠-٢٣٤٠ ق.م). فضلاً عن بعثة الملكة حتشبسوت البحرية الشهيرة في عهد الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) إلى بلاد بنت وذلك في عام ١٤٩٥ ق.م، والتي نقشت أخبارها على جدران معبد الدير البحري^٥.

ويهدف البحث إلي دراسة الحوض الجاف بالدخيلة من الناحية الأثرية والمعمارية من حيث تخطيطه وعمارته، بالإضافة إلي دراسة مكونات مواد البناء ومظاهر وعوامل التلف والتدهور والوضع الراهن له وأهم الإنتاجات والتوصيات الخاصة بترميم وعلاج وصيانة الحوض الجاف بعناصره المعمارية المختلفة.

³- Athenaeus of Naucratis, *The deipnosophists or Banquet of the learned of Athenaeus*, translated by: Yonge, C.D., 3 volumes, London: Henry G. Bohn, vol. I, p.325.

وبعد البطالمة، يأتي ذكر الفينيقيون -ذائعو الصيت كذلك في صناعة السفن من أجود الأخشاب والتي تمتاز بها فينيقيا- حيث ابتكروا نمط جديد عبارة عن حفر خندق عميق، بجهة البحر قريب من الميناء، في باطن الأرض مساوي لأبعاد السفينة، وعلي عمق حوالي ٥ أذرع من الخندق تبني دعائم من الحجر الجيد ويثبت بهذه الدعائم روابط عرضية متكررة بامتداد عرض الخندق ويفصل بينها مسافات بنحو أربعة أذرع (مثل فانكات القطار). وعبر قناة من البحر مباشرة يم ملئ الخندق بالماء، ومن ثم وبمساعدة بعض الرجال يتم سحب السفينة حتى ترسو أعلي الخندق بالضبط، ثم يتم غلق القناة وفتح الخندق التي بجهة البحر، ثم يتم صرف المياه من داخل الخندق بواسطة آلات. ومن ثم ترسو السفينة علي الروابط بالخندق ويتم التعامل مع السفينة بسهولة.

^٤ - عبد العليم، أنور. الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة (العدد ١٣)، الكويت، يناير ١٩٧٩م، ص ١٩.

^٥ - عن البحرية في مصر القديمة انظر: ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ١٥-٢٩؛ عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، مرجع سابق، ص ١٥-١٦.

٢- الاهتمام بالبحرية وبناء دور صناعة السفن في مصر "العصر الإسلامي".

أول من ركب البحر من المسلمين هو الصحابي العلاء بن الحضرمي وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من عمان والبحرين. وأول من ركب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) هو معاوية بن أبي سفيان ويُنسب إليه الفضل الأكبر في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي^٦. فهو أول من أنشأ داراً لصناعة السفن^٧ في عكا، وبني بها أسطولاً عندما كان عاملاً علي الشام زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه^٨.

ولفظ "دار صناعة"^٩ استخدمت في الدولة العربية الإسلامية للدلالة علي مكان صناعة السفن دون غيرها من الصناعات رغم عموم معني اللفظة الحرفي، وفي هذا إشارة واضحة لمبلغ إهتمام الدولة الإسلامية بالقوي البحرية^{١٠}. ويقابل لفظ "دار الصناعة" اليوم "الترسانة"، ويعكس التطور التاريخي لهذه اللفظة فترات الإزدهار والإضمحلال في هذه الصناعة في الدولة الإسلامية؛ ففي الأولي أخذت أوربا عنهم اللفظة، وفي الثانية أعاد العرب إستعارتها من اللغات الأوروبية. فسمي الأسبان "دار الصناعة" "Darcinah" وأخذتها عن الأسبان سائر الدول الأوربية؛ فنقلتها البرتغال "Tarsanah"، وفي الإيطالية "Darsena" ثم "Terzana" ثم "Arzana" ثم "Arzanale"، وانتقلت إلي الفرنسية والإنجليزية فأصبحت "Arsenal". وإستعاد العرب الكلمة عن الأسبان "Tarsanah" عبر التأثير التركي علي مفردات اللغة العربية فترجمت "ترسانة"^{١١}.

^٦ - العبادي، أحمد مختار؛ سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م، ص ١٥.

^٧ - عبادة، عبد الفتاح. كتاب سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتھا في الإسلام، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩١٣، ص ٢٠.

^٨ - وتمكن المسلمون خلال سنوات قليلة من تحقيق انتصارات بحرية عظيمة؛ فتم فتح جزيرة قبرص عام (٢٨-٢٩هـ-٦٤٨-٦٤٩م، ٣٢هـ-٦٥٣م)، جزيرة رودس عام (٥٢هـ-٦٧٢م)، ثم جزيرة كريت من بعدها. انظر: بركات، وفيق. فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب: معهد التراث العلمي العربي، ١٩٩٥م، ص ٤١-٤٤.

^٩ - فهمي، علي محمود. التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: قاسم، قاسم عبده، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٤٢-٤٤.

^{١٠} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ٣١١.

^{١١} - عبادة، كتاب سفن الأسطول، ص ٣-٤ حاشية ٤. للمزيد عن المصطلحات العربية في الملاحة انظر، عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، مرجع سابق، ص ٢٩.

وأنشئت في مصر أول^{١٢} دار لصناعة السفن في العصر الإسلامي سنة ٦٧٤/هـ في عهد مسلمة بن مخلد والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ-٦٦١م)، وعرفت باسم "صناعة الروضة" نسبة لجزيرة الروضة حيث مكانها. وكان يدير دور الصناعة في مصر أقباط لما لديهم من خبرات^{١٣}، وظلت خبرات الأقباط في صناعة السفن دعماً قوياً للبحرية الإسلامية داخل مصر وخارجها. فنري عبد العزيز بن مروان والي مصر -بناءً علي طلب من حسان بن النعمان- يرسل ألف قبضي من بنائي السفن مع عائلاتهم إلى تونس ليقبضوا له دار صناعة بحرية^{١٤} إثر مواجهات بحرية عنيفة بين حسان بن النعمان مع الروم عقب فتحه لقرطاجنة.

وظلت مصر مركزاً قوياً لصناعة السفن إبان العصر الإسلامي، فشجع أحمد بن طولون (٢٥٤هـ-٨٦٨م) صناعة السفن ووسع دار الصناعة في جزيرة الروضة وكانت تعرف باسم "صناعة الجزيرة"^{١٥}، وأنشأ الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد (٣٢٣هـ-٩٣٥م) داراً للصناعة بساحل فسطاط مصر^{١٦}. وعينت الدولة الفاطمية عناية فائقة بصناعة السفن حتى صارت من أقوى الدول البحرية في البحر الأبيض المتوسط وأواخر القرن السادس الهجري. ومن مظاهر تفوق الفاطميين البحري سيطرتهم علي معظم الجزر غربي البحر الأبيض المتوسط (أهمها صقلية و سردينية)، وإنشاء ديوان الجهاد أو العمائر ويختص بالأسطول وكان مقره دار الصناعة بمصر، وإنشاء دور جديدة لصناعة السفن في الإسكندرية ودمياط وجزيرة الروضة^{١٧}.

إتسم العصر الأيوبي بالجهاد ضد الصليبيين في مصر والشام مما أكسبه طابعاً حربياً؛ الأمر الذي انعكس علي إهتمام صلاح الدين بالأسطول حيث أفرد له ديواناً خاصاً وأسماه "ديوان الأسطول" وإختص بالنفقة علي كافة شئون القوات البحرية، ودور الصناعة التي تقوم بأعمال الصيانة اللازمة للأسطول^{١٨}.

^{١٢} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ٣١٣.

^{١٣} - فهمي، علي محمود. التنظيم البحري، مرجع سابق، ص ٣٦.

^{١٤} - عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، مرجع سابق، ص ٨٢.

^{١٥} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ٩١-٩٢؛ عبد العليم، الملاحة وعلوم

البحار، مرجع سابق، ص ٧٨؛ فهمي، التنظيم البحري، ص ٤٢-٤٤.

^{١٦} - فهمي، التنظيم البحري، مرجع سابق، ص ٤٧.

^{١٧} - العبادي، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص ٦٣-٦٩.

^{١٨} - خصص صلاح الدين لديوان الأسطول خراج إقليم الفيوم، والحبس الجيوشي، وخراج السنط، وحصيلة النظرون، وعين أخاه العادل رئيساً عاماً لديوان الأسطول، وعمل علي زيادة رواتب المشتغلين به. للاستزادة انظر، ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ١٠١؛ العبادي، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ بركات، فن الحرب البحرية، مرجع سابق، ص ٧٤.

وحرص سلاطين المماليك على الإحتفاظ بأسطول قوي لمواجهة المغول والصليبيين. وتمكن المماليك من تحرير بلاد الشام نهائياً من الصليبيين بعد انتصار الأسطول المصري عليهم سنة ١٢٩١م، واستطاع المماليك تحرير عكا آخر معاقل الصليبيين بالشام. وبعد نحو قرن من الزمان عاود الصليبيون الهجوم علي مصر ولكن هذه المرة جاءوا من جزيرة قبرص والتي مثلت مركز حصين للصليبيين ونقطة انطلاقهم لضرب الثغور الإسلامية. وقام ملك قبرص المعروف باسم بطرس الأول لوزنيان (١٣٥٠-١٣٦٩م) من الإغارة على الإسكندرية بأسطول قوى عام (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، وأعمل القتل والنهب في المدينة لمدة أسبوع كامل، وكانت الحملة الصليبية تضم جماعة دولية من الفرسان من إنجليز وفرنسيين... وكان صدي هذه الهجمة الوحشية كبير في أرجاء العالم الإسلامي^{١٩}. بعد هذه الهجمة عمل المماليك علي إعادة العناية بالإسكندرية بصفة عامة، وبالأسطول بصفة خاصة حيث يذكر النويري أن دور الصناعة^{٢٠} في مصر استطاعت أن تبني في عام واحد مائة مركب حربي وذلك إستعداداً لغزو جزيرة قبرص والانتقام لما حدث. حيث جاء الرد علي هذا الهجوم الوحشي في عصر السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤٢هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) بعد نحو ٦٠ سنة من تاريخ هذا العدوان، فأرسل ثلاث حملات متتالية لغزو جزيرة قبرص في سنوات (٨٢٧هـ/١٤٢٤م، ٨٢٨هـ/١٤٢٥م، ٨٢٩هـ/١٤٢٦م) على التوالي؛ وتمكن جيش المصريين في الحملة الأخيرة من دخول العاصمة نيقوسيا ودارت معركة حاسمة هُزم فيها القبارصة وأسر ملكهم جانوس، كما هُزم القبارصة في البحر أيضاً وصارت قبرص تابعة للدولة المملوكية بمصر^{٢١}.

إن تحول مصر في العصر العثماني من مقر للسلطنة إلي كونها مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية، وإنعكس ذلك التحول علي الإهتمام بالأسطول؛ حيث أهمل أمر الأسطول وصناعته. وطوال العصر العثماني وحتى مجيء الحملة الفرنسية (١٥١٧-١٧٩٨م) صار القوة البحرية المصرية تعمل لخدمة الأسطول العثماني والقيام بمهام محددة بغرض دعم الأسطول أو المشاركة في بعض الأعمال. ومن أهم إنجازات الأسطول المصري في هذه الفترة مشاركته في فتح جزيرة كريت سنة ١٦٦٩م^{٢٢}.

^{١٩} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ١٢٠-١٢١؛ العبادي، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص ٣١٢-٣١٦.

^{٢٠} - العبادي، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

^{٢١} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ١٢١-١٢٣؛ العبادي، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص ٣٢٩-٣٣٦.

^{٢٢} - ماهر، البحرية في مصر، مرجع سابق، ص ١٣٥-١٤٣.

ومع بداية القرن ١٩م حدثت تغييرات جذرية في تاريخ مصر بصفة عامة، وتاريخها العسكري بصفة خاصة من حيث مجي الحملة الفرنسية ومكوئها في مصر نحو ثلاث سنوات (١٧٩٨-١٨٠١م) ثم إندحارها، ثم ظهور محمد علي وتسلمه مقاليد أمور مصر كوالي عليها (١٨٠٥-١٨٤٩م)، ونهج محمد علي سياسة غيرت من وجه مصر فصارت في نحو أربع عقود واحدة من أكبر المدنيات وأهم الدول في العالم. وفي سبيل تحقيق هذه النهضة إهتم محمد علي باشا اهتمام عظيمًا بالجيش البري والبحري علي السواء، وانعكس هذا الاهتمام علي تطوير كافة القطاعات في مصر مثل الزراعة والري، والصناعة، والتجارة، والتعليم فازدهر كل ما يتعلق بذلك من هندسة وعمارة وبناء وحرف وفنون وآلات ومعدات وأسلحة ومركبات وسفن وكان باكورة إهتمامه بالقوي البحرية كما يذكر سرهنك^{٢٣} هو توسيع وإصلاح ميناء الإسكندرية لقلّة عمقها وعدم كفاية السفن، مما يضطرها للرسو بعيداً عن الشاطئ. فأحضر الكراكات من أوروبا لإنجاز هذا العمل، وبعد إتمامه جعل للميناء إدارة مخصوصة اسمها إدارة ليمان رئيس.

٣- الحوض الجاف بالدخيلة.

٣-١ الموقع ودلالته. يقع الحوض الجاف بشاطئ الدخيلة حي العجمي بالإسكندرية، ويطل مباشرة علي شاطئ الدخيلة. ويحد الحوض من الجهة الشمالية خط الساحل مباشرة، وجنوباً طريق الكورنيش، وشرقاً الشاطئ الرملي، وغرباً طابية الدخيلة وتبعد عن الحوض بنحو ٦٥ متر. ويمكن سحب السفن للحوض من كلا الجهتين الشمالية والغربية حيث يوجد مرفأً طبيعي يسهل رسو السفن فيه (لوحة رقم ١).

^{٢٣} - سرهنك، إسماعيل. حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الثاني، القاهرة: ١٣١٢هـ، ص ٢٤١؛ طوسون، عمر. الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا، الإسكندرية: مطبعة المستقبل، ط ٣ (١٩٣٥م)، ص ١٦.



(لوحة رقم ١) صورة بالقمر الصناعي توضح موقع الحوض الجاف بالدخيلة
(١ الحوض الجاف، ٢ طابية الدخيلة)، عن موقع Google

٢-٣ المنشئ وتاريخ إنشاء وعمارة الحوض. بعد موقعة المورة أخذ محمد علي باشا يعمل علي إعادة بناء القوي البحرية، فوجه عنايته أولاً إلي تشييد دار صناعة لإنشاء وإصلاح السفن مع ما تحتاجه من معامل ومصانع^{٢٤}، وشرع في ذلك سنة ١٢٤٢هـ-١٨٢٦م وتمت سنة ١٢٤٥هـ-١٨٢٩م. وأحضر لها سنة ١٨٣١م من مدينة طولون مهندساً ماهراً يدعي سريزي، فجعله باشامهندس ورقاه لرتبة البكوية. ويفيد تقرير من الرسول البابوي اوتينفيلس Ottenfles إلي أمير ميترنيخ بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٨٢٦م أن محمد علي شرع في إنشاء الحوض الجاف لإصلاح السفن بالإسكندرية بغرض إصلاح السفن الحربية واستعادة القوية منها، وذكر اوتينفيلس Ottenfles اهتمام محمد علي باشا الملحوظ بزيادة الأسطول^{٢٥}. وقدم سريزي إلي محمد علي باشا مشروعاً بإنشاء

^{٢٤} - طوسون، الجيش المصري، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

^{٢٥} - تحركات الأسطولين المصري والتركي، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٥٣٣ (الإسكندرية: ١٠-١١-١٨٢٦م)، منشورة في كتاب الوثائق الإيطالية للبحرية المصرية.

حوضين لإصلاح السفن، ولكن هذه الأعمال لم تتم في حينها حيث كانت في حاجة إلي مهندسين بارعين وعمل كثير^{٢٦}.

وحوالي سنة ١٨٣٥م أمر محمد علي باشا بإنشاء الحوض الجاف بالدخيلة بالإسكندرية لعمارة السفن وإصلاحها ضمن إهتمامه الإستراتيجي بتعزيز القوي البحرية وزيادة الأسطول. فأصدر محمد علي باشا أوامره إلي شاعر أفندي بالعمل علي بناء الحوض الجاف، ولكنه فصل من الخدمة، وتوقف العمل^{٢٧}. وأصدر الباشا أمر إلي مصطفى مطوش باشا ناظر البحرية بترسانة الإسكندرية^{٢٨} بجمع مهندسي الترسانة للمعاونة في إنشاء الحوض الجاف، وإتخاذ أقرب الطرق لإتمام العمل في أقصر مدة ممكنة. وكان حرص محمد علي باشا علي إتمام العمل بأسرع وقت ظاهر، ولما كان عدد العمال المخصصين لهذا العمل غير كاف لإتمامه بالسرعة المطلوبة، فقد أمر محمد علي باشا بتشغيل أفراد الغليون رقم (٥) في عملية إنشاء الحوض، وأوصي بترتيب أفراد الغليون الأخرى لإتمام بناء الحوض^{٢٩}. ومع اهتمام محمد علي بسرعة انجاز البناء في أقل وقت ممكن، وشدة إنزعاجه عند حدوث أي تعطيل للبناء، فقد كان حريص كذلك علي أن يكون البناء متيناً، وأصدر أوامره إلي ناظر البناء مطوش باشا بهذا المعني^{٣٠}.

وفي هذا السياق أرسل محمد علي مهندساً يدعى هنري إلي ميناء طولون لدراسة النظام المتبع في الموانئ الفرنسية، وأعطته الحكومة الفرنسية التسهيلات اللازمة. ثم أوفدت الحكومة الفرنسية عام ١٨٣٨م المهندس موجيل Mougel للمشاركة في بناء الحوض الجاف، وبدأ العمل في بناء الحوض إلا أن العمل قد توقف بسبب الحرب السورية الثانية، ولم يتم إستكمال البناء إلا في عام ١٨٤٤م. وتؤرخ وثيقة^{٣١} لتولي موجيل إدارة الأعمال بتشبيد حوض

^{٢٦} - هريدي، صلاح أحمد. الحرف والصناعات في عهد محمد علي، تقديم: عمر، عبد العزيز عمر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ١٨٨.

^{٢٧} - شكري، محمد فؤاد. بناء دولة مصر محمد علي - السياسة الداخلية، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٤٨٨.

^{٢٨} - سر عسكر الدونما المصرية، أصله من مدينة قوله، طوسون، الجيش المصري، مرجع سابق، ص ٢٤.

^{٢٩} - هريدي، الحرف والصناعات، مرجع سابق، ص ١٨٠؛ دفتر ٧٦ معية تركي، ص ١٠، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة عام ١٢٥١هـ: أمر من المعية إلي مطوش باشا.

^{٣٠} - هريدي، الحرف والصناعات، ص ١٨٠-١٨١؛ دفتر ٧٦ معية تركي، ص ٧، بتاريخ ٩ ذي الحجة عام ١٢٥١هـ: أمر من المعية إلي مطوش باشا.

^{٣١} - مهندس فرنسي يتولى إدارة الأعمال الخاصة بتشبيد حوض إصلاح السفن، مجموعة مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٧٧٥ (الإسكندرية: ٦ ديسمبر ١٨٣٨م)، وتمثل خطاب من القنصل فانتوتسي إلي وزير الشؤون الخارجية بنابولي، ويذكر الخطاب =

إصلاح السفن وتبين طبيعة عمله كونه يهتم في الوقت نفسه ببناء الآلات والمرافئ تحت الماء حتى يمكن جر السفن الضخمة إلى البر بالآلات الرافعة لإصلاح ما بها من عيوب بحاجه ماسة إلى الإصلاح.

ويبدو أن مجمل الأعمال التي تمت بالحوض حتى سنة ١٨٤٠م لم تكن تسمح له بالعمل بعد، فتذكر وثيقة مؤرخة بـ ٢٦ يناير ١٨٤٠م أن أول سفينة تم سحبها إلى البر لإصلاحها كان في دار صناعة السفن بالإسكندرية، ويصرح موجيل في نهاية الوثيقة أن إنشاء حوض جديد لإصلاح السفن لن يتم بسهولة^{٣٢}.

٣-٣ استئناف البناء بالحوض. تم استئناف العمل بالحوض الجاف في الشهر الأولي من سنة ١٨٤٢م كما يستدل من الوثيقة المؤرخة بـ ٥ إبريل ١٨٤٢م وفيها بيدي محمد علي باشا إستحسانه لسير الأعمال في حوض إصلاح السفن تحت إشراف المهندس الفرنسي موجيل^{٣٣}. وفي هذه المرحلة تمت تعديلات على تصميم^{٣٤} الحوض والطريقة التي ينفذ بها من قبل المهندسين محمد مظهر باشا ولينان بك وبهجت باشا بناءً على طلب المشورة من محمد علي باشا حول إنشاء حوض جاف لإصلاح السفن في الإسكندرية. وصار العمل على إنشاء الحوض بهمة وعزيمة عالية وكان محمد علي باشا يتفقد بنفسه أعمال البناء، واستحضرت الأخشاب والمواد اللازمة، وكذلك الآلات البخارية التي تقوم بتفريغ الماء من الحوض، وركبت في المكان المعد لها، وقامت الكراكات بحفر القاع كما وضعت الأوتاد بواسطة الآلات، وقد تم إنجاز هذا العمل بسرعة رغم صعوبته ودقته البالغة^{٣٥}. وفي يونيو ١٨٤٢م توقف العمل بالحوض وذلك لإعطاء الأعمال التي تمت فترة حتى تتماسك وتقوى^{٣٦}.

كذلك راتب موجيل فتقول أن رواتبهم مع الحكومة المصرية تصل إلى ٣٧٠٠٠ فرنك في العام فضلا عن هدية تقدر بـ ٦٠٠٠٠ فرنك إلى أن ينتهي العمل بالحوض طبقا لنص العقد، و١٥٠٠٠ فرنك سنويا لمساعد المهندس الذي جاء معه.

٣٢ - سحب أول سفينة إلى البر في دار صناعة السفن بالإسكندرية لإصلاحها، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٧٧٨ (الإسكندرية: ٢٦ يناير ١٨٤٠م).

٣٣ - محمد علي باشا بيدي استحسانه لسير الأعمال في حوض إصلاح السفن، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٣٨ (الإسكندرية: ٥ إبريل ١٨٤٢م).

٣٤ - طوسون، الجيش المصري، مرجع سابق، ص ٢٥. كلوت بك، أ. ب. لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، دت، ج ٢، ص ٣٨٠.

٣٥ - هريدي، الحرف والصناعات، ص ١٨١؛ كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، مرجع سابق، ص ٣٨٠-٣٨٣.

٣٦ - حوقف العمل في حوض إصلاح السفن، ومحمد علي باشا يأمر بوضع وإعداد خطة جديدة للسود في مصر السفلى، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤١ (الإسكندرية: ٢٦ يونيو ١٨٤٢م).

أثناء العمل بالحوض كانت تظهر مشاكل كثيرة تعوق العمل أهمها ظهور منابع جديدة للماء بعد تجفيف الحوض. وتوضح أربع وثائق مؤرخة بأشهر مارس^{٣٧} وأبريل^{٣٨} ومايو^{٣٩} ويوليو^{٤٠} لسنة ١٨٤٣ علي الترتيب. وفي الوثيقة الأخيرة المؤرخة بـ ٢٦ يوليو ١٨٤٣م (الإسكندرية) تذكر ظهور منابع جديدة للمياه بالحوض تعوق عملية إتمام العمل في الحوض، وتذكر كذلك بأن المهندس موجيل كان مسافراً إلي عطيفة Atefe وأنه اضطر للعودة إلي الإسكندرية بعد ذلك الحادث الذي وقع. وتنتهي بإظهار ضيق محمد علي باشا لهذا الحادث ولهفته إلي رؤية الحوض يعمل.

وكان تمام عمارة الحوض والانتهاء منه في ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م. وقام الخديوي إسماعيل في الفترة بين ١٨٦٩-١٨٧٣م بتزويد الحوض الجاف بمدفعين طراز أرمسترونج (لوحة رقم ٢). وتم تسجيل الحوض الجاف كأثر بقرار رقم ٢١٤ لسنة ١٩٦٤م.

^{٣٧} - «مشاكل جسيمة من أجل تجفيف المياه في حوض إصلاح السفن». "مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤٨ (الإسكندرية: ٦ مارس ١٨٤٣).

^{٣٨} - «نزع المياه، واستئناف العمل بأقصى جهد ونشاط في الحوض». "مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤٩ (الإسكندرية: ٦ أبريل ١٨٤٣).

^{٣٩} - «ظهور مصدر آخر للمياه في المنتصف وإغلاقه بعد عناء». "مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٦٣ (الإسكندرية: ٢٦ مايو ١٨٤٣)، انظر.

^{٤٠} - «مصادر و منابع جديدة للمياه تعوق عملية إتمام العمل في الحوض»، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٦٤ (الإسكندرية: ٢٦ يوليو ١٨٤٣).



(لوحة رقم ٢) الحوض الجاف والمدفعين طراز أرمسترونج

٤- تخطيط وعمارة الحوض.

بناء مستطيل الشكل مساحته ١٧٣.٦م^٢. يمتد الضلع الطولي من الشرق إلى الغرب بطول ١٧.٨×٩.٥م، ويمتد ضلعه العرضي من الشمال إلى الجنوب بعرض حوالي ٩.٥م. مع وجود إنكسار في الجهة الشرقية (شكل رقم ١). وكانت تُسحب السفن بواسطة الأوناش والجرارات وتسحب بالعرض وليس بالطول، نظراً لخطورة طريقة السحب الطولية، ومن ثم فإن تصميم الحوض ومحوره الطولي جهة البحر أنسب عملياً. البناء مكون من طابق واحد يمثل صهريج الحوض، وترتفع الجدران الخارجية لهذا الجزء - الجزء الظاهر منها حالياً - نحو ± ١.٤٠ م، بينما ترتفع الواجهة الرئيسية (لوحة رقم ٣)؛ وهي الواجهة الوحيدة المتبقي منها جزء يرتفع بإرتفاع طابقين نحو ٧.٨م عند أقصى نقطة إرتفاع (شكل رقم ٣). البناء مكون من مداميك منتظمة البناء من الحجر الجيري الأبيض، وتدل نقاط إلتقاء الجدران عند زوايا البناء على تواصل نسيج البناء كوحدة واحدة (لوحة رقم ٢، ٤). سمك الجدران حوالي ± ٥٠ سم. واجهة الأثر الوحيدة تمثل الجدار الشمالي باتجاه البحر، وتأخذ الواجهة بعد مستوي الصهريج الأرضي شكل منحنى بياني نتيجة تهدم الأجزاء الجانبية من كلا الناحيتين بحيث تكون في الوسط حنية معقودة تشبه الحنايا المعقودة بعقود

منكسرة الشائعة في العمارة الفاطمية (لوحة رقم ٥، ٦). يكتنف الدخلة دعامتين مبنيتين بنفس الحجر مادة بناء الحوض مكوناً من أعلي شكل تاج عمود بارز عن الدعامة ومن أسفل قاعدة بارزة. طاقيّة الحنية تجمعت بها الصنج الحجرية في شكل مشع من أسفل ومتوجة بعقد مدبب ويحدده من أعلي شكل عقد منكسر منفذ بإفريز حجري بارز (لوحة رقم ٦). أسفل طاقيّة الحنية يوجد إطار مستطيل منفذ بإفريز حجري يأخذ من الجانبين شكل نصف عمود مدمج، ويذكر أن هذا الإطار كان يستخدم لوضع مرآة تستخدم لتعكس الضوء الواقع عليها لهداية السفن وإرشادها إلي المرسي حتى يتم إصلاحها. يقابل هذه الحنية بروز من جهة الداخل يبرز عن الجدار بشكل ثلاثي الأضلاع (لوحة رقم ٦). وعلي نفس المحور بالضلع الجنوبي للحوض يوجد بروز خارجي بنفس الشكل (شكل رقم ٢).

الوصف المعماري الداخلي للحوض

يؤدي إلي داخل الصهريج حالياً مدخلين يقعان علي المحور الشمالي الغربي- الجنوبي الشرقي ثلاث مداخل مشوهة المعالم ما عدا المدخل الذي يقع في الجدار فيأخذ شكل هندسي بارز عن الجدار، هذين المدخلين غير منتظمين (لوحة رقم ٢، ٤)، ويوجد فتحة ثالثة غير منتظمة كذلك تتوسط الواجهة الجنوبية علي مستوي سقف الصهريج (لوحة رقم ٢، شكل رقم ٢).

ينقسم البناء من الداخل إلي عشر مساحات قسمت بواسطة أربع دعامات وسطي صليبية المسقط بالإضافة إلي أكتاف حجرية تقابل هذه الدعامات من جهة الجدران بحيث تحمل هذه الأكتاف مع نظائرها بالدعامات عقود نصف دائرية؛ مكونة في المنتصف علي المحور الطولي بانكة من خمسة عقود (شكل رقم ٤) يتعامد عليها أربع بانكات كل منها من عقدين (شكل رقم ٥)؛ مقسماً المساحة الداخلية إلي عشر مساحات قريبة من المربع (شكل رقم ١) تحمل عشرة قباب ضحلة غير عميقة منفذة بقطع من الحجر الأبيض كذلك مع كمية كبيرة من الملاط (المونة) كمادة رابطة (لوحة رقم ٧).

الدعامات ضخمة من الحجر الجيري وهي مركبة أي صليبية الشكل بحيث يمثل كل ذراع كتف يرتكز عليه العقد الذي يحمل القبة والتي تتركز بدورها في الأركان في حنايا ركنية. الدعامة الشرقية نُحتت أو كُسرت من أعلاها بحيث أزيلت الطبقة السميكة التي تغطي الأحجار وأزيل أجزاء من الحجر كذلك (لوحة رقم ٨).

كسيت الجدران والدعامات من الداخل بطبقة من الملاط تعرف بالخاقي وهي مونة من الجير ومسحوق الحجر تقاوم الرطوبة وتمنع تسرب الماء (لوحة رقم ٧).

وأقرب الأشكال المعمارية المعروفة لعمارة الحوض الجاف هو صهرج السبيل^{٤١} أو الجب^{٤٢}. وعلي الأرجح هو مشتق منها. وتبني الصهاريج بالأجر والأحجار المقاومة للرطوبة ومونها تكون من الخاقي وهي مونة من الجير والحمرة تقاوم الرطوبة. وهي غالباً مساحة مستطيلة مقسمة إلي مساحات مربعة (أو قريبة من المربع) بواسطة أعمدة أو دعائم في الوسط وأكتاف مبنية مدمجة في جدران الصهرج ينطلق منها عقود نصف دائرية تحمل قباب ضحلة غير عميقة - من الأجر الأحمر- تتركز علي مثلثات كروية كمناطق إنتقال^{٤٣}.

يحدد الموقع ثم يتم الحفر للعمق المراد وبعد ذلك تحدد أماكن وضع الأساسات وتحاط بسد أو جملعة سدود من الخشب أو الأتربة ويترك بينها وبين بعضها مسافات حتي يتم كسح الماء الموجود داخل السد من خلالها بواسطة السطول والشواذيف، ومتي كشفت الأرض يعمل الأساسات وذلك بأن توضع الأحجار والدبش علي سطح الأرض وتلك جيداً، وقد تزداد كمية الدبش كلما كانت الأرض أكثر رخاوة، وفي هذه الحالة يجب توسيع الأساسات بنسبة الضغط الواقع عليها ثم يستمر البناء في الحوائط الجانبية، وإذا ظهر أثناء العمل عيون ماء يجب سدها بحيث لا تزداد كمية المياه المرشحة، وأفضل طريقة لعلاجها أن تحاط العين التي تظهر وتسد بخزرة مستديرة من البناء إن أمكن^{٤٤}.

^{٤١} - الصهرج مصطلح وثائقي وهو المصنع المبنى تحت تخوم الأرض لخرن المياه فيه، فكما فرغ ماء السبيل يملأ منه حتي ينفذ ماؤه علي ميعاد ملئه. انظر: الحسيني، محمود حامد. الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧/١٧٩٨م، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٤٢. وعمارة الصهاريج تقنية كانت شائعة في العمارة الرومانية، وتمثل الكسوة الهيدروليكية - ذات اللون الأحمر- للأجزاء الداخلية (الخواقي) للصهرج والتي تظهر في شكل حليات نصف اسطوانية عند نقطة تلاقي الجدران والأرضيات بهدف أن تحول دون حدوث أي تسريب للمياه أو كسر في الزوايا، وتعد هذه التقنية القاسم المشترك بين العمارة الهيدروليكية الرومانية والعربية. انظر: مالدونادو، باسيليو بايون. العمارة الأندلسية: عمارة المياه، ترجمة: منوفي، علي إبراهيم علي، مراجعة وتقديم: الحداد، محمد حمزة، القاهرة: زهراء الشرق (٢٠٠٨)، ص ١١.

^{٤٢} - الجب هو اللفظ المقابل للصهرج في العمارة الأندلسية وتتجمع فيه مياه الأمطار، وهي تُفضل عن مياه الأنهار والينابيع والآبار، ومثل هذه الأجياب أو الصهاريج كانت منتشرة في أفنية المنازل والمساجد والحصون والقلاع الأندلسية. انظر: مالدونادو، العمارة الأندلسية، ص ٩-١٠.

^{٤٣} - الحسيني، الأسبلة العثمانية، ص ٤٤.

^{٤٤} - الحسيني، الأسبلة العثمانية، ص ٤٢-٤٣.

٥- الملاحظات الحقلية

من خلال الزيارات الميدانية والحقلية لموقع الحوض الجاف تبين وجود مظاهر تلف وتدهور مختلفة في العناصر المعمارية للحوض وفي مواد بنائه ومن أهم مظاهر التلف والتدهور التي تم ملاحظتها مايلي:

- وجود فقدان جزئي وشبه كلي للعديد من الجدران المكونة للحوض.
- وجود تلف وتدهور شديد لأحجار العقود داخل الحوض وكذلك الأحجار والمونات في السقف والجدران .

- وجود تأثير شديد لرياح البحر بما يحمله من محتوى عالي من الأملاح نظراً لوقوع الحوض الجاف علي البحر مباشرة مما أثر علي الأحجار ومونة البناء التي امتصت المياه المحملة بالأملاح بالخاصية الشعرية وتبلورت بين المكونات المعدنية للأحجار وأسفل أسطح الأحجار مباشرة ، كما تزهرت الأملاح علي السطح وأدت إلي تلف وتدهور الأحجار وكذلك بتأثير الرياح وما تحمله من حبيبات الرمال.

- تدهور وتآكل شديد وفقدان في الكثير من كتل الأحجار المستخدمة في بناء الحوض بسبب عدم وضع بعد الكتل الحجرية علي غير مرقدها الطبيعي في البناء وكذلك بفعل الرطوبة والتلوث الجوي وغيرها من عوامل التلف.

- تآكل وفقدان للمونة الرابطة بين كتل الأحجار وتحللها في الكثير من المواضع بالحوض.

- وجود فقدان كبير في طبقات البياض وتقشرها ، ووجود شروخ متنوعة بها .

- وجود شروخ طويلة وعرضية متنوعة منتشرة في العناصر المعمارية المختلفة للحوض.

- وجود تآكل وتدهور في أسطح الأحجار وفجوات منتشرة بها بشكل غائر في الكثير من الكتل الحجرية ، مع وجود تفكك بين الحبيبات المعدنية المكونة للأحجار بسبب تبلور الأملاح وفقدان المادة الرابطة بين الحبيبات المعدنية ، وبالتالي ضعف البنية الداخلية للأحجار.

- وجود إتساخات وبعض البقع والكتابات الحديثة علي أسطح الأحجار الخارجية للحوض كتلف بشري.

- وجود طبقات من السناج علي أسطح الأجزاء السفلية من الجدران وفي داخل الحوض نتيجة حرق الأخشاب بداخله مما أدى إلي ترسب حبيبات الكربون علي السطح وكذلك التلف البشري عن طريق الاحتكاك به ووضع القمامة بداخله ومن حوله والكتابة علي جدرانه.

وتوضح اللوحات أرقام (٩ - ١٤) مظاهر التلف والتدهور المختلفة بالحوض الجاف.



(لوحة رقم ٤) الحوض الجاف،
الزاوية الغربية للحوض، زاوية
التقاء الواجهتين الشمالية
والغربية



(لوحة رقم ٣) الحوض الجاف،
الواجهتين الشمالية والشرقية



(لوحة رقم ٦) الحوض الجاف،
الواجهة الشمالية، الحنية الوسطى



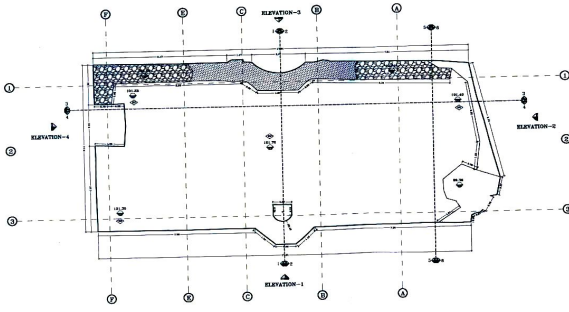
(لوحة رقم ٥) الحوض الجاف،
الواجهة الشمالية



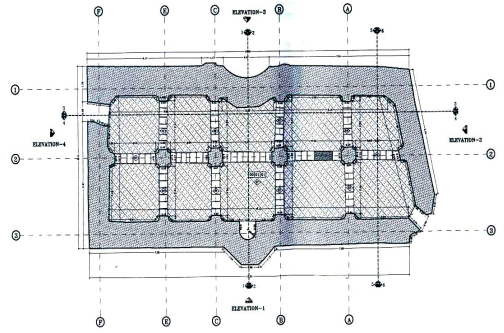
(لوحة رقم ٨) الحوض الجاف، الصهريج
من الداخل، الدعامة الشرقية



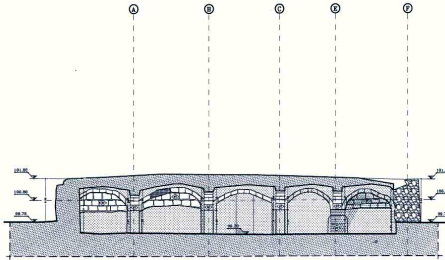
(لوحة رقم ٧) الحوض الجاف،
الصهريج من الداخل



(شكل رقم ٢) مسقط أفقي للحوض الجاف بالدخيلة "مستوي أعلى الصهريج"
عن : المجلس الأعلى للآثار - قطاع
المشروعات

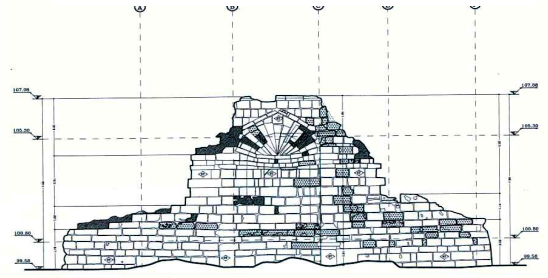


(شكل رقم ١) مسقط أفقي للحوض الجاف بالدخيلة "مستوي الصهريج"
عن : المجلس الأعلى للآثار - قطاع
المشروعات



SECTION (4-4)

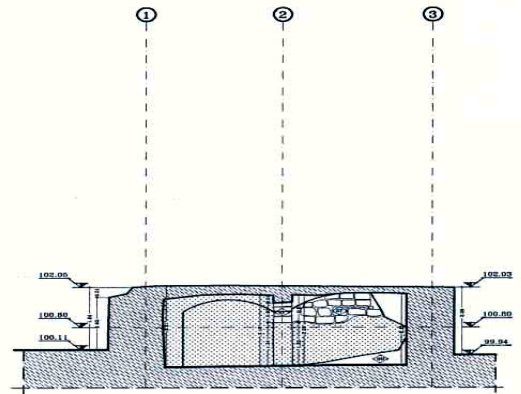
(شكل رقم ٤) قطاع راسي لصهريج الحوض الجاف من الداخل باتجاه شرق-غرب
عن : المجلس الأعلى للآثار - قطاع
المشروعات



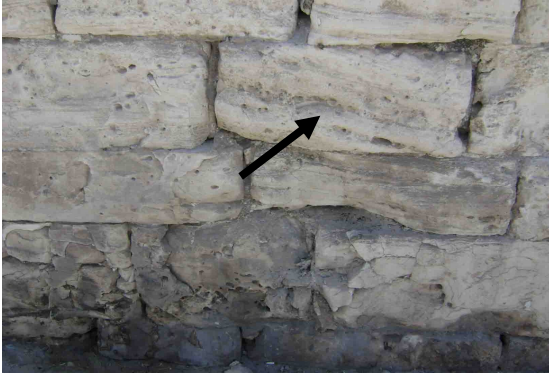
ELEVATION-3

(شكل رقم ٣) قطاع راسي للواجهة الشمالية للحوض الجاف بالدخيلة
عن : المجلس الأعلى للآثار - قطاع
المشروعات

(شكل رقم ٥) قطاع راسي لصهريج الحوض الجاف من الداخل باتجاه شمال-جنوب



SECTION (6-6)



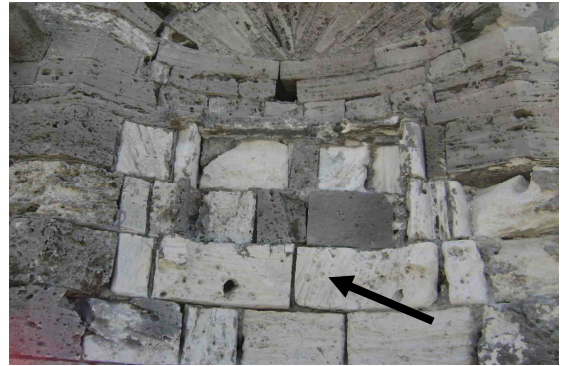
(لوحة رقم ١٠) توضح وضع بعض الكتل الحجرية في البناء علي غير مرقدها الطبيعي مما أدى لتآكلها وتدهورها



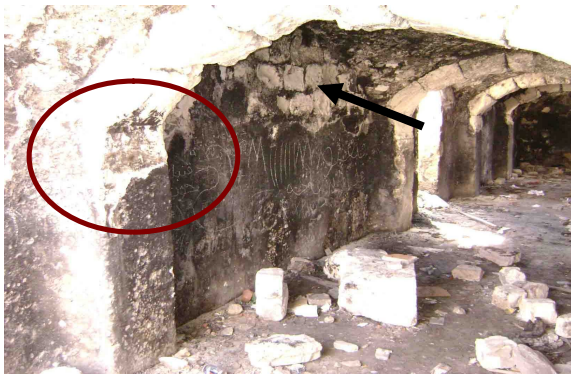
(لوحة رقم ٩) تآكل جدران الحوض الجاف وفقدان كتل حجرية منها



(لوحة رقم ١٢) توضح وجود شروخ في السقف وطبقات سناج كثيفة.



(لوحة رقم ١١) تلف الكتل الحجرية وفقدان المونة من الواجهة الرئيسية للحوض الجاف.



(لوحة رقم ١٤) توضح تلف وتساقط أجزاء كبيرة من طبقات البياض للحوض الجاف.



(لوحة رقم ١٣) توضح تآكل الاحجار بفعل تأثير مياه البحر والرياح المحملة بالرمال.

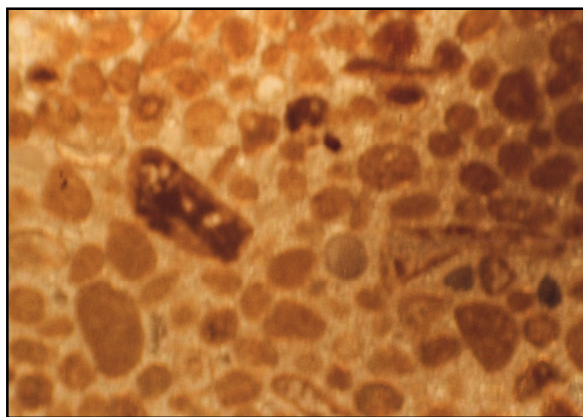
٦- المواد والطرق

استخدمت الأحجار الجيرية بالإضافة إلى المونة لبناء الحوض الجاف وكذلك طبقات البياض لتغطية أسطح جدرانه من الداخل وقد تم فحص الأحجار بواسطة الميكروسكوب المستقطب Polarizing Microscope والميكروسكوب الالكتروني الماسح Scanning Electron Microscope (SEM) ، كما تم التحليل بواسطة حيود الأشعة السينية X-Ray diffraction (XRD) لعينات من الحجر الجيري والمونة وطبقات البياض بالإضافة لقياس الخواص الفيزيائية والميكانيكية لأحجار البناء، وكانت النتائج كما يلي :-

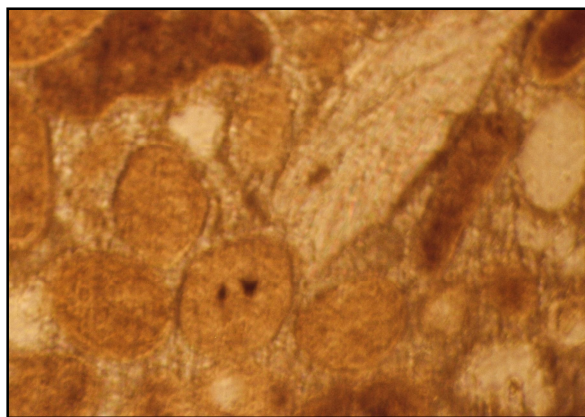
٦-١ الفحوص والتحليل للأحجار الجيرية

٦-١-١ الدراسة البتروجرافية للأحجار الجيرية

تم إعداد قطاعات رقيقة Thin Sections من الحجر الجيري المستخدم لبناء الحوض الجاف ثم تم فحص هذه القطاعات ودراستها بواسطة الميكروسكوب المستقطب ، وهذه القطاعات ممثلة لأماكن مختلفة من الحوض وتبين من الفحص والدراسة أنها تتكون أساسا من معدن الكالسيت دقيق التحبب ، مع وجود نسبة عالية من الحفريات البطروخية (الأوليبتية) Oolites ، كما ظهرت بعض أكاسيد الحديد ويطلق علي هذا النوع من الحجر اسم الحجر الجيري البتروخي نظراً لنوع الحفريات التي يحتويها وهو حجر جيري عضوي يتكون في البيئات البحرية مثل بيئة مدينة الإسكندرية ، ويتضح ذلك من خلال اللوحتين رقمي (١٥) ، (١٦).



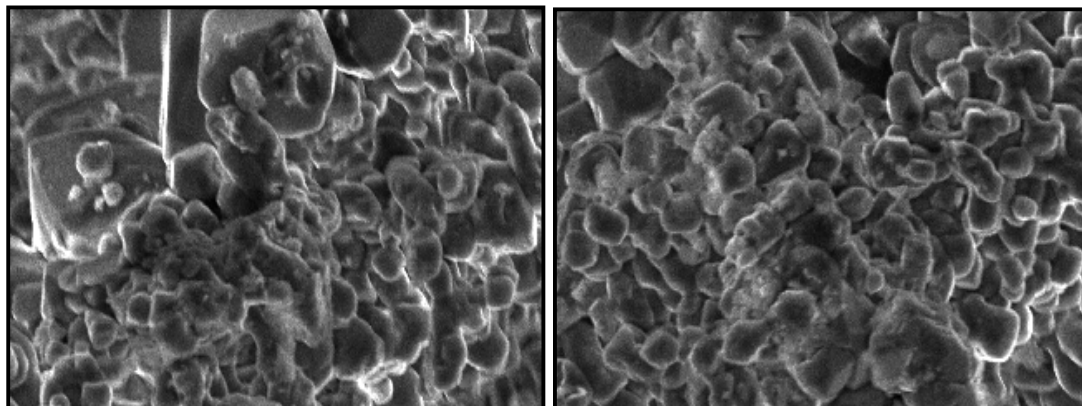
لوحة رقم (١٦) توضح فحص بالميكروسكوب المستقطب لعينة أحجار من الحوض الجاف وتظهر فيها نسبة كبيرة من الحفريات البتروخية وحببيات معدن الكالسيت دقيقة التحبب ونسبة من أكاسيد الحديد ، أسفل المستقطبين المتعامدين ، X 64 .



لوحة رقم (١٥) توضح فحص بالميكروسكوب المستقطب لعينة أحجار من الحوض الجاف وتظهر فيها حببيات معدن الكالسيت دقيقة التحبب والحفريات ذات الشكل البتروخي ، أسفل المستقطبين المتعامدين ، X 160 .

٦-١-٢ فحص الأحجار بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح

اتضح من الفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح (SEM) لعينات الحجر الجيري فقدانها للمادة اللاصقة بين الحبيبات المعدنية مع التأثير الشديد لتبلور الأملاح بين مكونات الأحجار ، مما أدى إلى تفككها وإنفصالها وبالتالي تآكل الأحجار وضعف البنية الداخلية لها ، كما ساهمت الرطوبة في إذابة بعض مكونات البلورات وتشويهها بالإضافة إلى وجود فجوات وفراغات أدت إلى إضعاف تماسك الحبيبات المعدنية للأحجار وإتلافها كما هو واضح من اللوحتين رقمي (١٧) ، (١٨).

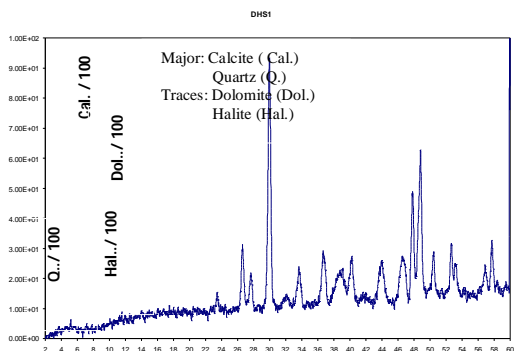


لوحة رقم (١٨) لعينة من أحجار الحوض الجيرية تحت SEM (X 1200) ويظهر بها انتشار الأملاح علي هيئة تجمعات أدت إلي حدوث ضغوط موضعية علي حبيبات الكالسيت، إضافة إلي وجود تآكل وتفتت لبعض الحبيبات مما أدت إلي ضعف بالحجر.

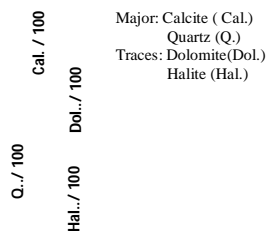
لوحة رقم (١٧) لعينة من أحجار الحوض الجيرية تحت SEM (X 1000) ويظهر بها وجود بعض الفجوات وذوبان بعض المكونات وفقدان للمادة الرابطة ووجود ترسيبات ملحية.

٦-١-٣ الدراسة المعدنية للأحجار باستخدام حيود الأشعة السينية

أثبتت الدراسة المعدنية لأحجار البناء باستخدام حيود الأشعة السينية ، أنها تتكون أساسا من معدن الكالسيت المكون الأساسي للحجر الجيري إلي جانب وجود نسبة من معدن الكوارتز ، ونسبة ضئيلة من معدني الدولوميت والهاليت (ملح كلوريد الصوديوم) ، ويوضح الشكلين رقمي (٦) ، (٧) نمطي حيود الأشعة السينية لعينتين من الأحجار الجيرية .



شكل رقم (٦) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة أحجار من الحوض الجاف



شكل رقم (٧) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة أخرى من أحجار من الحوض الجاف

٤-١-٦ الخواص الفيزيائية والميكانيكية للأحجار الجيرية في الحوض الجاف

تم قياس الخواص الفيزيائية والميكانيكية للأحجار في الحوض الجاف ، حيث تم قياس الخواص الفيزيائية المتمثلة في الكثافة والمسامية وإمتصاص الماء ، بالإضافة إلي قياس الخواص الميكانيكية المتمثلة في قوة تحمل الضغط وقوة تحمل الشد ، وتعتبر النتائج المقاسة سواء للخواص الفيزيائية أو الميكانيكية علي القيم المتوسطة لهذه الخواص نظراً لتعرض الأحجار إلي عوامل تلف وتدهور مختلفة أدت إلي وجود تأثيرات متنوعة من التلف والتدهور للأحجار مما يجعل هذه القيم تختلف وتتباين من عينة إلي أخرى طبقاً لمعدلات التلف والتدهور التي تعرضت لها ، والنتائج كاملة لقياس العينات المختبرة موضحة في الجدولين رقمي (١) ، (٢).

جدول رقم (١) يوضح القيم المتوسطة للخواص الفيزيائية للأحجار في الحوض الجاف.

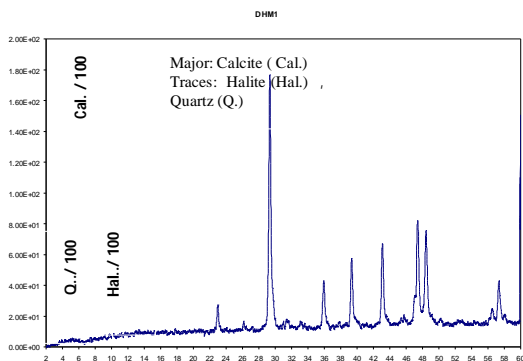
رقم العينة	الكثافة / جم / سم ^٣	المتوسط جم / سم ^٣	إمتصاص الماء %	المتوسط %	المسامية %	المتوسط %
١	١,٩	٢,٢	١١	١٢,٦	٢٠,٩	٢٣,٩
٢	٢,٢		١٤			
٣	١,٩٦		١٢,٨			

جدول رقم (٢) يوضح القيم المتوسطة للخواص الميكانيكية للأحجار في الحوض الجاف.

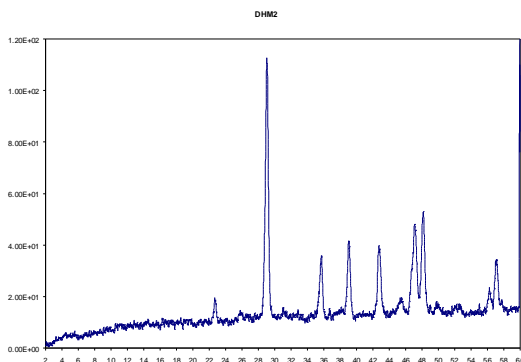
رقم العينة	قوة تحمل الضغط / ميجا / باسكال	المتوسط ميجا / باسكال	قوة تحمل الشد / ميجا / باسكال	المتوسط ميجا / باسكال
١	١٧	١٧,٢	٢,٤	٢,٥
٢	١٧,٣		٢,٦	
٣	١٧,١		٢,٤	

٥-١-٦ تحليل مونة البناء بواسطة حيود الأشعة السينية

تم إجراء تحليل بواسطة حيود الأشعة السينية (XRD) X-Ray Diffraction للتعرف علي المكونات المعدنية للمونات ، وما بها من مكونات قد تكون أدت إلي تدهور وتلف المونة المستخدمة في عمليات بناء الحوض الجاف، وقد تبين أن المونات تتكون أساسا من معدن الكالسيت المكون الأساسي للمونة الجيرية ، بالإضافة إلي نسبة من معدن الكوارتز المضاف في صورة رمل للمونة ، بالإضافة إلي وجود نسبة من معدن الهاليت وهو عبارة عن ملح كلوريد الصوديوم ، ويوضح الشكلين رقمي (٨) ، (٩) نمطي حيود الأشعة للعينتين اللتين تم تحليلهما.



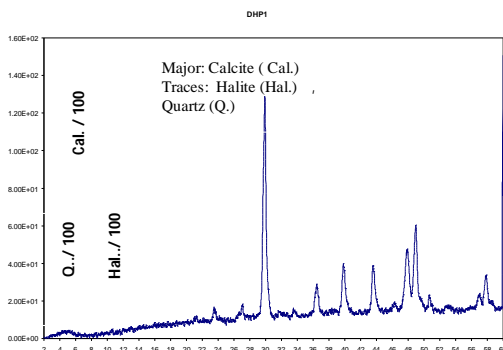
شكل رقم (٨) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة مونة من الحوض الجاف.



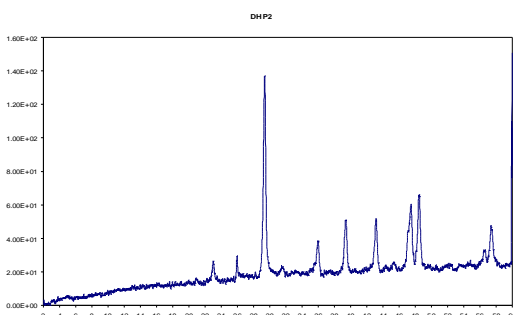
شكل رقم (٩) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة مونة أخرى من الحوض الجاف.

٦-١-٦ تحليل طبقات البياض بواسطة حيود الأشعة السينية

تم إجراء تحليل بواسطة حيود الأشعة السينية (XRD) X-Ray Diffraction للتعرف علي المكونات المعدنية لطبقات البياض ، وما بها من مكونات قد تكون أدت إلي تدهور وتلف طبقات البياض المستخدمة في الحوض الجاف، وقد تبين من التحليل أن طبقة البياض تتكون بشكل أساسي من معدن الكالسيت وهو الممثل لوجود الجير في طبقة البياض ، بالإضافة إلي وجود معدن الكوارتز ، ونسبة ضئيلة من معدن الهاليت الذي يوضح تلف طبقة البياض بتأثير تبلور الأملاح بين مكوناتها ، ويوضح الشكلين رقمي (١٠) ، (١١) نمطي حيود الأشعة للعينتين اللتين تم تحليلهما من طبقات البياض.



شكل رقم (١٠) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة من طبقة البياض المستخدمة في الحوض الجاف.



شكل رقم (١١) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة أخرى من طبقة البياض من الحوض الجاف.

٧-١-٦ التحليل الحجمي لطبقة البياض

أحتوت طبقة البياض الداخلي للحوض الجاف والتي من المفروض أنها تكون علي احتكاك مباشر بماء البحر تبعاً لوظيفة الحوض في إصلاح السفن علي حمرة وكسر طوب محروق وكسر أحجار بأحجام صغيرة وقد أطلق عليها المعمار المسلم اسم مونة الخافقي وتكون طبيعتها مقاومة لتأثير الماء وقد تم إجراء تحليل حجمي لمكونات هذه المونة عن طريق أخذ عينة وزنها ١٠ جم وإجراء التحليل الحجمي عليها لمعرفة النسب المختلفة لمكوناتها وذلك كما يلي:

وزن العينة الكلي = ١٠ جم

وزن المكونات غير الذائبة في الأحماض = ١.٤٠ جم

نسبة المكونات غير الذائبة في الأحماض = ١٤.٠٠ %

التحليل الحجمي للمكونات غير الذائبة في الأحماض

جدول رقم (٣) يوضح التحليل الحجمي للمكونات غير الذائبة في الأحماض لطبقة البيض للحوض الجاف.

نسبة وزن المحجوز بالنسبة للوزن الكلي للعينة %	نسبة وزن المحجوز بالنسبة لوزن المكونات غير الذائبة في الأحماض %	وزن المحجوز (جم)	حجم الحبيبات (مم)
١.٠	٥.٥٦	٠.١٠	١+
١.٢	٦.٦٧	٠.١٢	١/٢+
٠.٨	٤.٤٤	٠.٠٨	١/٤+
٠.٦	٣.٣٣	٠.٠٦	٨/١+
٠.٤	٢.٢١	٠.٠٤	١٦/١+
١٤.٠	٧٧.٧٨	١.٤	١٦/١-
١٨.٠	١٠٠.٠٠	١.٨٠	المجموع

المكونات الغير ذائبة في الأحماض عبارة عن كسر طوب أحمر (حمرة) فقط .

ويتضح من التحليل السابق أن نسب مكونات العينة كما يلي:

- نسبة كسر الطوب أحمر (حمرة) بالنسبة للوزن الكلي للعينة = ٢٢.٠%
- نسبة المواد الجيرية بالنسبة للوزن الكلي للعينة = ٧٤.٠% منها حوالى ٣٠% كسر حجر جيرى صغيرة الحجم.
- نسبة ٤% من الوزن الكلي للعينة عبارة عن كوارتز وأملاح الهاليت (كلوريد الصوديوم).

تبين من الدراسة الأثرية والمعمارية التي أجريت للحوض الجاف أن المصريين كانوا متميزين في العلوم البحرية وقد تبين أيضاً من خلال تتبع ماورد من وثائق بشأن عمليات بناء الحوض وما تعرض له خلال الفترات التاريخية المختلفة أنه عانى من مشكلات بسبب تسرب المياه إليه وحاجته إلى إجراء عمليات صيانة مستمرة له أثناء فترات استخدامه وما كان له من أهميه كبيرة في عملية إصلاح وصيانة السفن لحاجه الأسطول البحري لذلك وما كان لهذا الأسطول من أهميه كبرى في ذلك الوقت وظل كذلك لفترات طويلة حتي أهمل ولم تعد تجري له عمليات صيانة أو عناية وهذا ما يتضح من التلف الشديد الذي أصاب عناصره المعمارية، وقد أوضحت الملاحظات الحقلية والميدانية للحوض الجاف وجود مظاهر تلف متعددة تشمل تآكل وفقدان في الأحجار والمونات وطبقات البياض ووجود شروخ وتبلور للأملاح وسناج وغيرها ومما لاشك فيه أن وقوع الحوض الجاف علي شاطئ البحر الأبيض المتوسط وذلك يتعلق بوظيفته في إصلاح السفن قد تأثر بحركة مياه البحر والتي تظهر في ثلاث مظاهر هي التيار البحرى و المد والجزر و الأمواج ، والتيار البحرى يسير من الغرب إلى الشرق بمحاذاة الساحل، مما أدى إلي وصول مياه البحر إلي المكونات المعمارية للحوض ومواد بنائه من خلال قوة إصطدام المياه وكذلك دور المياه في تنشيط التفاعلات الكيميائية المتلفة^{٤٥} وكذلك إذابه بعض المكونات القابلة للذوبان من مواد البناء وما تحويه ايضا مياه البحر من نسبة عالية من الأملاح،^{٤٦} من جهة أخرى نجد أن الرياح التى تهب من الشمال الغربى معظم أيام السنة من جهة والتي تهب على شكل إعصارى حاملة معها الرمال من الجنوب الغربى خلال فصل الربيع من جهة أخرى، أدت إلى تآكل الأحجار والمونات وطبقات البياض بالحوض الجاف،^{٤٧} وتتوقف خطورة الرياح على مدى سرعتها واتجاهها فعندما تهب الرياح تجلب معها حبيبات الرمال ذات الصلابة العالية التى تصطدم بالأسطح الحجرية، وتؤدى إلى تلفها، مما ينتج عنه مظاهر تآكل مختلفة الشكل تعتمد أساساً على عدد الاتجاهات، صلابة الحبيبات العالقة فى الهواء و الرياح لها تأثير مباشر وغير مباشر فى التلف ، فتأثيرها المباشر يتمثل فى قدرة هذه الرياح على حمل كميات كبيرة من الرمال التى تتسبب فى تلف ونحر الحجر أثناء الدوامات والعواصف الرملية وفى هذه الحالة تكون العواصف الرملية الشديدة بمثابة آداة حادة

⁴⁵ Rose, W. B. 2005. Water in buildings: an architect's guide to moisture and mold. Wiley, Hoboken, NJ. ISBN 0-471-46850-9, Pp. 82 – 89.

⁴⁶ Doehne, E. 2002. 'Salt weathering: a selective review'.In: Siegesmund, S., Weiss, T. & Vollbrecht, A. (eds). Natural stone, weathering phenomena, conservation strategies and case studies. Geological Society, London, Special Publications, 205, pp 51–64.

⁴⁷ Richardson, B. 2001. Defects and deterioration in buildings: a practical guide to the science of material failure. 2nd edn, Taylor & Francis, London. ISBN 0-419-25210-X, Pp.122 – 130.

متحركة تشوه وتتلف الأسطح الحجرية^{٤٨} كما أن الرياح تلعب دوراً هاماً في نقل الغازات الملوثة مثل غاز ثاني أكسيد الكبريت SO_2 وغاز كبريتيد الهيدروجين H_2S وغاز ثاني أكسيد الكربون CO_2 الناتجة من مداخن المصانع وعوادم السيارات حيث تتحول هذه الغازات إلى أحماض في وجود الرطوبة وتتسبب في تلف الأحجار والمونات وطبقات البياض^{٤٩} ويتضح لنا أن اتجاه هبوب الرياح عندما يكون عمودياً على السطح يكون التآكل في شكل تجاويف دائرية أما عندما يكون اتجاه هبوب الرياح موازياً للأسطح يكون التآكل في شكل خطوط مستقيمة غائره تشوه الأسطح الحجرية ويؤدي إلى طمس معالمها^{٥٠} وقد ساهمت الأمطار التي تسقط على مدينة الإسكندرية في تلف مواد بناء الحوض الجاف وتآكلها وتلعب مصادر الرطوبة وأهمها الأمطار ومياه التكثف دوراً هاماً كمذيب للغازات الملوثة الموجودة في الهواء والمترسبة على أسطح جدران الحوض^{٥١} مثل NOx (أكاسيد النيتروجين)، SO_2 (ثاني أكسيد الكبريت) وغيرها يؤدي إلى تكون الأحماض التي تتحد مع مواد بناء الحوض وبالتالي تتكون طبقة سوداء بفعل التلوث الجوي على الأسطح الحجرية وتؤدي إلى تشويه مظهره الخارجى وتحتوى هذه الطبقة السوداء على مكونات مختلفة غالباً منها الجبس وأكاسيد الحديد والمواد الكربونية ونسب ضئيلة من عناصر أخرى مثل الباريوم والنحاس والزنك^{٥٢}، أما الأملاح نجد أنها تتبلور داخل بنية الأحجار و أسفل الطبقة السطحية فتحدث ضغوط موضعية وإجهادات تؤدي إلى تفكك وإنفصال الحبيبات المعدنية المكونة للأحجار والمونات وطبقات البياض فتتآكل^{٥٣} وقد أثبتت ذلك نتيجة التحاليل التي أجريت بحيود الأشعة السينية لعينات الأحجار وما بها من أملاح حيث وجدت أملاح الهاليت

48 G. Barone, M.F. La Russa, A. Lo Giudice, P. Mazzoleni, A. Pezzino, The Cathedral of S. Giorgio in Ragusa Ibla (Italy): characterization of construction materials and their chromatic alteration, Environmental Geology 55 (2008), Pp. 499-504.

49 Cole, I. S. (2000). Mechanisms of atmospheric corrosion in tropical environments. ASTM STP 1399. In S. W. Dean, G. Hernandez-Duque Delgado & J. B. Bushman (Eds), American Society of Testing and Materials. West Conshohocken, PA, Pp.90-99.

50 Pio CA et al., (1998) Atmospheric aerosol and soiling of external surfaces in an urban environment. Atmos. Env. 32, 1979-1989, Pp.60-66.

⁵¹ López-Arce, P., Doehne, E., Greenshields, J., Benavente, D. & Young, D. 2008. 'Treatment of rising damp and salt decay: the historic masonry buildings of Adelaide, South Australia'. Materials and Structures, Pp.122-132.

52 Tidblad, J., Mikhailov, A., & Kucera, V. Acid deposition effects on materials in subtropical and tropical climates. Data compilation and temperate climate comparison. SCI Report 2000:8E, Swedish Corrosion Institute, Stockholm, Sweden. (2000), Pp. 14 - 19.

⁵³ Charola, A.E. 2000. 'Salts in the deterioration of porous materials: an overview'. Journal of the American Institute for Conservation, Volume 39, No 3. ,Pp. 155 - 158.

(كلوريد الصوديوم NaCl) وهو من الأملاح الهيجروسكوبية Hygroscopic Salt أى له القدرة على إمتصاص الماء بشراهة وكذلك فقدانه بشكل سريع مما يؤدي إلى إذابة ثم تبلور الأملاح ثم الإذابة وإعادة التبلور مرة أخرى فينشأ عن ذلك ضغوط موضعية كما ذكرنا تؤدي إلى تآكل الحجر وتلفه وتفككه^{٥٤}، وبالتالي التأثير علي خواصه الفيزيائية والميكانيكية والخواص الميكانيكية هي التي تبين مدي تأثير الحجر وتدهوره وهو ما تبين من نتائج قياس الخواص الميكانيكية من حيث إنخفاض كل من قوة تحمل الضغط وقوة تحمل الشد ولتفسير مظاهر التلف والتدهور للحوض الجاف بالدخيلة من خلال ما تم إجراءه من فحوص وتحاليل ومن الدراسة الميدانية للموقع وعوامل التلف المؤثرة عليه نجد أن وقوع الحوض الجاف علي ساحل البحر المتوسط وتعرضه لمياه البحر وما بها من أملاح وكذلك الرياح الشديدة في بعض الأوقات من العام وما تحمله من رمال قد ساهم بشكل كبير في تدهور حالته وتلفه من جهة أخرى فقد أوضحت الفحوص التي أجريت للأحجار أنها أحجار جيرية عضوية تحتوية علي الحفريات الأوليتية ذات الشكل المستدير وبنسبة عالية والتي مع تعرضها للظروف المناخية وعوامل التلف المختلفة تعرضت للتلف والتدهور وذوبان بعض مكونات الأحجار وبالتالي فقدان هذه الحفريات لأماكنها والتي جعلت التجاويف والثقوب العائرة تنتشر في الأحجار وبالتالي فقدانها لتماسكها والتأثير علي خواصها الفيزيائية المتمثلة في الكثافة وإمتصاص الماء والمسامية وكذلك خواصها الميكانيكية المتمثلة في قوة تحمل الضغط وقوة تحمل الشد وهذا ما أوضحه الفحص بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح ، أما المونة الرابطة وطبقات البياض الداخلي (الخافقي) فقد كان لأملاح الهاليت دوراً كبيراً في تلفها وتدهورها، من جهة أخرى فقد تعرض الحوض الجاف للتلف البشري بسبب عدم وجود حرم له ووجوده مباشرة علي شاطئ البحر مما يجعله عرضه للإحتكاك المباشر من مرتادي الشاطئ ويظهر ذلك واضحاً من انتشار القمامة حوله وكذلك الكتابة (الجرافيتي) علي جدرانه، كما أن هناك بعض عمليات الترميم السابقة له والتي تتضح من استكمال بعض الكتل الحجرية والتي وإن كانت قد حافظت علي بعض اجزائه من الانهيار إلا أنها لم تثبت بشكل سليم في بعض الأجزاء ولم يراعي استخدام مونة جيدة في عمليات التثبيت ولذلك فقد تعرض بعضها للإنفصال مما يستوجب معه إجراء عمليات الترميم اللازمه لعلاج مظاهر التلف المتعددة الموجودة ولحمايته وصيانته والحفاظ عليه مستقبلاً من التلف والتدهور.

⁵⁴ Goudie, A. & Viles, H. 1997. Salt weathering hazards. Wiley, Chichester, Pp.44 – 54.

٨- الإستنتاجات وتوصيات العلاج والترميم والصيانة

طبقا لما أسفرت عنه الدراسات الأثرية والمعمارية للحوض الجاف و دراسات الوضع الرهن ورصد مظاهر التلف والتدهور للعناصر الزخرفية المنفذة من الحجر الجيري ، نجد أن الأثر في حالة سيئة من الحفظ وبحاجة ماسة إلي الترميم و إعادة استكمال الأجزاء المتهدمة. ويقترح عمل حفائر أثرية علمية في منطقة الحوض بهدف الكشف عن أساسات الحوض ومن ثم التعرف علي تقنيات الإنشاء وفتحات تزويد الحوض بالماء وكذا تصريفها. وفي الحقيقة إن هذا الحوض يمثل أثر نادر وهو النموذج الأثري الوحيد الباقي في مصر ولذا يحتاج لوضعه علي الخريطة السياحية لمصر وللإسكندرية والإهتمام به بما يعكس قيمته الأثرية والتاريخية والمعمارية. وفيما يتعلق بعمليات العلاج والترميم والصيانة نجد أن الحوض الجاف يحتاج إلي إجراء عمليات تدعيم وإستكمال بأنواع جيدة من الأحجار الجيرية من حيث الخواص الفيزيائية والكيميائية مع استخدام المونات الجيرية^{٥٥} ، كما أن مواد البناء المكونة للحوض الجاف تحتاج إلي إجراء عمليات الترميم الدقيق سواء الأحجار أو المونات أو طبقات البياض والتي تشمل إجراء عمليات التنظيف الميكانيكي والكيميائي باستخدام المواد المناسبة لهذا الغرض وذلك لطبقات الأتربة والإتساخات والعوالق الموجودة على السطح وبالإضافة لذلك إزالة طبقات السناج الكثيفة باستخدام المذيبات العضوية المناسبة^{٥٦} وإجراء عملية استخلاص أملاح حيث أتضح أن الملح الموجود هو ملح الهاليت وهو قابل للذوبان في الماء وهناك نوعين من الكمادات يتم تطبيقها حسب الحالة وهي الكمادات الطينية (كمادات معادن الطفلة) والكمادات الورقية ويفضل استخدام الكمادات الورقية في حالة الحوض الجاف نتيجة لخشونة سطح الأحجار ووجود أجزاء غائرة في أسطح الأحجار قد يكون من الصعب معها استخدام الكمادات الطينية والتي من الممكن أن تشوه السطح وتصبح إزالتها^{٥٧} وهناك بعض المواد الحديثة التي تستخدم في حماية الأسطح الأثرية الحجرية وإعطائها خاصية التنظيف الذاتي ومن أشهرها مادة نانو أكسيد التيتانيوم.^{٥٨} وتستخدم مركبات النانو المختلفة الآن في أغراض متعددة في تقوية وعزل الأسطح الحجرية ومن أهمها والتي من الممكن إستخدامها مع الأحجار الجيرية التالفة في الحوض الجاف مادة

⁵⁵ E. Doehne, C.A. Price, Stone Conservation: An Overview of Current Research ;Getty Publications, Los Angeles, 2010, 71 – 80.

⁵⁶ G. Rizzo, L. Ercoli, B. Megna, Effectiveness of preservative treatments on coloured ruditic building stones, Strain 45 (2009), Pp. 424–432.

⁵⁷ Trotman, P., Sanders, C. & Harrison, H. 2004. Understanding dampness: effects, causes, diagnosis and remedies. Building Research Establishment, Watford, Pp. 35– 42.

⁵⁸ E. Quagliarini, F. Bondioli, G. Goffredo, A. Licciulli, P. Munafò, Self-cleaning materials on architectural heritage: compatibility of photo-induced hydrophilicity of TiO₂ coatings on stone surfaces, Journal of Cultural Heritage 13 (2012), Pp. 204–209.

نانو هيدروكسيد الكالسيوم ومادة النانو سيليكاً^{٥٩} ومن التطبيقات الهامة لمواد النانو أيضاً استخدام خليط من مواد النانو مع البوليمرات لأغراض تقوية وعزل الأسطح الحجرية مثل استخدام النانو سيليكاً مع مركب سيليكات الإيثيل في تقوية أسطح الآثار الحجرية بكفاءه عالية^{٦٠} والتخلص من بعض عيوب البوليمرات مثل الشروخ الدقيقة التي تحدث بعد تبلمر مادة سيليكات الإيثيل^{٦١} كذلك تستخدم مادة النانو سيليكاً مع مواد السيلان والسيلوكسان الطاردة للماء مثل مركب ميثيل تراي - ميثوكسي سيلان لإعطاء خواص فوق طاردة للماء للأسطح الحجرية لحمايتها من تأثير الرطوبة^{٦٢}، كما يستخدم مركب نانو ثاني أكسيد التيتانيوم كذلك لحماية الأسطح الأثرية الحجرية ضد تأثير الكائنات الحية الدقيقة مثل الفطريات والبكتريا^{٦٣} ولكن لابد عند استخدام أي من هذه المواد سابقة الذكر سواء التقليدية أو الحديثة في أي عملية من عمليات العلاج والترميم والصيانة أن تجري عليها الدراسات التجريبية الكافية لإختبار تأثيرها واختيار أفضلها لعمليات العلاج والترميم والصيانة للحوض الجاف.

⁵⁹ Ziegenbalg, G., K. Brümmer, and J. Pianski. "Nano-Lime - a New Material for the Consolidation and Conservation of Historic Mortars." pp. 1301-1309 in Proceedings of the 2nd Historic Mortars Conference HMC 2010 and RILEM.

⁶⁰ Eun Kyung Kim, et al, Effects of silica nanoparticle and GPTMS addition on TEOS-based stone consolidants, Journal of Cultural Heritage 10 (2009), Pp. 214–221.

⁶¹ Y. Huang, W. Liu, X. Zhou, Silicone / silica nanocomposites as culture-stone pro-protective materials, J. Appl. Polym. Sci. 125 (2012), Pp. 282–291.

⁶² Lavinia de Ferri, et al, Study of silica nanoparticles – polysiloxane hydrophobic treatments for stone-based monument protection, Journal of Cultural Heritage 12 (2011), Pp. 356–363.

⁶³ Nikte Gó mez-Ortíz, et al : Antifungal Coatings Based on Ca (OH)2 Mixed with Zn O / Ti O₂ Nanomaterials for Protection of Limestone Monuments, Applied Material & Interface Jour., Vol.1, 2013, Pp. 18-32.

٩- قائمة المراجع

- العبادي، أحمد مختار ؛ سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م، ص ١٥.
- سرهنك، إسماعيل. حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الثاني، القاهرة: ١٣١٢هـ، ص ٢٤١
- شكري، محمد فؤاد. بناء دولة مصر محمد علي - السياسة الداخلية، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٤٨٨.
- طوسون، عمر. الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا، الإسكندرية: مطبعة المستقبل، ط٣ (١٩٣٥م)، ص ١٦.
- عبد العليم، أنور. الملاحه وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة (العدد ١٣)، الكويت، يناير ١٩٧٩م، ص ١٩.
- عبادة، عبد الفتاح. كتاب سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتھا في الإسلام، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩١٣، ص ٢٠.
- فهيمي، علي محمود. التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: قاسم، قاسم عبده، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٤٢-٤٤.
- ماهر، سعاد. البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، ص ١٥-١٦.
- هريدي، صلاح أحمد. الحرف والصناعات في عهد محمد علي، تقديم: عمر، عبد العزيز عمر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ١٨٨.
- <تحركات الأسطولين المصري والتركي>، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٥٣٣ (الإسكندرية: ١١-١٥-١٨٢٦م)، منشورة في كتاب الوثائق الإيطالية للبحرية المصرية.
- <مهندس فرنسي يتولى إدارة الأعمال الخاصة بتشبيد حوض إصلاح السفن>، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٧٧٥ (الإسكندرية: ٦ ديسمبر ١٨٣٨م)
- <سحب أول سفينة إلى البر في دار صناعة السفن بالإسكندرية لإصلاحها>، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٧٧٨ (الإسكندرية: ٢٦ يناير ١٨٤٠م).
- <محمد علي باشا يبدي استحسانه لسير الأعمال في حوض إصلاح السفن>، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٣٨ (الإسكندرية: ٥ إبريل ١٨٤٢م).
- <توقف العمل في حوض إصلاح السفن، ومحمد علي باشا يأمر بوضع وإعداد خطة جديدة للسود في مصر السفلى>، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤١ (الإسكندرية: ٢٦ يونيو ١٨٤٢).
- <مشاكل جسيمة من أجل تحفيف المياه في حوض إصلاح السفن>. " مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤٨ (الإسكندرية: ٦ مارس ١٨٤٣).

>نزح المياه، واستئناف العمل بأقصى جهد ونشاط في الحوض.<. " مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٤٩ (الإسكندرية: ٦ أبريل ١٨٤٣).

>مصدر آخر للمياه في المنتصف وإغلاقه بعد عناء.<. " مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٦٣ (الإسكندرية: ٢٦ مايو ١٨٤٣).

>مصادر ومنابع جديدة للمياه تعوق عملية إتمام العمل في الحوض.<، مجموعة وثائق مكتبة الإسكندرية، وثيقة رقم ٢١٩٦٤ (الإسكندرية: ٢٦ يوليو ١٨٤٣).

Athenaeus of Naucratis, *The deipnosophists or Banquet of the learned of Athenæus*, translated by: Yonge, C.D., 3 volumes, London: Henry G. Bohn, vol. I, p.325 .

Charola, A.E. 2000. 'Salts in the deterioration of porous materials: an overview'. *Journal of the American Institute for Conservation*, Volume 39, No 3. , Pp. 155 – 158.

Cole, I. S. (2000). Mechanisms of atmospheric corrosion in tropical environments. ASTM STP 1399. In S. W. Dean, G. Hernandez-Duque Delgadillo & J. B. Bushman (Eds), *American Society of Testing and Materials*. West Conshohocken, PA, Pp.90-99.

Doehne, E. 2002. 'Salt weathering: a selective review'.In: Siegesmund, S., Weiss, T. & Vollbrecht, A. (eds). *Natural stone, weathering phenomena, conservation strategies and case studies*. Geological Society, London, Special Publications, 205, pp 51–64.

E. Doehne, C.A. Price, *Stone Conservation: An Overview of Current Research*, Getty Publications, Los Angeles, 2010, 71 – 80.

E. Quagliarini, F. Bondioli, G. Goffredo, A. Licciulli, P. Munafò, Self-cleaning materials on architectural heritage: compatibility of photo-induced hydrophilicity of TiO₂ coatings on stone surfaces, *Journal of Cultural Heritage* 13 (2012), Pp. 204–209.

Eun Kyung Kim, et al, Effects of silica nanoparticle and GPTMS addition on TEOS-based stone consolidants, *Journal of Cultural Heritage* 10 (2009), Pp. 214–221.

G. Barone, M.F. La Russa, A. Lo Giudice, P. Mazzoleni, A. Pezzino, The Cathedral of S. Giorgio in Ragusa Ibla (Italy): characterization of construction materials and their chromatic alteration, *Environmental Geology* 55 (2008), Pp. 499–504.

Goudie, A. & Viles, H. 1997. Salt weathering hazards. Wiley, Chichester, Pp. 44 – 54.

G. Rizzo, L. Ercoli, B. Megna, Effectiveness of preservative treatments on coloured ruditic building stones, *Strain* 45 (2009), Pp. 424–432.

<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/172248/dry-dock>; "Dry-dock", an article in *Encyclopaedia Britannica*, 15 July, 2013.

López-Arce, P., Doehne, E., Greenshields, J., Benavente, D. & Young, D. 2008. 'Treatment of rising damp and salt decay: the historic masonry buildings of Adelaide, South Australia'. *Materials and Structures*, Pp.122-132.

Lavinia de Ferri, et al, Study of silica nanoparticles – polysiloxane hydrophobic treatments for stone-based monument protection, *Journal of Cultural Heritage* 12 (2011), Pp. 356–363.

Nikte Gómez-Ortíz, et al : Antifungal Coatings Based on Ca (OH)₂ Mixed with Zn O / Ti O₂ Nanomaterials for Protection of Limestone Monuments, *Applied Material & Interface Jour.*, Vol.1, 2013, Pp. 18-32.

Pio CA et al., (1998) Atmospheric aerosol and soiling of external surfaces in an urban environment. Atmos Env. 32, 1979–1989, Pp.60-66.

Rose, W. B. 2005. Water in buildings: an architect's guide to moisture and mold. Wiley, Hoboken, NJ. ISBN 0-471-46850-9, Pp. 82 – 89.

Richardson, B. 2001. Defects and deterioration in buildings: a practical guide to the science of material failure. 2nd edn, Taylor & Francis, London. ISBN 0-419-25210-X, Pp.122 – 130.

Tidblad, J., Mikhailov, A., & Kucera, V. Acid deposition effects on materials in subtropical and tropical climates. Data compilation and temperate climate comparison. SCI Report 2000:8E, Swedish Corrosion Institute, Stockholm, Sweden. (2000), Pp. 14 – 19.

Trotman, P., Sanders, C. & Harrison, H. 2004. Understanding dampness: effects, causes, diagnosis and remedies. Building Research Establishment, Watford, Pp. 35 – 42.

Y. Huang, W. Liu, X. Zhou, Silicone / silica nanocomposites as culture-stone protective materials, J. Appl. Polym. Sci. 125 (2012), Pp. 282–291.

Ziegenbalg, G., K. Brümmer, and J. Pianski. "Nano-Lime - a New Material for the Consolidation and Conservation of Historic Mortars." pp. 1301-1309 in Proceedings of the 2nd Historic Mortars Conference HMC 2010 and RILEM.

المواني على الساحل الغربي لإقليم قورينائية في العصر الكلاسيكي

د. مفتاح عثمان عبد ربه *

يبدأ الساحل الغربي لإقليم قورينائية المستهدف بالدراسة من مدينة بنغازي (يوسبريدس - برنيقي فيما بعد) (Euhesperides-Berenike) وينتهي عند دخول الجبل في البحر بعد ظلميثة (بطوليمائيس القديمة) بحوالي ٢٥ كم و يمتد ١٢٥ كم، وهو عبارة عن مثلث يكون أقصى اتساع له عند بنغازي ٢٥ كم وينقص عند توكره (Arsino - Taucheira) ليصل إلى ٤ كم^١ ويستمر هذا الساحل كشرط يتناقص تدريجياً إلى أن يدخل الجبل في البحر بعد ظلميثة استثنينا في هذه الدراسة الساحل الغربي الذي يقع غرب بنغازي و يستمر حتى خليج السدرة نظراً لعدم اكتشاف مرافئ واضحة المعالم في هذا الجزء حتى الآن (شكل ١) . وعليه فإن منطقة الدراسة تشمل المنطقة الممتدة ما بين كل من بنغازي ظلميثة.

يشمل الساحل الغربي أربع مدن مهمة في قورينائية هي يوسبريدس ، هادريانا بوليس ، توخيرا بطوليمائيس هادريانا بولس (دريانه) ويختلف هذا الجزء عن الجزء الغربي من المنطقة المعروفة بسهل بنغازي والذي يبدأ من بنغازي ويتسع كلما اتجهنا غرباً حتى ينتهي في المنطقة الشبة صحراوية . فالصفات المميزة لمنطقة الدراسة هي عبارة عن سهل ساحلي منبسّط قليل المظاهر الجغرافية والانحدار بين هضبة الجبل والساحل يعتبر بسيط إلا أنه يتغير كلما اتجهنا شرقاً خاصة بعد تجاوز توخيرا^٢ . وفي هذا السهل أودية عديدة كبيرة ولكن أغلبها أودية حافة لا تجري فيها المياه إلا نادراً في فصل الشتاء ويقدر معدل سقوط الأمطار فيها ما بين ٢٥٠ مم^٣ و ٢٦٥ مم^٤ وهي موسمية ٩٥% من الكمية السنوية يهطل ما بين أكتوبر ومارس غير منتظمة مما يؤدي إلى حدوث فترات من الجفاف.. وربما تكون الأرض التي تقع فيها بنغازي الحالية قد كانت تشمل إقليم واسع جداً فإن هيرودوت يشير إلى منطقة واسعة يسكنها قوم يسمون يوسبريتي Euhesperitae وهو الاسم الذي اشتق منه اسم يوسبريدس ، فرغم أن السهل الذي تقع فيه مدينة بنغازي هو عبارة عن مسطح

* أستاذ مساعد للآثار الكلاسيكية جامعة عمر المختار .

¹Lloyd . T. A. "Excavations in sidikhrebish Benghazi Berenice". Libyantiqua . y,svol . 1 . Tripoli 1976 . pl

^٢ تبدأ الساحل في الصيف وتكثر فيه الأودية انظر

Laronde. A Fig 3 Cyrene et al Libye..... cit . p. 258..

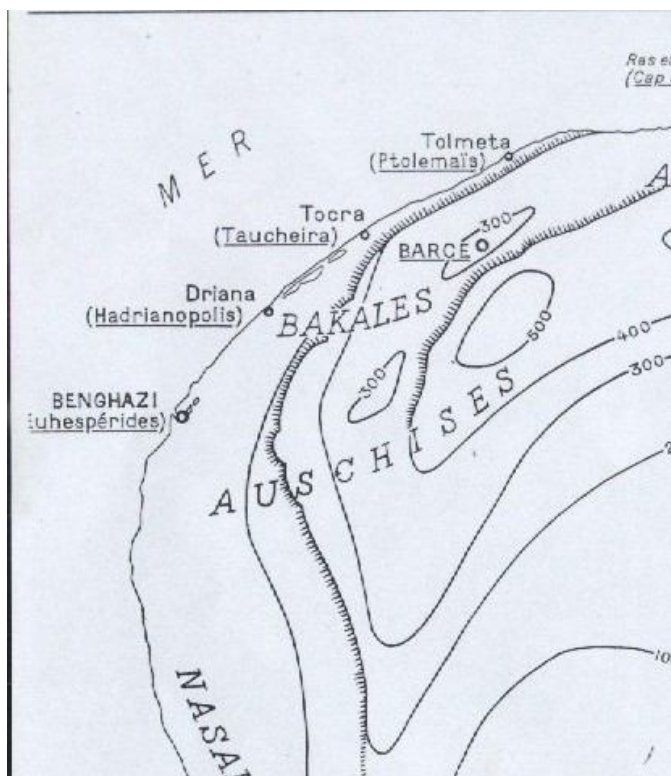
³Laronde.A. Cyrène et la Libye hellénistique « Libykai Historia »Paris. 1987a. p52

⁴Idem 259

جيري تغطيه الصخور في الغالب إلا بعض رقع التربة الحمراء المترامية تلقائياً أو تلك التي جرفتها الأودية معها إلى هناك إلا أن هذه الظاهرة مؤكدة جنوب هذا الإقليم حتى اليوم في المنطقة التي تقع جنوب بنغازي والتي تسمى بالعامية برقة ولا يزال هناك قول مأثور عن السكان المحليين يؤكد هذه النظرية بأنه في السنوات الممطرة فإن البذرة الواحدة تنتج مائة بذرة، هذا وقد وصل محصول بنغازي إلى ٥٠ % من مجموع محصول قوريناية في عام ١٩٥٥ في حين أنه لم يصل في سنوات الجفاف منذ عام ١٩٥٩ إلى ٢% فقط من محصول الإقليم. والحقيقة فأن انشاء المواني والمرافئ انتشر في الفترة الكلاسيكية في البحر المتوسط والتي سجل منها حتى الآن أكثر من ٢٠٠٠ مرفأ لتغطية الاحتياجات المتزايدة للسكان المحليين والمستوطنين في استيراد البضائع وتصديرها ، التنقل والبريد وتوفير الدعم اللوجستي للأساطيل الحربية وتوفير ملاجئ للسفن التي كانت تجوب البحار وقد كان لهذا الإقليم نصيبه من هذه المرفأ رغم أن طوبغرافيتها ساحلية لا يوجد بها ملاجئ طبيعية وخلجان ضخمة في الجزء الغربي ، لا يوجد في منطقة الدراسة إلا موقعين فقط يسمحان بإقامة مواني البحرية أولهما ، وسط يوسبريدس و ثانيهما الخليج المحمي بجزيرتين في الساحل الضيق عند مدينة بطوليميس . عموماً يبعد هذا الجزء من الإقليم عن كل من اثينا وروما حوالي ألف كيلو متر وهي نفس المسافة التي تفصله عن طرابلس ولكن وجود عدد من الجزر المهمة في حوض المتوسط كانت حلقة وصل بين أوروبا والساحل القورينائي وأهمها كريت وصقليا وسرديناوكورسيكا وغيرها من الجزر التي كانت تعتبر محطات تجارية ومراكز تموين مهمة للسفن . علاقة جزيرة كريت والتي لا تبعد عن شواطئ الإقليم أكثر من ٣٠٠ كم كانت هي الأهم في حلقة الوصل هذه بل أنها أصبحت ولاية واحدة مع قوريناية في بداية العهد في الإقليم^٦ ، فقرب المسافة وسرعة الرياح الشمالية والجنوبية جعلت الانتقال بين هذه الجزيرة والساحل القورينائي أسهل حتى من الانتقال بين مدن الإقليم الداخلية نظراً لصعوبة تضاريس هضبة الجبل الأخضر . (شكل ١) .

⁵Idem 52

⁶.Goodchiald ,R. Cyrene and Appolonia .Department of Antiquities , Libyan .3ad Edition 1970 p22



(شكل ١) خريطة للساحل الغربي لقورناثية (عن الاخوين بيشي)

ميناء يوسبيريدس Euesperidus

خط عرض: ٣٢.٤٢.٥٦.٣٥.

خط طول: ٢٠.٥٦.٥١.١٩.

نشأت يوسبيريدس على حافة الكثبان الرملية المتحجرة (التي ترجع إلى العصر البلستوسيني)^٧ حيث تقع حالياً مدينة بنغازي (شكل ٢) لا يتجاوز معدل سقوط الأمطار التي تهطل سنوياً في هذه المدينة ما بين ٢٥٠ و ٢٠٠ مللي متر ويوجد بالقرب منها مراعي هزيلة ولا يستثنى سوى بعض البساتين والتي تسمى سواني توجد أما في منخفضات مسطحة يسمى كل منها "هوى" تتوفر لها التربة والرطوبة الجيدة، أو بعض البساتين التي توجد بمحاذاة الساحل وهي كثبان غنية بمياه جوفية غزيرة وربما كانت هذه السواني هي تلك الحدائق الأسطورية التي أطلق عليها الكتاب الكلاسيكيون (حدائق هسبيريدس)^٨، ومن

⁷Lloyd . J. A . op cit, p3.

⁸Scylax. Caryandensis. Periplus. 108.Pliny . 6. 6 C 31-2.Ptolémée IV . Géographie 4

المشاكل الأخرى التي تواجه الحياة النباتية وحول بنغازي هي تلك الرياح الشمالية الغربية القوية بالأملح "اليود" والتي تتسبب في طرف النباتات وقتلها، بالإضافة إلى هبوب رياح الجنوبية في فصل الصيف والتي تسمى محليا بالقبلي وهي رياح حارة قادمة من الصحراء تؤدي إلى الجفاف السريع للنباتات. إلا أنه من المؤكد بأن طبيعة هذه المنطقة لم تكن في الفترة الكلاسيكية بهذا الشكل فلا بد وأن الرعي الجائر واستنزاف التربة لخصوبتها بالإضافة إلى التقدم العمراني الهائل قد أثر في هذه المنطقة وقد أكد بعض الباحثين في الجغرافية الطبيعية بأنه كانت توجد أدغال من الأشجار في هذه المنطقة حتى القرن التاسع عشر.⁹

أسست مدينة يوسبريدس بواسطة مستوطنين جاءوا من المدينة الأم Metropolis "قورينا أو من برقة وربما يكون ذلك قبل ربع قرن قبل ٥١٥ ق.م وكان السبب الأساس لبناء هذه المدينة هو وجود ميناء آمن وصالح لرسو السفن وهو الميناء الطبيعي الوحيد على طول ١٢٠ كم الممتدة ما بين بنغازي طلميثة شرقاً. وهو ظاهر جيولوجية شائعة على خط الساحل بين سلسلتي الكتبان الرملية الداخلية والخارجية حيث تكونت السبخة جاء الميناء في نهايتها قريباً موقع المدينة، ولقد اختفت هذه السبخة والتي تسمى سبخة السلماني نتيجة لرصف الطريق السابق في الفترة التركية مما أدى انفصال السبخة عن البحر مما أدى إلى جفافها بالإضافة إلى التقدم العمراني في المدينة.¹⁰

عندما تأسست مدينة يوسبريدس في القرن السادس قبل الميلاد كانت السبخة بركة عميقة من الغرب ببيروز جبلي يقيها من الأمواج الكبيرة ويبدو أن البركة قد جفت تدريجياً مما أدى إلى انتقال السكان يوسبريدس إلى موقع جديد بالقرب من البحر ولقد ذكر لنا هذا الانتقال الجغرافي سيكلاكس والذي كتب في بداية القرن الرابع قبل الميلاد حيث فرق بوضوح ما بين المدينة ومرفأ ميناء يوسبريدس¹¹ كما ذكر لنا استرابون Strabon هذا الانتقال والذي حدث في ٢٤٦ ق.م إذ ذكر بأن مدينة جديدة سميت برنيقي بنيت على نتوء جبلي داخل قليلاً في البحر ما بين السبخة والبحر¹² وذكر لنا مؤلف أبعاد مسالك البحر الكبير Stadiasmus Maris Magni بأن المرفأ الذي كان خلف النتوء الجبلي كان ملائم فقط للمراكب الصغيرة¹³ وهذا دليل على أن الطمي قد بدأ يسد المرفأ القديم الذي أسست من أجله يوسبريدس .

⁹Laronde. A. Cyrene et la Libye Hellenistique Op . cit . 52.

¹⁰Lloyd . J . A . op cit, p6.

¹¹.Scylax. Caryandensis. Periplus 108 (of mullerGeographiGraeci minors.1882)

¹²Straboh . 17 . 320.

¹³Stadiasmas maris mangni . 57 .

توجد مدينة برنيقي في داخل المقبرة الإسلامية سيدي اخربيش الواقعة بمقابل البحر على نتوء داخلي في البحر والحقيقة بأن هذا الموقع لا يمثل إلا جزء بسيط من المدينة القديم لأن معظمها قد دفن تحت قلب مدينة بنغازي الحديثة ولقد وصفها الرحالة الأخوينيشي^{١٤} في عام ١٨٢٢ أنها راييه "ربوه" ترتفع حوالي من ٢٠ إلى ٣٠ قدم تقع بمحاذاة الشاطئ الشمالي الغربي للمدينة الحديثة عُثر فيها على عملات وجواهر التي كان الأجانب يستخدمون السكان المحليين من أجل الحفر لعدة أقدام للحصول عليها.

كان الاهتمام الفعلي بهذا الموقع العثور على أرضية فسيفساء في الموقع عام ١٩٦٥^{١٥} بالإضافة إلى بعض المصاييح محلية الصنع، ولكن الأعمال الحقيقية التي أدت إلى اكتشاف الموقع كانت بدأت عام ١٩٧١ عندما قررت بلدية بنغازي استغلال المقبرة مما أضطر مصلحة الآثار إجراء حفريات للمحافظة على الموقع ولقد وجهت نداء إلى جمعية الدراسات الليبية البريطانية من أجل المساعدة واستمرت أعمال الحفر عام ١٩٧١. ١٩٧٥ في مواسم سنوية متقطعة.^{١٦} ولقد نتج عن هذه الحفريات اكتشاف عدد من المباني السكنية ومحاجر لاقتلاع الأحجار وعدد من المباني العامة والتي تمتد ما بين الفترة الهلنستية والبيزنطية. كما قامت جمعية الدراسات الليبية بالاشتراك مع عدة جهات بحثية بعدة دراسات وحفريات في مواسم متقطعة كان آخرها الحفريات التي أجريت في منتصف التسعينيات من القرن الماضي بالتعاون مع جامعة قاريونس ومصلحة الآثار الليبية^{١٧} (شكل ٣).

كانت المدة من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلاديين قمة الازدهار في المدينة فهناك نقش من العهد الأغسطي يسجل إعادة زخرفة الملعب المدرج، ويذكر نقش آخر الإصلاحات التي أدخلت على المعبد اليهودي، ونقوش ترجع إلى عهد الإمبراطور هادريان تدل بأن برنيقي عانت الكثير من تمرد اليهود (١١٥ - ١١٧م) وهذا ما يثبت وجود جالية يهودية كبيرة فيها، وازدهرت المدينة في القرن الثالث للميلاد وربما في فترة حكم الإمبراطور سبتيميوس سيفيريوس ويشهد على هذا الازدهار المباني الجديدة التي شيّدت وأرضيات الفسيفساء التي أدخلت على الكثير من البيوت، وفي منتصف القرن

¹⁴H.W and F.W . Beechey. Proceedings of the expedition to explore the Northern Coasts of Africa from Tripoli Eastward in 1821and 1822 .comprehending an account of the Greater Syrte and Cyrenaica and of the ancient Cities composing the Pentapolis .London .1822. p316

¹⁵Jones . G.D.B . Excavation at Tocra and Euesperides , Cyrenaica 1968-1969 .Libyan Studies .Vol 14 .1983 . pp109 -114

¹⁶Lloyd.J.A. Excavation Sidi Khrebish. Op. cit p 11.

¹⁷Lloyd .J.A. Buzaian .A.Coulton.Excavations at Euesperids (Benghazi) ,1995 .Libyan Studies . VOL 26 .1926

الثالث تمت هجرة واسعة من الموقع وبنى سور جديد أنقص حجم المدينة إلى ربع ما كانت عليه شيدت هذه الأسوار بسرعة ومنذ ذلك العهد لم يعد موقع سيدي خريبيش أهلاً بكثير من السكان، ولم تعرف أسباب هذا التدهور السريع ولكن الأدلة تشير إلى حدوث الظاهرة نفسها في كل من قورينا و بطوليماس ويحتمل أن يكون السبب في ذلك هجمات قبائل إقليم مارماريكا (البطنان الآن) والتي نجح حاكم مصر في إخمادها سنة ٢٦٨م. ويبدو أن المدينة عانت أيضاً من المشاكل التي عانتها الإمبراطورية في تلك الفترة: الطاعون - التضخم المالي - الضرائب الباهظة، نقص القيادات الحازمة. وإن عدم ظهور أي مباني جديدة خارج أسوار المدينة في القرون اللاحقة يدل بوضوح على أن المدينة لم تنتعش مرة أخرى، إلا أنه هناك أدلة على استمرار الحياة فيها في القرن الرابع والخامس والسادس الميلادي، والمبنى الوحيد المكتشف والذي شيد بعد ذلك في سيدي خريبيش هو الكنيسة فقد شيدت في أوائل القرن السادس الميلادي والتي ظلت مستخدمة حتى الفتح العربي ٦٤٢ - ٦٤٥م.^{١٨}

من خلال ما تم سرده يتضح بأن لمدينة يوسبريديس ميناءين الأول قديم كان داخل أسبحة السلماي الحالية عندما كانت بحيرة كبيرة تعج بالسفن والمراكب وقوارب الصيد وربما كانت أرصفة الميناء في الجهة الجنوبية الشرقية للاسبحة قرب نبع المياه المكتشف هناك . (شكل ٤) يؤكد استرابون^{١٩} بأنه نهر الليثي فيفيض في مرفأهسبريديس Hesperides، والذي لا بد وأنه كان يغذي السفن والمراكب التي كانت ترسو في الميناء محمله بالبضائع والمهاجرين والعساكر والبريد حيث يعد توفر المياه من أهم أسباب نجاح المرافئ القديمة نظرا لارتباطها بتزويد السفن بالمياه التي كانت تحتاجها في رحلاتها الطويلة الداخلية عبر الساحل القوريني أو الخارجية عبر المتوسط . فقد ذكر لنا Synesius في القرن الخامس الميلادي بأن السفن كانت تبحر من فيكوس Phycus إلى القسطنطينية و الاسكندرية^{٢٠} محملة بالبضائع بالإضافة إلى البريد وتوجد مخازن ومستودعات تخزين فيها البضائع من أهل شحنها إلى المراكز الأساسية في كل من أبولونيا و بطوليماس^{٢١} وكانت للسكان حرفة أخرى يمارسونها وهي حرفة صيد الأسماء مستفيدين من المرافئ التي وفرت حماية جيدة لمراكبهم فهذا الجزء الأوسط من قورينائية يعتبر من المناطق الجيدة لصيد الأسماك ويذكر بروكوبيوس Procopius عند وصفه لشعب ليبيا بأن من بين مصادر العيش لديهم هو البحر^{٢٢} ومن هنا فقد كانت هذه المرافئ مهمة جداً

¹⁸Idem. PP32 . 33.

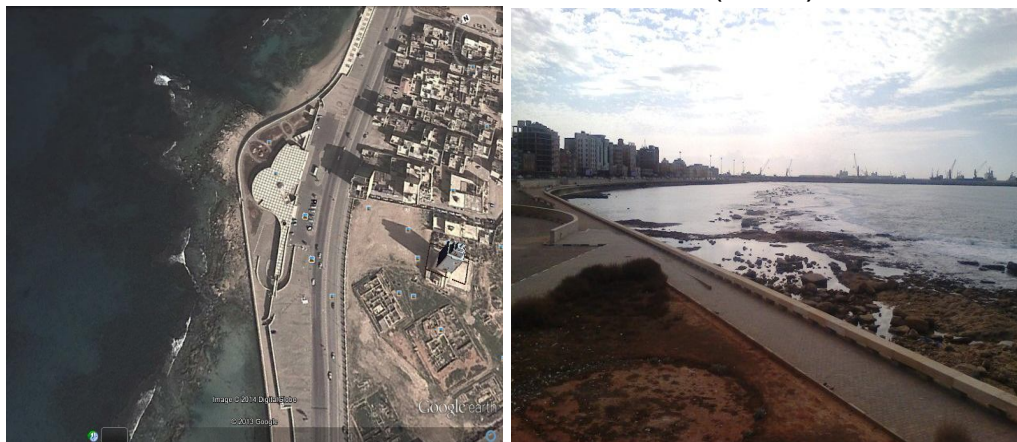
¹⁹Strabon. Xy . 3.20

²⁰Synesius. Lettres. 129 -133.

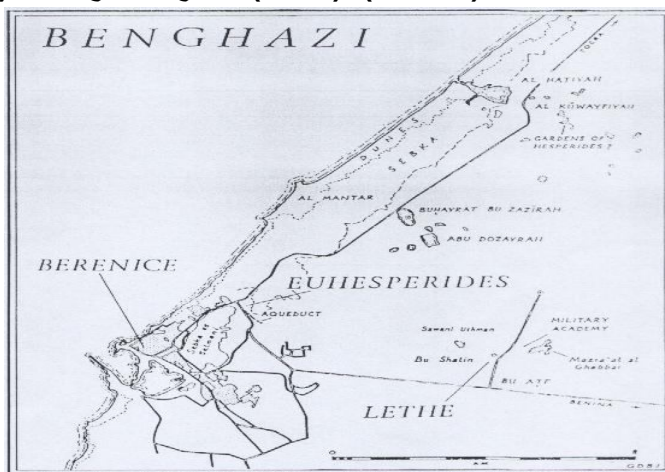
²¹Lettre. 51.

²²Secret History. XVIII.10.

لسكان الإقليم لتوفير وسيلة النقل والمواصلات وصيد الأسماك والإسفنجة .
ولكن تحديد موقع الميناء بدقة يحتاج إلى مسح جيوفيزيقي تنقيب حول أسبحة
السلماني وتصوير دقيق بالأقمار الصناعية وغوص تحت مياه البحر المقابلة
للمنارة التركية (شكل ٥) .



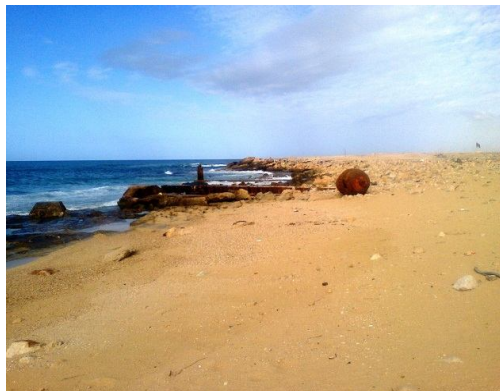
(شكل ٣) موقع يوسبريدس والمرفأ (قوقل ارث) (شكل ٤) الموقع المقترح للمرفأ (تصوير الباحث)



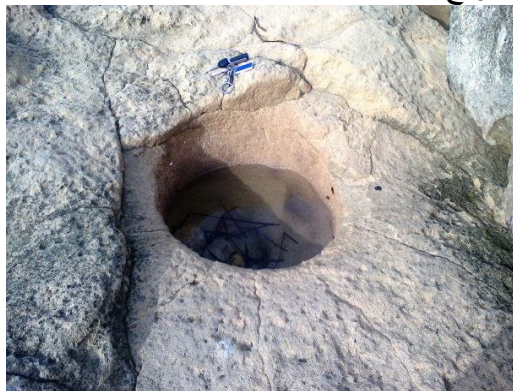
(شكل ٥) مخطط للجزء المكتشف من يوسبريدس (عن جونيس و ليتل شكل ٤)

بعد زحف الرمال على مدخل بحيرة أسبحة السلماني وتحوله تلك البحيرة
الكبيرة إلى مستنقعات صغيرة اضطر أهل المدينة إلى نقل موقع الميناء إلى
حافة صخرية ممتدة في البحر على هيئة نتوء صخري مكونة خليج يقع الآن
داخل المقبرة الإسلامية سيدي اخريش ، وهذا لا يعني انتقال جميع سكان
المدينة إلى الموقع الجديد حيث كشفت الحفريات سالفة الذكر عن وجود مباني

تعود لفترات احدث في يوسبريدس حتى بعد تغيير موقع الميناء وظهور الاسم الجديد للمدينة (برنيقي) وربما كانت المراكب الصغيرة تجوب هذه البحرية والتي ظلت مفتوحة إلى أن أغلقت المباني التركية التي بنيت في العهد العثماني الثاني مدخلها مما حولها من بحيرة إلى أسبخة . موقع ميناء برنيقي رغم صعوبة معرفته بالدقة لقلّة الدراسات الحديثة لتحديد مكانه بالضبط والزحف العمراني وتقدم البحر باتجاه اليابسة نتيجة لعمليات جيولوجية أدت إلى انغمار الساحل القوريني بارتفاع أربع أمتار تقريبا بالإضافة إلى الزحف العمراني ، إلا أن ما تركه لنا الكتاب الكلاسيكيين من وصف لموقعة والمباني الأثرية المكتشفة شرق النتوء الصخري الذي أقيمت غربه الميناء الحديث يجعل الموقع الشبه مؤكد أن الميناء يقع شمال المقبرة الإسلامية مباشرة وبالتحديد مقابل للمنارة التركية المحاطة بسياج الآن (شكل ٥) . وربما أقيمت المنارة التركية فوق منارة كلاسيكية أقدم حيث يلاحظ من خلال مسح الشاطئ المقابل وجود عدد من الحفر الدائرية الشكل وبعض الكتل المنحوتة والتي ربما استخدمت في تثبيت هياكل خشبية (شكل ٧) ، ولكننا للأسف لم نتمكن من العثور على أي مباني أو أرصفة على الساحل والتي غمرت نتيجة لتغطية مياه البحر لمنطقة الميناء بالكامل وقد ذكر لي احد الصيادين عن وجود كتل حجرية مصقولة مبعثرة على بعد خمسين مترا داخل البحر وربما كانت القناة الرومانية التي وجدت آثارها ممتدة من منطقة بوشين بعد عبورها بمحاذاة السبخة تغذي خزانات مياه وسط المدينة وشم تغذي الميناء لأنها تنتقل مباشرة صوب هذا الموقع بالتحديد .



(شكل ٧) حفر اسطوانية الشكل شمال على الشاطئ شمال المنارة



(شكل ٦) شاطئ يوسبريدس (تصوير الباحث)

مرفاً توخيرا (Toucheira – Arsine (Tocra)

خط عرض : ٣٢.٣٢.٢٢.٣٥.

خط طول : ٢٠.٣٤.٠٧.٥٥

تقع توخيرا شرق مدينة هادرينا بولس بحوالي ٣٠ كم عند الحرف الأسفل من الجبل وهي تبعد عن الجبل ٢ كم وتقع على الشاطئ، وقد أسسها مستوطنين من قورينا أو برقة تقريباً في ٥٢٥ ق.م^{٢٣} ثم تغير اسمها إلى ارسينوي،^{٢٤} ونظراً للطبيعة الطبوغرافية لساحل توخيرا والتي لا تسمح بوجود مرفأ طبيعي فإن المستوطنين الأوائل قد قاموا ببناء حواجز للأمواج لا تزال آثارها بقاياها موجودة حتى الآن من أجل رسو السفن الصغيرة^{٢٥} ولقد حصنت هذه المدينة من قبل البيزنطيين لتكون أهم المواقع للدفاع عن الأقليم، ولقد ذكر لنا المؤرخ البيزنطي بروكبيوس^{٢٦} وهو من مؤرخي القرن السادس الميلادي بأن الامبراطور Justinien (٥٢٧ – ٥٦٥م) قام بتحسين قوي جداً لهذه المدينة (شكل ٨).



(شكل ٨) موقع توخيرا (قوقل ارث)

تسمية المدينة باسم ارسينوي بدلاً من اسمها القديم اي تاوخيرامن الأحداث المهمة في تاريخ المدينة في عصر البطالمة هي ، تكريماً من بطليموس الثاني

²³Periplas. 108.Schol Pind .Pyth.Ode .IV,46

²⁴Strabon, XVII. 837. T Pline. N.lt.V.31.

²⁵Yorke.R.A. Davidson.D.P. Little. J.H. Pentapolis project. 1972.A. Survey. Of .AncientHarbours In Cyrenaca. Repor Londres . 1973. Multigraphie. 9.P et 3 pL . p4.

²⁶Proepius. (IV.12).

او الثالث للملكة ارسينوي الثانية ، و لكن بعد أن اهتم بالمدينة وتم تطويرها من حيث الاهتمام بمينائها و إعادة تخطيطها و تحصينها و بناء بعض المباني المهمة فيها التي لعل أبرزها الأسوار (شكل ٩) والتي ليست من السهل نسبتها إلى تاريخ محدد ولكن يظل عصر البطالمة بصورة عامة هو تاريخ بناء هذه المباني التي شهدت الكثير من التطور لاسيما في العصر البيزنطي و تحديدا في عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) .

لقد أدت الحفريات التي أجراها جود شايلد²⁷ Goodchild.R ما بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٥م إلى اكتشاف مبنى الجماعات البيزنطية والتي ربما بنيت في نفس الفترة التي فيها حمامات برنيقي و وابولونيا وكذلك تم الحفر في الحصن البيزنطي المتأخر والذي بني على عجل ليكون آخر مكان يتحصن فيه البيزنطيين ضد الفتح الإسلامي ووجدت فيه أدلة على استخدام حتى بعد الفتح الإسلامي²⁸.

بالنسبة للإمداد المائي فحتى الآن لا يوجد أي برهان لوجود قناة تمتد المدينة بالمياه، ولا يوجد أي نبع قريب يمكن أن نتوقع وجود قناة كانت تمتد منه إلى المدينة، وبهذا تكون مدينة توخيلا هي المدينة الوحيدة في قورينايا التي لا توجد بها مدينة تمدها بالمياه، المصدر المؤكد حتى الآن للمياه هي الآبار وهي على عمق ما بين ٣.٢٠ و ٧.٥٠ ويوجد بئر كبير مهم داخل أسوار هذه المدينة يقع غرب الحصن البيزنطي أو ربما كان سبب بناء هذا الحصن هو وجود مصدر مائي مستمر، ولقد كانت مياه هذه الآبار عذبة ولكن في السنوات الأخير بعد أن تفقد عذوبتها حيث أخذت مياه البحر تتسرب إليها نتيجة لاستنفاد المياه العذبة، ومن الملاحظات على آبار هذه المنطقة هو إقامة عدد منها داخل محاجر اقتلاع الأحجار القديمة ولا ندري هل سبب حفر الآبار هو للاستفادة من عمق هذه المحاجر أو أنها حفرت فيما بعد من أجل استخدامها بعد هجر المقابر التي توجد داخل هذه المحاجر أو أنها حفرت من أجل توفير المياه لعمال المحاجر .

موقع الميناء يمكن التعرف عليه بواسطة حواجز الأمواج التي قام المستوطنين الأوائل ببنائها مقابل أسوار المدينة لاستخدامها في حماية السفن الصغيرة والمراكب في فصل الصيف وتظهر هذه الحواجز بوضوح أثناء فصل الصيف عندما تكون الأمواج هادئة ويلاحظ وجود بعض الأحواض المبنية و المبطنه بالمونة على شاطئ البحر في مقابلة الحواجز الحجرية التي كان

²⁷Jones.B. Beginning and Endigs in Cyrenaican Cities; en. Cyrenaica in Antiquity (ed Graeme Barker) Libyan studies. Series. B A B Series 236. 1985. 36.41.

²⁸Good child. R. G. Byzantives, Beybers and Arabs in seventy century. Libya Antquity;1967. 41; 115-24.

الغرض منها توفير المياه للمراكب التي كانت تنطلق إلى السفن الراسية قرب الشاطئ لتفريغ حمولتها أو نقل البضائع والمسافرين والبريد لها (شكل ١٢) . وربما كانت القناة المنحوتة في الكتل الحجرية الموجودة في شارع الديكومانوس تتجه نحو هذه الحوض لأنها تتجه صوب شاطئ البحر مباشرة^{٢٩}، ولكننا لا زلنا نجهل مصدر المياه لهذه القناة .



(شكل ١٠) ممر لسحب القوارب
(تصوير الباحث)

(شكل ٩) السور الشرقي لتوخيرا
(تصوير الباحث)

يوجد الجهة غرب للشاطئ عند نهاية الأسوار خليج رملي صغير هو المكان الوحيد الذي يمكن سحب المراكب الصغيرة خارج البحر عند اشتداد الأمواج والأعاصير . تظهر أمامها هذا الحوض الأسطح المنزقة لسحب المراكب الصغيرة منحوتة في الأرض الصخرية بأحجام صغير بعرض ٤ تقريبا وهو يدل على أن المراكب التي كانت تسحب في أثناء الأمواج العاتية كانت صغيرة . تظهر ظاهرة زحف مياه البحر علي الساحل القورينائي واضحة جدا على الخليج الرملي الصغير الواقع في الجهة الغربية حيث تدخل أسوار العديد من المباني الأثرية في البحر مباشرة (شكل ١٢) . بالنسبة لمنارة الميناء فمن المرجح أن تكون هي في نفس مكان الحصن البيزنطي المقابل الحواجز الأمواج فالموقع المرتفع المطل على مساحة كبيرة من الشاطئ تجعل منه مكانا مناسباً لمنارة الميناء (شكل ١٣) .

^{٢٩} . مفتاح عثمان سعد . نظام تجميع المياه في قورينائية . جامعة السوربون . بحث دكتوراه . غير منشور . ٢٠٠٦ ص ١٧٠



(شكل ١٢) مباني كشفها انجراف التربة
(تصوير الباحث)



(شكل ١١) حوض مياه مبطن لتغذية المرفأ
(تصوير الباحث)

في الحقيقة فأن استخدام هذا المرفأ في فصل الشتاء أمرا صعبا جدا وربما اقتصر استخدامه في فصل الصيف فقط ، وربما كان هذا سببا في تأخر هجرة البيزنطيين عند الفتح الإسلامي للإقليم حيث ظلوا متحصنين داخل أسوار المدينة لمدة ثلاث سنوات حتى هاجروا بحرا عام ٦٤٥ م بعد وصول سفن بيزنطية لإنقاذهم حيث جمع اغلب المستوطنين البيزنطيين في المناطق المجاورة في هذه المدينة بعد الأوامر التي أصدرها القائد البيزنطي ابولونيوس لتمرکز القوات المسيحية في توخيها بعد انسحابه من أبولونيا نظرا لقوة تحصيناتها ، رغم عدم معرفتنا بالتفاصيل إلى سبقت انهيار هذا الحصن حتى حمله عام ٦٤٥ م ولكن عندما توفرت للقائد الإسلامي عمر بن العاص قيادة بحرية جيدة على يد الحاكم القبطي سنوتيوس استطاع فتح هذا الحصن ولكن رغم وجود بقايا لحريق عند مداخل هذا الحصن إلا أننا نفتقد لأي معلومات حول احتلال الحصن أو أن القائد البيزنطي هاجر هو ومن معه عبر البحر قبل وصول الحملة العربية الثانية لفتح شمال أفريقيا عام ٦٤٥ م^{٣٠} .

³⁰Goodchid. R, "Byzantines ,Berbers, and Arabs in seventh –centutyLibya ". In *Libyan studies* (Ed. J. Reynold. London1976 .p 264



(شكل ١٣) الحصن البيزنطي (تصوير الباحث)

مرفاً بطوليمائيس "Ptolemais" Tolmeta

خط عرض : ٣٢.٤٢.٥٥.٨٨.

خط طول : ٢١.٣٠.٢٥.١٧

يظهر الاستيطان الكلاسيكي بشكل واضح على بعد ٤ كم من Tolmeta حيث يوجد عدد من المحاجر التي استخدمت في بناء مدينة Ptolemais وتحولت هذه المحاجر بعد العمل فيها إلى مقابر وهي موجود قرب سيدي عبدالله الصحابي ويوجد قرب هذه المقابر بئر حفر في الأرض الصخرية أسطواني الشكل يوجد بالقرب منه حوض منحوت في كتلة حجرية من أصل سقاية الحيوانات ويسمى بئراً افضيضة ومياهه متوسطة الملوحة وهو اسطواني الشكل وعمقه ٣م وقطره ١.٢٠ سم يوجد بالقرب منه بقايا مستوطنة صغيرة شبه مختفية الآن لأنه في السنوات الأخيرة تم هدمها بواسطة الجرافات الحديثة، ويوجد في هذه المستوطنة بقايا فخار اتيكي لامع وفخار روماني "أحمر لامع" ولا يزال بقايا الحجارة التي كانت مبنية بها موجود مكدسة على بعضها، . يوجد شرق هذه المستوطنة بحوالي ٢٠٠ متر نبع يسمى عين سيدي عبدالله والذي ظل لفترة طويلة أهم مصادر المياه لقرية ظلميثة وربما كان هذا النبع مستخدم في الفترة الكلاسيكية فقد زاره الرحالة جيمس هملتون James Hamillton عام ١٨٥٢ وأشار بأنه يقع في الثلث الأخير في الطريق ما بين المرج و ظلميثة و^{٣١} وأنه يقع في خرائب حصن قديم ، وهذا

³¹Hamilton . Wandering in North Africa.London . 1822. P39.

يؤكد بأن هذا النبع كان موجوداً قبل الاحتلال الإيطالي لليبييا حيث دفعت هذه المياه بمضخات كهربائية إلى مدينة طلميثة الحديثة^{٣٢}، ولكننا لا نعتقد بوجود قناة كانت تحمل المياه إلى بطوليميس من هذا النبع نظراً لأن هذا النبع يوجد تحت مستوى سطح الأرض بحوالي ٢.٥٠ متر وقد أقيم صهريج تحت الأرض لتجميع مياهه، وربما كان يستخدم هذا النبع فقط من أجل توفير المياه للمواقع القريبة منه مثل المحاجر أو لمرفأ قريب التي لا تبعد عنه أكثر من ٥٠٠ متر تقريباً ويبلغ معدل تدفق المياه في هذا النبع حالياً حوالي ٢٢٤٠٠ لتر يومياً^{٣٣}. حدثني احد شيوخ المنطقة أن التجار اليونانيين الذين كانوا يجوبون الساحل في فصل الصيف لشراء البضائع والماشية من المنطقة أو أولئك الذين كانوا يصطادون الأسماك والإسفننج قرب الشاطئ كانوا يأتون إلى هذا البئر ويملئون براميل ضخمة بالمياه يدحرجونها حتى تصل إلى الشاطئ ثم يحملونها في قواربهم للانتقال بها للسفن الراسية قرب الشاطئ وربما كان هذا التقليد هو المتبع منذ الفترة الكلاسيكية لان الأساسات التي بني بها الصهريج الذي تصب فيه مياه النبع تؤكد بدون أدنى مجال للشك أن هذا الصهريج المحفور والمبني في عمق الأرض يرجع للفترة الكلاسيكية .

اكتشف بالقرب من هذا الموقع منذ عدة سنوات مصطبة (شكل ١٤) عبارة عن كتل حجرية بأبعاد تقريبية ١.٩٠ x ٨٠ وبسمك ٤٥ سم وضعت فوق بعضها بشكل متقاطع أي كتلتين شرق غرب وضعت فوقها كتلتين شمال جنوب ويبلغ الارتفاع الظاهر لهذه الأعمدة ١٩٠ وهي عبارة عن ١٧ عمود اصطفت بجوار بعضها نهمل وظيفتها حتى الآن هل كانت عبارة عن منصة استخدمت كميناء لهذه المستوطنة أو لنقل الأحجار من محجر هوا بوالودينات سالف الذكر بحرا إلى بطوليميس التي تبعد حوالي ٤ كم عن هذا الموقع^{٣٤}. ومما يؤكد وجود عدد من المباني المغمورة بمياه البحر قرب هذا الموقع وجود عدد هائل من الكتل الحجرية جيدة الصقل وتيجان الأعمدة وعثر أيضاً على أجزاء من تماثيل شمال مقبرة سيدي عبدالله الصحابي التي تبعد ٢٠٠ متر غرب هذه المصطبة . ولكن للأسف استخدام الجرافات الكبيرة لسحب الرمال من الشاطئ دمر أجزاء كبيرة من هذا الموقع .

^{٣٢} لا يزال هذا النبع أقرب مصدر للمياه العذبة في Tolemeta حتى الآن ويتم نقل هذه المياه بواسطة سيارة عليها صهاريح إلى بيوت المدينة.

^{٣٣} . مفتاح عثمان سعد . مرجع سابق . ص ٥٥

^{٣٤} مفتاح عثمان عبدربه، محمد عطيته الله، سعد الدغاري، ناصر الجحاوي، تقرير مبدئي عن المواقع الأثرية، المهدة على ساحل بطوليميس، مصلحة الآثار، ٢٠١٠، ص ٤



(شكل ١٤) مصطبة من كتل حجرية مصقولة عند سيدي عبدالله (تصوير الباحث).

بالنسبة لمدينة بطوليمائيس نفسها فهي المدينة الثالثة من البنتابولس — Pentapolis تقع على بعد ٤٠ كم شرق مدينة توكره حيث أن الساحل لا يزيد عند بطوليمائيس عن كيلو متر اتساعا، ولقد أشار لها سيلاكس Scylax على أنها كانت ميناء برقة^{٣٥} وذكر مؤلف أبعاد المسلك البحر الكبير Stadiasmus maris magni بأن المكان كان مأمون لأجل شحن السفن حيث توفر جزيرة بعيدة عن الشاطئ حماية لهذه السفن وتسمى جزيرة Has^{٣٦} (شكل ١٥) كتب الشريف الإدريسي^{٣٧} في القرن الثاني عشر الميلادي عن بطوليمائيس ما يلي ومنها إلى قصر 'ظلمية، وهو حصن جيد، عليه سور حجارة عشر أميال، وهو عامر بالناس، والمراكب تأتي إليه بالمتاع الحسن من القطن، والكتان وتحمل بالعسل والقطران والسمن في المراكب الواصلة إليه من الإسكندرية^{٣٨}.

³⁵Scylax. Periplus.108.

³⁶Stadiasmus Maris magni 55 .

³⁷الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . بيروت ١٩٨٩، ٣١٥-٣١٦.

³⁸Proeopius . VI 1.6 Iy .12 العمائر



(شكل ١٥) مرفأ بطوليمائيس مدخل المرفأ (قولل ارث)

لا يزال تحديد موقع الميناء القديم محل خلاف فخریطة الأخوين Beechey تضعه شرق النتوء الصخري الداخل في البحر شرق أسوار المدينة، في حين يضعه كريلنج ما بين الجزيرة الصغيرة وخليج صغير جداً وهو المكان الذي تستغله قوارب الصيادين السمك حالياً شرق منارة المرفأ الحديث (شكل ١٦) في حين يضعه كل من جونيس وليتل Jones.B. et Little ما بين الجزيرة الكبيرة التي تبعد قليلاً عن شاطئ البحر والنتوء الصخري ويعتمدان على وجود حاجز حجري صناعي تحت مياه البحر يتجه إلى هذه الجزيرة وهو المكان الأكثر ترجيحاً نظراً لأن هذا الحاجز لا يزال يظهر في بعض الأحيان عندما تنحصر الرمال عن الشاطئ وقد قطعت الكتل الحجرية من هذه الجزيرة الحجرية، وكذلك فإن وصف *Stadiasmus maris magni* قد حدد بأن هذا المرفأ محمي بجزيرة فقد قام الإغريق ببناء هذا الحاجز الذي كان يمتد ما بين الشاطئ والجزيرة لتأمين حماية أفضل للسفن وربما كان هذا الحاجز هو نفس الحاجز الذي وصفه لنا سينسيوس³⁹ *Synesiou* بأن ميناء بطوليمائيس كان يتضمن مميزات صناعية عند مدخله. ذكر لنا سينسيوس أيضاً بأن السفن في القرن الخامس الميلادي كانت تبحر من فيكوس *Phycus* (زاوية الحمامة)

³⁹Synesiou. *Catastsis* (ed Fitzgerald) p54.

إلى القسطنطينية و الإسكندرية^{٤٠} محملة بالبضائع بالإضافة إلى البريد وتوجد مخازن ومستودعات تخزن فيها البضائع من أجل شحنها إلى المراكز الأساسية في كل من أبولونيا و بطوليميس^{٤١} ، ويوجد هذا المرفأ بين السورين الغربي والشرقي للمدينة تلك الأسوار الضخمة التي بنيت في الفترة الهلنستية وهي تعد واسعة جداً وتبلغ مساحتها ٢٥٠ هكتار^{٤٢} وهي بذلك تكون أوسع المدن في قورينا^{٤٣} ولقد حميت هذه الأسوار ببوابة ضخمة في سورها العربي تسمى بوابة توخيرا وهي على هيئة برجين ضخمين وتمتد هذه الأسوار ما بين وادي خامبش ووادي زيوانه ، بل وتخترق كذلك الهضبة مشكلة بذلك فاصلاً دفاعياً عبر التلال. ويرجع كريلنج^{٤٤} هذه الأسوار والبوابة الضخمة التي يصل ارتفاع أبراجها حتى الآن عشر أمتار إلى القرن الثالث ق.م . قلصت هذه الأسوار في فترات لاحقة وربما في نفس الفترة التي فصلت فيها أسوار كل من برنيقي و قورينا في منتصف القرن الثالث الميلادي^{٤٥}



(شكل ١٦) المنارة الحديثة ومرفأ الصيادين (تصوير الباحث)

رغم عدم وجود دراسات دقيقة عن ميناء هذه المدينة إلا انه من خلال ما ذكره الكتاب الكلاسيكين والعرب عن مينائها العامر إلى عهد قريب ولأهمية هذا الميناء الذي يعد المنفذ الوحيد لمدينة برقة وضواحيها لتصدير واستيراد

⁴⁰Synesius. Lettres. 129 -133.

⁴¹Lettre. 51.

⁴²Tomasz Mikocki , and archaeologist of the Polish mission to Ptolemais , Libya .Institute of Archaeology.WarsawUniversity. 2006 . p 30

⁴³Lloyd. J.A. and Lewis. P. "Water supply and urban population in Roman Cyrenaica" en Libyan studies. Eighth annual report. 1976.1977 .p36.

⁴⁴Kraeling , C. H, Ptolemais city of the liban Pentapolis .Chicago;1962 .pp 51-62.

⁴⁵Lloyd. J.A. Exearation at sidiKribish. Op at. P 11-12.

البضائع ونقل المسافرين والبريد . كان للموقع المحمي بنتوء صخري مكون لشبه خليج يحمي السفن من الرياح الشمالية الغربية في فصل الشتاء والجزيرتين الموجودتين شمال هذا الخليج والتي وفرت حماية للمراكب من رياح القبلي الشديدة في فصل الشتاء دور مهم في اعتماد هذا الموقع كميناء من قبل المهاجرين الإغريق الأوائل وربما حتى قبل إنشاء مدينة برقة نفسها ، والحقيقة أن المسافة بين الجزيرتين والتي تقدر ب ١٩٠ م . ربما كانت هي المدخل الرئيسي لهذا الميناء حيث يشاهد في الفترات إلى يكون فيها المياه هادئة وجود صخور ضخمة ربما كانت تمثل أبراج مدخل المرفأ كما يوجد بينهما بقايا لتمثال ضخم مقطوع الرأس^{٤٦} . الجزيرة الكبيرة التي ذكرها لنا مؤلف كتاب أبعاد المسالك في البحر الكبير *Stadiasmus maris magni* المجهول المؤلف باسم جزيرة الهاس *Has* تقع مقابل الميناء الحديث وتبعد الآن عن الشاطئ بحوالي ٢٠٠م واستغل جزء منها كمحجر بالإضافة إلى استغلالها كمرسى في الفترات التركية والإيطالية . ولا تزال بقايا الجدران التي كانت تمثل حواجز للأمواج تشاهد إلى يومنا حيث توجد ثلاث أساسات لجدران تمتد لحوالي ١٠٠ م باتجاه الشمال شاقعة مياه البحر صوب الجزيرتين (الأشكال ١٧-١٨ - ١٩-٢٠) .



(شكل ١٧) جدران ممتدة تحت مياه البحر في المرفأ (شكل ١٨) خليج الصيادين والمنارة الحديثة (تصوير الباحث)

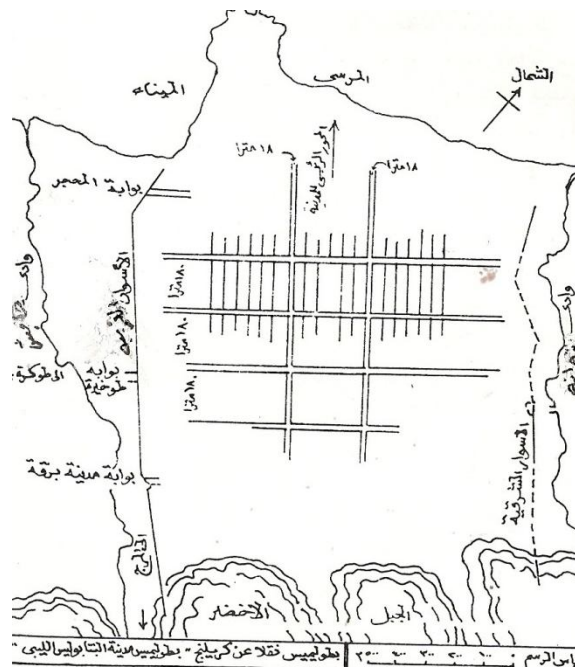
^{٤٦} . ذكر لي عادل بوختاله وهو احد غطاسين طلميثة انه شاهد هذا التمثال الضخم عدة مرات عندما تكون أمواج البحر هادئة في فصل الصيف وان ذات مرة حاولوا إخراجه ولكن لم يستطيعوا سحبه نظرا لضخامته .



(شكل ١٩) الجزيرة الكبيرة مقابل المرفأ الحديث (شكل ٢٠) الموقع المقترح للمنارة مقابل الجزيرة الكبير

تقع مخازن الميناء عند مرفأ الصيادين الواقع في الخليج الصغير غرب المرفأ الحديث قبل أن يغمرها البحر نتيجة للظاهرة الجيولوجية التي أدت لغمر مياه البحر للمنطقة الساحلية بارتفاع ما بين ١ - ٤ أمتار على كل المنطقة الممتدة من الإسكندرية إلى حدود قوريناوية الغربية وهذه الظاهرة التي رافقت الزلزال الذي ضرب الإقليم عام ٣٦٥ م هي السبب الرئيسي في تغيير الملامح الطبوغرافية للمرفأ القوريناوية ، والحقيقة فأن الخلاف حول الحوض الضخم الذي يقع غرب الخليج الذي يوجد فيه الميناء القديم لا يزال قائماً حيث يعتقد البعض بأنه كان عبارة عن ميناء ضخم لاستقبال المراكب قبل دخولها للمرفأ والذي يقع ضمن أسوار المدينة ، وهذا ما يؤكد عالم الآثار الراحل توماس ميكوسكي^{٤٧} رئيس البعثة البولندية في بطوليمائس إذا يعتقد بأن هذا المرفأ كان يتكون من جزئين الأول شتوي الواقع بين الجزيرتين ، والأخر صيفي يوجد في الخليج الكبير غرب النتوء الذي يوجد فيه المرفأ معلل ذلك بصغر حجم المرفأ بالمقارنة مع حجم المدينة . ولكننا في حقيقة الأمر لأزالنا نجهل الكثير عن تخطيط ميناء بطوليمائس فلم تتم أي دراسة علمية جادة لهذا المرفأ حتى الآن وربما سيكشف الدراسات القادمة كل معالم هذا الميناء من حواجز ، أرصفة ، مخازن ، ومنارة . (شكل ٢١)

⁴⁷. Tomasz Mikocki , Op,Cit . p 34



(شكل ٢١) خريطة كريلن جلب طوليمائيس يحدد فيها المرفأ والميناء

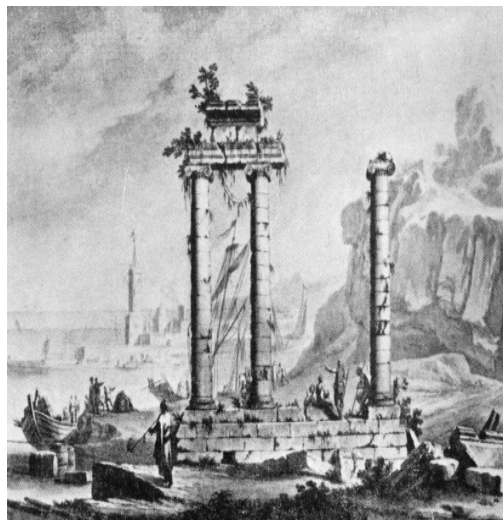
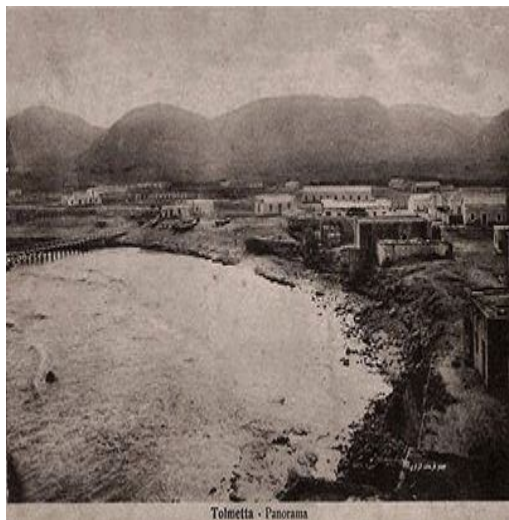
لقد تطورت هذه المدينة في العهد الروماني لتصبح من أهم المدن البنتابولس Pentapolis وتصبح عاصمة للإقليم بعد انهيار مدينة قورينا ، ولقد ذكر لنا مؤرخ الإمبراطور جستنيان Justinien والمسمى بروكبيوس Procopius بأن من بين الأعمال التي قام بها هذا الإمبراطور بأنه قام بإعادة بناء القناة القديمة بعد أن كادت هذه المدينة أن تهجر بسبب قل المياه وبذلك أعادها ازدهارها السابق،^{٤٨} ولا بد وان هذا الاهتمام قد شمل صيانة وتطوير مرفأ المدينة ليستوعب أكبر عدد من السفن والمراكب البيزنطية ليعود النشاط التجاري للميناء مثلما كانت عليه في العهد البطلمي . أما عما ذكره لنا سينسيوس بأن ميناء بطوليمائيس يشمل إضافات صناعية عند مدخله فاعتقد بأنه كان يقصد تلك الحواجز الضخمة على هيئة أسوار التي كانت تحيط بالمرفأ تقام عليها هياكل خشبية تستعمل في فصل الصيف كأرصفة مؤقتة وهو تقليد استخدم في الفترة التركية والإيطالية وحتى ستينيات القرن الماضي لإفراغ المراكب في فصل الصيف . أما منارة المرفأ فرغم اعتقاد البعض بأنها

^{٤٨} ارتبط اسم هذه المدينة باسم الأسقف Synsius والذي كتب عدة رسائل من أهم المصادر التي

استخدمها المؤرخون على تاريخقورينائية في العهد البيزنطي للمزيد انظر :

Roques,D, Synesion de Cyerne et la Cyrenaique du Bas Empire, Paris, 1927.

كانت في نفس مكان المنارة الحديثة^{٤٩} إلا أن الباحث يعتقد بأن المبنى المربع الذي يقع مقابل المرفأ الحديث كان يمثل منارة هذا الميناء ويمكن التأكيد على ذلك من خلال الرسم الذي أورده جيمس بروس لميناء بطوليمائيس والذي تظهر فيه المنارة شرق مرفأ الصيادين غرب المنارة الحديثة (الشكل ٢٢). أما في الفترة الإيطالية فقد بنى الإيطاليين هيكل لمرفأ مقابل الجزيرة الكبيرة وهو في نفس مكان الرصيف الحالي الذي تم إنشائه في سبعينات القرن الماضي (شكل ٢٣).



(شكل ٢٢) رسم لجيمس بروس لميناء بطوليمائيس (شكل ٢٣) صورة لميناء بطوليمائيس عام ١٩٢٨م

⁴⁹Kraeling. C.H. op cit. p 51-62.

- Athénée, VI (L.C.L) trad par Gplick , C.B.
Diodore de Sicile (L.C.L) trad par Russel ,M Geer
Hérodote (L.C.L) trad par Godley ,A.D
Periplas. 108.Schol Pind .Pyth.Ode .IV,46
Polybe, XXXI (L.C.L) trad par Waton W.R
Pline (L.C.L) trad par Cabbs , E
Ptolémée IV . Géographie 4
Proeopius VI 1.6 ly .12 Arch .
Procopé . VI 1.6 IV.12.
Stadiasmus Maris Magni .
Salluste ,BellumJugurthinum
Scylax de Caryanda. Périples 108 (ed C .Muller)
GeographiGraeci minores).Paris 1882
Synesius. Catastsis (ed Fitzgerald) p54.
Strabon (L.C.L) trad par Jones . H .L

المراجع العربية :

- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بيروت ١٩٨٩ ، ٣١٥-
٣١٦ .
مفتاح عثمان سعد . نظام تجميع المياه في قوريناية . جامعة السوربون . بحث
دكتوراه . غير منشور . ٢٠٠٦ .
مفتاح عثمان عبدربه، محمد عطيته الله ، سعد الدغاري ، ناصر الجحاوي ،
تقرير مبدئي عن المواقع الأثرية ، المهدة على ساحل بطوليمائيس ، مصلحة
الآثار الليبية ، ٢٠١٠ .

Beechey ,F.W and H.W. Proceedings of the expedition to explore the Northern Coasts of Africa from Tripoli Eastward in 1821and 1822 .comprehending an account of the Greater Syrte and Cyrenaica and of the ancient Cities composing the Pentapolis .London .1822.

Goodchid. R, "Byzantines ,Berbers, and Arabs in seventh – centutyLibya ". In **Libyan studies** (Ed. J. Reynold. London1976 .

Goodchiald ,R. Cyrene and Appolonia .Department of Antiquities , Libyan .3ad Edition 1970

Hamihon – Wandering in North Africa. London . 1928

Jones . G.D.B . Excavation at Tocra and Euhesperides , Cyrenaica 1968-1969 .**Libyan Studies** .Vol 14 .1983 .

Jones.B. Beginning and Endigs in Cyrenaican Cities; en. Cyrenaica in Antiquity (ed Graeme Barker et) **Libyan Studies**. Series. B A B Series 236. 1985.

Kraeling , C. H, Ptolemais city of the liban Pentapolis .Chicago;1962

Laronde.A. Cyrène et la Libye hellénistique « Libykai Historia »Paris. 1987a

Lloyd . T. A. "Excavcitions scitsidikhrebish Benghazi Berenice". **Liby Antiqua** . y,svol . 1 . Tripoli 1976

Lloyd .J.A. Buzaian .A .Coulton . Excavations at Euesperids (Benghazi) ,1995 .**Libyan Studies** . VOL 26 .1926

Lloyd. J.A. and Lewis. P. "Water supply and urban population in Roman Cyrenaica" in : **Libyan studies**. Eighth annual report. 1976.1977

Roques,D, Synesion de Cyerne et la Cyrenaique du Bas Empire, Paris,1927.

Tomasz Mikocki , and archaeologist of the Polish mission to Ptolemais , Libya .Institute of Archaeology.WarsawUniversity. 2006 .

Yorke.R.A. Davidson.D.P. Little. J.H. Pentapolis project. 1972.A. Survey. Of .Ancient Harbours In : **Cyrenaca. Repor Londres** . 1973. **Multigraphie**. 9.P et 3 pL .

أثر الاضطرابات السياسية على الحياة العامة في مدينة ينبع في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري

د . مها بنت سعيد اليزيدي*

الموقع الجغرافي لمدينة ينبع وأهميته الإستراتيجية :

لمدينة ينبع الواقعة على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام شهرة واسعة^١، إذ تعد من مدن الحجاز المهمة^٢، والتي عرفت بأنها ميناء قديم نحو سنة ٢٠ ق . م ، فلقد استخدمه الرومان عند إبحارهم من اليمن متجهين إلى مصر^٣، وقد أكد أهمية ينبع بالنسبة لمنطقة الحجاز أبو بكر أحمد بن هارون في أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي بقوله : " ينبع من أعظم مدن الحجاز إلا أنها صغيرة ، وهي بندر التجار ، ومحل المكاسب "^٤

وينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة المضمومة ، هي فعل مضارع نَبَعَ من يُنْبَعُ الماء، وقد أخذ اسمه من الفعل المضارع لكثرة يَنَابِعِهَا"^٥، قال الشريف سلمه بن عياش الينبعي : عددت بها مائة وسبعين عيناً^٦، وذكرها البكري بقوله : " عن يمين رضوى^٧ ، لما كان منحدرًا من المدينة إلى البحر ، وهي قرية كبيرة و بها عيون عذاب غزيرة "^٨ .

وفي وصف ينبع وموقعها يقول الجزيري : " ينبع الربع الرابع من أرباع الحجاز الأول من القاهرة إلى العقبة والثاني من العقبة إلى الأزم ،

*أستاذ مساعد - تاريخ حديث - جامعة الجوف

١ عبد الله غازي ، إفادة الأنام بذكر بلد الله الحرام ، ج٦ ، ص ٣٣٠ ؛ سعد الرفاعي ، ينبع بين رحلتين ، ص ٢٨٧ .

٢ حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٦ .

٣ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، لعدد من المؤرخين والجغرافيين - ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى التي نظمتها كلية الأدب - جامعة الملك سعود ، الرياض ، في الفترة من ١٥-٢١ محرم عام ١٤٠١ هـ .

٤ نقلا عن حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٣١ .

٥ الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥١٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نبع ، ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

٦ الفيروز أبادي ، المغانم المطابة في معالم المرطابة ، ص ٤٤٠ .

٧ جبل صغير يتميز بالارتفاع ، ويقع في الشمال الشرقي منها ويتوالي منه عدة جبال تقع غرب بدر . انظر : القلقشندی ، صبح الأعشى في صناعة الإنشى ، ج ١٢ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ شارل ديبييه ، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

٨ البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ١ ، ص ٦٥٦

والثالث من الأزلم إلى ينبع، والرابع من ينبع إلى مكة^٩، ويضيف الفيروز أبادي وصفاً لها بأنها " أرض واسعة تقع غرب المدينة على سبع مراحل " ^{١٠}، وتقع على خط عرض (٦-٢٤) شمالاً، وخط طول (٣ - ٣٨) شرقاً^{١١}.

وذكر البلادي أن " ينبع تعتبر مدينة وواد، وكلاهما يقع غرب المدينة المنورة، أما الوادي فهو ينبع النخل^{١٢}، وتسيل المياه إليه من جبال الأجرد، والأشعر^{١٣}، ومن ثم يدفع في البحر الأحمر، وأن وفرة المياه والعيون أعطى المنطقة ذلك (الاسم)، إضافة إلى كثرة المزارع، والمحاصيل الزراعية المتعددة ووفرة المياه وخصوبة التربة^{١٤}، وقد سبق أن وصفها ليون روش في (رحلته) عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م بقوله: " ينبع النخل أو ينبع البر استراحنا فيها استراحة ممتعة في ظلال نخل بديع " ^{١٥}.

ولذلك أضيفت كلمة البحر للتفريق بين ينبع النخل ونبع الميناء (ينبع البحر)، والذي تأتي أهميته من كونه الميناء الأساسي للمدينة المنورة^{١٦}، والميناء الثاني في الحجاز^{١٧}، وهما لا تختلفان في القبائل والعادات والتاريخ المشترك، وتمثل ينبع النخل الجزء الأعلى من ينبع المدينة، ونبع البحر تشكل الجزء الأدنى منها، وهي جزء أصل من ينبع النخل^{١٨}.

ذكر الفاسي ذلك بقوله: " ينبع بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربي لمكة المكرمة ويقال لها ينبع النخل " ^{١٩}، ولأهميتها الإستراتيجية قال عنها توماس لورانس الذي مر بها عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م: " فقد كان موقع البلدة استراتيجياً، حيث تحيط بها مياه البحر من جانبيين، وهي في موقع مرتفع نحو عشرين قدماً عن سطح البحر، والجانبان الآخران

^٩درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، ج ١، ص ٥٣٥.

^{١٠}المغامم المطابة، ص ٤٤٠.

^{١١}محمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٩٨.

^{١٢}تبعد ٥٠ ميل تقريباً شرقي ميناء ينبع. انظر: صالح السيد، ملامح من تاريخ ينبع، ج ٢، ص

٢٧٥-٢٨٥

^{١٣}انظر: الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٦.

^{١٤}نسب حرب، ص ٣٣٨.

^{١٥}اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

^{١٦}محمد باشا صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ عثمان حافظ، صور وذكريات

عن المدينة المنورة، ص ٢٩٩.

^{١٧}حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٣٧.

^{١٨}الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٧؛ محمد حسين الحارثي، الثغور البحرية الحجازية، ص ٩٤

^{١٩}شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ٢، ص ٤١٥.

منها يشرفان على امتدادات رملية منبسطة لعدة أميال ، وأمامها أراض مكشوفة ... " ٢٠ .

وينبع النخل مدينة قديمة يعود تاريخها لأكثر من ألفي عام ، تتكون من مجموعة من القرى التي اشتهرت قديماً كأحد المدن التجارية^{٢١} ، يقع فيها قرية سويقه^{٢٢} ، وهي أكبر قرأها ويعقد فيها ما يعرف بسوق الاثنين ، والذي كان ملتقىً تجارياً للقوافل والحج^{٢٣} .

وقيل في سر تسميتها ينبع النخل أن ذلك بسبب كثرة نخيلها^{٢٤} ، وهي تشكل منطقة واسعة ، عبارة عن عدة قرى متوالية ، وكأنها عقد يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي^{٢٥} ، يؤكد ذلك أيوب صبري حينما قال : " إن سبب تسمية تلك القرى في مجموعها ينبع النخل هو وفرة مياهها وغزارته"^{٢٦}

ويرى بوركهارت الذي زار ينبع عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م أن " العائلات المحترمة في ينبع لها منزل ريفي في الوادي المثمر الخصب المدعو "ينبع النخل" أو " قرأ ينبع"^{٢٧} ، ويؤيده شارل ديبييه الذي مر بينبع عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م بقوله : " ينبع النخل وهي تقع في واد كبير مزروع بنخيل التمر والقمح ، ويملك فيها السكان الأغنياء حدائق ومنازل ريفية يذهبون إليها ويقضون فيها شهراً في السنة أبان موسم التمر ، وأن في ذلك الوادي الواقع في أسفل الجبال عدداً من القرى يقارب أثنى عشرة قرية"^{٢٨} .

وهي تبعد مسافة ست ساعات^{٢٩} باتجاه الشرق وبانحراف مقداره ربع درجة نحو الشمال الشرقي لينبع البحر^{٣٠} ، وبمسافة

^{٢٠}أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٥١ .

^{٢١}انظر أسماء هذه القرى في محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن طالب ﷺ ، ص ٣

^{٢٢}سويقه : تصغير سوق للبيع والشراء ، وهي سكنى لآل علي بن أبي طالب ﷺ ، انظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

^{٢٣}بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٩؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦٢ .

^{٢٤}إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ٩٥ ؛ عاتق البلادي ، قلب الحجاز ، ص ١٦١ .

^{٢٥}سيد بكر ، الملامح الجغرافية لأرواب الحجيج ، ص ١٤٠ .

^{٢٦}موسوعة مرآة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

^{٢٧}رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ .

^{٢٨}رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من ق ١٩م ، ص ١٥٨ .

^{٢٩}سنوك هورخرونيه ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ؛ أيوب صبري ، موسوعة

مرآة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

^{٣٠}دومنجو باديا ، رحلة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٧ .

١٥٠ كم عن المدينة المنورة^{٣١}، وتعتبر من المدن الداخلية والبعيدة عن الساحل بين شعاب الجبال وجنابات الأودية و خيوفها، و أينما توجد مصادر المياه تنتثر القرى، لذلك كانت واحة واسعة خصبة، فقد بلغ عدد العيون بها تسعة وتسعين عيناً^{٣٢}.

لذلك وصفها النابلسي بأنها " قرية كبيرة ذات نخل كثير ومياه غزيرة"^{٣٣}، ويصف ماءها محمد صادق حينما زارها عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٢م بقوله: "وماؤها صاف كالزلازل"^{٣٤}.

ارتبطت ينبع النخل بعلي بن أبي طالب ؑ، حيث أقطع النبي ﷺ أربع أرضين، وأقطعه عمر بن الخطاب ؓ ينبع مضافة إلى غيرها^{٣٥}، وبعضها آلت إليه ملكيتها بالشراء^{٣٦}، وبأرضها ارتبطت بعض غزوات الرسول ﷺ^{٣٧}، وقد تعددت المصادر التي كتبت عن ذلك.

وهكذا تتضح الأهمية الاقتصادية لينبع النخل، حيث مواردها وأسواقها، بل ومرور قوافل الحج بها، فهي تعتبر المنزل الرابع والعشرين من منازل الحاج إلى مكة^{٣٨}، وهي محطة مهمة في طريق الحاج المصري^{٣٩}.

أما ينبع البحر فهي تقع شرق البحر الأحمر^{٤٠}، وغرب ينبع النخل على خط عرض ٢٤ درجة شمالاً، وعلى خط طول ٣٦ درجة شرقاً، وتقع في الناحية الغربية للمدينة المنورة، وعلى بعد ٢٤٥ كم منها، وتبعد عن مكة المكرمة حوالي ٥٣ ساعة^{٤١}، كما أنها تقع عند ثلاثة أرباع المسافة من القاهرة إلى مكة المكرمة بطريق القوافل^{٤٢}.

^{٣١}سيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤٠.

^{٣٢}البكري، معجم ما أستعجم، ج ٢، ص ٦٥٦.

^{٣٣}الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص ٣١٩.

^{٣٤}دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ١٣٠.

^{٣٥}الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥٠؛ تنضيب الفايد، صيد الذاكرة الباصرة، ص ٢٥١.

^{٣٦}حيث اشتراها من عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، ثم آلت إلى أحفاده ؑ، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ٦٥٦.

^{٣٧}انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧٠ وما بعدها.

^{٣٨}عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣١٩.

^{٣٩}صالح السيد، ملامح من تاريخ ينبع، ج ٢، ص ٢٧٥ - ٢٨٥.

^{٤٠}أيوب صدري، موسوعة امرأة الحرمين، ج ٥، ص ١٤٦؛ إبراهيم رفعت، امرأة الحرمين، ج ٢، ص ١٣.

^{٤١}أيوب صدري، المصدر السابق.

^{٤٢}محمد الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، رحلة بيرتون، ج ١، ص ٤٠٨.

لقد شيدت المدينة على ساحل رملي مستو من البحر الأحمر^٣، وفي الجزء الشمالي من خليج عميق تحميه من الرياح الجنوبية والغربية جزيرة واقعة في مدخل الخليج^٤، تسمى جزيرة العباسي^٥. وقد وصفها الرحالة دومنجو باديا عندما زارها عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله: " أما ينبع البحر فإنها تقع في سهل فسيح ومن السهل معرفة أن موقعها يشكل مساحة انسحب منها البحر في زمن ليس بالبعيد عن عصرنا الحاضر فمد البحر في حالة ارتفاعه يصل إلى المحيط الداخلي للسور ويغرق قسماً من المدينة "^٦.

إن ينبع البحر نشأت عند نقطة التقاء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، حيث يلتقي عندها الطريق البحري والطريق القديم، ولذلك قامت بربط مراكز الحضارات الشمالية في مصر والشام بالمناطق والمراكز الجنوبية والمتمثلة في بلاد اليمن^٧، فاكتملت أهمية تجارية واقتصادية^٨، وإن كانت لم تظهر كميناء إلا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي^٩، وذلك بعد اضمحلال ميناء الجار^{١٠}، الذي كان من موانئ الحجاز المهمة على البحر الأحمر^{١١}.

^٣ جبل كورتلون، رحلتى إلى مكة المكرمة، ص ١٣١؛ عبد العزيز دولتشين، الحج قيل مئة سنة، ص ١٧٦.

^٤ بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٣؛ ليون روش، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٤-٥٥.

^٥ وهي تقع في منتصف الطريق بين جدة والوجه. انظر: سيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤١.

^٦ حالة اسباني في الجزيرة العربية، ص ٣٣٧.

^٧ فورستر سادليير، رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، ص ١٢٧؛ إلهام سراج، بلاد ينبع، ص ٦٠.

^٨ محمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٩٨.

^٩ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٦.

^{١٠} يقع جنوب ينبع وهو البريكة حالياً وهذا ما أكده البلادي ووضحه الخطيب حينما صحح الخطأ في أن موضع الجار هو الرايس حالياً، وقد اندثر وأضمحل لعدة أسباب: أهمها الغزو الصليبي وعدم قدرة الميناء على صد الهجمات والغارات البحرية مما أدى إلى تفرق وهروب السكان. انظر: البلادي، معجم الحجاز، ص ٢١٤؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦؛ أحمد البرادعي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، ص ١٠٥.

^{١١} وقد ذكره الحموي بقوله: " الجار مدينة على ساحل القلزم بينها وبين المدينة المنورة يوم وليلية، وهي فريضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند " أنظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

ابتدأت شهرة ينبع البحر من واقع أنها ميناء و ثغر للمدينة المنورة^{٥٢} ، بعد أن أختاره الأيوبيون عام ٦٢١هـ / ١٢٢٤م ميناءً رئيساً للمدينة المنورة^{٥٣} ، ثم شهدت ينبع البحر نهضة عظيمة أيام حكم المماليك الجراكسة^{٥٤} ، إلا أن الصراعات السياسية بين المماليك والأشراف في ينبع ساهمت في الحد من دور ينبع ، وخاصة السنوات الأخيرة من حكم المماليك في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي^{٥٥} .

يعتبر ميناء ينبع البحر المرسي الطبيعي الذي كانت تمارس فيه حرفة الصيد^{٥٦} ، وترسو فيه السفن بعيداً عنه بحوالي ١٥٠م ، ثم يتم الانتقال إليه عن طريق المراكب الصغيرة ، وذلك لصعوبة الوصول إلى الساحل^{٥٧} ، لإحاطته بالكثير من الصخور المرجانية التي تعيق رسو السفن الكبيرة فيه^{٥٨} . يؤكد ذلك كارستن نيبور الذي زار ينبع عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م فقال : " أما مدخل المرسي فكان ضيقاً لكنه آمن"^{٥٩} ، وقد وصفه وصفاً دقيقاً الرحالة جيل كورتلون حينما زاره عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م بقوله : " تتقدم السفن ببطء بين الشعاب المرجانية التي تنتشر على غرار مدينة جدة ، في هذا الساحل الصعب وهي تحيط بالممر الضيق الوحيد المؤدي إلى الرصيف"^{٦٠} .

الجدير بالذكر أن ينبع البحر كانت تعاني من صعوبة تواجد المياه العذبة فيها^{٦١} ولكن أمكن التغلب على هذه المشكلة ببناء صهاريج لجمع مياه الأمطار^{٦٢} ، وقد وصف هذه الصهاريج عبد العزيز دولتشين حينما مر بينبع عام

^{٥٢} محمد البتوني ، الرحلة الحجازية ، ص ١١٢ .

^{٥٣} حيث اشتروه من الأشراف الحسينيون ، ثم استعادوه وظلت السلطة في ينبع البحر تنتقل بين الأيوبيين والأشراف والمماليك . أنظر: المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٣٣٧ ؛ حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٤٩ - ٥٠ .

^{٥٤} آمنة جلال ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ، ص ٦٤ .

^{٥٥} علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

^{٥٦} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٢٢ ؛ عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ٢٨ - ٢٩ .

^{٥٧} فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٢٧ ؛ عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

^{٥٨} دومنجو باديا ، رحلة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٨ ؛ موريس تاميزيه ، رحلة في بلاد العرب الحجاز ، ص ٥٨ .

^{٥٩} أحمد محمد ، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج ٣ ، ص ٥١ .

^{٦٠} رحلتي إلى مكة المكرمة ، ص ١٣١ .

^{٦١} شارل ديديه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٧ ؛ أيوب صبري ، موسوعة مرآة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

^{٦٢} محمد صادق ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ١٣٠ .

١٣١٦هـ / ١٨٩٨م بقوله : " وهنا يستعملون ماء المطر ولأجل جمعة بيني السكان ضمن حدود المدينة أقبية غير كبيرة سعة الواحد منها ٥ - ٨ ساجينات مكعبة مع مبنى في أعلى القبو بشكل عنبر في أحد جدران العنبر يتركون قرب سطح الأرض فتحة ينسكب منها في القبو ماء المطر السائل في الشوارع "٦٣ .

وعلى ذلك يعلق بيرتون في (رحلته) عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م " ولينبع أن تتباهي على معظم مدن الحجاز في أمر واحد ، إذ يمكن لأهل ينبع أن يقدموا ماء المطر العذب الفاخر الذي يجمعونه من بين التلال حيث يتجمع في خزانات ويحمله على ظهر الإبل إلى البلدة "٦٤ ، كذلك يعتمدون على المياه الجوفية من الآبار المتعددة التي تقع في الجهة الشرقية من المدينة وتعرف بالمسيطي ٦٥ .

وهكذا تتضح أهمية ينبع البحر ، حيث تمثل الشريط الساحلي الممتد على الواجهة المائية التي من خلالها تطل المدينة على خليج ينبع ، والذي يجسد أحد أهم مراحل نشاط المدينة من حيث الاتصال البحري وصيد الأسماك وصناعة القوارب ٦٦ ، كما ارتبطت ينبع البحر بخطوط ملاحية بحرية تربطها بموانئ الحبشة والهند والصين ، وأهمها الخط الملاحي الذي ورثته ينبع البحر من ميناء الجار ، وارتباطه بمينائي الطور والسويس بمصر ٦٧ .

مجتمع مدينة ينبع :

سكن ينبع والمناطق التابعة لها من القرى والأودية والشعاب قبائل متعددة ، أهمها وأكبرها قبيلة جهينة ٦٨ ، وهي كثيرة العدد شملت مضاربها أكبر رقعة في تلك المنطقة ٦٩ ، بالإضافة إلى الحسينيين أحفاد علي بن أبي طالب ٧٠ .

٦٣ الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

٦٤ محمد الشريف ، المختار من الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

٦٥ إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٣ .

٦٦ محمد الرويثي ، الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، ص ٣٣٥ .

٦٧ محمد الرويثي ، التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبه الجزيرة العربية ، ص ٩١ - ٩٢ .

٦٨ وهي قبيلة تنتمي إلى قضاة أكبر قبائل الجنوب منازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفراء جنوباً والعيص وديار يلي شمالاً على الضفة الشرقية للبحر الأحمر ، وانتشروا في الجهة الغربية من البحر ووصلوا إلى صعيد مصر والحبشة . انظر : ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ ؛ الفلقشدي ، صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛ محمد الجهني ، جهينة ماضيها وحاضرها ، ص ١٠ وما بعدها .

٦٩ ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ شارل ديبويه ، رحلة إلى

الحجاز ، ص ١٥٧ ؛ جورج فالين ، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ص ٢٢٧

٧٠ الفيروز أبادي ، المغامم المطابية ، ص ٤٤٠ ؛ تنيضب الفايد ، صيد الذاكرة ، ص ٢٥١ .

وقد وصفهم البكري بقوله : " سكان ينبع يتكونون من الأنصار وجهينة وليث^{٧١}، كما أضاف بأن من سكان ينبع قبيلة نهد^{٧٢}، والتي تقطن المناطق الجبلية العالية مع جهينة^{٧٣}، وقبيلة حرب^{٧٤}، التي استقرت في الجزء الجنوبي من ينبع^{٧٥}، وفي ينبع النخل سكن الأشراف من بني إبراهيم^{٧٦}، والعايشة^{٧٧}، وذوي هجار^{٧٨} .

ويصف بوركهات سكان ينبع في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " إن ينبع مدينة عربية كاملة فالقليل من الأجانب قد استوطن هنا ومن الهنود ... وبعض الأتراك ... وينتمي معظم السكان إلى قبيلة بدوية في هذا الجوار - الذي عند شمالاً على طول شاطئ البحر - وقد أصبح العديد منهم مستوطنين واختلطت بهم عدة عائلات من الشرفاء الذين هم أصلاً من مكة^{٧٩}، ويعلل سبب ذلك بأنهم استقروا للعمل والتجارة^{٨٠}، بالإضافة إلى جالية من أهل مصر^{٨١}، حيث أشار إلى ذلك محمد صادق الذي زار ينبع عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م بقوله : " وأغلب تجارها من مصر والصعيد^{٨٢}، وفي هذا توضيح أن

^{٧١}معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٥٦ .

^{٧٢}نهد بطن من قضاة كانت منازلهم باليمن ومنهم طائفة ببلاد الشام ومنهم من انضم إلى جهينة . انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٧ .

^{٧٣}معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٥٦ .

^{٧٤}قبيلة حرب : من العرب العدنانية وهي ليست منحدره من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف وعناصر مختلفة النسب وتقع أماكنها في نجد والحجاز، وتمتد من جنوبي ينبع إلى القنفذة على محاذا الساحل وحول المنطقة الممتدة والقرية من المدينة إلى مكة . انظر : فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب، ص ٨١-١٤٧ ؛ حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٠ .

^{٧٥}إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢؛ عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٣٦-٣٧ .

^{٧٦}وهم الأشراف الحسينيون أطلق عليهم ذلك بعد ما تحالفوا مع بني إبراهيم بن أبي النفس الزكية . انظر : حمد الجاسر ، بلاد ينبع، ص ٢٩ .

^{٧٧}نسبة إلى عياش بطن من الأشراف ، يقال لهم أشراف رفاعة وقد اختلطوا مع جهنتيه . انظر : عاتق البلادي ، معجم قبائل الحجاز، ص ٣٦٩ .

^{٧٨}من أشراف ينبع وهم بنو هجار ابن دراج من سلالة الحسن بن قتادة ، أمراء ينبع من القرن العاشر الهجري إلى الرابع عشر الهجري . انظر : المرجع السابق، ص ٥٤١ .

^{٧٩}رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨ .

^{٨٠}المصدر السابق نفسه .

^{٨١}ليون روش ، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٥ .

^{٨٢}دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩ .

هنالك بعض الأسر التي تسكن ينبع وتعود جذورها إلى مصر ، وهي تمثل الطبقة الغنية في ينبع ^{٨٣}.

تفاوت عدد سكان مدينة ينبع خلال العصور التاريخية ، فالرحالة دومنجو باديا الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م يذكر أن عدد سكانها كان يقدر آنذاك بـ ٣٠٠٠ نسمة ^{٨٤}، بينما يوضح وليم أوكسنولد في دراسته عن الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بأن عددهم يصل إلى ٤٠٠٠ نسمة ^{٨٥}، ويذكر بوركهارت في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م أن عددهم يقدر ما بين ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ نسمة ^{٨٦}. فيما يحدد أيوب صبري الذي زار ينبع عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م بأنهم قد بلغوا ٥٠٠٠ نسمة ^{٨٧}. يتفق معه كل من محمد صادق الذي زارها عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م ^{٨٨}، وعبد العزيز دولتشين الذي زارها عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ^{٨٩}، بينما يزيد العدد في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م حينما مر إبراهيم رفعت، الذي قدر عددهم بـ ٧٠٠٠ نسمة ^{٩٠}.

ومن ذلك يتضح أن عدد السكان حسب وصف الرحلات لم يتغير كثيراً، وهذا يدل على النمو البطيء للسكان ، مما يعطي مؤشرات تدل على بعض الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ينبع . ينقسم السكان في مدينة ينبع إلى بحارة وتجار ومزارعين ^{٩١}، لكن المهنة الأساسية هي التجارة والملاحة ^{٩٢}.

^{٨٣} انظر : أسماء تلك الأسر التي استوطنت ينبع ، حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

^{٨٤} رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٨ .

^{٨٥} الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب (الحجاز تحت الحكم العثماني . ١٨٤٠-١٩٠٨م) ، ص ٤٣ .

^{٨٦} رحلات في شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٧٦ .

^{٨٧} موسوعة امرأة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

^{٨٨} دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ٢٩ .

^{٨٩} الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

^{٩٠} مرأة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ .

^{٩١} ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٩ .

^{٩٢} بوركهارت ، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٨ ؛ عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

النظام الإداري في ينبع :

كانت ينبع إمارة تابعة لمكة المكرمة تارة والمدينة المنورة تارة أخرى، أما أمراؤها خاصة وأمراء الحجاز عامة فجميعهم من الإشراف وهم طبقات متعددة^{٩٣} ، باستثناء بعض الأوقات في عهد المماليك الجراكسة ، إذ منحت ينبع استقلالاً ذاتياً نظراً لأهمية الميناء وحيوية الموقع^{٩٤} .

يشير الرشيدى إلى تبعية ينبع لمكة المكرمة بقوله : " أمير ينبع يشرف على إدارة ينبع وهي تُغرِقع على البحر الأحمر في منتصف المسافة بين مكة والقاهرة ، وهذا الحاكم ينتمي دائماً إلى شريف مكة "^{٩٥} ، ويؤكد ذلك أيضاً المرسوم الذي قرئ بمكة المكرمة عام ٨٩١هـ / ٤٨٦م ، والذي أكد فيه قايتباي أن جميع ولايات الحجاز تتبع أمير مكة المكرمة ، وعلى أمير مكة المكرمة مهمة نشر الأمن والقضاء على الفتن والاضطرابات^{٩٦} .

وبدخول الحجاز تحت نفوذ الدولة العثمانية وإعلان شريف مكة المكرمة الشريف أبو نمي بن بركات^{٩٧} ، الولاء للدولة العثمانية^{٩٨} ، أصدر السلطان سليم في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م^{٩٩} ، مرسوماً بتثبيت الشريف أبي نمي أميراً على مكة المكرمة وما تبعها^{١٠٠} ، وأصبحت ولايته على المدينة المنورة وما حولها جزءاً من إمارته بحكم المرسوم السلطاني^{١٠١} . وبذلك استمرت تبعية إمارة ينبع لشريف مكة المكرمة^{١٠٢} ، وإلى ذلك يشير باديا الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله : " ومع أن ينبع البحر تقع تحت نفوذ السلطان الشريف في مكة الذي يرسل حاكماً لها باسم وزير حتى ولو كان من

^{٩٣} وهم الأسرة الموسوية والأسرة السليمانية والأسرة الهاشمية وأخيراً الأسرة الإدريسية . انظر : عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٧٥ - ٦٠ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٤ .

^{٩٤} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٥٩ - ٦٧ ؛ إلهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٠ .

^{٩٥} حسن الصفا والابتهاج ، ص ٢٤ - ١٢٨ .

^{٩٦} عبد العزيز بن فهد ، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري ، ص ٣١ .

^{٩٧} من الأسرة الإدريسية (٩٢٣-٩٩١هـ / ١٥٢٥-١٥٨٤م) . انظر : الشريف مساعد بن منصور ،

جدوا لأمرء مكة وحكامها ، ص ٢٩ - ٣٠ .

^{٩٨} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، ص ٢٣ - ٢٤ .

^{٩٩} أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

^{١٠٠} لقد امتدت سيادة الإشراف في عهد الدولة العثمانية من خيبر وينبع والمدينة إلى حلي والأراضي المرتفعة داخل الجزيرة العربية . انظر : سنوك خورهرونية ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

^{١٠١} عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ - ٣٤٠ .

^{١٠٢} انظر : دراسة إلهام سراج عن أمراء ينبع في رسالتها بلاد ينبع ، ص ١٣٠ - ١٤٧ .

عبيده " ١٠٣ ، ويؤيده في ذلك بوركهارت حينما مر بها عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م ، إذ قال: " وكانت ينبع قد ضمت فيما مضى لحكومة شريف مكة الذي كان يقتسم عوائد الجمارك مع باشا جدة التركي ، وقد ضمها الشريف غالب كلها إلى خزائنه الخاصة ، واحتفظ بوزير أو حاكم هنا مع حرس مكون من خمسين أو ستين شخصاً " ١٠٤ .

بالإضافة إلى أن ينبع كانت تابعة لمكة المكرمة اقتصادياً ، فحين تمر السفن بميناء ينبع يأخذ أمير مكة المكرمة الضرائب المقررة له منها^{١٠٥} . وهناك بعض الأوقات القليلة التي كانت ينبع فيها تتبع أشرف المدينة المنورة^{١٠٦} ، وإلى ذلك يشير عبد العزيز دولتشين الذي زار ينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م " بأن ينبع تدخل في قوام سنجق^{١٠٧} المدينة المنورة ويديرها قائمقام خاص " ١٠٨ .

وفي إمارة ينبع قال قطب الدين النهروالي : " ينبع ولاية يوليها صاحب مكة من أراد من أشرف ينبع وهم الآن ذوي هجار " ١٠٩ ، ويقول الشريف عصام بن ناهض الهجاري^{١١٠} " وكانت إمارة ينبع وأعمالها وتوابعها في الأشرف ذوي هجار بدءاً من زمن جدهم قتادة المتوفى سنة ٦١٧هـ إلى سنة ١٣٤٤هـ ، وكان آخرهم الشريف عبد الكريم بن بديوي الهجاري " ١١١ .

ولعل أدق وصف للنظام الإداري في ينبع ما أورده إبراهيم رفعت في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م بقوله : " ولينبع محافظ ونائب عنه ومجلس إدارة يرأسه المحافظ ويتألف منه ومن ستة أعضاء ثلاثة ينتخبون والثلاثة

^{١٠٣}رحالة اسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

^{١٠٤}رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٦ .

^{١٠٥}الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٩٣ .

^{١٠٦}المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

^{١٠٧}تعني كلمة سنجق العلم واللواء الخاص بالدولة وهي تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة . انظر:

إسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ص ٨٣ .

^{١٠٨}الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٩ .

^{١٠٩}الإعلام بأعلام بلد الله الحرام ، ص ١٨٠ .

^{١١٠}من نسابة الأشراف له اهتمامات بحثية في انساب الأسر الهاشمية في ينبع والمدينة بشكل خاص والحجاز بشكل عام .

^{١١١}انقلا عن الشريف محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ﷺ ، ص ١٣ ؛ انظر أيضاً:

الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

الآخرون نائب المحافظ ومدير الأموال ورئيس التحرير وفيها مجلس بلدي يتألف من رئيس وثلاثة أعضاء و بها شردمة (أورطة) من الجنود ^{١١٢} .
والجدير بالذكر أن إمارة ينبع قد شكلت أهمية سياسية وعسكرية ، حيث كانت تمارس دورها بين السلاطين العثمانيين وأمراء الحج وأشرف مكة المكرمة ، وكانت حلقة الوصل السياسية بين مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ^{١١٣} ، كما أخذ من موقعها قاعدة للاستعداد والإمداد في الأزمان ، فقد كانت محطة عبور للأحداث السياسية ومسرحاً لكثير من الصراعات ، والتي تأثرت بها كثيراً .

النظام الاقتصادي في مدينة ينبع :

لقد اكتسبت ينبع - بشقيها النخل والبحر - نشاطها التجاري البري والبحري منذ أقدم العصور وذلك لموقعها الاستراتيجي الحيوي ، وقد برع أهلها في العمل التجاري ^{١١٤} ، بالإضافة إلى كونهم مزارعين ^{١١٥} ، وصيادين ماهرين ^{١١٦} ، ففي الأودية الخصبة التابعة لسلسلة الجبال الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من ينبع ^{١١٧} ، يعمل الأهالي بالزراعة ، حيث يزرعون النخيل ^{١١٨} ، والفواكه والخضار ^{١١٩} ، والتي تباع في أسواق ينبع ^{١٢٠} .

ويؤيد ذلك بوركهارت في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " وينفرد الجهنيون بزراعة وادي ينبع فهم أما مستقرون في الوادي طوال العام وأما يتركون عدداً قليلاً من العمال في مزارعهم بينما يقومون في خيامهم بالجبل ... وتنمو أشجار النخيل وتزرع النخيل ... ويتم زرع أنواع الفاكهة " ^{١٢١}

^{١١٢} مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٣ .

^{١١٣} الشريف محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ، ص ١٠ - ١١ .

^{١١٤} محمد الرويثي ، الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

^{١١٥} بوركهارت ، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ .

^{١١٦} عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

^{١١٧} ليون روش ، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

^{١١٨} شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٨ .

^{١١٩} عبد القادر الجزيري ، الدرر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤١٧-١٤١٨ ؛ فور ستر سادلير ، رحلة عبر

الجزيرة العربية ، ص ؛ محمد صادق ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ١٣٠ .

^{١٢٠} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٥٠ .

^{١٢١} رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ - ٣٨٥ .

بالإضافة إلى تربية المواشي مثل الماعز والضأن والجمال^{١٢٢}، والمناحل التي يستخرج منها العسل^{١٢٣}.

ونتيجة لذلك فقد انتشرت الأسواق وسط المدينة، وبالقرب من الميناء والمناطق المجاورة له، حيث المستودعات وأماكن الاستراحات^{١٢٤}.

ومن أهم السلع الواردة والتي كانت محوراً للنشاط التجاري في ينبع هي التوابل بأنواعها، والعطور والبخور، وتجارة الجياد والجمال، والمنسوجات والمواد الغذائية والأحجار الكريمة^{١٢٥}، وبعض السلع الهندية والمصرية^{١٢٦}.

بالإضافة إلى التمر بأنواعه المختلفة^{١٢٧}، وتجارة السمن والعسل والألبان، والفحم النباتي^{١٢٨}، ويصف ذلك موريس تاميزيه في (رحلته) عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م، بقوله: "وتعمل المدينة كسوق ومركز تجاري لرجال الأعمال من تجار المدينة"^{١٢٩}، ويؤيده بيرتون الذي زار ينبع عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م فقال: "بها تجارة نقل معتبرة وتجارة استيراد كبيرة من مواني غرب البحر الأحمر وتزود مدن الحجاز الرئيسية بالغلل والتمور والحناء"^{١٣٠}.

كذلك تجارة بيع السمك بالقرب من الساحل الشمالي للميناء^{١٣١} حيث اشتهرت، قبيلة حرب بصيد الأسماك^{١٣٢}، بالإضافة إلى استخراج الملح وتجفيفه وتنقيته، ومن ثم بيعه، على قرى ينبع والمناطق المجاورة لها^{١٣٣}، كما عمل البحارة إلى جانب ذلك باستخراج الأصداف والمحار بحثاً عن اللؤلؤ^{١٣٤}.

^{١٢٢} عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦٠-١٦١.

^{١٢٣} عبد القادر الجزيري، الدرر الفوائد، ج ٢، ص ١٤١٧-١٤١٨.

^{١٢٤} بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٩؛ محمد الرويثي، المواني السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

^{١٢٥} علي السلیمان، النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية، ص ٢٢٧ - ٢٥٧.

^{١٢٦} بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٩.

^{١٢٧} شارل ديبديه، رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٥.

^{١٢٨} حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩ - ٥٠.

^{١٢٩} رحلة في بلاد العرب والحجاز، ص ٥٨.

^{١٣٠} محمد الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، رحلة بيرتون، ج ٢، ص ٤٠٨.

^{١٣١} إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٢، سميرة بلسود، ميناء ينبع ورايع، ص ٤٢ - ٤٣.

^{١٣٢} عاتق البلادي، نسب حرب، ص ١٩٤.

^{١٣٣} عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٢٩.

^{١٣٤} إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٢.

وقد ساعدت الغلال التي تصل للمدينة المنورة عن طريق ميناء ينبع في إيجاد سوق تجارية ضخمة للحبوب^{١٣٥}، حيث يذكر جيل كورتلون ذلك في (رحلته) عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م بقوله: "تصل البواخر محملة بالأرز والحبوب والأقمشة فتفرغ حمولتها على رصيف صغير في حالة جيدة إلى حد ما، وهنا تتقدم القوافل الجمال كالنمل لتحمل طرق البضائع وتنقلها إلى المدينة المنورة"^{١٣٦}.

كما أن الملاحة من المهن الأساسية في ينبع^{١٣٧}، وعن ذلك يذكر شارل ديدييه الذي زار ينبع عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م "أن سكان ينبع يعملون مختارين بالتجارة والملاحة وهم يذهبون يومياً لهذا الغرض إلى القصير والسويس"^{١٣٨}، إذ كانت المدينة تملك نحو أربعين أو خمسين سفينة يقودها أبناء ينبع^{١٣٩}، ويصفها عبد العزيز دولتشين الذي مر بينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م بقوله: "وهناك ملاحه أكثر انتعاشاً على السناكب وهي زوارق شرعية غير كبيرة يصنعونها في جدة"^{١٤٠}.

بالإضافة إلى الصناعة التي اشتهرت بها ينبع، وارتبطت بالبيئة ونوعية الخامات الموجودة بها، حيث انتشرت الصناعات البدوية والقائمة على منتجات النخيل مثل الجريد والحصير والبسط والمراوح وغيرها^{١٤١}، وصناعة الحلبي والمجوهرات، والعمود، والتي اعتمدت على الأزهار التي اشتهرت ينبع بزراعتها^{١٤٢}، وصناعة المنتجات الحيوانية مثل الألبان والقشطة والأجبان ودباغة الجلود، وعمل المنسوجات الصوفية والسجاجيد والحياكاة والتطريز^{١٤٣}، وصناعة الرحي من أحجار الجبال لطحن الحبوب في ينبع^{١٤٤}.

^{١٣٥} حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩ - ٥٠.

^{١٣٦} رحلتي إلى مكة المكرمة، ص ١٣٢.

^{١٣٧} بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨؛ عبد العزيز دولتشين، الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧.

^{١٣٨} رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٩.

^{١٣٩} بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨.

^{١٤٠} الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧.

^{١٤١} عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦١.

^{١٤٢} البنتوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٤.

^{١٤٣} عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦١ - ١٦٢.

^{١٤٤} المرجع السابق، ص ١٦١.

ونتيجة لحاجة المجتمع فقد ازدهرت بعض الصناعات كصناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر والدروع^{١٤٥}، وفي هذه الصناعات دحض لما ذكره شارل ديبديه في (رحلته) عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م عن سكان ينبع " بأنهم يحتقرون أي عمل يدوي وأي وظيفة خدمية ... وأن حظهم من المدنية قليل^{١٤٦} .

ونتيجة لتلك الثروات الزراعية والحيوانية والصناعية كان لابد لينبع من أسواق يتم من خلالها تسويق هذه المحاصيل والمنتجات المصنوعات ، ومن أبرز تلك الأسواق : سوق الجابرية الذي يقام في يوم الجمعة ، وسوق السويق الذي يقام في يوم الأثنين في قرية سويقه^{١٤٧} .

وكان من روافد الدخل لمدينة ينبع ولحكومة أشراف مكة المكرمة آنذاك الضرائب التي تحصل على تجارة الصادر والوارد ، فكان جزء من هذه الضريبة يصرف على المصالح العامة والوضع الأمني للمدينة^{١٤٨} .

الاضطرابات السياسية في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري
أولاً : صراع أشراف مكة المكرمة على الإمارة .

حينما كان أمراء مكة المكرمة من أشراف ينبع الحسينيين ، وكانت إمارة ينبع تتبع إمارة مكة المكرمة كما سبق وأن ذكرت ، تأثرت ينبع بالأحداث التي كانت تحدث في مكة المكرمة من قبل أشرافها ، ولا أعظم من تلك الصراعات السياسية حول الإمارة ، والتي شهدتها مكة المكرمة بشكل خاص وتأثرت بها بقية مدن الحجاز وخاصة ينبع .

شهد مركز الشرافة ازدهاراً حينما تولى إمارة مكة المكرمة الشريف أبو نمي بن بركات (٩٣٣-٩٢٢هـ / ١٥٢٥ - ١٥٨٤م) ، إذ أعطى للأشراف سلطة قوية على الحجاز^{١٤٩} ، ومنذ ذلك الوقت حتى انهيار نظام الشرافة على يد الملك عبد العزيز آل سعود^{١٥٠} ، تعاقبت على شرافة مكة ثلاث عائلات من نسل أبي نمي ، الأولى هي ذو زيد ، والثانية ذوو بركات ، والثالثة ذوو عون، إذ استقلت العائلة الأولى بالحكم وحدها ما يقارب من قرن من الزمان ، ثم نافستها عائلة ذوي بركات ، وظل منصب إمارة مكة ينتقل من زيدي إلى بركاتي حتى استقلت بها آل زيد دون آل بركات ، وظل الأمر بأيديهم

^{١٤٥} علي السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ - ٥٤١ .

^{١٤٦} رحلة إلى الحجاز ، ص ١٦٠ .

^{١٤٧} عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ١٦١ ؛ سميرة بلسود ، ميناء ينبع ورابع ، ص ٦٨ .

^{١٤٨} عبد القادر الجزيري ، درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

^{١٤٩} انظر : الشريف مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٢٩ - ٣٠ .

^{١٥٠} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

إلى دخل محمد علي باشا الحجاز عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، فدفع بها إلى ذوي عون^{١٥١} .

ولأهمية منصب إمارة مكة المكرمة ، فقد نشب صراع عنيف بين الأشراف طوال تلك القرون^{١٥٢} ، إذ كان منصب إمارة مكة المكرمة يجلب كثيراً من المكاسب المادية الضخمة ، التي تعود إليهم من إيرادات الحجاج والضرائب ، ويجعلون بعضها سهماً توزع على أقرباء بيت الإمارة^{١٥٣} ، بالإضافة إلى الأهمية السياسية للمنصب^{١٥٤} .

كانت ينبع تشكل أهمية لدى أشراف مكة المكرمة ، فهم لم ينسوا أنهم عاشوا فيه ومنه خرجوا ، يرتبطون به ارتباطاً جذرياً ، حيث مقر العصابة والديار الأولى ، فهي قلعة حصينة يتحصن بها آل قتادة ، فيلجأون إليها عندما يهزمون أو يحسون بالأخطار أو طلباً للحماية ، والمدد من عشائرتهم^{١٥٥} ، وخاصة أن أمراء ينبع من ذوي الهجار من نسل الحسن بن قتادة بن إدريس^{١٥٦} فهم أبناء عمومة لهم .

شهد القرن الثاني عشر الهجري صراعاً كبيراً بين أشراف مكة المكرمة على إمارتها ، وذلك حينما تولى الشريف سعيد بن سعد عام ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م ، وكان الشريف أحمد بن غالب يقيم في ينبع فكتب إلى والي مصر يوافق على تنصيبه أميراً على مكة المكرمة ، فوافق وبعث إلى والي جدة أن يعلن ذلك ، وحينما وصلت الأخبار إلى الشريف سعيد رفض التسليم ، ولم يغادر مكة المكرمة ، إلا بعد نشوب قتال بين الطرفين^{١٥٧} .

لكن ما أن بدأ عام ١١٠١هـ / ١٦٩٠م حتى نشب خلاف بين الشريف أحمد وكثير من الأشراف فأعلن ذوو زيد عصيانهم وتوجهوا إلى ينبع فنادوا بإمارة محسن بن الحسين بن زيد ، وعمت الفوضى واضطرب الأمن ، فتنازل الشريف أحمد بن غالب له بالإمارة^{١٥٨} .

^{١٥١} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٤ .

^{١٥٢} انظر : تفاصيل تلك الصراعات في أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢ .

^{١٥٣} المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٦ .

^{١٥٤} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٣٢ .

^{١٥٥} الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٦٧ .

^{١٥٦} عبد الملك العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .

^{١٥٧} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ .

^{١٥٨} أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

ثم تمردوا عليه وقطعوا الطرق مطالبين بعودة الشريف سعيد بن سعد ، الذي أحتل مكة المكرمة للمرة الثانية عام ١١٠٣هـ / ١٦٩٢م^{١٥٩} ، ويعتبر الشريف سعيد بن سعد أطول الأشراف حكماً في بدايات القرن الثاني عشر الهجري / السابع - الثامن عشر الميلادي ، إذ بلغ مجموع سنوات حكمه عشرين عاماً ، خُلع وعاد للسلطة خلالها خمس مرات وسط أحداث دامية^{١٦٠} . في ظل هذه الأحداث كانت ينبع الملجأ للفارين والمهزومين ، فحينما أنهزم الشريف أحمد بن غالب ذهب إليها وجمع أنصاره ومؤيديه وهاجموا القنفذة والليث ، وكان يحاول من جراء ذلك استرداد منصب الإمارة^{١٦١} .

كما كان ينبع دوراً كبيراً في الأحداث المكية ، إذ نجد أن قبائلها لا يتوانون عن تقديم أي مساعدة للأمير مكة المكرمة ، وذلك مثل ما حديث مع الشريف سعيد بن سعد ، حينما ثار على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلي عام ١١١٦هـ / ١٧٠٥م ، وأتصل ببعض القبائل لنصرته ، فتحالفت معه قبيلة جهينة ، وأحتل ينبع ، وأخذ ما فيها من غلال الصدقة الخاصة بالمدينة المنورة^{١٦٢} .

وفي عام ١١٣٠هـ / ١٧١٨م استونف الصراع بين ذوي بركات وذوي زيد ، واضطربت الأحوال وقطعت الطرق وأختل الأمن ، وظل الكر والفر بين الطرفين حتى عام ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م ، حين تولى الشريف مساعد بن سعيد إمارة مكة المكرمة^{١٦٣} .

ولكن في عام ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ، حدث خلاف بين الشريف مساعد وبعض الأشراف نتج عنه اعتقال الشريف مساعد ، وتعين أخيه جعفر بن سعيد ، شريطة عدم الإساءة إلى أخيه الشريف مساعد ، فحينما تولى الأمر ظل يمهّد الأمور لأخيه الشريف مساعد حتى أعلن تنازله عن الإمارة له عام ١١٧٤هـ / ١٧٦١م^{١٦٤} .

أن ينبع كانت محطة و مركز لاستقبال القادمين من مصر من المبعوثين أو السلاطين ، وذلك مثل ما حدث عندما استنجد الشريف عبد الله بن

^{١٥٩} مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٣٤ .

^{١٦٠} عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ - ٥٧٥ ؛ حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٣٢ .

^{١٦١} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

^{١٦٢} أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ؛ محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ .

^{١٦٣} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٩١ .

^{١٦٤} عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٦٤٠ ؛ المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

الحسين بوالي مصر محمد علي بك لمعاونته على الشريف عبد الله بن سعيد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧١م ، فجهز والي مصر حملة عسكرية من الأتراك والمصريين وأرسلها في صحبته إلى ينبع البحر ، فما كان من الوزير المكلف في ينبع درويش أغا إلا أن فر هاربا بعد أن عجز عن ملاقاتهم ، فاحتلت الحملة ينبع ونهبت ما فيها^{١٦٥} .

كذلك كانت ينبع سجناً لبعض المتمردين من الأشراف والمهزومين ، حيث سُجن الشريف أحمد بن سعيد عام ١١٩٣هـ / ١٧٨٠م ، بعد أن كبد نفسه ، وأبن أخيه سرور خسائر في الأموال والأرواح نظير السلطة^{١٦٦} .

وفي عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م تولى شرافة مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد ، الذي لم يستقر شأنه إلا بضعة أشهر ، ثم خرج عليه بعض أخوانه واستنجدوا بالقبائل ، وانتهى الأمر بالصلح وأستقر الأمر للشريف غالب^{١٦٧} ، لكن يشهد عهده صراعات سياسية أخرى مع الدولة السعودية ، وحملات محمد علي باشا^{١٦٨} .

ولتلك الصراعات السياسية كانت ينبع هي المركز الذي يتم فيه تبليغ القرارات لحكام مكة المكرمة سواء بالتمكين أو العزل^{١٦٩} ، كما كانت ينبع مستودعاً للذخيرة ومركزاً لتدريب الجند^{١٧٠} ، ومقراً لأمرأء الحج وقادة العسكرية بالحجاز^{١٧١} .

وعلى الرغم من أن الشريف في مكة المكرمة كان يعتمد على نويه وعلى القبائل العربية إلى حد كبير في وجوده في الإمارة ، إلا أن السلطة الحقيقية له ، كانت مستمدة من الفرمان السلطاني ، والذي كان يصل إلى ينبع وبرفقة المندوب السلطاني ، والذي يحمل معه الخلعة التي يلبسها أمير مكة المكرمة ، فكان يحدث صراع وتنافس بين الأشراف على هذه الخلعة^{١٧٢} .

^{١٦٥} احمد السباعي ، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

^{١٦٦} عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٦٥٧ - ٦٧١ ؛ المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

^{١٦٧} احمد السباعي ، المرجع السابق ، ص ٥١١ - ٥١٢ ؛ سعد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ ، ص ٨٦ .

^{١٦٨} سنتناوله بالحديث في الصفحات المقبلة .

^{١٦٩} الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٠ .

^{١٧٠} فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٢٧ ؛ توماس لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٣٣ .

^{١٧١} إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

^{١٧٢} محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب عليه السلام ، ص ١١ .

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تكن تتدخل في شؤون الحجاز الداخلية ، ولاسيما في مسألة السلطة ، واكتفت الاهتمام بتأمين قوافل الحج ، وتأمين وصول المواد الغذائية للحرمين الشريفين^{١٧٣} ، لكن في حالات الصراع المستمر على الإمارة كانت الدولة تعين الشريف الأكثر ولاء لها^{١٧٤} ، وذلك مثل ما حدث مع الشريف سعد بن زيد ، حينما أرسل مرسوم سلطاني بتعيينه أميراً على مكة المكرمة في أثناء خلاف الأشراف عام ١١٣٠هـ / ١٦٩٢م^{١٧٥} ، وكذلك الشريف عبد الكريم بن محمد الذي ثبت بمرسوم سلطاني بعد سلسلة من الصراعات عام ١١١٧هـ / ١٧٠٦م^{١٧٦} .

لقد تسببت هذه الصراعات على الإمارة في عدم الاستقرار واضطراب الأمن^{١٧٧} ، ويعلق السباعي على هذه الصراعات بقوله : " فأصحاب مكة الذين أعنيهم وهم أمراؤها من الأشراف ، قضوا حياتهم فيها متنازعين متناحرين لا يكاد أن يغمد سيف من سيوفهم حتى تشرع في وجه صاحبه سيوف ولا يكاد يظفر بالغبلة بينهم ثائراً حتى يناجزه ثوار جدد يثيرونها عليه حرباً عواناً ، لهذا كان الحاكم منهم لا يجد في أموال البلاد ما يسع مرافقها العامة ولا يجد في أوقاته من الفرص ما يساعد على التفكير في شؤونها الحيوية"^{١٧٨} .

ثانياً : ظهور الدولة السعودية في نجد وسيطرتها على الحجاز .

قامت الدولة السعودية الأولى باتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب^{١٧٩} والإمام محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م^{١٨٠} ، ومنذ هذا التاريخ بدأت الدولة في فتوحاتها وأتساعها حتى ضمت نجد والإحساء^{١٨١} .

^{١٧٣} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ .

^{١٧٤} المرجع السابق ، ص ٢٤ .

^{١٧٥} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥٢

^{١٧٦} عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ ؛ أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٦٦ .

^{١٧٧} أحمد محمد ، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

^{١٧٨} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥١٧ - ٥٢٠ .

^{١٧٩} الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية ، والتي كانت قائمة على تجريد التوحيد لله عز وجل ، ومحاربة البدع والخرافات إلى لحقت بمفهوم الإسلام ، لان البدع كانت منتشرة آنذاك في الجزيرة العربية . انظر: عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٧٠-٨٦ .

^{١٨٠} عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٢٥ .

^{١٨١} انظر تفصيلها في عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٨٨ - ١١٣ .

ويذكر ابن دحلان في علاقة الأشراف بالدولة السعودية بقوله: " إن الوهابيين أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة المكرمة في عهد الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦-١١٦٥هـ) ، وحين باحثهم علماء هذه المدينة الذين كانوا قد سمعوا بظهور ابن عبد الوهاب تحققوا جهلهم ، وبعد إقامة الدليل عليهم كفرهم قاضى الشرع وحبسوا ، ثم منعهم أشراف الحجاز بعد ذلك من الحج... " ^{١٨٢} .

وحيثما تولى الإمارة الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م ساءت الأمور أكثر ، وبدأت الحركات العسكرية من قبله ضد الدولة السعودية عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م، انتهت بدخول الحجاز ضمن أملاك الدولة السعودية عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ^{١٨٣} ، وتعيين الشريف عبد المعين بن مساعد أميراً على مكة المكرمة ^{١٨٤} .

يصف بوركهارت دخول الجيش السعودي ينبع عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م بقوله: " عندما قام سعود الزعيم الوهابي بمهاجمة الأجزاء الشمالية من الحجاز كانت محاولته الأولى إضعاف قبيلتي بني حرب وبني جهينة البدويتين بما يكفل إخضاعها له ، وقد ساعده على ذلك العداوة التي كانت بين القبلتين ، وبعد استسلام جهينة ، وبعد أن دخلت إلى ينبع النخل فرقة من الجنود الوهابيين هاجم سعود ينبع للمرة الأولى سنة ١٨٠٢م مع قوة كبيرة بقيت متمركزة أمامها لعدة أسابيع في محاولات متكررة لاغتصابها والاستيلاء عليها، وبعد انسحابه ، بني أهل ينبع الجدار القوي الجديد حول البلدة بأمر من الشريف الذي جعلهم يتحملون نفقات هذا العمل ، وبعد أن أذعن غالب نفسه لسلطة سعود المتفوقة الذي استولى على مكة بقيت ينبع صامدة لعدة أشهر وعندما تحضر جيش جرار قوى لمهاجمتها وهرب الوزير نفسه ، قام حينها أهل ينبع بإرسال رسول إلى سعود فاستسلموا وتبنوا عقيدته في الوقت نفسه... " ^{١٨٥} .

وهكذا يتضح أن الشريف غالب لم يستسلم ، إذ عاد إلى مكة المكرمة بعد مغادرة الجيش السعودي ، وأجبر الحامية العسكرية السعودية على الانسحاب ، وتسلم مقاليد الأمور من أخيه عبد المعين ، فتوالت الحروب من جديد بينه وبين السعوديين حتى انتصر السعوديين عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م ^{١٨٦} .

ويصف دومنجو باديا الأوضاع في ينبع بعد دخول السعوديين حينما زارها عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله: " إن أسم السعوديين الذي يحملة أهل

^{١٨٢} كان ابن دحلان يمثل لسان السلطة الحاكمة في الحجاز. انظر: خلاصة الكلام، ج٢، ص٢٢٧ - ٢٢٨

^{١٨٣} بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ٨٩ - ٩٠؛ عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ١٣٣

^{١٨٤} مساعد بن منصور ، جداول وأمراء مكة وحكامها ، ص ٣٧ .

^{١٨٥} رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٥١ .

^{١٨٦} عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة ، ج ١ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

مدينة ينبع لم يتسموا به في واقع الحال لأنهم يحبون الحركة الإصلاحية ، وإنما لأنهم يخافون أتباعها الذين ينتمون إليها ولهذا فهم دائماً مسلحون ، وفي حالة تاهب قصوى كي لا يسمحوا بدخول قواتهم فحراسهم أخذون أماكنهم بانتباه ويقظة وأبوابهم مغلقة ، وهم مستعدون لصد أي هجوم^{١٨٧} .

وتشير المصادر أن استسلام الشريف غالب يعود لأسباب أهمها خروج الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م^{١٨٨} ، وانشغال الدولة العثمانية بها ، كما كان نبأ استيلاء الفرنسيين على مصر صدمة كبيرة لأهالي الحجاز ، إضافة إلى أن السلطان العثماني أرسل فرماناً إلى الحجاز بضرورة تحصين الحرمين ، فأمر الشريف غالب الأهالي بالاستعداد للكفاح والجهاد^{١٨٩} . كما أرسل مراد بك إلى الشريف غالب يطلب منه المعونة في الحرب ضد الفرنسيين ، كما كتب إلى حاكم وأهالي ينبع يستنفرهم للجهاد^{١٩٠} ، لذلك جهز تاجرها محمد أبو العسل داوا من داواته وثلاث سواعي أخريات من أهل ينبع^{١٩١} .

وتذكر كتب التاريخ أن قبيلة جهينة الموجودة في مصر ، قد ساهمت في التصدي لقوات الاحتلال الفرنسي ، بمساعدة أقربائهم من رجال جهينة الموجودين في ينبع ، والذين كانوا يعبرون البحر الأحمر إلى مصر عبر ميناء ينبع^{١٩٢} .

إن حكم الدولة السعودية في الحجاز لم يدم طويلاً ، حيث كلفت الدولة العثمانية والي مصر محمد علي باشا بمحاربتها ، وباتفاق مع الشريف غالب ، فكان ذلك عام ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م^{١٩٣} ، فتوجهوا إلى ينبع واحتلوها^{١٩٤} ، بعد

^{١٨٧} رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

^{١٨٨} انظر : علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٣٩٢ - ٤٠٧ .

^{١٨٩} أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

^{١٩٠} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٦٤ ؛ علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٣٩٦-٣٩٧ .

^{١٩١} الداوات : سفن حمولتها نحو من ١٥٠ إلى ٢٠٠ طن على شكل الغراب ، والسواعي: سفن صغيرة الحجم كانت تعمل في نقل التجارة ، انظر : حسام محمد ، المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٩١ .

^{١٩٢} انظر ما قاله المؤرخ كريستوفر هارولد الذي كان ضمن الحملة الفرنسية في كتابه: نابليون بونابرت في مصر .

^{١٩٣} بوركهارت ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١١١ ؛ شارل ديبييه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٤٩ .

^{١٩٤} أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ؛ فواد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٣٤١ .

مقاومة أميرها جابر بن جبارة^{١٩٥}، ويصف ذلك الرحالة جيوفاني فيناتي الإيطالي، والذي شارك في الحملة فقال: "وقد تعرضت حامية ينبع لنكسة بموت مهندس بطارية المدفعية، مما جعل المدافعين في ينبع مكشوفين، وأمام هجوم جيش طوسون قرر المدافعون التراجع عن المدينة بدلاً من التسليم، وحمل سكان ينبع ما خف وغلا نحو بوابة المدينة بدر، وتمكنت قوات طوسون من السيطرة على ينبع التي كانت خالية من السكان بالكلية"^{١٩٦}.

فاتخذت ينبع مقراً ومركزاً لاستقبال الحملات العسكرية، والتقاء القوات البرية والبحرية القادمة من مصر^{١٩٧}، ثم بقيت القوات ساكنة لعدة شهور، المشاة منها عند ميناء ينبع، والفرسان في ينبع النخل لدى قبيلة جهينة^{١٩٨}.

ويصف الجبرتي ما حدث في ينبع بقوله: "جاء الخبر بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر، ونهبوا ما كان من ودائع التجار، وذلك أنه كان بمرسة ينبع عدة مراكب وداوأت وأرسل الشريف غالب إلى المراكب الكائنة بمرسة الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم، ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره، وترك معه نحو خمسمائة من عسكره، وأخذ المراكب ببضائعها، وأرسلها إلى السويس لتباع بمصر، فلما وصلت مراكب العساكر البحرية، وألقت حراسها قبالة الينبع احتاجوا إلى الماء، فلم يسعفهم بالماء، فطلع طائفة من العسكر إلى البر في طلب عين الماء فمنعهم من عندها مرابط فقاتلهم وطردوهم، ومنعهم عن الماء وفي حالة رجوعهم رسوا عليهم من القلعة المدافع والرصاص، فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة، فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها ولم ينجو منهم إلا الوزير ومعه ستة أنفار، خرجوا هاربين على الخيول، ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر"^{١٩٩}.

كما لجأ طوسون إلى سياسة استمالة بعض رؤساء قبيلتي حرب وجهينة الذين في المنطقة بالهدايا والأموال ليمهد الطريق أمام قواته^{٢٠٠}، ويصف ذلك

^{١٩٥} آل جبارة من رؤساء قبيلة جهينة من أهل ينبع النخيل. انظر: بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١١٤؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٨٨ - ٩١.

^{١٩٦} أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٨٤.

^{١٩٧} سليمان الغنام، سياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ٤٤.

^{١٩٨} بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١١٣؛ جبرالدي غوري، حكام مكة، ص ٢٣٧.

^{١٩٩} عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٣٥ - ١٣٦.

^{٢٠٠} البتتوني، الرحلة الحجازية، ص ١٤٩؛ عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤.

السباعي بقوله : " وأخذت قيادة الجيش المصري تصب أموالها وهداياها للعربان في ينبع والبوادي صبا^{٢٠١}

لقد تأثرت ينبع كثيراً بهذه الأحداث والتي استمرت طيلة القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، فبعد أن سقطت الدولة السعودية الأولى، وأنهت وجودها الدولة العثمانية من الحجاز ونجد باستسلام الإمام عبد الله بن سعود عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م^{٢٠٢}، ما لبث أن قامت الدولة السعودية الثانية والتي أعادت بناء الدولة^{٢٠٣}، ولكن جيش محمد علي باشا لم يغادر الجزيرة العربية إلا بعد اتفاقية لندن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م^{٢٠٤}، ففي تلك كانت ينبع مركزاً للقوات المصرية والتركية .

كما عمل محمد علي باشا على إعادة الترتيبات الإدارية في الحجاز^{٢٠٥}: أولها ، القبض على الشريف غالب بن مساعد ونفيه إلى سلونيك في تركيا^{٢٠٦}، وقد أثار سجن غالب والعدر به استنكار العرب كلهم ضد الأتراك^{٢٠٧}.

ثم قام بتعيين الشريف يحيى بن سرور في عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م^{٢٠٨}، وأعاد توزيع السلطة بين أمراء البلاد ، وأشخاص غيره ، مما ترتب عنه أن عاد الصراع بين الأشراف^{٢٠٩} .

ففي عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م قام الأشراف بثورة ضد الشريف يحيى وبمساعدة قبيلة حرب التي تسكن في بدر ، ونادوا بالشريف عبد المطلب بن غالب ، وبموافقة رئيس الحامية المصرية ، الذي بعث إلى محمد علي باشا ، فرفض ذلك ، ووجه الإمارة إلى محمد بن عبد المعين بن عون^{٢١٠} .

^{٢٠١} تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

^{٢٠٢} شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

^{٢٠٣} عبد الله العثيمين ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢٢٠ .

^{٢٠٤} أحمد الدحلان ، تاريخ أشراف الحجاز ، ج ١ ، ص ٢٧ ؛ انظر تفاصيل أكثر في سليمان الغنام ، سياسة محمد علي باشا التوسعية ، ص ٤٦ وما بعدها .

^{٢٠٥} أحمد الدحلان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

^{٢٠٦} بوركهارت ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ .

^{٢٠٧} شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٥٤ .

^{٢٠٨} مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٣٨

^{٢٠٩} عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٤ ، ص ٦٦ - ٨٧ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٨١

^{٢١٠} أحمد السباعي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

ولقد استفادت الدولة السعودية من الصراع الذي بلغ ذروته بين الشريف محمد بن عبد المعين والشريف عبد المطلب بن غالب ، ووجدوا صفوفهم وكلمتهم في نجد^{٢١١} ، مما نتج عنه أن وكلت الدولة العثمانية الشريف محمد بن عبد المعين بقتالهم ، وذلك في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٨م ، فأضطر الأمير فيصل بن تركي الصلح مقابل أن يدفع للعثمانيين خراجاً سنوياً^{٢١٢} . وهكذا نرى أن ظهور الدولة السعودية وحملات محمد علي باشا لإسقاطها عامل مهم في الاضطرابات السياسية التي شهدتها الحجاز بشكل عام وينبع بشكل خاص ، فقد تميزت فترة وجود قوات محمد علي باشا في الجزيرة العربية خلال الفترة من عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م إلى ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م بعدم الاستقرار ، فتنشیر الوثائق المصرية والتركية أنه كثرت حركات التمرد والعصيان من القبائل الواقعة في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وينبع فدخلوا في حروب ومعارك طاحنة .

ثالثاً : حركات التمرد والعصيان من القبائل .

لقد حرصت الدولة العثمانية على تأمين قوافل الحج ، وتأمين وصول المواد الغذائية للحرمين الشريفين^{٢١٣} ، فكانت مقابل ذلك تدفع إعانات مالية للقبائل الواقعة في طرق القوافل لحماية مرور تلك القوافل دون اعتداءات القبائل^{٢١٤} .

ومن أهم هذه القبائل قبيلة حرب التي تتحكم في طريق جدة - مكة المكرمة ، وطريق مكة المكرمة - المدينة المنورة ، وطريق المدينة المنورة - ينبع ، وقبيلة جهينة التي تسيطر على جزء من طريق المدينة المنورة - ينبع^{٢١٥} .

إن هذه المنح المالية من الدولة العثمانية كانت تعمل بشكل معقول على إيقاف هجمات القبائل على قوافل الحجاج وقوافل التجارة ، ولكن كانت تتعرض لاختلاس بعض موظفي الدولة المكلفين بتوصيلها للقبائل^{٢١٦} ، الأمر الذي ترتب

^{٢١١}ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ أحمد الدحلان ، تاريخ أشراف الحجاز ، ج ١ ، ص ٧٥ .

^{٢١٢}أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ ؛ جيرالد دي غوري ، حكام مكة ، ص ٣٠٢ .

^{٢١٣}حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ ؛ سعيد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين ، ص ٩٠ .

^{٢١٤}وليم أوكسنولد ، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب ، ص ٤٧ .

^{٢١٥}عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ٢١٣ ؛ المرجع السابق نفسه .

^{٢١٦}وليم أوكسنولد ، المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٢٣٠ ؛ محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٣٤

عليه حركات تمرد وعصيان من هذه القبائل راح ضحيتها قوافل الحجاج التي تتعرض للسلب والنهب^{٢١٧}.

فالمصادر التاريخية والوثائق العثمانية تشير إلى تلك الحركات التمردية من القبائل والإجراءات العثمانية لوقفها وإعادة الأمن للبلاد^{٢١٨}، ولكن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، بدأت الدولة تدخل في مراحل الضعف الأمر الذي زاد من حركات التمرد والعصيان بالرغم من تدخل أشرف مكة المكرمة في منع وإيقاف تلك الحركات^{٢١٩}.

إضافة إلى عدم فعالية القوات العثمانية ، والذي يعود إلى نقص الإمدادات ، فلم تكن الحبوب ، والأعلاف والمواد الضرورية الموجودة في مخازن تلك القوات بالكميات الكافية ، إضافة إلى أن مرتبات الجنود لم تكن تدفع بانتظام^{٢٢٠}.

فمثلا هاجمت قبيلة حرب وقبيلة عنزة وعدد كبير من القبائل الأخرى قوافل الحج في عام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م وقتلوا عدداً كبيراً من الحجاج ونهبوا غنائمهم^{٢٢١}.

وفي عهد الشريف سعد بن زيد عام ١١٠٣هـ / ١٦٩١م ، تمردت قبيلة حرب فخرج لمقاتلتها فانتصرت عليه ، فعاد إلى مكة المكرمة ، وفي العام التالي أستأنف القتال ضدهم وانتصر عليهم^{٢٢٢} ، ويصف عبد الغني النابلسي هذه الأحداث عندما وصل ينبع عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م بقوله : " ثم أننا سألنا عن السير إلى المدينة المنورة فأخبرونا أن الطريق مخوف وأن العرب -عرب حرب - واقفون في وادي الصفراء يمنعون كل من سار إلى المدينة"^{٢٢٣} ونتج عن ذلك أيضا أن تحالف بنو إبراهيم أهل قرية سويقه في ينبع النخل مع قبيلة حرب فدخلها الشريف سعد بن زيد وأحرقها وقطع نخيلها ، حتى رحل أهلها عنها^{٢٢٤}.

^{٢١٧} سعيد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين ، ص ٨٨ - ٨٩ .

^{٢١٨} انظر وثيقة رقم ٦٥ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف 877AYNIYATDEFT NO. S .Y. G ، الرياض: دار الملك عبد العزيز ؛ وثيقة رقم ٨٨ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف MHH.2896.IMEC ، الرياض: دار الملك عبد العزيز .

^{٢١٩} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ - ٢٧ .

^{٢٢٠} وليم أوكسنولد ، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب ، ص ٢٥١ .

^{٢٢١} حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٢٠ .

^{٢٢٢} أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

^{٢٢٣} الحقيقة والمجاز ، ص ٣٢١ .

^{٢٢٤} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٥ - ١٦ .

وفي عام ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م هاجمت قبيلة عتيبة قوافل الحج وقطعت الطريق ونهبت الحجاج^{٢٢٥}، وتشير الوثائق العثمانية أنه في عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م أصدرت الدولة العثمانية أمراً سلطانياً إلى شريف مكة المكرمة عبد الله بن سعيد لتأديب قبيلة حرب التي نهبت المواد الغذائية المرسله من ينبع إلى المدينة المنورة^{٢٢٦}.

وللحد من تلك الاعتداءات فقد صرفت الدولة العثمانية في عام ١١٤٣/١٧٣١م إعانات مالية للقبايل بلغت ٥٥٠,٠٠٠ بارة^{٢٢٧}، وزادت المبلغ ليصل في عام ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م إلى ٢٥٠٠.٠٠٠ بارة^{٢٢٨}.

وفي عهد الشريف سرور بن مساعد عام ١١٩٤هـ / ١٧٨١م اختلفت قبيلة حرب معه بشأن بعض الطلبات فلم يوافق^{٢٢٩}، فشن عليهم القتال^{٢٣٠}، الذي أستمتر حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، إذ أسر أمير الحج المصري مراد بك عدد من رجال حرب، فحاضوا حرباً ضده، انتهت بفرار أمير الحج، وانتصار حرب الذين غنموا من القوافل غنائم كثيرة^{٢٣١}. وفي عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م جمع الشريف سرور بن مساعد جيشاً كبيراً وأستتفر الأشراف فاشتبك مع بطون حرب عدة اشتباكات كان له فيها النصر، فاحتل الفرع وبدر وينبع النخل، وأشدت القتال في هذه المواقع ومواقع أخرى، وكثر عدد الأسرى الذين كان يبعث بهم مصفدين إلى مكة المكرمة^{٢٣٢}، أيضاً في عهده تمردت قبيلة جهينة على أمير الحج الشامي فاضطر الشريف إلى تأديبهم وقتالهم^{٢٣٣}.

وفي أثناء وجود قوات محمد علي باشا في الجزيرة العربية كثرت حركات التمرد والعصيان ويعتل السبب عبد الرحيم بقوله: " إن أسباب هذا

^{٢٢٥} حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢٠.

^{٢٢٦} وثيقة رقم ٦، الأرشيف العثماني، I.E.DAH.2112، تاريخ أوائل رمضان، ١١٣٨هـ، الرياض: دار الملك عبد العزيز

^{٢٢٧} البارة: هي أصغر عملة فضية في مصر العثمانية وتساوي نصف دينار فضه. أنظر: أحمد الرشدي، حسنا لصفاء والابتهاج، ج ٢، ص ١٩.

^{٢٢٨} حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢٠.

^{٢٢٩} قبل أن قبيلة حرب ناصرت أهل المدينة المنورة لتخليصهم من تسلط وزيرها الذي عينه الشريف سرور. انظر: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج ٢، ص ٣٩٥ - ٣٩٧.

^{٢٣٠} أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٠٦.

^{٢٣١} المرجع السابق، ص ٥٠٩؛ حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢١.

^{٢٣٢} عبد الله غازي، إفادة الأنام، ج ٣، ص ٦٧١ - ٦٧٦؛ أحمد الدحلان، خلاصة الكلام، ج ٢، ص ٢١٩.

^{٢٣٣} أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٠٩.

التمرد تعود إلى سوء الأحوال الاقتصادية واستيلاء قوات محمد علي باشا على جمال وماشية وأموال هذه القبائل بطريقة استنزائية ، مما أدى إلى تمرد القبائل وانتقامها عن طريق ممارسة السلب والنهب والغارات " ٢٣٤ .

ومن أبرز هذه التمردات ثورة قبيلة حرب على قوات محمد علي باشا بعد مقتل شيخهم الشيخ جزا بن عامر الأحمدى^{٢٣٥} ، عام ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م ، وفي ذلك يقول بوركهارت: " ومن الممكن بسهولة التهكن بنتيجة مثل هذه الحادثة ، فما أن علم أفراد قبيلة حرب بأن شيخهم قد قتل حتى أغلقوا الطريق المارة عبر جبالهم أمام القوافل من ينبع وبدون أن ينضموا إلى الوهابيين ، حقيقة قاموا بأعمال عدائية ضد المخافر الأمامية التركية " ٢٣٦ .

لقد استمرت ثورات قبيلة حرب فأرسل لهم إبراهيم باشا عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م حملة لتأديبهم ولكنها فشلت ، وقد برر فشل الحملة في إحدى رسائله لوالده بقوله : " مولاي ولي النعم أن عربان حرب في جهة الجديدة يظهر منهم منذ القدم عدم الطاعة وإيصال الأذى وأنواع النهب والسلب نحو حجاج المسلمين ... " ٢٣٧ ، وفي عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م رفضت دفع الزكاة مما أحدث اضطراباً شديداً في الحجاز^{٢٣٨} ، وإخماد هذه التمردات قامت الدولة العثمانية بشن هجوم على هذه القبائل التي قطعت الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة^{٢٣٩}

وتشير الوثائق المصرية أن شيخ قبيلة حرب سعد بن جزا الأحمدى بعد أن قطعت الدولة العثمانية عنه مستحقاته المالية سنة كاملة ، دبر مؤامرة قتل أحد قواد محمد علي باشا أمير لواء الجديدة عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م ، وبمعاونة قبيلة الأحامدة^{٢٤٠} ، الأمر الذي أثار الدولة العثمانية ومحمد علي باشا ، فوجهت أمراً سلطانياً إلى الشريف محمد بن عبد المعين لتأديبهم ، فقاد حملة عسكرية ضخمة حتى وصلت الصفراء فعسكر بها ، وقامت بالنهب والسلب وحرقت النخيل والزرع حتى تفرق المقاتلون وهربوا إلى الجبال ، وتحصنوا بها وأخذوا

^{٢٣٤} محمد علي باشا وشبة الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ - ٦٨ .

^{٢٣٥} قيل قتل من قبل قائد المدينة ديوان أفندي أثر خلاف وقع بينهما . أنظر بوركهارت ، مواد لتاريخ

الوهابيين ، ص ١٦٠ .

^{٢٣٦} المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٤ .

^{٢٣٧} انظر : زكريا قورشون ، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ، ص ٨٥ - ١٠٤ .

^{٢٣٨} عبد الرحيم عبد الرحمن ، محمد علي باشا وشبة الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

^{٢٣٩} وثيقة رقم ٨٣ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف H.H.27424 تاريخ ٢٣ شعبان ، ١٢٤٣هـ ، الرياض:

دارة الملك عبد العزيز .

^{٢٤٠} عبد الرحيم عبد الرحمن ، من وثائق الدولة السعودية ، ج ١ ، ص ٦٠٥ .

يقطعون الطريق في جهات مختلفة، فعم الضرر واضطرب الأمن، وأشدت غلاء الأسعار لطول مدة الحصار الذي ظل طيلة عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م، وبعض عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م^{٢٤١}.

وحينما قرر محمد علي باشا سحب قواته من الجزيرة العربية بعث بخطاب إلى محافظ ينبع مصطفى توفيق يطلب الصلح مع قبيلة حرب وجهينة، ولكن كان رد المحافظ والجنود الموجودين في الحجاز بالرفض لهذا الصلح^{٢٤٢} مما جعله يستعين بالشريف محمد بن عبد المعين الذي ساعده في إخماد الثورة وتأديب القبائل^{٢٤٣}، وانسحاب الجيوش المصرية من الحجاز^{٢٤٤}.

الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية حينما ضعفت وعجزت عن حماية طريق الحجاج المار بينبع، وخاصة في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري/ الثامن والتاسع عشر الميلادي، منعت مرور القوافل براً وحولتها بحراً إلى ميناء جدة، مما ترتب عنه أن حُرمت القبائل من تلك المعونات^{٢٤٥}، وهذا ما أكده إبراهيم رفعت في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م حينما تقابل مع قبائل ينبع، وكتبوا خطاباً إلى خديوي مصر، طلباً للصلح وإعادة المعونات ومرور المحمل المصري من طريق ينبع بعد أن تم حجبته ثلاثين عاماً^{٢٤٦}.

وهكذا كانت حركات التمرد والعصيان من القبائل عاملاً مؤثراً في الاضطرابات السياسية، ولاسيما حينما عجزت الدولة العثمانية عن مقاومتها، والوقوف في وجهها، وفي ذلك نستشهد بقصيدة الشاعر جعفر البيتي، والذي عمل في ينبع أميناً في القرن الثاني عشر الهجري، وعاش حالة الاضطراب الذي شهدته ينبع في تلك الفترة وتسلسل القبائل فقد قال:

وهناك أعراب أشد نكاية
يردون قلعة ينبع ورد القطا
للقلب منها في عنا متنوع
بين القواضب والرماح الشرع
تدع الشوامخ كالطول الخشع
فهناك كم من ضحية لهموا بها

^{٢٤١} أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٨٨ - ٥٨٩؛ عبد الرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشبة الجزيرة العربية، ج ٢، ص ١٢٦؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٩٣.
^{٢٤٢} وثيقة رقم ٢٠٠، محظفة ٢٧٠ عابدين، تاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، القاهرة: دار الوثائق القومية

^{٢٤٣} أحمد الدحلان، تاريخ أشراف الحجاز، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨؛ وليم أوكسنولد، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب، ص ٢٥١.

^{٢٤٤} أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٩٥.

^{٢٤٥} وليم أوكسنولد، الدين والمجتمع والدولة، ص ٢٤٩؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٠٧.

^{٢٤٦} امرأة الحرمين، ج ٢، ص ٩٥.

أثر الاضطرابات السياسية على الحياة العامة في مدينة ينبع .

لقد أدت الاضطرابات السياسية إلى اختلال الأمن في ينبع ، وخوف أهالي ينبع من هذه الفتن والثورات المستمرة ، لدرجة حمل الأهالي للسلاح^{٢٤٨} فهم دائماً مسلحون ، وفي حالة تأهب قصوى^{٢٤٩} ، ويصف ذلك شارل ديدييه حينما زار ينبع عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م بقوله : " ويحمل الرجال أسلحة مخيفة وفي أيديهم عوضاً عن الخيزرانة هراوة تكفي ضربة واحدة منها لان تصرع ثوراً"^{٢٥٠}.

كذلك أعادوا بناء السور الذي يحيط بالمدينة كوسيلة دفاعية ضد الهجوم^{٢٥١} ويصفه بوركهارت في عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " وقد أحاط بها من الجوانب الأخرى سور عام ذو متانة معقولة فهو أفضل بناء من أسوار جدة والطائف والمدينة ، وعلى جوانب سور ينبع كثير من البروج،وقد بنائه أهل ينبع بتعاونهم معاً كوسيلة دفاعية "^{٢٥٢}

ويذكر محمد صادق باشا إعادة بناء السور في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م بقوله: " وقد أتفق لي التوجه إلى ينبع ، فوجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله ٣٠٠٠ ذراع تحفظاً من هجوم الأعراب وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم وصيانة للذخائر ... ، وقد علل السبب بأنه : وقعت ثورة بها من العربان بني إبراهيم وهجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين "^{٢٥٣}.

ويؤكد إبراهيم رفعت ذلك في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، حيث ذكر: " ويحيط بها سور به باب محفور من الجهة الشمالية ، وهذا السور بناه دولة المشير عثمان باشا نوري الذي منع الأعراب من الدخول في هذه البلدة مسلحين بل يضعون سلاحهم في المخفر ثم يدخلون ويأخذونه بعد الخروج "^{٢٥٤}.

^{٢٤٧} محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

^{٢٤٨} بوركهارت ، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ؛ محمد الشريف ، المختار من

الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

^{٢٤٩} دومنجو باديا ، رحلة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

^{٢٥٠} رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٩ .

^{٢٥١} فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٢٦ ؛ ليون روش ، اثنان وثلاثون سنة في

رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

^{٢٥٢} رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٨ .

^{٢٥٣} دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ١٣٠ .

^{٢٥٤} مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

ويصف الحالة الأمنية الحاج ميرزا محمد فرحاني الذي زار المدينة المنورة وما حولها عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م بقوله: " ولا يستطيع الفرد الخروج خارج السور ليلاً بغير سلاح وحتى سكان المدينة لا يغادرون لخارجها وحدهم وبدون سلاح ولا ينصح بالذهاب للضواحي والقرى للعزل من السلاح ، ذلك أن سلطة الدولة العثمانية لا وجود لها في الحجاز والمسالك في الحجاز غير آمنة^{٢٥٥} إن انعدام الأمن في ينبع ترتب عليه أن توقف طريق القوافل البرية المارة بينبع ، وتحويله إلى ميناء جدة ، نتج عنه تدهور المدينة اقتصادياً^{٢٥٦} ، على الرغم من أن بعض المراجع التاريخية تذكر حالة انتعاش لميناء ينبع في القرن الثالث عشر الهجري ، كان سببها وجود قوات محمد علي باشا ، وازدياد حركة البيع والشراء^{٢٥٧} .

بالإضافة إلى أن الدولة العثمانية حينما عجزت عن توفير الأمن لقوافل الحجاج ، قامت بإنشاء خط سكة حديد الحجاز في عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٠م^{٢٥٨} ، الأمر الذي ساعد أيضاً على تدهور المدينة اقتصادياً ، وقد أكد ذلك لورانس حينما زارها عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م بقوله: " فقد كانت ينبع عبارة عن شبه مدينة ، مدينة ميتة منذ أن أفتتح الخط الحديدي الحجازي"^{٢٥٩} .

أيضاً أن كثرة الفتن وتوالي الحروب قد صرفت سكان ينبع النخل عن العناية بالزراعة ، حيث انشغلوا بأمور الحرب والدفاع عن أنفسهم والمدينة^{٢٦٠} وذلك مثل ما حدث مع قبيلة حرب وقبيلة جهينة حينما حاصرهم الشريف محمد بن عبد المعين عام ونصف^{٢٦١}

لقد كان تأثير الاضطرابات السياسية واضح في الحياة الاقتصادية ، فقد توقف العمل بالميناء وتوقفت حركة التجارة ، والتي كانت تنتعش في موسم الحج ، وقد أشار إلى ذلك محمد صادق في (رحلته) عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م حيث قال: " وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة وأما في غير أوان الحج فلا يوجد بها شيء وتصير كالخراب"^{٢٦٢} ، مما جعل الكثير من سكانها

^{٢٥٥} أحمد محمد ، رحلات الحج ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .

^{٢٥٦} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٢١؛ محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي ، ص ١٤ .

^{٢٥٧} حمد الجاسر ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

^{٢٥٨} علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٥١٠ - ٥١٦ .

^{٢٥٩} أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٣٣ .

^{٢٦٠} حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٤٠ - ٤٣ .

^{٢٦١} انظر : أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

^{٢٦٢} دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ٢٩ .

يهاجرون عنها بحثاً عن الأمن والرزق^{٢٦٣}، حيث يذكر ذلك عثمان حافظ " وقد حُرمت ينبع من مجهود ونشاط كثير من أبنائها ورجالها العاملين ، بسبب الركود الذي ألم بها " ^{٢٦٤}.

إن سوء الحالة العمرانية لينبع تؤكد أثر تلك الاضطرابات السياسية ، وإهمال أمراءها في العناية بها لانشغالهم بالفتن والصراعات ، فكتب (الرحلات) مليئة بالنصوص والشواهد التي تشير إلى ذلك ، فهذا دومنجو باديا الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م يصف مبانيها بقوله : " وبيوتها منخفضة بسقوف مستوية وكلها تقريباً تتكون من طابق أرضي فقط ، باستثناء القليل منها التي تحوى أكثر من طابق مبنية من حجر جيرى ناصع البياض^{٢٦٥} بينما يرى بوركهات الذي مر بها عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م " أن المنازل بنيت بشكل أسوأ منه في أي مدينة أخرى في الحجاز ، وان لون الحجارة الناصع البياض قد جعل من منظر المدينة أمراً مزعجاً للنظر"^{٢٦٦}.

ويصف ليون روش أبنية ينبع البحر حينما زارها عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م بقوله: " وشيدت المنازل عموماً على نحو غير متقن من أحجار ضاربة إلى البياض ذات مظهر تعس ، وهي تتألف من طابق وحيد ، وتخلوا المدنية من أي أوابد أثرية باستثناء مسجدين أو ثلاثة عمارتها عمارة متواضعة وقصر (ياللسخرية !) الحاكم التركي "^{٢٦٧}

ويتفق معهم بيرتون الذي زار ينبع عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م ، ويزيد عنهم في وصف السوق بأنه " شارع ضيق مسقوف بسقف النخيل وبضعه دكاكين قليلة على جانبي الطريق تمثل جزءاً من بيوت أصحابها "^{٢٦٨} ، بينما يجد جيل كورتلون أن شوارعها فقيرة وأسواقها متسخة^{٢٦٩}.

أما شارل ديدييه الذي زارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد وصفها بقوله : " رأيت عدداً من البيوت الخربة التي لا يكلف

^{٢٦٣} محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ﷺ ، ص ١٤ .

^{٢٦٤} صور وذكريات عن المدينة المنورة ، ص ٢٢٩ .

^{٢٦٥} رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

^{٢٦٦} رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٨ .

^{٢٦٧} اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

^{٢٦٨} محمد الشريف ، المختار من الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

^{٢٦٩} رحلتى إلى مكة المكرمة ، ص ١٣٢ .

الناس أنفسهم كما هي العادة في البلاد الإسلامية عناء إصلاحها وإزالة أنقاضها التي تضيء على تلك المدن هيئة كئيبة " ٢٧٠ .

إضافة إلى أن المياه في ينبع قد بدأت تنضب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري^{٢٧١}، وأن الدولة العثمانية لم تكن حريصة لتأمين الماء لأهل ينبع، حيث قدم أهالي ينبع في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م استرحاماً للدولة لإمدادهم بألة بخارية " تعرف بكنداسة " تكرر لهم المياه^{٢٧٢} .

كان اعتماد أهالي ينبع على صهاريج المياه التي يجمعونها من الأمطار^{٢٧٣}، والتي وصفها سادلير في (رحلته) عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م " بأن بناءها سيئ وغير صالحة لحفظ الماء بصورة جيدة " ^{٢٧٤}، وقد نتج عن ذلك أن ارتفعت أسعار بيع الماء^{٢٧٥}، وفي ذلك قال محمد يحيى الولائي الذي مكث بينبع خمس ليال في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م :

وللطعام مقام العز والشأن
الماء في قصر ينبع بأثمان

وللمنازل غلات مشددة
على الغريب بأثمان وذبان

فاحذر مقاماً بينبع نزلت به
وأقصد لجدة أهل الفضل
والأعيان^{٢٧٦} .

ويرى عبد العزيز دولتشين الذي مر ينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م أن ينبع من أسوأ مدن الحجاز من حيث التجهيز بالمرافق، حيث لا يوجد بها مستشفى ولا حتى صيدلية أو طبيب^{٢٧٧}، على الرغم من أن الدولة العثمانية أنشئت حجر صحي للحجاج بها^{٢٧٨}، وعندما مر بها الكابتن آرثل وافل عام

^{٢٧٠} رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٤ .

^{٢٧١} محمد صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٢٣٠ .

^{٢٧٢} إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ١٥ .

^{٢٧٣} بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٣؛ ليون روش، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٦؛ أيوب صبري، موسوعة مرآة الحرمين، ج ٥، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

^{٢٧٤} رحلة عبر الجزيرة العربية، ص ١٢٧ .

^{٢٧٥} محمد صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ١٥ .

^{٢٧٦} أحمد محمد، رحلات الحج، ج ٢، ص ١٩ .

^{٢٧٧} الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

^{٢٧٨} سميرة بلسود، ميناء ينبع ورابع، ص ١٥٥ .

١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م قال : " ومن الغريب أنك لا تجد سكناً لائقاً في هذه الأماكن، ولو أن أحداً أقام فندقاً هنا أو جدة لكان ربحه كبيراً ^{٢٧٩} ونتيجة لعدم الاهتمام بنظافة مدينة ينبع ^{٢٨٠}، ولوجود مستودع الحبوب الذي بنته الدولة العثمانية لتخزين الغلال حتى يتم نقلها إلى المدينة المنورة ^{٢٨١}، فقد اشتهرت ينبع بانتشار الذباب، التي لم تغفل عن ذكرها كتب (الرحلات) ^{٢٨٢}، فقد كانت مصدر إزعاج لكلا من أهلها وزوارها، ويشير إلى ذلك بوركهارت في (رحلاته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م " أن المقام كان بها محتملاً لولا أسراب الذباب الهائلة التي تتخذ لها من هذا الساحل مأوى، فلا أحد يخرج من بيته دون أن يحمل مروحة من الخوص في يده ليذب عن نفسه هذه الحشرات " ^{٢٨٣}.

ولعل أفضل توصيف لحال الحشرات في ذلك الوقت ما أورده الشاعر البيتي في قصائده عن ينبع حينما عمل بها في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، إذ يقول في إحدى قصائده :
نحن بالساحل من ينبع في المحنة قد ولينا مقعد الكذب ولكن أي مقعد .
والكد

خدمة لو كان فيها الملك كنافية نزه
في بلاد لا ترى فيها سوى الراحة تفقد
وبها الجرذان والذباب كالجنود
والندي والكل والأوساخ والطين
المليد ^{٢٨٤}.

وهكذا نجد أن الاضطرابات السياسية المتمثلة في صراع الأشراف على إمارة مكة المكرمة، وظهور الدولة السعودية وحملات محمد علي باشا، وتمرد القبائل، كانت عوامل مؤثرة في ينبع، إذ كانت ينبع منشأً ومقرراً للأشراف، ومركزاً للجنود والقوات والحاميات العسكرية، نظراً لموقعها الاستراتيجي والحيوي، إضافة إلى ضعف الدولة العثمانية، وعدم اهتمامها بالشؤون الداخلية للحجاز .

^{٢٧٩} أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٢٣٠ .

^{٢٨٠} سعد الرفاعي، ينبع بين رحلتين، ص ٢٩٣ .

^{٢٨١} حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٩٧؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ٧٥ - ٧٦ .

^{٢٨٢} انظر : شارل ديبويه، رحلات إلى الحجاز، ص ١٥٦-١٥٧؛ محمد صادق، دليل الحج للوارد

إلى مكفو المدينة، ص ٢٩؛ أحمد محمد، رحلات الحج، ج ٢، ص ١٩ .

^{٢٨٣} رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٨ .

^{٢٨٤} محمد المغربي، أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٢٢٠ .

إن هذه الصراعات السياسية قد اثمرت في انشغال أشرف مكة المكرمة وأمراء ينبع بها ، وانصرافهم عن الاهتمام بالمدينة ؛ مما نتج عنها ضعف الأمن ، وخوف الأهالي وسوء الحالة العمرانية ، وتدهور الحياة الاقتصادية .

المصادر و المراجع :

أولاً : الوثائق :

- ١- وثيقة رقم ٦ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **D A H . E . I . 2112** ، تاريخ أوائل رمضان ١١٣٨ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
 - ٢- وثيقة رقم ٨٣ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **H. H . 27424** . تاريخ ٢٣ شعبان ، ١٢٤٣ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
 - ٣- وثيقة رقم ٦٥ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **Ayniyatdeft.NO.877** . تاريخ ١٤ ربيع الثاني ، ١٢٩٥ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
 - ٤- وثيقة رقم ٨٨ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **I.MEC.MAH . 2896** . تاريخ ١٢ جماد الآخرة ١٢٩٥ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
 - ٥- وثيقة رقم ٢٠٠ ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، تاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ ، القاهرة : دار الوثائق المصرية .
- ثانياً : المصادر :
- ١- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية) .
 - ٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن : العبر و ديوان المبتدأ أو الخبر (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٩ م)
 - ٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، تنسيق : علي شير (بيروت : دار أحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) .
 - ٤- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٥ م) .
 - ٥- أحمد الدحلان : تاريخ أشرف الحجاز ، تحقيق : محمد أمين (بيروت : دار الساقى ، ١٩٩٣ م) .
 - ٦- أحمد الرشدي : حسن الصفا والابتهاج ، تحقيق : ليلي عبد اللطيف (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠ م) .
 - ٧- أيوب صبري : موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ، ترجمة : محمد حرب (مصر : دار الأفاق العربية ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م) .
 - ٨- البنتوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية (ط ٣ ، الطائف : مكتبة المعارف)

- ٩- البكري ، أبي عبيد : معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق: مصطفى السقا ، (القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م) .
- ١٠- بوركهارت ، جون لويس :
- ١- رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ترجمة : هتاف عبد الله (بيروت : الانتشار العربي)
- ٢- مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة : عبد الله العثيمين ، جامعة الملك سعود .
- ١١- توماس أدوارد لورانس : أعمدة الحكمة السبعة ، ترجمة : محمد نجار (عمان : الأهلية ، ١٩٩٨م) .
- ١٢- الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (بيروت ، دار فارس) .
- ١٣- الجزيري ، عبد القادر : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج (إعداد : حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) .
- ١٤- جورج فالين : رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ترجمة : سمير سليم ، (ط١ ، بيروت : دار الوراق ، ٢٠٠٨م) .
- ١٥- جيل كورتلون : رحلتي إلى مكة المكرمة ، ترجمة : محمد الحناش (ط١ ، الرياض : مؤسسة التراث ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م) .
- ١٦- الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد الحوالي (صفاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م) .
- ١٧- الحموي ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت : دار صادر) .
- ١٨- دومنجو باديا : رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ترجمة : صالح السندي (الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٩هـ) .
- ١٩- السمهودي ، علي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد عبد الحميد (بيروت : ١١٧٤هـ) .
- ٢٠- سنوك هورخرونية : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة : علي الشيوخ (الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م) .
- ٢١- شارل ديدويه : رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من ق ١٩م / ١٨٥٤ ، ترجمة : محمد البقاعي (الرياض : دار الفيصل الثقافية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م) .
- ٢٢- عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى ، تحقيق : صلاح الدين خليل (القاهرة : دار القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م) .
- ٢٣- عبد العزيز دولتشين : الحج قبل مئة سنة ، تحقيق : يفيم ريزفان ، (ط٣ ، بيروت : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)
- ٢٤- عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز ، تقديم : أحمد هردي ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م) .

- ٢٥- عبد الملك العصامي : سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (المكتبة السلفية) .
- ٢٦- عبد الله غازي ، إفادة الأنام بذكر بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش، (ط ١ ، مكة : مكتبة الأسد ، ١٤٣٠ = ٢٠٠٩ م) .
- ٢٧- عثمان بن بشر : عنوان المجلد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبد الرحمن آل الشيخ، (ط ٢ ، وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ) .
- ٢٨- الفاسي ، تقي الدين : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق ، عمر عبد السلام، (ط ١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م) .
- ٢٩- فورستر سادليير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ترجمة: أنس الرفاعي ، تحقيق : سعود العجمي (ط ٢ ، بومباي : مطبعة الثقافة الاجتماعية ، ١٤٢٦ هـ) .
- ٣٠- الفيروز أبادي ، محمد مجد الدين : المغانم المطابة في معالم المرطابة ، تحقيق : حمد الجاسر (ط ١ ، الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م)
- ٣١- القلقشندى، أحمد بن على : صبح الأعشى في صناعة الأنشا (القاهرة : ١٩١٩ م) .
- ٣٢- ليون روش : اثنتان وثلاثون في رحاب الإسلام ، ترجمة : محمد البقاعي، ج ١ (ط ١ ، لبنان : جداول ، ٢٠١١ م) .
- ٣٣- محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج (مصر: المطبعة الأميرية ، ١٣١٣ هـ = ١٨٩٦ م) .
- ٣٤- المقرئزي ، تقي الدين أحمد : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر : محمد زيادة (ط ٢ ، القاهرة : لجنة التأليف والنشر) .
- ٣٥- موريس تاميزيه : رحلة في بلاد العرب والحجاز ، ترجمة : محمد آل زلفة، (ط ١ ، الرياض : دار بلاد العرب ، ١٤٢١ هـ) .
- ٣٦- النهروالي ، محمد أحمد : الإعلام بأعلام بلد الله الحرام (د . ت) .

ثالثاً : المراجع :

- ١- أحمد البرادعي : المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، (ط ١ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م) .
- ٢- أحمد السباعي : تاريخ مكة (الرياض : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م) .
- ٣- أحمد محمد محمود : ١- رحلات الحج (جمهرة الرحلات) ، ج ٢ ، (ط ١ ، الدار السعودية ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م) .
- ٢- الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج ٣ ، (ط ١ ، جدة : المطبعة المحمودية - الدار السعودية ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م) .
- ٤- إسماعيل ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث (الرياض : العبيكان ، ١٤١٦هـ) .
- ٥- تنيضب الفايدي : صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب (المدينة المنورة : ١٤٣٢هـ) .
- ٦- جيرالد دي غوري : حكام ، ترجمة : رزق الله بطرس (ط ١ ، بغداد : بيت الوراق ، ٢٠١٠م) .
- ٧- حسام محمد عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر (الهيئة المصرية العامة لكتاب ، ١٩٩٩م) .
- ٨- حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين (ط ٣ ، القاهرة : دار الأفاق العربية ، ١٣٧٥هـ) .
- ٩- حمد الجاسر : بلاد ينبع - لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة (الرياض : دار اليمامة) .
- ١٠- زكريا قورشون : العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني " ١٧٤٥-١٩١٤م ، (ط ٢ ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠١٠م) .
- ١١- سعد حسين : الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ (ط ١ ، ١٩٩٢م) .
- ١٢- سعد الرفاعي : ينبع بين رحلتين (بيرتون ، ديدويه) ق ١٣هـ / ١٩م ، مجلة الأطم (س ١٣ ، ع ٣٩ - ٤٠ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ / مارس ٢٠١١م)
- ١٣- سليمان الغنام : سياسة محمد علي باشا التوسعية (ط ٢ ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، ١٤٢٤هـ) .
- ١٤- سيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج (ط ١ ، جدة : تهامة ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) .
- ١٥- صالح السيد : ملامح من تاريخ ينبع ، (ينبع الصناعية ، ١٤٢٥هـ) .
- ١٦- عاتق البلادي : ١- معجم معالم الحجاز (ط ١ ، دار مكة المكرمة للنشر ، ١٤٠٠هـ) .

- ٢- قلب الحجاز (ط٢ ، دار مكة للنشر ، ١٣٤١هـ = ١٩٩٣م) .
- ٣- نسب حرب (ط٣ ، دار مكة للنشر ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) .
- ١٧- عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة (ط٢ ، المدينة المنورة ، ١٤١٤هـ) .
- ١٨- عبد الرحيم عبد الرحمن: ١- من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي (دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٣م) .
- ٢- محمد علي وشبة الجزيرة العربية (ط٢ ، القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٦م)
- ١٩- عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع (ط١ ، الرياض : مطابع الشرق الأوسط ، ١٤٠٥هـ) .
- ٢٠- عبد الله العيثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، (ط٦ ، الرياض : العبيكان ، ١٤١٦هـ) .
- ٢١- عثمان حافظ : صور وذكريات عن المدينة المنورة (ط١ ، نادي المدينة الأدبي ، ١٤٠٣هـ) .
- ٢٢- علي السليمان : ١- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك (القاهرة : الشركة العربية ، ١٣٩٣هـ) .
- ٢- النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (ط٢ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) .
- ٢٣- علي الصلابي : عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية (الشارقة : مكتبة الصحابة ، ١٤٢٢هـ) .
- ٢٤- فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب (ط٢ ، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ) .
- ٢٥- محمد الجهني : جهينة ماضيها وحاضرها (القاهرة : دار غريب ، ١٤٢٧هـ) .
- ٢٦- محمد حسين الحارثي : ينبع موطن آل علي بن أبي طالب عليه السلام ، بحث منشور (د . ت)
- ٢٧- محمد الرويثي : ١- المواني السعودية على البحر الأحمر (ط٢ ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤٠٤هـ) .
- ٢- التطور المكاني والتاريخي لمواني شبة الجزيرة العربية (ط١ ، المدينة المنورة : ١٤١٥هـ) .
- ٢٨- محمد الشريف : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ط١ ، جدة : دار الأندلس الخضراء ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)
- ٢٩- محمد المغربي : أعلام الحجاز ، ج٣ (ط٢ ، جدة : دار البلاد ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م) .

٣٠- مساعد بن منصور الحسيني : جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر (ط٢ ، مكة المكرمة : ١٤٢٢ هـ) .

٣١- وليم أوكسنولد : الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب " الحجاز تحت الحكم العثماني ، ١٨٤٠-١٩٠٨ م " ، ترجمة : عبد الرحمن العرابي (ط١ ، جدة : مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م) .

رابعاً : الرسائل العلمية :

١- إلهام سراج أكبر : بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

٢- أمينة جلال : طرق الحج ومرافقة في الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى .

٣- سميرة بلسود : ميناء ينبع و رابغ فيما بين عامي ١٢٥٦-١٣٧٣ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م .

٤- محمد حسين الحارثي : الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢ هـ .

المرأة في الأسطوغرافيا الإباضية

د/نبيلة حساني*

بلغت المرأة في المغرب الاوسط مكانة مرموقة في المجتمع ، وهي تقوم بدور فاعل ورئيس الى جانب الرجل في مختلف مجالات العمل من خلال إسهامها الايجابي في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أحرزت على أرض الواقع منذ تأسيس الامارات المستقلة بالمغرب الاسلامي ، وبفضل قيادة الحكام وأئمة بني رستم ، ورؤيتهم وجهودهم الدعوية على مختلف الأصعدة بما في ذلك الاهتمام بالمرأة وتحسين أوضاعها ورعاية شؤونها والأخذ بيدها.

لقد أقبلت المرأة الرستمية^(١) على العلم والمعرفة خصوصا بأمر دينها فكانت تشارك في الحلقات في المساجد والكتاتيب ، وقد تزامن ذلك مع بداية انتشار المذهب الخارجي الإباضي في المغرب الأوسط من طرف علماء ومشايخ الإباضية^(٢) الذين كانوا متشبهين بسيرة الخلفاء الراشدين .

وقد وردت في المصادر بعض إشارات تؤكد وجود بعض عادات الأسر الأميمسية أو بعض بقاياها على الأقل ، لدى هذه الإمارة ،

*قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر ٢

^١ نسبة الى الإمارة الرستمية في تأسست المغرب الأوسط سنة ١٦٠ هـ/٧٧٦ م واستمرت حتى سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م ، وقد تأسست هذه الدولة على يد عبد الرحمان بن رستم^(١) وهو فارسي الأصل خارجي المذهب ، وتميز نظام الحكم الرستمي بالبساطة في العيش والزهد في الحياة ، انظر، بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية ، ط١ ، لافوميك، ١٩٨٥، الجزائر، ص ، ص ١٥٧، جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، م، و، ك، الجزائر، ١٩٨٤، ص ص ٤٠، ٢٣.

وذكر ابن خلدون أنه: « من ولد رستم الأمير الفارسي الذي قاد الفرس في معركة القادسية ، قدم إلى إفريقية بعد إسلامه مع طلائع الفتح الإسلامي فاستقر بها، واعتنق المذهب الإباضي بعد وصولها إلى إفريقية» العبر، ج٦، ص٢٤٦. ينظر أيضا بحاز إبراهيم: عبد الرحمان بن رستم، م، و، ك، ١٩٩٠، الجزائر، ص ص ١١، ٤.

^٢ حول موضوع الإباضية ينظر: أبو زكريا يحيى بن أبي بكر: سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق، إسماعيل العربي، ط١، مطبعة أحمد زبانة ، ١٩٧٩، الجزائر ، ص ص ١٢، ٢، بكلي عبد الرحمان: فتاوى البكري، المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٢، جزءان، علي أمعر: الإباضية- دراسة مركزة في أصولهم و تاريخهم- المطبعة العربية، دت، غرداية، لجزائر، الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، دت، قسنطينة، ج١، ص ص ٤٠، ٤١، ٤٧. ينظر أيضا ، بلحاج محمد: مميزات الإباضية ، نشأة و تأسيسا و تقريرا و سلوكا ، مطبعة دار البعث، ١٩٩١ ، قسنطينة ، ص ص ٤، ١٥

الأولى ، أن ستة من شيوخها عرفوا بأسماء أمهاتهم ، الأول والثاني الشيخ عروة^(٣) وأخيه الشيخ أبو بلال مرداس^(٤) ابنا أديّة ، الثالث والرابع الشيخان أبو روح وأخيه مازن ابنا كنانة^(٥) والخامس الشيخ أبو خزر يعلى بن زلتاف^(٦) ، ثم السادس وهو الشيخ عمر بن دمو الحمدانية بنت درجو^(٧) امرأة يمكنن ، كذلك عرف أحد أحفاد الإمام عبد الرحمان بن رستم باسم أمه وهو الأمير المدراري الشهير بابن أروى^(٨) بنت عبد الرحمان بن رستم .

والثانية ، كانت المرأة الإباضية تتدخل في الشؤون العامة ، كما أن تأثير الأم على أبنائها وتوجههم بدا واضحا ، إذ ترعرع مؤسس الدولة عبد الرحمان بن رستم في القيروان ، فحفظ القرآن و تعلم اللغة العربية ومبادئ الإسلام ، تحت رعاية أمه وزوجها^(٩) ، كانت أمه تشجعه على التوجه إلى المشرق وبالضبط مدينة البصرة^(١٠) حيث مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، في سنة ١٣٥ هـ / ٧٢٥ م^(١١) التقى عند الإمام أبي عبيدة بوفد من المغرب وكم كانت هذه المنشورة مفيدة بالنسبة إليه وحازا له على التعلم ومناظرة المذهب الإباضي .

والثالثة ، أن المرأة الإباضية لها مكانة متميزة في الاسرة والمجتمع ، كانت لا تكره على الزواج ممن لا ترضاه لنفسها وخاصة نساء بيت الإمامة ، ذلك لأن المذهب الإباضي الذي يعتنقه أهلها ، يُحتم موافقة المرأة على من يتقدم للزواج منها .

^٣ أول من نادى < لا حكم إلا لله > في حفين ، رفع السيف لضرب - الأشعث - الذي يدعو إلا وقف الحرب في حفين ووقع السيف على عجز بغلته. قاما في العراق على عبيد الله بن زياد أيام- يزيد بن معاوية- اشتهر بالنقوى والزهد والشجاعة، ت (٥٨هـ/٦٧٨م) ، انظر، الدرجيني : م،س،ج،١،ص٧، الشماخي : كتاب السير، ط حجرية ، ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، قسنطينة، ص٦٧.

^٤ هو مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربيعي الحنظلي التميمي و هو أخو عروة، (ت ٦١هـ/٦٨٠م)، تابعي، عالم، وزاهد، لا يخاف لومة لائم، صاحب الكرامات و الأقوال المأثورة، عارض بالحجة و الدليل وبشجاعة المتطرفين، ثابت على مبدئه، ينظر الدرجيني: م،س،ج،١، ص٧، الشماخي: م،س،ص٦٦، ٦٧.

^٥ وهي أمها وقيل جدتها، الدرجيني: م،س،ج،١،ص٧.

^٦ وهي أمه، وهو ابن أيوب، الدرجيني: م،س،ج،١،ص٨.

^٧ من مدينة- إيفاطمان- الواقعة بين الحراية والرحيبات من جبل نفوسة من أجل علماء الإباضية، تقى، زاهد، مجاهد وهو أول من علم القرآن بجبل نفوسة، الشماخي: م، س،ص١٤٢،١٤٣، عوض محمد: نشأة الحركة الإباضية، ط مطابع دار الشعب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، عمان، ص٥١.

^٨ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج١، ص١٥٧.

^٩ بحاز: عبد الرحمان بن رستم، ص٩، ينظر أيضا، علي أمعمر: م،س،ج،٤، ص١٣٥.

^{١٠} الشماخي: م،س،ص١٢٣، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، مطبعة دار العودة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، بيروت، ص١٠٨.

^{١١} بحاز: الدولة الرستمية، ص٩٥

فقد قصدت **دوسر بنت اليقظان** الإمام يوسف وهي تشكو إلى أبي عبد الله الشيعي^(١٢) غدر الإمام يقظان من أبيها ، ووعده بالزواج إذا ما تأثر لأبيها ، فقبل أبي عبد الله الشيعي بها - وربما يبدو أنها كانت جميلة كذلك إلى جانب كونها ذكية وشجاعة لهذا القرار الذي اتخذته - فأحضر أبو عبد الله الشيعي يقظان وتمثل بين يديه ، وسأله عن اسمه فأجاب : " أنا يقظان ، فقال ، بل أنت حيران ، ما الذي دعاكم إلى قتل أميركم فسلبتم ملكه ، وأطفأتم نور الإسلام بغير سبب ، وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال " ^(١٣) ، ثم قتله أبو عبد الله الشيعي بفضاعة^(١٤)

ورغم ان دوسر استطاعت ان تأثر لأبيها ، إلا انها لم تنتصر على الرجل الذي أحبها وأرادها كزوجة ، وعندما طلبها ، علم أنها فرّت مع عمّها يعقوب بن الإمام خفية منه نحو مدينة وارجلان^(١٥)، فتبعها بجيش " وعندما دخل المدينة ، انتهبها وانتهك حرمتها وقتل أهلها وكل بيت الإمامة من الرستميين " ^(١٦) سنة

(٢٩٦ هـ/٩٠٩ م) ، على أية حال فقد كان استشهاد **دوسر** رمزا لسيرة المرأة الإباضية الصالحة ، الثائرة لأبيها ، والرافضة لزوج لا ترضاه لنفسها ، وهي نموذجا لما وصل إليه مستوى المرأة في المجتمع الرستمي من البذل و العطاء والتضحية.

أما الرابعة ، أن المرأة في المجتمع الرستمي قامت في مجال العلم بدور معتبر بالنسبة إلى عصرها كحفظ القرآن الكريم بقراءته و رواياته و رواية الحديث ، و دراسة مبادئ

^{١٢} هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد، لقب بالمعلم، نشر دعوة العبيديين بالمغرب، أصله من اليمن، أرسله عبيد الله إلى المغرب ليجمع له الأنصار لتحقيق أهدافه، و استطاع أن يؤثر في قبيلة كتامة و يحملها على مبايعة سيده المهدي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، و اتخذ من قلعة إيكجان حصنا له، قبل أن يزحف على ميلة ثم القيروان و بذلك مهّد العرش لعبيد الله، و في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) قتله المهدي في رقادة خوفا على مستقبل ملكه، ينظر، القاضي النعمان: إقتتاح الدعوة، تحقيق فرحات البشراوي، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص ص ٣٠، ٤٠، ٤١، ٩٨.

^{١٣} الدرجيني: م، س، ج، ١، ص ٩٤.

^{١٤} نفسه، ج، ١، ص ٩٥.

^{١٥} هي واحة كبيرة بها مدينة قديمة، و هي أهم مركز إباضي ابتداء من القرن (الثاني الهجري/الثامن الميلادي)، يحد هذه المنطقة شرقا أطراف- الصحراء الجزائرية- وجهات الزاب، و غربا منطقة وادي ميزاب، و جنوبا مدينة- إسدرا- التي أنشأت بعدها، و شمالا صحراء و واحات و مدن مثل- توقرت- و- وادي أريغ- و- أسوف- و عرف وارجلان بعدة أسماء مثل:- واركلا-، - وارقلا-، - واكلان- الإدريسي: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص ص ٤٣، ٩٧.

^{١٦} الدرجيني: م، س، ج، ١، ص ٩٤.

المذهب الإباضي والأمور الفقهية ، وتناولت البعض منهن الشعر كأبي يحيى^(١٧) ، والبعض الأخريات كامرأة معافرية من ذرية أبي الخطاب المعارفي ، فقد أخبرنا الدرجيني^(١٨) أنها: " عندما توفي قالت وهي تبكيه : " لما مات أبو الخطاب ، مات الحق ، فبقيتم يا زواغة هامة ببطون كالأخرجة ، وعائم كالأبرجة ، ونعال مبلجة ، وأحكام متعوجة " ، وأضاف الدرجيني قائلا إنما عبرت بقولها مات الحق عن فقد من يحكم الحق من آل أبي الخطاب .

كما اشتهرت الفقيهة أخت^(١٩) عمرو بن فتح النفوسي^(٢٠) لا نعلم لها اسما ولا كنية بالعلم والتدين والعقل ، وقد أملت على أخيها كتاب المدونة " ، لأبي غانم الخراساني فكتبها كلها ، وكانت تحسن التصرف في المواقف الحرجة ، وهذا يدل على رجاحة عقلها وحسن تدبرها. ويقال عنها لما خرجت مع بعض نسوة قبيلة نفوسة في موقعة " مانو " أخذت أسيرة معهن من طرف جيش الأغالبة ، خشيت على شرفهن فأفنت لهن بما يصونهن ، بحيث أمرت أن تستخلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجها لمن أرادها بسوء^(٢١). وهو من كمال عقلها وعلمها وفقها في الدين

وكانت منهن مدرسات ومعلمات شغلن مقاعد التدريس ، وأهتمين بأمر التلاميذ والاعتناء بهم مثل ما كان في عهد الإمام أبي القاسم يزيد بن مخلد حيث كانت له زوجة صالحة ومجتهدة تدعى " الغاية "^(٢٢)، وكانت تساعده في أمور التربية والتعليم وأمور النفقة والإيواء على الطلبة ، بل كان أئمة الإباضية يستشيرون بعض العالمات في الدين والفقهاء ، وقصد العامل أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي^(٢٣) إلى عجوز نفوسة^(٢٤) التي كانت مشهورة بالعلم والدين والصلاح فاستشارها في مسألة قبول أو عدم قبول المنصب الذي كلفه بها الإمام عبد الوهاب ، فقالت له : " هل تعلم في بلادك من أهل زمانك أقوم منك بما كلفت به وأحق بتقليدها ما تقلدت؟ قال : أما في أمور الرجال فلا ، قالت :

^{١٧} كانت أم يحيى شاعرة ، حفظت ثمانين بيتا من الشعر بسماع واحد ، ينظر ، الشامخي : م ، ص ، ص ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، أبو زكريا : م ، ص ، ١٧٩

^{١٨} الدرجيني : م ، ص ، ج ، ١ ، ص ، ١١٥ .

^{١٩} الشامخي : م ، ص ، ص ، ١٠٦ .

^{٢٠} عالم إباضي ، ورع ، مجتهد ، قاض إمام الرستميين « عبد الوهاب » على جبل نفوسة ، فهو من أهل الخمسين الثانية من المائة الثالثة ، هكذا ذكره الدرجيني : م ، ص ، ج ، ١ ، ص ، ٨ ، ينظر صالح بن عمر اسماوي : العزابة و دورهم في المجتمع الإباضي بميزاب ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠١ ، جامعة الجزائر ، ق ، ١ ، ص ، ٣٠٧ .

^{٢١} اسماوي : م ، ص ، ق ، ١ ، ص ، ٣٠٧ .

^{٢٢} الدرجيني : م ، ص ، ج ، ١ ، ص ، ص ، ١٢٠ ، ١٢١ .

^{٢٣} و هو عامل جبل نفوسة في عهد الإمام الإباضي الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ، الدرجيني : م ، ص ، ج ، ١ ، ص ، ١٢١ .

^{٢٤} هو لقب تشريفي يطلق على المرأة المسنة ذات كلام مسموع و رأي عند جماعتها و قبيلتها ، وعادة ما تكون متدينة و متعلقة لأمر دينها الحنيف .

فادخل إذا فيما فلدك الإمام ، وإلا فإني أخشى أن تهشم عظامك في نار جهنم ، فقد قامت عليك الحجة" (٢٥) ، ولما رجع إلى أهله قبل المنصب وأحسن.

كما شاركت بعض النساء في مجالس الجدل التي كانت تعتقد حلقاتها من حين لآخر ، " فأخت الإمام أفلق " التي لا نعلم لها اسما أيضا ، برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم" (٢٦) ، وهذه امرأة أخرى تدعى " بهلولة " (٢٧) اشتهرت بالعلم حتى أصبح بيتها مزارا للعلماء الذين كان من بينهم أبو ذر ابن وسيم

ولم يكن أئمة الإمارة الرستمية فيما يتعلق بتعليم المرأة وتربيتها ، والعناية بتكوينها مقتصرة على الحرات فقط ، بل شمل حتى الإيماء ، وهذا ما يفهم مما ذكره البعض بأن إيماء نفوسة في ذلك العهد إذا خرجن إلى الحطب والبساتين لا يرجعن حتى يذكرن جميع مسائل " كتاب ماطوس" (٢٨).

نسنتج من هذا النص أن الأئمة الرستميين كانوا يوجهون عناية كبيرة لتربية المرأة سواء كانت حرة أو أمة لأن الاعتناء بها يؤدي لا محالة إلى إصلاح المجتمع ، لأن المرأة كما يقال نصف المجتمع فكلما صلحت المرأة صلح المجتمع.

أما الخامسة ، اسهاماتها في المجتمع الرستمي في المجالات عديدة كالدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقيامها بنشر الدعوة السرية لصالح المذهب الإباضي في جبل نفوسة قبل قيام الإمامة الرستمية ، فقد ناضلت في هذه المسألة إلى جانب أخيها الرجل بحسب مكانتها وكفاءتها ، وكثيرا ما كان الأئمة والشيوخ يعقدون دعواتهم السرية في بيوت الشيوخ أمثال " هند " بنت المهلب و " عاتكة " و " سعيدة المهلبية " وغيرهن (٢٩) ، اللواتي كن يشاركن في جمع الأموال والتبرعات.

أما في المجال السياسي فقد برزت بعضهن شأن زوجة أبي يوسف حجاج بن وقتين الذي اشترك في مؤامرة دبرها " خلف بن السمح " للخروج على طاعة الدولة الرستمية ، ولما عاد بيته صاحبت هذه الزوجة في وجهه قائلة له : "إليك عني يا بائع دينك" (٣٠) ، كما استطاعت زوجة أبي اليقظان أن تؤثر على زوجها وترغمه على إسناد ولاية العهد إلى ابنها أبي حاتم كما استطاعت " دوسر " بنت أبي حاتم أن

٢٥ الدرجيني : م،س،ج ١،ص ص ٧٠،٧١.

٢٦ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١، ج ١، ص ٢٧٥.

٢٧ الشماخي: م،س،ص ٢١٧، امعمر علي يحيى : م، س، ص ٢٣٢.

٢٨ عالما و فقيها و عاملا في مدينة طرابلس ، وقد رتبته الدرجيني في الطبقة الخامسة ، فهو من علماء النصف الأول من القرن الثالث الهجري / ٩ م ، ينظر : الدرجيني : م،س، ج ٢، ص ٣٠١ .

٢٩ نفسه ، ج ٢، ص ص ٣٠١ ، ٣٠٥ .

٣٠ الشماخي : م،س،ص ١٨٤ ، علي يحيى معمر : م،س،ص ٣٢١.

تلعب دورا واضحا في الأحداث السياسية الأخيرة التي أدت إلى سقوط الدولة الرستمية^(٣١)

كذلك ، أدت المرأة الرستمية دورا كبيرا في المجال الاجتماعي ، وهذا بفضل اعتراف الرجل الاباضي لمكانتها في المجتمع ، وحقها في الحياة كما نصت عليه تعاليم الإسلام . فاهتم بشأنها الأئمة وشيوخ العزابة ، وستوا لها بنودا في دستورهم لحماية حقوقها وكرامتها ، فكان لها حق في التملك ولها حق التصرف في مالها وما تملك ، ويحرم الوقف إذا كان سيسلبها حقها الشرعي في الميراث .

هذا كله ضمن المنظومة الاجتماعية الاباضية المعروفة باسم " العزابة " ، والتي تندرج فيها هيئة نسوية خاصة تتولى شؤون المجتمع النسوي ورعايته و تنظيمه ضمن القوانين الشرعية ، وكل ما يخص مجالات التربية وإعداد البنات الاباضية و الزوجة الصالحة و أم المستقبل^(٣٢) . وانتظمت هذه الهيئة في مجلس نسوي معروف باسم " الغاسلات أو الغاسلات " ، و يعرف باسم اللغة المحلية (الأمازيغية) " تمسيريين "^(٣٣) ، بمعنى أنهم يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال دون البلوغ أو سن سبع سنين ، و ما زالت هذه الهيئة النسوية تزال هذا العمل بمنطقة وادي ميزاب إلى يومنا هذا .

ومنهن أيضا يتكون " المجلس الديني للنساء " ويصل عدده إلى اثنتي عشر امرأة ، ويتم انتقاء هؤلاء النسوة من مختلف عشائر البلدة من صالحات الأسر بشروط معينة ، أي أن يكنّ متعلمات حافظات للقرآن ومن ذوي الأخلاق الكريمة والسمة الطيبة فضلا عن حضورهن لدروس الوعظ والإرشاد في الحلقة أو في المسجد^(٣٤) .

أما عن طريقة تعيين إحداهن كعضوة جديدة في الهيئة ! فبعد أن يتم اختيارها تتجه الغاسلات إلى دار شيخ العزابة ، فيناقشن معه الأمر بوساطة محارمه أو تتولى أكبرهن سنا الحديث معه من وراء حجاب ، أو يتفاوضن معه في القضية ، وفي الأخير فإن القرار يعود إلى رئيس مجلس العزابة وأن تقبل الغاسلات بذلك الحكم . كذلك الأمر بالنسبة لاتخاذ مجلس الغاسلات للقرارات المتعلقة بالزواج والأعراس والمآتم أو أية قضايا أسرية واجتماعية أخرى ، ويبقى رئيس العزابة هو المرجعية الأساسية لمجلس الغاسلات وهن مخلصات و أمينات له . ويعين على رأس هذا المجلس

^{٣١} موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، منذ تأسيسها إلى منتصف (ق٥ هـ/١١م) ، مطبعة أحمد زبانة ، ١٩٧٩ ، الجزائر ، ص٣٤٢ .

^{٣٢} اسماوي : م،س،ق،١،ص٣٠٧ .

^{٣٣} تمسيريين : ج (بكسر التاء و سكون الميم و كسر السين و الراء ممدودة و الدال ممدودة و سكون النون) مفرد " تامسيرت " (بفتح التاء و سكون الميم و كسر السين ممدودة و فتح الراء و سكون التاء) أنظر اسماوي : م،س،ق،١ ، هامش ص ٣٠٨ .

^{٣٤} اسماوي : م،س،ق،١،ص٣٠٩ .

النسوي رئيسة تعرف في بعض القرى " ماما شيخة " (٣٥) وفي مناطق أخرى بـ " كبيرة الغاسلات " .

كان مقر المجلس فيكون في إحدى أجنحة المسجد ، وهو يُبنى خصيصا لهن بمكان مجلس التلاوة بالمسجد ويفصله عنه جدار خفيف تعلوه تحت سقف الجناح كواة صغيرة جدا ، أصبحت الآن مغطاة بقطع صغيرة من الزجاج بشكل مائل لينفذ منه الضوء والصوت من داخل المسجد دون أن يرى أي طرف آخر حيث يسمعن كل ما يدور في المسجد من صلاة وأدعية وأذكار أو من تلاوة للقرآن ، ودروس في التوجيه والوعظ والإرشاد .

وأسهمت المرأة الرستمية بقسط وافر في تطوير المجتمع اقتصاديا بالإضافة إلى القيام بالأعمال المنزلية ودورها الكبير في خدمة البيت وتربية النشء ، فهي تشارك في صناعة الأواني التقليدية الفخارية والخشبية والمنسوجات الصوفية التي كانت تشارك بها في التجارة والإنتاج المحلي ، وازدهار الأسواق بالصناعات اليدوية النسائية ، وهذه الظاهرة مازالت حاضرة إلى حد الآن في منطقة وادي ميزاب بجنوب الجزائر إذ تقوم المرأة الميزابية (حاليا) بدور هام في مجال الحفاظ على الصناعات التقليدية كنسيج الزرابي والقشاشيب وغيرها (٣٦).

ان المرأة الرستمية كان لها حق اختيار الزوج ، لا تكره على الزواج ممن لا ترضاه لنفسها ، وذلك لأن المذهب الإباضي الذي يعتنقه أهلها يحتم موافقة المرأة على من يتقدم للزواج منها ، كما أنه يعطيها حقها في التملك ، فلها حق التصرف في مالها وما تملك ، ويُحرّم الوقف إذا كان سيسلبها حقها الشرعي في الميراث . ولم يكن الحجاب ليمنع المرأة في مشاركتها في الحياة العامة ، بل استطاعت تترك بصمات واضحة المجتمع الاباضي .

^{٣٥} أشهر " شيخات " مجاهدة مشهورة في- ميزاب- بمواقف الثورية إبان الاحتلال الفرنسي لميزاب سنة (١٣٠٠ هـ/١٨٨٢م) وهي "ماما بنت سليمان " ولدت في مدينة غرداية سنة (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) ونشأت في جو عائلي محافظ متدين، حفظت نصف القرآن عن ظهر القلب وتعلمت أصول الدين واللغة ومبادئ المذهب الإباضي ، مزدوجة اللغة (العربية و البربرية والكتابة بها)، جاهدت في سبيل إعلان الحق والحق والدفاع على البلاد، فتحت منزلها كمدرسة لتعليم القرآن والحديث ، وقامت بترشيد النساء و وعظهن ، وفي سنة (١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م) عينت " ماما شيخة " رئيسة المجلس النسوي خلفا للمرحومة الشيخة " ماما بنت الحاج " و كانت لا تخاف لومة لائم، ينظر، اسماوي : م، س، ص ٣١٠.

³⁶ Goichon (A.M) : op cit, pp 43,45,46.

- المصادر والمراجع :

- ١ - أبو زكريا ، يحيى بن أبي بكر: سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق، إسماعيل العربي، ط١، مطبعة أحمد زبانة، ١٩٧٩، الجزائر،
 - ٢ - بكلي عبد الرحمان : فتاوى البكري ، المطبعة العربية ، غرداية ، ١٩٨٢ ، جزءان
 - 3 - ابن خلدون ، عبد الرحمن : العبر، ج٦،
الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب، حققه و قام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، دت، قسنطينة، ج١،
 - ٤ - الشماخي : كتاب السير، ط حجرية ، ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، قسنطينة ،
 - ٥ - ابن عذاري: البيان المغرب ، ج١.
 - ٦ - القاضي النعمان: إفتتاح الدعوة، تحقيق فرحات البشراوي، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.
 - ٧ - الإدريسي: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣،
- ثانيا : المراجع :**
- ٨ - بحاز إبراهيم : عبد الرحمان بن رستم ، م ، و ، ك ، ١٩٩٠، الجزائر
 - ٩ - //////////////// : الدولة الرستمية ، ط١ ، لافوميك ، ١٩٨٥ ، الجزائر،
 - ١٠ - جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، م ، و ، ك ، الجزائر ، ١٩٨٤،
 - ١١ - علي أمعر : الإباضية - دراسة مركزة في أصولهم و تاريخهم - المطبعة العربية، دت ، غرداية ، الجزائر
 - ١٢ - بلحاج محمد : مميزات الإباضية ، نشأة و تأصيلا و تفرعا و سلوكا، مطبعة دار البعث ، ١٩٩١ ، قسنطينة .
 - ١٣ - عوض محمد: نشأة الحركة الإباضية، ط مطابع دار الشعب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، عمان.
 - ١٤ - محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، مطبعة دار العودة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، بيروت
 - ١٥ - صالح بن عمر اسموي: العزابة و دورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، رسالة ماجستير، ٢٠٠١، جامعة الجزائر، ق١.
 - ١٦ - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١، (٣) موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف (ق١٥هـ/١م)، مطبعة أحمد زبانة، ١٩٧٩، الجزائر.

Goichon (A.M) : **La vie Féminine au M'Zab**, librairie orientaliste, 1927, Paris

An Approach to Microanalysis and Conservation of Silver - Copper Object in Agriculture Museum, Cairo, Egypt

Dr. ABEER Gharib ABD ALLAH*

This research dealt examining, analysis and treatment of a silver - copper belt, it exhibited in Agriculture Museum in Cairo. This research aims to study the ancient silver alloy; because of the successful examination and analysis helps in the treatment of old metal objects and then maintain them.

The analysis of archaeological objects requires simultaneously non-destructive (the objects are unique and precious), versatile (samples with different geometry), sensitive (trace elements are often important) and multi-elemental methods.

In this paper, scanning electron microscopy (SEM) employed to diagnose the characteristic morphology and environmental effects of the silver-copper object. X- Ray diffraction (XRD) used to identify the mineralogical composition of samples, inductively coupled plasma optical emission spectrometer (ICP) used to determine the accurate elemental composition of the silver-copper object.

The results obtained by this research showed that the alloy containing about 22% silver, 65% copper, and it covered with copper corrosion products, these results represent the correct diagnosis, which will help us to understand the fabrication of ancient silver-copper alloy, which is still needed more studies.

KEY WORDS: Ancient silver alloys, ICP-OES, treatment silver – copper object.

* Lecturer Conservation dept., Faculty of Fine Arts, Minia Univ., Minia, Egypt
E-mail: abeerelalafaty@yahoo.com

1. INTRODUCTION

Silver is a very noble metal and often found in a native state combined with gold, tin, copper, and platinum. It is completely stable in aqueous solutions of any pH as long as oxidizing or complexing substances are not present. In addition, silver did not appreciably affect by dry or moist air that is free from ozone, halogens, ammonia, and sulfur compounds. ⁽¹⁾

The corrosion products of silver are stable, the treatment accorded silver artifacts is less critical than for other metal objects, when treating base silver with a significant amount of copper, it is the copper and its corrosion products that can create problems; in these case, the artifact should treat as copper. ⁽²⁾

Analytical investigations of archaeological objects bring us much information on the development and propagation of technologies on cultures. To conserve and restore these valuable and scarce objects, it is indispensable to understand their chemical constituents and crystal structures. ⁽³⁾

1.1 object description and technology

The silver-copper belt exhibited in the agriculture museum; under no. (SH1996); which undated and weighs about 500:600 gm. Figure no. (1A) shows that the metal belt decorated with metal wire, there is a ring in the top of the belt with a long chain with pendants, the lower part of the metal belt relates to its six rings, and there are three chains out of each ring, and there is a coin in the end of chain. It was also noted that the second ring in the right hand has two coins; and lost the third coin.

These inscriptions are difficult to describe because they hide under corrosion products. Figure (1B) Describes the behind face of the

1- Plenderleith, H., Werner, A., the conservation of antiquities and works of art, University press, Oxford, 1971, P. 239.

2- Hamilton, D., Methods of conserving archaeological material from underwater sites, A&M University, Texas, 1999, p. 80-83.

3- Shaw, L., The Oxford History of ancient Egypt, Oxford University presses, 2000.

metal belt; and there is a black webbing used to connect the belt during wear.

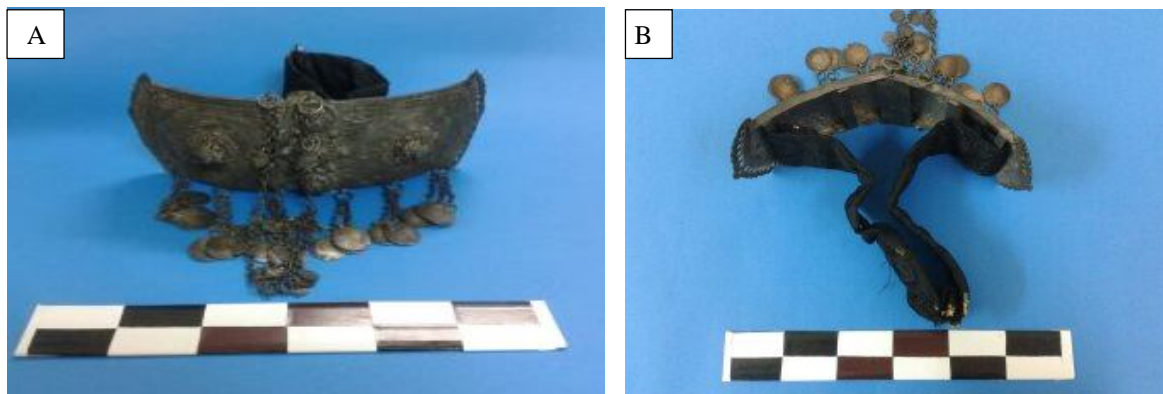


Fig.1 (A, B) show the metal belt before treatment

This research studies objects represents techniques used by artisans in metal smelting, where they found in silver and copper alloy proportion of silver from about 25: 30%, sometimes up to 80%, as alloy containing small amounts of tin, arsenic, lead. The presence of lead in the alloy index extraction and smelting silver by cupellation process, which requires the study of alloy belt consisting of silver-copper alloy, and study the possibility of identifying the technology used by the manufacturer in melting and extraction the alloy.⁽⁴⁾

2. METHODS OF INVESTIGATION AND ANALYSIS

Scanning electron microscopy (SEM) attached with an energy dispersive X-ray spectrometer (EDX) used to diagnose the structure and morphological texture of the samples. For the analytical and metallurgical study, X-ray diffraction (XRD) used to identify the mineralogical composition of the samples. The elements determined by an Inductively Coupled Plasma-Optical Emission Spectrometer (ICP-OES), furthermore,

4- Gordon R, Knopf R. Late horizon silver, copper and tin from Machu Picchu, Peru, Journal of Archaeological Science 2007; 34: 38 -47.

For SEM examination, very small samples required, the samples were coated with amorphous carbon, and SEM operated in secondary electron mode, which suitable for examining the surface morphology of sample material, magnification 10 X up to 400,000 X and resolution for 3.5 nm. For XRD, the samples were cleaned and finely powdered to avoid any imbrications in the obtained results. For ICP, samples were prepared as solutions with standard.⁽⁵⁾

2.1 Scanning Electron Microscope Equipped With Energy Dispersive X-Ray Analysis (SEM)

SEM allows the observation and surface characterization of inorganic and organic materials at a higher resolution and depth of field that the conventional optical microscope. In the SEM analysis, a thermo-ionic emission of an electron beam directed over the sample to produce characteristic signals that provide information on crystalline array, chemical composition, and magnetic structure and even on the electric potential of the specimen under observation. SEM offers a high resolution (approximately 100Å) and high field depth giving a 3D effect to the images.⁽⁶⁾

Samples investigated and analyzed by [JEOL – JXA840A Electron probe Microscopy], equipped with EDX micro analytical system to obtain the total element content qualitatively and quantitatively by EDX unit in the samples. It was useful for semi quantitative elemental analysis to make up for the deficiencies of XRD.⁽⁷⁾

5- Ban-Han M, Abed-Allah R. Archeo metallurgical finds from, Northern Jordan: Micro structural characterization and conservation treatment, Journal of cultural Heritage 2012; 13: 314- 325.

6- Loaned, E., Loaned, A., Rusu, D., Doroftei, F., Surface investigation of some medieval silver coins cleaned in high – frequency cold plasma, Journal of cultural Heritage, 2011: 12, 220 226.

7- Hanlan, J., The Scanning Electron Microscope and Microprobe: application to conservation and historical research in ICOM committee for conservation, 4th Triennial Meeting, Venice, 13 -18 October, ICOM Paris, 1975, p. 6.

2.2 X-Ray Diffraction Analysis

XRD is a convenient and useful tool for the identification of crystalline compounds as well as for assessing the structure of complex natural compounds. The theoretical basis of this method is the fact that X-ray diffraction patterns are unique for each crystalline structure. When the X-ray beam passes through the material, a large number of the particles can expect to align in such directions that they can fulfill the Bragg relationship for reflection for each possible inter-planar spacing.⁽⁸⁾

X-ray diffraction analysis carried out with X-ray diffraction equipment model XPERT-PRO-P Analytical, Cu radiation 1.54056\AA at 40 KV, 25mA, 0.05 /sec. High-resolution graphite monochromatic, rotating sample holder and a proportional detector. Measurements carried out on powders of the samples, in the range $0^\circ < 2\theta < 70^\circ$ with a step of 0.02° .

2.3 Inductively Coupled Plasma – Optical Emission Spectrometer (ICP-OES)

The elements determined by used inductively coupled plasma – optical emission spectrometer (ICP-OES) PERKIN ELMER OPTIMA 2000 DV. The samples prepared as solutions with standard. In general, HNO_3 , HCL , H_2SO_4 , H_3PO_4 , HCLO_4 , HF and H_2O_2 used for alloys and minerals samples.⁽⁹⁾

3. RESULTS:

It is indispensable to understand the chemical constituents and crystal structures. The technology of the materials used in the fabrication of ancient Egyptian metal object is still not fully investigated.⁽¹⁰⁾

8- Jenkins, R., Snyder, R., Introduction to X- ray powder diffractometry, Wiley & Sons, New York, 1996.

9- Welna, M., Madeja, A., and Pohl, P., Quality of the trace element analysis: sample preparation steps, Wroclaw University of technology, Poland, 2012, P.59.

10- Daniels, V., Analyses of copper – and bees wax – containing green paint on Egyptian antiquities, studies in conservation, 2007, 52, pp.13 -18.

A study of the techniques used by craftsmen in the smelting and extraction of metals, and identify on rates of minerals for silver - copper alloy helps to reach to successful treatment. ⁽¹¹⁾

3.1 Scanning Electron Microscopy (SEM) coupled with EDX

the surface of the metal belt has a lot of corrosion products as showed in figure (2) with a magnification of 2000x, EDS of the sample points out that it consists of 42.02% oxygen, 2.34% silicon, 0.82% sulfur, and 0.54% chlorine, they represent the corrosion products, also EDS contains 17.2% copper, and 37.09% silver, they represent the composition of the object alloy.

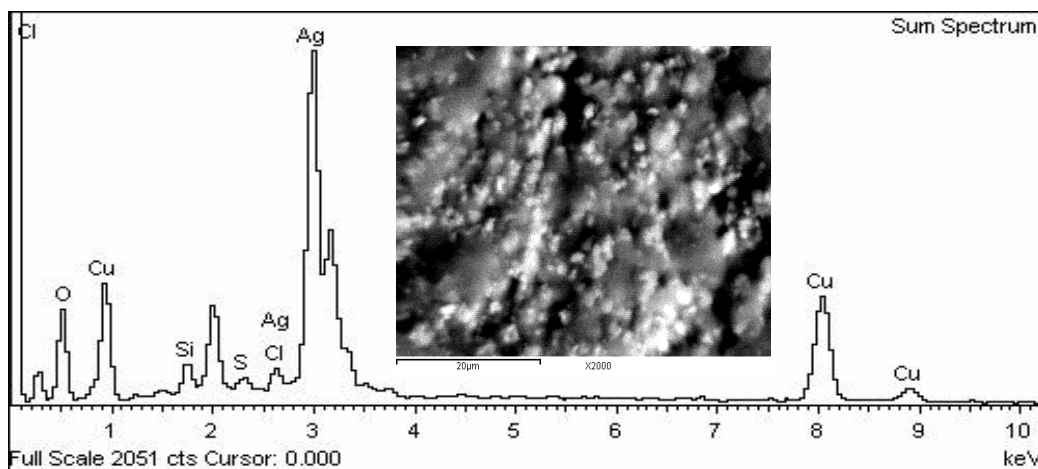


Figure (2) SEM image at magnification 2000x of silver and copper alloy shows the metal surface pitted and porous; SEM-EDX pattern shows the alloy consists of 42.02% oxygen, 2.34% silicon, 0.82% sulfur, and 0.54% chlorine, 17.2% copper, and 37.09% silver.

11- Lanzano, T., Bertram, M., De Palo, M., Wagner, C., Zyla, K., Graedel, T., The contemporary European silver cycle, Resources, conservation and recycling, 2006, 46, pp.27 – 43.

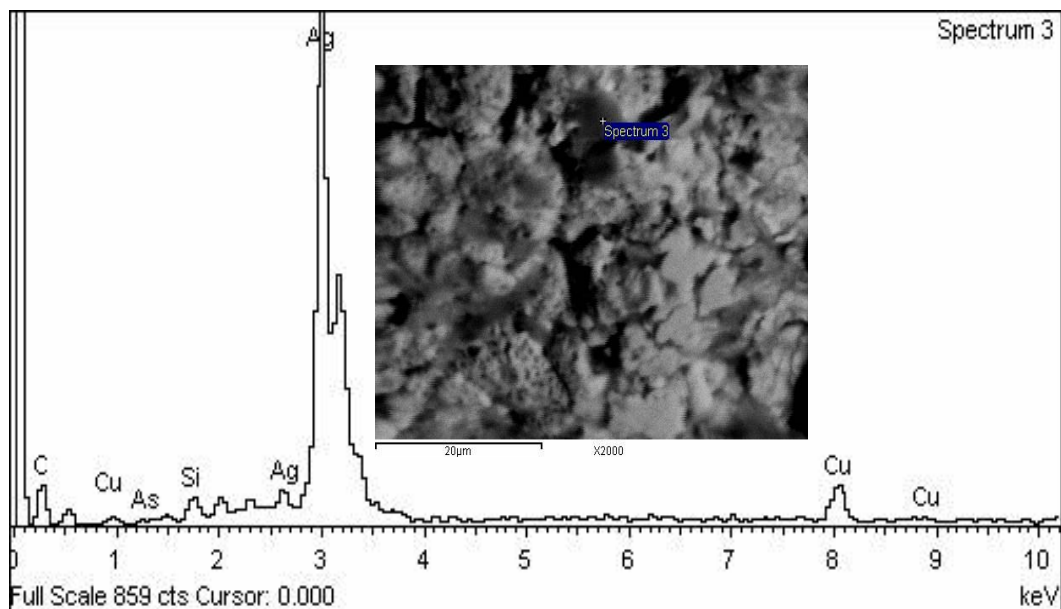


Figure (3) SEM image at magnification 2000x of silver and copper alloy shows the metal surface etched and porous; SEM-EDX pattern shows the alloy consists of 21.81% carbon, 1.92% silicon, 8.12% copper, 0.19% arsenic, and 67.96% silver.

Figure (3) with a magnification of 2000x shows another area of the object surface, EDS of the sample reveals that it consists of 21.81% carbon, which represents the adhesive agent used to adhere the sample to the device holder, 1.92% silicon, which represents one of the corrosion products, and 8.12% copper, 0.19% arsenic, and 67.96% silver, they represent the composition of the object alloy.

3.2 X-ray diffraction (XRD)

Figure (4) shows the X-ray diffraction pattern of the sample, the major is silver, the minor is copper, and they represent the components of the object alloy, corrosion products represented in minerals Cuprite Cu_2O , silver oxide Ag_2O and Paratacamite $\text{Cu}_2\text{Cl}(\text{OH})_3$.

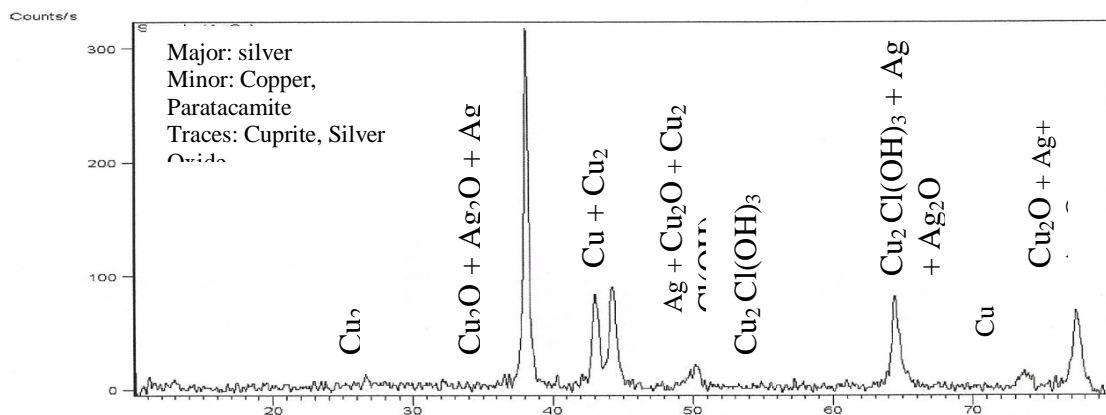


Figure (4) shows the X-ray diffraction pattern of the sample, the corrosion products represented in minerals Silver Ag, Copper Cu, Paratacamite $\text{Cu}_2\text{Cl}(\text{OH})_3$, Cuprite Cu_2O , and silver oxide Ag_2O .

3.3 Analysis by Using ICP

The study and analysis by use ICP enables us to identify the components of the object alloy, and the techniques used in the smelting the metals. Table (1) shows the alloy consists of silver and copper. The percentage of the minerals are 21.9% silver, 64.7% copper, 2.64% Arsenic, 1.85% tin, 0.16% lead, and 0.0% antimony. Table no.1 shows the elements ratio% by ICP-OES.

Element%	Ag %	Cu %	As %	Sn %	Pb %	Sb %
Ratio	21.9	64.7	2.64	1.85	0.16	0.00

The variation ratio between silver and copper in the samples that examined by using SEM and analysis by using ICP; due to the portion of the sample which examined by using SEM is a part of surface object, which content a high percentage of corrosion products and silver, while the part which analyzed by using ICP represents part of the object alloy, which represents the true proportion of minerals in the alloy.

4. TREATMENT PROCESSES

Different cleaning strategies considered, with special regard for mechanical and chemical methods; these should be suitable to remove the thick layers of corrosion products which hide most of the surfaces, thus preventing their readability.

After removing a webbing; and jaw for easy cleaning without damaging the webbing, it can study the metal belt through the examination and analysis, we can identify corrosion products and metal alloy, so it is easy to clean and treatment.

Mechanical cleaning was used due to the possibility of better controlling the cleaning level. Optical aids for the magnification of the concerned areas extensively used. A mechanical and chemical combined cleaning was used for those areas with alternate stratification of corrosion products, which particularly delicate due to the small dimensions and thin lamina.⁽¹²⁾

The majority of silver objects recovered from archaeological contexts require only limited treatment. In most instances, the various corrosion products can remove with simple chemical solutions.⁽¹³⁾ For base silver with copper corrosion compounds (as the metallic object), concentrated ammonia effectively cleans all copper compounds from the silver. Care must take, however, because ammonia dissolves silver chloride and will substantially weak badly corroded silver.

Metallic copper films can be removed with a silver nitrate solution,⁽¹⁴⁾ and then we removed the products residues by rinsing in distilled water and ethanol; drying with infra-red lamps; final

12- Olsoufieff, A., Alessandri, O., an approach to the conservation of deeply corroded archaeological silver: the polos from crucinia, proceeding of metal, national museum of Australia Canberra ACT, 4 – 8 October, 2004, P. 263.

13- Plenderleith, H., Werner, A., the conservation of antiquities and works of art, University press, Oxford, 1971, P. 239.

14- Hanlan, J., The Scanning Electron Microscope and Microprobe: application to conservation and historical research in ICOM committee for conservation, 4th Triennial Meeting, Venice, 13 -18 October, ICOM Paris, 1975, p. 6.

protection of object surfaces with 4 percent Paraloid B 72 in acetone.⁽¹⁵⁾

After treatment and maintenance procedures, the writings and inscriptions hide under the corrosion products became clear, fig. 5(A₁, A₂, B₁, B₂, C₁, C₂) show three coins.

The first coin in the front surface was written (hit in Constantinople 1255), and in the behind surface engraved seal of Sultan Mohamed Abed al Hammed Khan.

The second coin in the front surface was written (Sultan Mohamed Abed Al Hammed Khan of the Emirate of Egypt in Constantinople 1223), and in the behind surface wrote (Sultan Al Din and Hakim Bahrain Sultan bin Sultan).

The third coin in the front surface was written (hit in Constantinople 1223), and in the behind surface engraved seal of Sultan Mohamed Abed Al Hammed Khan. These inscriptions repeated on the coins. Figure 6A, B shows the metal belt after treatment.

Sultan Mohamed Abed Al Hammed appointed in 1223 AH, he is a Thirty-Sultan in the order of the Ottoman state, and the country became progress of civilization, he died in 1255AH-1839AD^{(16) (17)(18)}

15- Olsoufieff, A., Alessandri, O., Ferretti, M., an approach to the conservation of deeply corroded archaeological silver: the polos from crucinia, proceeding of metal, national museum of Australia Canberra ACT, 4 – 8 October, 2004, P. 263.

16- Shaw, E., Shaw, S., History of the Ottoman Empire and modern turkey, Cambridge University press, 1977.

17- Brown, L., Imperial Legacy: The Ottoman Imprint on the Balkans and the Middle East, Columbia University Press, New York, 1996.

18- Shaw, S., Cetinsaya, G., Ottoman Empire Oxford Islamic studies online, Oxford university press, 2013.

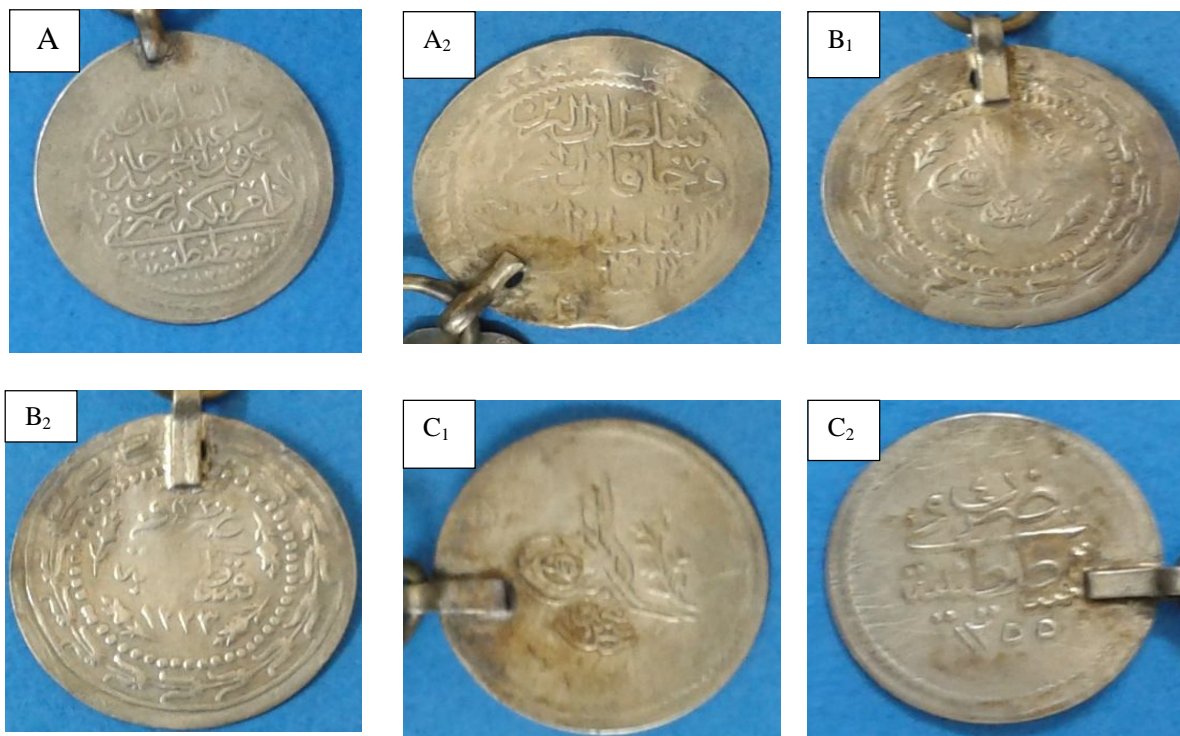


Figure 5 (A₁, B₁, C₁) show the front faces of three coins, and (A₂, B₂, C₂) show the behind faces of the same coins after treatment.

5. DISCUSSIONS:

Alloys of silver with copper have impurities; the principal impurities in the silver-copper alloys are tin, arsenic and lead. ICP results revealed the alloy contained about 1.85% tin, 2.64% Arsenic, 0.16% lead, and 0% antimony.

Ancient artisans could make copper- silver alloys directly by smelting the copper ores containing silver minerals. The resulting alloys would expect to contain less than 20% silver along with the antimony that commonly accompanies the silver minerals. However, the higher silver content and the absence of antimony in the objects against direct alloy production. Instead ancient artisans

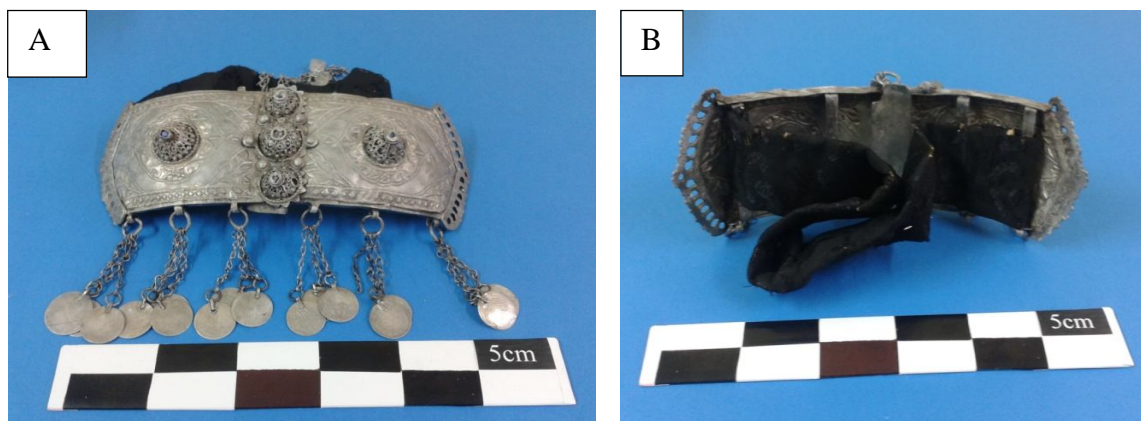


Figure 6 (A, B) shows the metal belt after treatment.

probably melted silver and copper metal stock together in the desired proportions to make their alloys. ⁽¹⁹⁾

The silver used by the ancient metal workers could smelt from silver ores containing minerals such as silver chloride (AgCl) and argentite (Ag_2S). If these ores were free of lead the resulting silver would have a lead content less than 0.05%. The lead content in the artifacts analyzed is as high as 0.9%. Lead used as a solvent in silver smelting. ⁽²⁰⁾ Additionally, silver may have smelt from silver-rich lead ores composed of minerals such as of cerussite (PbCO_2) or galena (PbS).

Cupellation to recover the silver from the lead would result in a residual lead content of 0.2% or more in the product. ⁽²¹⁾ We can interpret this as evidence that artisans smelted lead silver or lead ores, and refined the resulting silver by cupellation. It would expect to have a much lower tin content than it does since cupellation

19- Gordon, R., Knopf, R., Late horizon silver, copper and tin from Machu Picchu, Peru, *Journal of Archaeological Science*, 2007, 34, PP. 38 -47.

20- Percy, J., *Metallurgy, silver and gold – part J*. John Murray, London, 1980, P. 504.

21- Meyers, P., *the production of silver in antiquity: ore types identified based on elemental compositions of ancient silver artifacts, pattern and process*, Smithsonian Institution, Suitland, 2003, PP.271 – 280.

reduces the tin content to well below 0.2%. It is likely, then, that the tin and arsenic found in the artifacts entered the alloy with the copper used rather than the silver. ⁽²²⁾

CONCLUSION:

Alloys of 25% to about 30% silver with copper are the most common among the artifacts, but objects containing 80% or more silver are also found. The principal impurities in the silver- copper alloys are tin, arsenic, and lead. The absence of antimony indicated that probably melted silver and copper metal stock together in the desired proportions to make their alloy. The lead content of the silver-rich constituent indicates that the silver in the alloys made by cupellation.

When silver smelting from ores free from lead, such as argentite and cerargyrite, the ratio of lead is less than 0.05%, but if there is more 0.2% lead as the topic of the research, the silver extracted from ores of lead, such as cerussite or galena.

When treating base silver with a significant amount of copper, it is the copper and its corrosion products that can create problems; in these cases, the artifact should be treated as copper.

ACKNOWLEDGEMENTS

The author is grateful acknowledges the help of Mohamed Allay Al Din the general manger of Agricultural Museum and all the assistants, also, the central metallurgical research and development institute for facilitate analysis by using ICP.

REFERENCES

- Ban-Han, M., Abed-Allah, R., Archeometallurgical finds from, Northern Jordan: Micro structural characterization and conservation treatment, Journal of cultural Heritage, 2012, 13.
- Brown, L., Imperial Legacy: The Ottoman Imprint on the Balkans and the Middle East, Columbia University Press, New York, 1996.

22- Gordon, R., Knopf, R., Late horizon silver, copper and tin from Machu Picchu, Peru, Journal of Archaeological Science, 2007, 34, PP. 38 -47.

Daniels, V., Analyses of copper – and bees wax – containing green paint on Egyptian antiquities, studies in conservation, 2007, 52, 13-18.

Gordon, R., Knopf, R., Late horizon silver, copper and tin from Machu Picchu, Peru, Journal of Archaeological Science, 2007, 34, 38 -47.

Hamilton, D., Methods of conserving archaeological material from underwater sites, A&M University, Texas, 1999, 80-83.

Hanlan, J., The Scanning Electron Microscope and Microprobe: application to conservation and historical research in ICOM committee for conservation, 4th Triennial Meeting, Venice, 13 -18 October, ICOM Paris, 1975.

Hauptman, A., the archaeometallurgy of copper: evidence from Feinan, Jordan, Springer – verlag, Berlin, Heidelberg, 2007.

Jenkins, R., Snyder, R., Introduction to X- ray powder diffractometry, Wiley & Sons, New York, 1996.

Loaned, E., Loaned, A., Rusu, D., Doroftei, F., Surface investigation of some medieval silver coins cleaned in high – frequency cold plasma, Journal of cultural Heritage, 2011, 12.

Lanzano, T., Bertram, M., De Palo, M., Wagner, C., Zyla, K., and Graedel, T., The contemporary European silver cycle, Resources, conservation and recycling. 2006.

Meyers, P., the production of silver in antiquity: ore types identified based on elemental compositions of ancient silver artifacts, pattern and process, Smithsonian Institution, Suitland, 2003.

Olsoufieff, A., Alessandri, O., and Ferretti, M., an approach to the conservation of deeply corroded archaeological silver: the polos from crucinia, proceeding of metal, national museum of Australia Canberra ACT, 4 – 8 October, 2004.

Percy, J., Metallurgy, silver and gold – part J. John Murray, London. 1980: 504.

Plenderleith H, Werner A. the conservation of antiquities and works of art, university press, Oxford, 1971.

Sera, A., Menno, G., Filippo, E., Vitale, R., Sarcinelli, G., Calcagnile, L., Quarto, G., Giovannelli, G., Bozzini, B., and

Sicilian, A., Unusual coin from the parabita hoard: combined use of surface and micro- analytical techniques for its characterization, Journal of cultural Heritage, 2012.

Shaw, E., Shaw, S., History of the Ottoman Empire and modern turkey, Cambridge University press, 1977.

Shaw, L., The Oxford History of ancient Egypt, Oxford University presses, 2000.

Shaw, S., Cetinsaya, G., Ottoman Empire Oxford Islamic studies online, Oxford university press, 2013.

Welna, M., Madeja, A., and Pohl, P., Quality of the trace element analysis: sample preparation steps, Wroclaw University of technology, Poland, 2012.

Die Männer auf Papyrus Turin 55001

Dr . Magda Abdalla¹

Abstract:

Der Papyrus 55001 in Turin wurde von J.A. Omlin² publiziert. D. Kessler hat ihn in einem Artikel als Illustration des königlichen Neujahrsfestgeschehens, jrj.t-hrw-nfr „Verbringen des schönen Tages“, interpretiert³. Zu der Herkunft der in diesem Papyrus dargestellten Männer möchte ich eine neue Interpretation vorstellen.

Einleitung

In den erotischen Darstellungen dieses Papyrus zeigen sich unterschiedliche Männer zusammen mit Frauen in erotischen Szenen⁴. Diese Motive wurden bereits mehrfach bearbeitet⁵. Mein Anliegen ist es, eine neue Interpretation zu den auf dem Papyrus dargestellten Männern und ihrer Herkunft vorzustellen.

¹ Dr Magda A. Abdalla arbeitet als Associate Professor an der Kafrelsheikh Universtiy, Faculty of Arts. Ich bin Prof. Dr. J.F.Quack und meine Kollege Claudia Maderna- Sieben und Jens Fettel für ihre Hilfe bei der Überprüfung dieses Artikels zu Dank verpflichtet.

² Der ramessidenzeitliche Papyrus Turin kam im Jahre 1824 mit der Sammlung Drovetti nach Turin; vgl. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001 und seine Satirisch- erotischen Zeichnungen und Inschriften, Catalogo del Museo Egizio di Torino. Serie Prima Monumenti E Testi, Vol. III, Torino 1971, 17, 25.

³ Nach D. Kessler enthält der Papyrus zwei Arten von Szenen: zum einen tierweltliche und zum anderen erotische. Beide Szenentypen gehören zu einem Fest, vielleicht dem snwt Fest. Die belustigende Wirkung der Szenen wird durch die „verkehrte Tierwelt“, d. h. der „gegen ihre Natur“ handelnden Tiere bei der heiligen Hochzeit erreicht. Auch die Menschen (Wab-Priester, General etc.) handeln entgegen den für sie üblichen Normen. Vgl. D. Kessler, Der satirisch- Erotische Papyrus Turin 55001 und das „Verbringen des schönen Tages“, SAK 15, Hamburg 1988, 196.

⁴ Omlin, Der Papyrus 55001, 32-36, Bild.1-12.

⁵ Omlin, Der Papyrus 55001, 21-26.

1. Die Männer im Papyrus Turin 55001 nach den neuen Bearbeitungen

Obwohl es keine Beischrift gibt, die in dem Papyrus dargestellten Männer näher spezifiziert, glaubt D. Kessler, dass es sich bei den Männern um wab-Priester und einem General mit (fremdländischen) Soldaten handelt, die an einem Fest mit zwei Hathorsängerinnen⁶ teilnehmen. Meiner Meinung nach sprechen allerdings drei Gründe gegen die Annahme, es handele sich um wab-Priester:

Erstens sollen diese Priester jeden Tag die hygienischen Vorschriften und die Waschrituale beachten⁷. Sie sollen „dreimal (täglich) in den Fluss eintauchen, wobei es keinen Unterschied macht, ob es Sommer oder Winter, ob der Himmel stürmisch oder regnerisch ist“⁸. Allerdings gibt es in den Szenen des Papyrus Turin 55001 keinerlei Verbindungen zu Reinheit und Sauberkeit⁹. Es scheint daher unwahrscheinlich, dass wab-Priester in solchen erotischen Szenen erscheinen sollten¹⁰.

Zweitens bedeutet wab „Reiner“. wab-Priester erscheinen immer als „Reiniger“ im Dienste des Königs, sowohl des lebenden als auch des verstorbenen Königs. Sie sind auch als „Reiniger“ im Totendienst, im Tempeldienst und im Opferdienst belegt. Sie sollen also die kultische Reinheit¹¹ und die Reinheitsvorschriften¹²

⁶ D. Kessler, Der Satirisch- Erotische Papyrus Turin 55001, 192-196; in der Inschrift heißt es nur Hsjj.t „die Sängerin“. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 70, 19.

⁷ Z. Sayed Mohamed, Festvorbereitungen, 118.

⁸ Papyrus Sallier I, 7.7. R.A. Caminos, Late-Egyptian Miscellanies, London 1954, 318.

⁹ Vgl. als Beispiel eine Szene, in welcher der Vorlesepriester eine rituelle Reinigung erfährt. J.K. Hoffmeier, Origins of the Tent of Purification, SAK 9, 1981, 172, Abb. 5. Für pr-dwAt “the place of Purification in all ancient Egyptian Temples”. A. M. Blackman, The House of Morning, JEA V, 1918, 162ff.

¹⁰ D. Kessler, Der satirisch-erotische Papyrus Turin 55001, 195-196.

¹¹ Zu Wab-Priestern im Alten Reich; vgl. H. Junker, Giza VI, Wien und Leipzig, 1943, 13-15.

¹² Vgl. Herodot II, with an English Translation by A.D. Godley, London 1960, 317-321, 351;36-37;64. Vgl. Papyrus Anastasi II, in: R.A. Caminos, Late-Egyptian Miscellanies, 54 (7,7).

(Natronkauen, Rasieren des ganzen Körpers (Glatzköpfe¹³), Beschneidung, sexuelle Abstinenz im Dienst¹⁴) beachten. Allerdings zeigen die Männer im Papyrus Turin, die D. Kessler als wab-Priester ansieht zahlreiche Anzeichen von Unreinheit (ungepflegtes Nackenhaar, Bärte¹⁵).

Drittens galt Nacktheit im alten Ägypten für angesehene Leute sowohl bei öffentlichem Auftreten wie auch so darstellen zu lassen als unschicklich¹⁶.

A. von Lieven und A. Bènè vermuten, dass die Männer in Papyrus Turin 55001 die sog. „Glatzköpfe der Hathor“ sind¹⁷. Sie seien Teilnehmer an einem Fest für die Göttin Hathor zusammen mit Frauen, Musik und Alkohol („Bier oder Wein“), weil es im Kult der Göttin Hathor, sie ist „Herrin der Trunkenheit“, erotische Züge gebe. A. von Lieven erwähnt die Beschreibung Herodots des Bubastis-Festes und vermutet die Statuen der „Glatzköpfe für Hathor“ seien ähnliche Männer wie die aus dem Turiner Papyrus, und sie fragt: „Ob es im Rahmen der Feste der Göttin zu rituellen Orgien gekommen sein könnte?“¹⁸ Sie erklärt, diese Männer seien Angehörige einer spezifischen religiösen Gruppierung die als jAs>js „*Chauve*“¹⁹ „

¹³ Vgl. wab-Priester in Opferprozessionsszenen; B. Haring, Die Opferprozessionsszenen in Medinet Habu und Abyos, in: D.Kurth, 3.Ägyptologische Tempeltagung, Systeme und Programme der ägyptischen Tempeldekoration, ÄAT 33;1, Wiesbaden 1995, Abb. 2- 7.

¹⁴ W. Helck, Priester, LÄ IV, 1982, 1091;84.

¹⁵ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 51,52; Taf. I, V, IX, XVI, XVII.

¹⁶ J.F. Quack, Das nackte Mädchen im Griff halten. Zur Deutung der ägyptischen Karyatidenspiegel, WdO 33, 59.

¹⁷ A. Bénè, Les „*chauves*“ de la déesse Or, CdÉ 75 (2000), 27 ff.. A. von Lieven, Wein, Weib und Gesang – Rituale für die Gefährliche Göttin, in: C. Metzner-Nebelsick u.a. (Hrsg.), Rituale in der Vorgeschichte, Antike und Gegenwart. Neue Forschungen und Perspektiven von Archäologie, Ägyptologie, Altorientalistik, Ethnologie, Theologie und Religionswissenschaft. Interdisziplinäre Tagung vom 1.-2. Februar 2002 in Berlin (Rhaden/WesTaf.2003), 52-53.

¹⁸ A. von Lieven, Wein, Weib und Gesang – Rituale für die Gefährliche Göttin, in: C. Metzner-Nebelsick u.a. (Hrsg.), Rituale in der Vorgeschichte, Antike und Gegenwart, S.49,fn.10, 51-53.Herodotus II,347;60.

¹⁹ A. Bénè, Les „*chauves*“ de la déesse Or, CdÉ 75 (2000), S. 26-28.

Glatzköpfe der Hathor“(jAs n Hw.t-Hrw)²⁰ bezeichnet werden. Auch die Rolle der Rhythmusinstrumente (Sistrum, Menit und Lyra), die das „wichtigste Requisite der Göttin Hathor im regulären Kult“²¹ seien, haben meiner Meinung hier ihre Rolle im Tanz der Frauen vor den Männern²².

Aber obwohl die wab-Priester glatzköpfig waren, waren sie dennoch gut gepflegt und bartlos²³. Anders die im Papyrus Turin dargestellten bärtigen und ungepflegten Männer mit wirrem Haar²⁴. Des Weiteren wurde Nacktheit in Ägypten für angesehene Leute als unschicklich angesehen. Nackt in der Öffentlichkeit aufzutreten war schamlos²⁵. Auch die sexuelle Beziehung zwischen den alten Ägyptern und schamlosen Frauen war verabscheuenswert im alten Ägypten. Viele Stellen in der altägyptischen Literatur warnen vor solchen Handlungen.²⁶

²⁰iAs , is,als “Chauve, der Alte” J.J. Clère, Les Chauves d’ Hathor, OLA 63 (Leuven 1995); 6-13.

²¹A von Lieven, Wein, Weib und Gesang- Rituale für die Gefährliche Göttin, 50. A. Béné, Les „chaves“ de la déesse Or, CdÉ 75, 28.

²² Es gibt nur ein Sistrum in Bild 2 und ein weiteres unter dem Stuhl der Frau in Bild 3 und eine Lyra in Bild 11. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, Taf. XI, Bild.; 2; 3; 11. “The Lyre was mainly an instrument played by Women. The God Bes is often represented playing the Lyre”; L. Manniche, Ancient Egyptian Musical Instruments, MÄS 34, 1975, 91.

²³ Vgl. J.J. Clère, Les Chauves d’ Hathor, 101,102,103, 120, 125, Taf. IX, X, Abb.41,43.

²⁴ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 51,52.Taf.I,V,IX,XVI,XVII

²⁵ J.F. Quack, Das nackte Mädchen im Griff halten. Zur Deutung der ägyptischen Karyatidenspiegel, WdO 33, 59

²⁶ Vgl. The Maxims of Ptahhotep; W.K.Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London 2003, 138; 9, 11-13. Vgl. The instruction of Ankhsheshonq; M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, A Book of Reading, Vol. III, London 1980, 176 (21;18,19), (22;6), 179 (25;21;22).

So glaube ich, dass die Männer Fremdarbeiter sind²⁷, die als Sklaven²⁸ oder Gefangene nach Ägypten²⁹ gekommen sind. Das erklärt auch, warum sie keinen Schmuck tragen, sondern das einfache Dreiecktuch.³⁰ Vermutlich hat der Titel eines Militärschreibers³¹ des Königs und Vorsteher der Soldaten auf dem verso hinter Tafel XI.12³² keine Beziehung zu den Szenen auf dem

²⁷ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 51, Taf. XI.

²⁸ Im alten Ägypten: "Enslavement may be due to capture, birth, or voluntary entry into servitude. In the New Kingdom thousands of slaves served as soldiers in Egyptian Army or as slaves in the temples" Abd el-Mohsen Bakir, Slavery in Pharaonic Egypt, Supplément ASAE, Cahier 18. Le Caire 1952, 109-115.

²⁹ Seit dem Alten Reich arbeiten die Kriegsgefangenen als Soldaten in der ägyptischen Armee. Vgl.: Lebensgeschichte des Uni. K. Sethe, Urkunden des alten Reichs, Leipzig, 1903, I, 101;10-16. Es gibt auch Truppen aus Yam oder Nehsyw im Alten und Mittleren Reich. Im Neuen Reich kommen viele Truppen aus Asien und Nubien. Vgl. Magda Abdalla, The Foreign Captives in ancient Egypt, unpubl. Diss. Cairo University 2000, 127-129, 135, 137, 139-140, 144; W.C. Hayes, The Scepter of Egypt, Part II, Cambridge, a 116; Bakir, Slavery, 111. Zur Fremdarbeit im Neuen Reich vgl.: W. Helck, Fremdarbeit & Freude im Ägyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend v. Chr., Wiesbaden 1971, 342-350. Seit der 18. Dyn. gibt es eine große Zahl von Asiaten in Ägypten, die als Kriegsbeute oder auf Sklavenmarkt erworben wurden. Zur Zeit Ramses' II. kamen zahlreiche Kriegsgefangene aus Nubien, Libyen und Asien. Vgl. A. Loprieno, Der Sklave, in: S. Donadoni, Der Mensch des Alten Ägypten, Main 1992, 243; E. Bresciani, Der Fremde, in: Donadoni, Der Mensch, 277. Texte aus dem Neuen Reich, die von den Kämpfen am Anfang der 18 Dyn. berichten zählen erbeutete Kriegsgefangene auf, die dem König als Sklaven übergeben wurden, darunter viele aus Syrerin oder Nubien. Vgl. W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend v. Chr., Wiesbaden 1962, 342ff., 359ff.; K. Zibelius, Afrikanische Orts und Völkernamen in hieroglyphischen und Hieratischen texten, TAVO, Wiesbaden 1972, 120-121.

³⁰ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 70.

³¹ Die Militärschreiber im Neuen Reich schrieben die Feldzugsberichte, um die Beute, Tribute und Gefangene zu registrieren. Sie sollten die Fremdsprachen beherrschen und sich in der Geographie der Nachbarländer gut auskennen. Sie spielten in dieser Zeit eine Rolle im internationalen diplomatischen Sprachverkehr, in dem die Staatsregierungen Vorderasiens und Ägyptens miteinander korrespondierten. A. Schlott, Schrift und Schreiber im Alten Ägypten, München 1989, 218-225, Abb. 107. Vgl. wie der Militärschreiber sitzt in der Nähe der Kriegsgefangenen um diese zu zählen; G.Th. Martin, The Memphite Tomb of Horemheb, Commander-in-Chief of Tut'anhamūn I, The reliefs, inscriptions, and Commentary, London 1989, 79 ff., Taf.87, 88, 91, 93.

³² Die Nummer der Bilder entspricht hier der Nummer bei J. A. Omlin: vgl. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, Taf.XI;12.

recto dieses Papyrus³³. Meiner Ansicht nach handelt es sich bei den hier dargestellten Männern um Ausländer³⁴.

2. Die Beschreibung der Männer in diesem Papyrus

Ich stimme mit Omlin in seinen Ansichten über den Vergleich der Köpfe überein. Er hat drei Typen festgestellt, erstens den Hakennasentyp (Bild 1 und 2), zweitens den kleinköpfigen Stupsnasentyp (Bild 3, 5[?], 8, 10 und 12) und drittens den dickköpfigen Sattelnasentyp (Bild 11).³⁵ Die Darstellungen in den Bildern Nr. 4, 6, 7 und 9 kann Omlin nicht zuordnen. Außerdem gibt es auch einen kleinen Mann, einen Zwerg, als Diener der zwei vor ihm spazierenden Frauen.³⁶ Weiter bemerkt Omlin, daß es viele Träger einer Stirnglatze gibt und er findet es schwierig zu entscheiden, ob die dargestellten Männer im Papyrus 55001 Syrer oder Ägypter sind³⁷.

Wir kennen ähnliche Darstellungen von Männern aus verschiedenen Szenen in zahlreichen Gräbern³⁸ und Tempeln.³⁹ Die

³³ Es gibt hinter Bild. 12 einen Titel „Wedelträger zur Rechten des Königs, Schreiber des Königs, Vorsteher der Soldaten“, und hinter Bild 9 ein Wort als km.t „Ägypten“ und hinter Bild 8 stehen vier kurze Zeilen, die aber für J.A. Omlin nicht klar zu lesen sind. Vgl. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 70; B. Verso; D. Kessler, Der satirisch- erotische Papyrus Turin 55001, 173. Vielleicht gehörte dieser Papyrus einem Schreiber, der seine Titel in großen Zeichen auf das Verso geschrieben hat, das Wort km.t „Ägypten“ steht zusammenhangslos. Es könnte, wenn auch ohne Indiz, sein, dass das Rekto von einer anderen Person, vielleicht einem Ausländer gezeichnet wurde.

³⁴ Vielleicht gelangte der Papyrus in den Besitz eines Ausländers, der diese Szenen gemalt hat.

³⁵ Diese Nr. für Bilder in J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 51,52, Taf. XI.

³⁶ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 32, 33, 50, Taf. XI. Bild.2. Nach Meinung von V. Dasen ist er Kind, s. V. Dasen, Dwarfs in Ancient Egypt and Greece, Oxford 1993, 144, 145, Abb. 9.25(E 81).

³⁷ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 51, Taf. XI.

³⁸ Als Beispiel: N. de G. Davies, The Tomb of Puyemre at Thebes, New York, 1922, Taf. XII, 2. Register, XV, XVII. Für Kriegsgefangene aus Nubien vgl. G.T. Martin, The Hidden Tombs of Memphis, New Discoveries from the time of Tutankhamun and Ramesses the Great, London 1991, 68, 70, 71; figs. 31, 35, 36-42.

³⁹ Beispiele für fremde Sklaven aus Nubien mit Glatzen begegnen im Luxor-Tempel “the festival procession of Opet in the colonnade hall where the celebrants accompanying the=

Glatzen könnten ein Hinweis darauf sein, daß es sich um (Kriegs-) Gefangene handelt, die mit dem mnS „Königsring“⁴⁰ als Brandzeichen⁴¹ auf ihrem Kopf markiert wurden.⁴²

Eine Gruppe dieser Männer scheinen Asiaten⁴³ zu sein, da sie semitische Gesichtszüge haben.⁴⁴ Sie ähneln den Sklaven im Grab

=procession of the ceremonial barges from Luxor to Karnak”; The Epigraphic Survey, Reliefs and inscriptions at Luxor temple – Vol. 1, Pls. 1-128. The Festival Procession of Opet in the Colonnade Hall, with translations of Texts, Commentary, and Glossary, OIP 112, Chicago 1994, 35, Pls. 68, 91.

⁴⁰ Vgl. Papyrus Harris 77,6: “Ich gab ihnen (scil. den Gefangenen) Oberste der Bogenschützen und Stammesgröße, mit dem Stempel gebrannt, zu Sklaven gemacht und mit dem Königsring gestempelt auf meinen Namen“. W. Spiegelberg, *Miszellen*, ZÄS 43, 1906, 158. Ab als „marquer au fer rouge“ H. Wild, *Statue de Hor-Néfer au Musée des Beaux-Arts de Lausanne*, II. Invocation au Dieu (Khonsou?), BIFAO 54, 1954, 200.

⁴¹ Als Beispiel: Papyrus Anastasi V iw.tw Abw nAy=sn Smsw “refers to the branding of war-prisoners at the close of the campaign, of whom some become attendants of the soldiers who had captured them. Others were made into slaves of the Pharaoh or of the gods”. R. Caminos, *Late-Egyptian Miscellanies*, London 1954, 230 (Papyrus Anastasi V, 7, 6). Vgl. auch eine Stele im Raum F in Abusimbel. Großer Tempel Dyn. XIX. LD III, Bl. 194;36. Ramses III sagt im Papyrus Harris I, er habe seine Kriegsgefangene und deren Frauen und Kindern mit seinem Namen gebrandmarkt. Auch im Babylon haben die Sklaven Brandmarken auf Ohren und Händen; vgl. Abd. El Mohsen Bakir, *Slavery*, in: *Supplément ASAE* 18, 110, Anm. 1.

⁴² Abw, Ab.t Gerät zum Einbrennen, vielleicht wurden die Kriegsgefangenen seit dem NR auf die Stirn oder Kopf gebrandmarkt; vgl. A. Eggebrecht, *Brandstempel*, LÄ I, 850-851. Vgl. Abd del-Mohsen Bakir, *Slavery in Pharaonic Egypt*, in: *Supplement ASAE*, Cahier 18, 110. Manchmal gibt es Brandstempel auf der rechten Schulter der Kriegsgefangenen; vgl. H. Nelson, *Medinet Habu (1924-28)*, Chicago 1929, 34, 35, Abb. 25. Ich vermute, daß auf diesen Stempeln Abbildungen der Kriegsgefangenen und manchmal auch der Name des Königs dargestellt waren; vgl. Magda Abdalla, *The Foreign Captives in Ancient Egypt*, 120, 142; D.B. Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in ancient times*, Princeton 1992, 221, 223. Vgl. auch J.E. Quibell, *Hierakonpolis, Part I*, London 1900, 7, Taf. XV.

⁴³ Vielleicht handelt es sich um aApiru, westsemitische Nomaden, die in der Zeit Amenhotep II. um 1600 v. Chr als Kriegsgefangene nach Ägypten gebracht wurden; vgl. Magda Abdalla, *The Foreign Captives in Ancient Egypt*, 36-39. Den Mari-Tafeln zufolge konnten die Habiru unter den westsemitischen Nomaden rekrutiert werden; vgl. J.R. Kupper, *Northern Mesopotamia and Syria*, CAH II, part 1, 1978, 27; R. Givon, *Hapiru*, LÄ II, 952-955. Amenhotep II. erwähnt in einer Liste von Gefangenen 1600 aApiru. Thutmosis II., Thutmosis III. und Setos I. führten Krieg gegen die Apiru. Auch Merenptah hat mit Israel Krieg geführt; vgl. A.J. Spalinger, *War in Ancient Egypt*, Oxford 2005, 144, 145, 192. Israel war während der Zeit des Merenptah vermutlich keine nomadische, sondern eher eine landwirtschaftlich geprägte Gesellschaft; vgl. M.G. Hasel, *Domination and Resistance, Egyptian Military Activity in the Southern Levant, ca. 1300-1185 B.C.*, Leiden / Köln 1998, 202-203; F.J. Yurco,=

Chaemwese (Nr. 261)⁴⁵ in Dra abu-Naga⁴⁶, die als Weinbauern⁴⁷ oder in der Zwirnerei tätig sind⁴⁸. Sie haben helle, rötliche Haut⁴⁹, ähnlich wie die Sklaven im Grab des Puyemre⁵⁰. Alle haben Glatzen⁵¹

=Merenptah's Canaanite Campaign, JARC XIII, 1986, 190 ff.; Abb. 5. Zu den Apiru im Neuen Reich; vgl. D.B. Redford, Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times, 170ff, 179, 181.

⁴⁴ Das Grab des Khaemweset 261, Draa Abu el Naga, Dyn. XVIII. PM.I;1, 344,Nr. 261. E. Mackay, Note on a New Tomb (No. 260) at Draa Abu'L Naga, Thebes, JEA 3, London 1916, 125, 126, Taf. XIV, XV.

⁴⁵ Die Szene zeigt "a small vineyard and a group of rope-makers, there are two kneeling figures under the vine on the left of the picture is painted entirely black, represent a Sudanese, negroid type, and other two labourer under the vines on the right and also the man who is pouring water into the trenches, wear long hair at the back of the head while the scalp above the forehead is closely shaven, the figure to the extreme right also wears a beard". Mackay sagt nur „foreign Origin“ ohne diesen näher zu definieren; vgl. auch die Asiaten in dieser Szene, die Seile herstellen; E. Mackay, Notes on a New Tomb (No. 260) at Draa Abu'L Naga, Thebes", JEA 3, (1916), 125, 126; Taf. XIV, XV.

⁴⁶ PM.I;1, 344, Nr. 261;1.

⁴⁷ M. Stead, Egyptian Life, British Mus. 1987, 31, Abb. 41. Meiner Meinung handelt es sich bei dieser Gruppe nicht um Apiru, sondern um Sklaven, die als „Winzer“ arbeiten. In der Szene im Grab von Puyemre TT 39 haben sie hamitische Gesichtszüge und dunkle Hautfarben; vgl. T. Säve- Söderbergh, The aprw as Vintagers in Egypt, OrSu 1,1952, 1-14. Vgl. aber N. de G. Davies, The tomb of Puyemre, Taf. XII, XIII, XVII.

⁴⁸ Zur „Zwirnerei“; vgl. L. Klebs, Die Reliefs und Malereien des Neuen Reiches,183, Abb. 118.

⁴⁹ Norman de Garis Davies sagt: "they are perhaps among the fen-lands. These men have been held to be foreign Slaves, but closer examination shows that the impression of strangeness is almost entirely due to the alteration in the hair on the head and face". Norman de G. Davies, The Tomb of Puyemre at Thebes, Vol. I, New York 1922, 63. Taf. XII, XV, XVII, XVIII, XIX, XXIII, XXVIII. Diese Fremden erscheinen auch in Grab TT52 aus der Zeit Thutmosis IV. und Amenhotep III.; vgl. M. R. Jansen und J. Janssen, Getting Old in Ancient Egypt, 21.

⁵⁰ "The Second Prophet of Amun in the reign of Thutmosis III (TT39), the Count, Royal Chancellor, Temple Father" und andere Titel; vgl. Norman de G. Davies, The Tomb of Puyemre at Thebes, Vol. I, 28-31, 63, Taf. XII, register 2, XV, XVII, XVIII, XIX. Vgl. auch den Mann in Bild 2 bei J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 32, 51, 52, Taf. I; N. De G. Davies, The Tomb of Nakht at Thebes, New York 1917, 60-66; Taf. 18, 19, 21, 22, 23, 26.

⁵¹ M. Rosalind und J.J. Janssen glauben, daß die Glatzen in Zusammenhang mit dem Alter stehen: „They are herdsmen and artisans, and their age is indicated by a bald forehead, in some cases with a tuft of hair in front while the remaining locks fall untidily to the nape of the neck.“; vgl. M. Rosalind and J.J. Janssen, Getting old in Ancient Egypt, London 1996, 20, 21, Abb.8. Aus dem Alten Reich (Grab des Nefer und des Kahai, Saqqara, 5. Dyn. um 2400 v. Chr.,vielleicht kurz nach der Zeit des Königs Sahure entstanden)sind fremdländische Arbeiter=

und die bemerkenswerte Nase⁵², also dieselben Züge wie die Männer des Papyrus Turin⁵³, die wir in den Bildern XI Nr. 1, 3, 8, 9 und 11 wieder finden. Ich glaube, daß einer von diesen Männer ähnlich dargestellt ist wie die Kanaanäer aus Syrien in den thebanischen Gräbern⁵⁴, nämlich der im Bild XI, Nr. 2⁵⁵. Die anderen in Bild XI.4-6, 10, 12 dargestellten Männer scheinen aus Nubien zu stammen.⁵⁶ Sie tragen die Schurze, die das übliche Bekleidungsstück dieser Personen sind. Zwei dieser Männern haben

=mit Glatzen bei der Papyrusernte bekannt; vgl. H. Altenmüller, Flachbildkunst der Frühzeit und des Alten Reiches, in: C. Vandersleyen, Das Alte Ägypten, in: K. Bittel (Hg.), Propyläen Kunstgeschichte, Band 15, Berlin 1975, 279, Abb. XX. "Other workmen or herdsman have a forehead" A.M. Moussa and H. Altenmüller, The Tomb of Nefer and Ka-Hay, Av 5, Mainz am Rhein 1971, 21, 27, 28, Taf. 5, 22a, 23. Zu nubischen Gefangenen mit Glatzen im Grab des Horemhab aus der 18. Dynastie (um 1325 v. Chr.; Bologna Museo Civico); vgl. J. Assmann, Flachbildkunst des Neuen Reiches, in: C. Vandersleyen, Das alte Ägypten, Berlin 1975, 323, = Abb. 305. Vgl. mit der Darstellung von Kriegsgefangenen aus Kusch, G.Th. Martin, The Memphite Tomb of Horemheb, Commander-in-Chief of Tut'ankhamun, 79 ff., Taf. 81- 87, 89, 90, 91.

⁵² N. De G. Davies, The Tomb of Nakht at Thebes, Taf. 22, 32, 26. M. Stead, Egyptian Life, Abb. 41.

⁵³ Zum Beispiel der Mann in Bild 2. J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, 32, 51, 52, Taf. I.

⁵⁴ Vgl. Darstellung des Bringens der Tribute aus Nubien und Syrien im Grab Rekhmire in Theben bei S.H. Hoernes, Leben und Tod im Alten Ägypten, Thebanische Privatgräber des Neuen Reiches, Darmstadt 1991, 129-132, Abb. 54, 55, 56, 57; D.B. Redford, Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Tome, 197, Nr. 5.

⁵⁵ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, Taf. XI. Vgl. G. Wilkinson, Manners and Customs of the ancient Egyptians, Vol. I, London 1878, 245-255. Vgl. auch eine Szene von der Ostwand des Hofes zwischen Pylon IX und X in Karnak von Haremhab, wo dieser Kriegsgefangene aus Syrien und Amurru vor die Götter von Theben führt; W. Wreszinski, Atlas II, Taf. 62. Zu weiteren Darstellungen von Sklaven; vgl. N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi-Ré at Thebes, Vol. I, New York 1943, 55., Vol. II (1943), 54-55, Taf. LVIII 1. Register. Zu Arbeitern mit blonden Haaren und blauen Augen bzw. dunkler Hautfarbe und braunen Augen; vgl. L. Klebs, Die Reliefs und Malereien des neuen Reiches, (XVIII-XX. Dynastie, ca. 1580-1100 v. Chr.) Teil 1, Heidelberg 1934, 161, 162, Abb. 98. Vgl. auch die Ausländer im Grab des Haremhab; J.D. Cooney, A Relief from the Tomb of Horemhab, JEA 30, 1944, Taf. II. (Brooklyn Mus.).

⁵⁶ J.A. Omlin, Der Papyrus 55001, Taf. XI. Bild 7. Zu den nubischen Gesichtszügen; vgl. B.G. Trigger, Nubien, Negro, Black, Nilotic, in: Africa in Antiquity I (1978), 27; H. Junker, The First appearance of the Negroes in History, JEA VII, 1921, 121ff.; W. Hayes, The Glazed Tiles from a palace of Ramesses II at Kantir, New York 1937, Taf. II, Steps, Taf. III, VI; und eine weitere Fayencekachel aus Med. Habu Kario Mus. JdE. 364579.

Ohringe⁵⁷, wie man sie auch bei den Männern im Papyrus Turin finden kann (Taf. XI.10+12)⁵⁸, weiter haben sie die charakteristischen Mandelaugen und dicken Lippen („puffy, their interegumental upper lip often shows a concave profile“)⁵⁹. Die Haartracht entspricht dem Typ A bei R. Drenkhahn. Sie haben eine Frisur bei denen der glatte Haarsaum das Ohr in einem Bogen umschreibt und es unbedeckt lässt, der Haaransatz beginnt auf der Kopfmittle⁶⁰. Sie haben auch die Stirnglatze wie nubische Sklaven, die als Tänzer und Soldaten in den Szenen des Opet- Festes in Luxor Tempel aus der Zeit Amenophis'III. dargestellt sind⁶¹. Diese Art des Haaransatzes erscheint auch bei den Darstellungen der Kuschiten und südlichen Häuptlingen im Grab des Haremhab in Memphis⁶², die als Kriegsgefangene nach Ägypten gebracht werden⁶³. Ich vermute, dass diese auf dem Papyrus Turin

⁵⁷ Vgl. diese Kleidung und Schmuck dieser Personen in: R. Drenkhahn, Darstellungen von Negern in Ägypten, Dissertation zur Erlangung der Doktorwürde der Philosophischen Fakultät der Universität Hamburg, Hamburg 1967, 41, 53, Typ A2, Abb.5.

⁵⁸ Nach J.A Omlin ist nicht zu entscheiden, ob er kleine Ohringe trägt. Obwohl es deutlich zu sehen ist in den Szenen auf Taf. I, Taf. XI;10 und vermutlich auch in Bild12; vgl. J.A.Omlin, Der Papyrus 55001, 36, Taf. I, IX, XI, 10, 12.

⁵⁹ Zu den charakteristischen negroiden Gesichtszügen; vgl. H. Junker, The first appearance of the Negroes in history, JEA 7, 1921, 122.

⁶⁰ R. Drenkhahn, Darstellungen von Negern in Ägypten, 69Abb. 28.Vgl. auch mit. Tributszenen in GrabRechmire TT.100; aus Thutmosis III zeit. N.de.G.Davies, The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes, Vol.II, New York 1943, Taf.XIX, XX.(the Scene in the Hall, on the wall West, South half , second Register).

⁶¹ The Epigraphic Survey, The Festival Procession of Opet in the Colonnade Hall, Reliefs and inscriptions at Luxor Temple, Vol. 1, OIP.112, Chicago 1994, 35, 36, Taf. 68, 91. Vgl. auch die Figuren der nubischen Kriegsgefangenen, die auf einem zeremoniellen Fußschemel des Königs Tutankhamun dargestellt sind; M.V. Seton-Williams, Tutanchamun. Der Pharao, das Grab, der Goldschatz, Luxemburg 1980, 135, Abb. 82.

⁶² E.Braschiani sagt dass:” In the Chapel of Haremhab at Gebel Silsileh, there is a depiction of the triumphant return of an expedition to Nubia, with its procession of prisoners”.E.Breschiani,Foreigners,in: S. Donadoni, The Egyptians , Übersetzung von:R.Bianchi/A.L.Crone/C.Lambert und T.Ritter, London 1997, 232.

⁶³ G.Th. Martin, The Memphite Tomb of Horemheb, Commander-in-Chief of Tut'ankhamun I, The reliefs, inscriptions, and Commentary, London 1989, Scene Nr.69, 78-84, Taf. 82-84, 87, 89-93: “This Scenes on the east Wall, south side , second courtyard”;

dargestellten Männer ausländische Sklaven oder Kriegsgefangene sind, die im Neuen Reich in Ägypten häufig anzutreffen waren⁶⁴. Ich glaube dass ein Maler den Papyrus gezeichnet hat, damit er anderen Männern zum Vergnügen dient, da die Nacktheit der Frauen die Begierde der Männer erweckt⁶⁵.

Zusammenfassung:

Meiner Meinung nach, dürfte es sich bei den Männern, die sich auf Papyrus Turin 55001 dargestellt finden, um eine Gruppe Ausländer handeln. Eventuell waren dies Sklaven oder auch oder Kriegsgefangene, die im Neuen Reich nach Ägypten gebracht wurden. Es könnte sich sowohl um Asiaten als auch um Nubier handeln.

⁶⁴ A. Loprieno, Slaves, in: S. Donadoni, The Egyptians , Übersetzung von: R. Bianchi/A. L.Crone/C. Lambert und T. Ritter, 203-212.

⁶⁵ J.M. Asher-Graves, D. Sweeney, On Nakedness, Nudity, and Gender in Egyptian and Mesopotamian Art, in: S. Schroer (Ed.), Images and Gender. Contributions to the Hermeneutics of Reading Ancient Art, OBO 220, 165:

„Erotic nudity. The totally or partly unclothed body evokes desire or is an object of desire, enhances pleasure“. J.M. Asher-Graves, D. Sweeney, On Nakedness, Nudity, and Gender in Egyptian and Mesopotamian Art, in: S. Schroer (Ed.), Images and Gender. Contributions to the Hermeneutics of Reading Ancient Art, OBO 220, 165.

The Administrative and Historical Importance of Merib's titles

Dr. Mohamed Mahmoud Kacem *

Abstract:

This paper concentrated on the importance of Merib's titles that reflected the administrative and political state at the End of Khufu Reign and the Beginning of Djedefre Reign.

The study is based on the publication of the tomb of Merib in the book of P. Der Manuelian, *Mastabas of Nucleus Cemetery G 2100*, I. *Major Mastabas G 2100-2220*, Boston, 2009. After an introduction on the aims of the study, the article deals with the following points: Firstly, the author concerns with sources, date, location and excavation of Merib's tomb. Secondly, he points out Merib's titles and importance of studying them. Thirdly, the study is devoted to Interpretation of the relation background among Merib's titles into fifth stages according to the supposed order of Merib's titles which took place in his life. Fourthly, it tries to show the royal pedigree relation of Merib and its historic results. Fifthly, it presents an overview of the hypothetical notion about the political relation between Merib together with his coequals and Djedefre. Sixthly, it discusses various aspects of the birth land and the origin of Merib's Family in historical context.

Finally, attention is drawn to sketch the political situation in the light of the culmination of the conflict between the disputed crown princes, and to prove that the royal custom of getting their princesses married with men who did not belong to the royal family, returned to the time of Fourth Dynasty, not only to the Sixth Dynasty as it was known before.

*Ain-Shams University (Cairo - Egypt)

I- Introduction:

The present paper is based on the book of P. Der Manuelian,¹ which publicized new reconstruction of three compounded nucleus cemetery tombs that belong to Merib (G 2100-I) and his family (his mother: G 2100-II and his daughter: G 2101). In addition to that, Der Manuelian's study gives us inscriptions of these tombs, but without a historical interpretation of the titles of the tombs' owners, my study will concentrate on the more important person of that family, he is Merib. However, my research will try to:

- ▶ Connect Merib's titles with the administrative organization and show their effects on the political condition of the period of the Fourth Dynasty.
- ▶ Give a convincing interpretation and extensive comment on the main titles of Merib.
- ▶ Discuss the opinions of some Egyptologists who suggest that the officialdom had risen in the hierarchy of administrative organization of Ancient Egypt from rank to another progressively, without having efficiency or functional specialization, as well as the opinion of those who believe that the son of any official should be appointed as deputy or future successor of his father in ranks, jobs and titles which their total number in use at the Old Kingdom was at least 1600 titles.²
- ▶ Answer the questions which P. Manuelian has asked: Who were original owners of these nucleus cemetery tombs? Were they members of separate branch of the royal families?³
- ▶ Prove that the royal custom of marrying royal princesses to men who did not belong to the royal family dates back to the

¹ P. der Manuelian, *Mastabas of Nucleus Cemetery G 2100, I. Major Mastabas G 2100-2220*, Boston, 2009.

² K. Baer, *Rank and Title in the Old Kingdom. The Structure of the Egyptian Administration in the Fifth and Sixth Dynasties*, Chicago, 1960, p. 160.

³ P. der Manuelian, *op.cit.*, p. 28.

period of the Fourth Dynasty, not only to the sixth Dynasty, as was thought before.

II- Sources: a) Merib's tomb: *LG 24 / G 2100(-I)* annexe.

b) Merib's chapel: Berlin Museum n.1107.⁴

III- Date: Reign of King Khufu (Forth Dynasty).

IV- Name of the Tomb owner:  *Mr-ib* “Merib”.⁵

V- Location and Excavation of Merib’s tomb:

When Khufu ascended to the throne during the period of the Fourth Dynasty, he chose a new location for his pyramid complex at Giza where he constructed the largest pyramid ever built in Egypt, and ordered the erection of rows of tombs which were dedicated to high ranks of officials to the west of his own funeral monument.⁶

Merib’s tomb (stone-built mastaba) is located in the Western Cemetery, which was investigated in 1842 by C. R. Lepsius who had numbered it *LG 24*.⁷ In 1905, under G. A. Reisner's direction, the tomb was renumbered *G 2100-I*, and was identified with other separate tombs as core, or nucleus Cemetery.⁸

VI- The Importance of studying Merib's titles:

The site of Giza Necropolis is one of the most well-preserved and systematically planned. During the Fourth Dynasty, it was dedicated to three kings, namely Khufu (Cheops), Khaefre

⁴ It was excavated in this tomb then removed by Lepsius to Berlin Museum, cf. PM. III, p. 71; K.H. Priese, *Die Opferkammer des Merib*, Berlin, 1984, p. 4.

⁵ *PN*, I, 155 (17).

⁶ P. Janosi, “The Tombs of Officials. Houses of Eternity”, in J.P. O'Neill (ed.), *Egyptian Art in the age of the Pyramids*, New York, 1999, p. 29.

⁷ *LD*. II, p. 18.

⁸ P. der Manuelian, *op.cit.*, p. 3.

(Chephren) and Menkawre (Mykerinos). The textual data from Giza tombs, supply us with the names and titles of such officials as Merib whose titles and Scenes show that he was one of the high ranks of officials in the administration of the state.

The study of Merib's titles is the best way to answer the abovementioned questions, to supply tools to solve some historical problems, and to provide really useful information about the administration of Egypt on the whole and clarified interpretations to some social relations between the kings and their officials. This is due to the fact that Merib's tomb has many complete texts that are kept in a good condition than other texts in other tombs of high ranks of officials that date back the end of Khufu Reign and the beginning of Djedefre Reign.

VII- Titles of Merib:

* Merib's titles related to the contemporary King:



rx-nsw

“Known of the King”⁹



sA-nsw n Xt.f

“King's son of his body”¹⁰



mry n nb.f mrr(w) n nb.f

“Beloved of his lord, whom his lord loves”

⁹ There is another expression of this title: “royal acquaintance”, see W. Helck, *Untersuchungen zu den Beamtentiteln des ägyptischen Alten Reiches*, Glückstadt, 1954, p. 28.

¹⁰ B. Schmitz, *Untersuchungen zum Titel sA-njcwT “Königsson”*, Bonn, 1976, p. 44.

* Merib's titles related to the royal palace administration:



sic

smr

“Companion”



xrp aH

“Inspector of the palace”¹¹

* Titles of vessels administration:



aD-mr wiA

“Administrator of the ship”



xtmw¹²-nĪr BA(w)-nĪrw¹³ _wA-tĀwy

“The seal - bearer of the god of (the ships) Ba-nerjeru and Duwatawy”¹⁴



xtmw-nĪr Nb-rxyt Ba-nĪrw¹⁵

¹¹ M. Barta, “The Title Inspector of the Palace during the Egyptian Old Kingdom”, *Archiv Orientální* 67, 1999, p. 1.

¹² It may be read sDĀwty, which could be translated as “Treasurer”, cf. D. Jones, *A Glossary of Ancient Egyptian Nautical Titles and Terms*, New York, 1988, p. 106; P. Vernus, “Observations sur le titre imy-rĀ xtmt Directeur du trésor”, in S. Allam (ed.), *Grund und Boden in Altägypten. Akten des internationalen Symposions Tübingen 18.-20. Juni 1990*, Tübingen, 1994, p. 251-254.

¹³ B. Schmitz, *op.cit.*, p. 233 (n. 10).

¹⁴ P.-M. Chevereau, “Contribution à la prosopographie des cadres militaires de l’Ancien Empire et de la Première Période Intermédiaire”, *RdE* 40, 1989, p. 6, n. 271.

¹⁵ Or abA-nĪrw, see B. Schmitz, *op.cit.*, p. 233 (n. 11).

“The seal - bearer of the god¹⁶ of (the ships) Neb-rekhyt and Banetrjeru”¹⁷

* Merib's titles related to the central administration:



imy-r kA(w)t nb(w)t (nt) nswt

“Overseer of all construction projects¹⁸ of the king”

* Merib's titles related to the military administration:



imy(y)-r mSa

“Overseer of the army”

* Merib's titles related to the local administration:



wr mD Smaw

“Great one of tens of Upper Egypt”¹⁹

* Merib's titles related to the priesthood:




Xr(y) - Hb

“Lector priest”



snwt(y) Inpw

¹⁶ When this title came in a brief variant , it is transliterated as Der Manuelian suggests xtmty-nlr Haw “seal – bearer of the god of the fleet (or navy)”, see H. Junker, *Giza*, II, Wien, 1934, p. 133; S. Hassan, *Excavations at Giza*, II, Cairo, 1936, p. 105, n. 9; K.H. Priese, *op.cit.*, p. 26, 28; P.-M. Chevereau, *op.cit.*, p. 30, n. 503; P. der Manuelian, *op.cit.*, p.75, 83.

¹⁷ W. Helck, *op.cit.*, p. 95.

¹⁸ There is another translation “Overseer of all works of the king”, see W.A. Ward, *Index of Egyptian Administrative and Religious Titles of the Middle Kingdom. With a Glossary of Words and Phrases Used*, Beirut, 1982, p. 51, n. 401.

¹⁹ There is another translation “Magnante of the southern tens”, see *ibid.*, p. 87, n. 721.

“Who belongs to the *snwt*-utensil of Anubis”²⁰



wt Inpw

“Embalmer of Anubis”²¹



Hm-nIr #wfw

“Priest of (King) Khufu”



r(A) P

“Mouth of Pe”²²



wr mAA lwnw

“Great of seers of Heliopolis”²³

VIII- Interpretation of the relation background among Merib's titles:

Firstly: The relation background between the administrative titles of Merib:

According to Ward, the selection of titles in the strings, as preserved in any tomb, makes it impossible to determine the relationship between every title and another;²⁴ but I do not support

²⁰ Evidently, it may be read Hm; wtj (wtw?) Inpw cf. H. Junker, *op.cit.*, p. 133, 189; or Hts Inpw (?) cf. N. Strudwick, *The Administration of Egypt in the Old Kingdom. The Highest Titles and their Holders*, London, 1985, p. 90, but the latest reading for this title is *snwt(y)-Inpw* depending on the first sign in this title (after the Anubis animal) resembled the fuller's club. See E. Brovarski, “The Priestly Title of Anubis: $\overline{\text{snwt}}$ ”, in: *Hommages à F. Haikal, BdE* 138, 2003, p. 68, 72-73.

²¹ W. Helck, *LÄ* III, col. 911-3, s. v. “Ut-Priester”.

²² It may be read (wr) P “Great one of (the city of) Pe”, see W. Helck, *Beamtentiteln*, p. 19, 23. In 1886, F. Petrie identified the double ancient city of Pe-Dep with Buoto which is located in the modern village of Tell el-Fara'in which is situated in Disuq within Gharbia, and consists of three mound groups covering a total area of 175 acres, see M.V. Seton-Williams, “The Tell El-Farâ'in Expedition, 1964-1965”, *JEA* 51, 1965, p. 9-10.

²³ W. Helck, *op.cit.*, p. 95.









²⁴ W.A. Ward, *op.cit.*, p. 11.

this opinion depending on rearranging the titles like those of Merib in a logical sequence.

It is noted that the ancient Egyptians had a special features that identified their civilization; among those features are the styles of writing the titles strings of high ranks of officials on the walls of tombs. This implies that there was a fixed sequence of titles in the mind of the scribe of the tomb inscriptions; thus, he made selections and relations between titles for each string he wrote.²⁵ In my opinion these titles were arranged in the strings not only according to ranks, but also according to the fact that the title's owner was allowed to flaunt these titles; so that the scribe would choose among them in order to compose multitude strings of titles which were started by honorary ranks and ended by high ranks specially the most important title that the official had during his life. Apparently, the scribe begins with collecting all the official's titles, and then he conflates them together to form them into strings.

As for Merib, we will analyze his titles strings within the differentiation of his careers into 5 stages as follow:

- **First stage:** Merib was appointed aD-mr wiA “administrator of the Navy”.²⁶ I think that the translation of the word wiA does not indicate “the Navy” as whole, that we can observe the following points:

- 1) The sign  may be read    wiA “boat”.²⁷
- 2)     Haw “fleet”.²⁸
- 3) The reading of this word is singular not plural.

²⁵ K. Baer, *op.cit.*, p. 9.

²⁶ *Wb.* I, 240 (7-9); P.-M. Chevereau, *op.cit.*, p. 30; D. Jones, *op.cit.*, p. 71; id., *An Index of Ancient Egyptian Titles, Epithets and Phrases of Old Kingdom*, I, Oxford, 2000, p. 356 (n. 1323).

²⁷ *Wb.* I, 271 (8).



²⁸ *Wb.* III, 39 (14).



Palace”, which indicates that he became a manager of the royal palace.³⁴

- **Third stage:** Merib was appointed *imy-r mSa* which some Egyptologists translated it as “Overseer of the force”,³⁵ or “Overseer of the army”.³⁶

Here, it seems to me that title of Merib “Overseer of the army” did not indicate the whole army, but a specific group of it; this may due to the following reasons:

1) If this title referred to the general of the state army, it must have been joined with the expression *wr* as *imy-r mSa wr* “generalissimo”. However, this did not happen with that title of Merib.

2) The expression  *mSa* indicates singular , not plural .

3) The determinative of this expression indicates watery road  which is not a normal writing of that word:  *mSa*.³⁷

4) D. Jones thought that this title has relation with the constructive works; hence, he translated *imy-r mSa* as “expedition leader”.³⁸

5) H.G. Fischer said that the word “army” seems justified even where *mSa* refers to groups that are not specifically military, for it is sufficiently elastic to be use in a phrase like *mSa n Xrty.w-nIr* “army of stone masons”, and it conveys the basic connotation of the soldier sign which usually appears in the writing of the word, either as ideograph or determinative.³⁹

³⁴ M. Barta, *op.cit.*, p. 5.

³⁵ S. Quirke, “Titles and Bureaux of Egypt 1850-1700 BC”, *Egyptology* 1, 2004, p. 98.

³⁶ P.-M. Chevereau, “Contribution à la prosopographie des cadres militaires du Moyen Empire”, *RdE* 42, 1991, p. 46.

³⁷ *Wb*, II, 155; W.A. Ward, *op.cit.*, p. 29, n. 205.

³⁸ D. JONES, *op.cit.*, p. 142, n. 551.

³⁹ H.G. Fischer, “Scribe of the army in Saqqara Mastaba of the Early Fifth Dynasty”, *JNES* 18, 1959, p. 268.

- 6) The inscriptions of Merib's tomb, in addition to his other titles like “Overseer of all construction projects of the King”, indicate that Merib had a relation with the constructive works.

In my opinion, this title referred to a battalion which had special tasks for constable protection of the ships which were used to transport valuable things like taxes or enormous stones which were needed for erecting the funeral complex of the King. Undoubtedly, Merib had this title because he acquired the royal confidence through his good management of the royal palace, his speciality in transporting, and withal his honesty. A typical feature of the officering of Armed Forces in the Old Kingdom is the fact that an officer may exercise military commands as well as naval.⁴⁰

- **Fourth stage:** Because of the good friendly relation, between him and the people of Upper Egypt, which he established while he was bringing stones and taxes along the River Nile; he was candidated and qualified to get another important rank, it is wr mD Smaw “Great one of tens of Upper Egypt”.⁴¹ Concerning this office, there is good discussion that was made by Fischer who concluded that this office concerns the conscription and supervision of corps of workers.⁴² On the other hand, this office may imply judicial tasks as Helck's View.⁴³ One cannot quarrel with this view as this office maybe has such judicial tasks among the workers themselves. This suggestion could be supported by the other Merib's title such as r(A) P “Mouth of Pe” which indicates judicial tasks too.⁴⁴

⁴⁰ P.-M. Chevereau, “Contribution à la prosopographie des cadres militaires de l'Ancien Empire et de la Première Période Intermédiaire”, *RdE* 40, 1989, p. 36.

⁴¹ W.A. Ward, *op.cit.*, p. 87, n. 721; D. Jones, *An Index of Ancient Egyptian Titles*, p. 388, n. 1437.

⁴² H.G. Fischer, *op.cit.*, p. 266.

⁴³ W. Helck, *op.cit.*, p. 19.

⁴⁴ *Ibid.*, p. 54.

- **Fifth stage:** Certainly, Merib was excelled in his tasks because of his great experience in field of transportation and security; therefore, he was appointed imy-r kA(.w)t nb(.w)t (nt) nswt “Overseer of all construction projects of the King”,⁴⁵ especially in the project of erecting the great pyramid complex. For that reason, he was granted the permission to build a tomb for him in the royal necropolis as a reward.

Now, we can reach an important historical conclusion: The promotion of the officials through the administrative titles and ranks could be related to each other according to the specialization as we have proven by Merib's titles.

Secondly: The relation background of Merib's priestly titles:

Primarily, through the plurality of priestly titles of any official appears the importance of his rank and the extent of his influence in the state. Merib had two groups of high priestly titles:

- ▶ One of them represents priestly titles that related to gods such as wr mAA lwnw “Great of seers of Heliopolis” that related to the god Re. I think that the King Khufu wanted to put Merib at the high rank in the priestly frame; maybe as his eye and ear, who secretly collected and reported information about the political activities of the hierarchy of the Re, the great god of the state. The evidence may support this suggestion is embodied in increasing the new political and mythic influence of Re, the Heliopolitan sun-god, and his hierarchy, on the official affairs and the royal policy. The apparent example was that the Re element had already appeared in several royal names during that time.⁴⁶

⁴⁵ Or “Overseer of all works of the King”, see W.A. Ward, *op.cit.*, p. 51, n. 401; D. Jones, *op.cit.*, p. 262, n. 950.

⁴⁶ V.A. Tobin, “Myth and Politics in the Old Kingdom of Egypt”, *BiOr* 49, 1992, p. 626.

- ▶ The other group represents priestly titles of Merib, which were related to the funeral tasks of the deceased King, Khufu, like the mummification process and the other funeral ceremonies of this King. For instance, Hm-nĪr #wfw “Priest of (King) Khufu”, Xr(y)-Hb “lector priest”, wt Inpw “Embalmer of Anubis” or “Embalmer (as) Anubis”, and snwt(y) Inpw “(Who belongs to the) *snwt*-utensil of Anubis”.⁴⁷

IX- Interpretation of the royal pedigree relation of Merib and its result:

According to Janssen, when anyone is called “son of the king of his body”, this indicates purely an honorary title.⁴⁸ This opinion may explain why Helck argued that the tomb G 2100(-I) did not belong to any member of royal family branches.⁴⁹ On the other hand, Schmitz concluded that during the period of the Old Kingdom, the title sA-nswt (or ... n Xt.f and ... smsw) indicated princes by birth, and was not hereditary to the grandchildren of the king.⁵⁰ However, in the case of Merib who bore this title, we must define whether he had it as an honorary or an actually title. For answering on this, it must concentrate on the following points:

First: We should identify the contemporary King of Merib. There are some points can help us to identify him:

- 1) The only royal name which is added to the titles of Merib always indicates the King Khufu, even the name of the elder son of Merib, whose name #wfw-mr(y)-nĪrw

⁴⁷ W. Helck, *op.cit.*, p. 50-51; E. Brovarski, *op.cit.*, p. 75.

⁴⁸ R.M. Janssen, J.J. Janssen, *Getting Old in Ancient Egypt*, London, 1996, p. 122.

⁴⁹ W. Helck, “Zur Entstehung des Westfriedhofs an der Cheops-Pyramide”, *ZÄS* 81, 1956, p. 28.

⁵⁰ B. Schmitz, *op.c it.*, p. 43-45.

“Khufumerntjeru”, was compounded with the name of the same King.

- 2) The priestly titles of Merib were related only to the name of King Khufu, like Hm-nIr #wfw “Priest of (King) Khufu”.
- 3) Concerning the titles which associated with the title “Inspector of the Palace”, Barta observed that there was a major difference in rank between its holders during the Fourth and Fifth Dynasties. He demonstrated in detail that most of the holders of this title, during the Fourth Dynasty, belonged to the elite of society. Moreover, they usually hold titles like iri-pat “hereditary noble”,⁵¹ HAty-aA “mayor / local prince”,⁵² tAyty tAty sAb “chamberlain, vizier, judge”,⁵³ sDAwty / xtmw-bity “treasurer / seal-bearer of the King of Lower Egypt”,⁵⁴ and sA nswt n Xt.f smsw “King's elder son of his body”.⁵⁵ These titles suddenly disappear from the titularies of Inspectors of the Palace at the outset of the Fifth Dynasty.⁵⁶ Likewise, Merib bore many similar titles of high ranks and central offices; hence, this means that he was nearer the period of the Fourth Dynasty than the Fifth Dynasty.
- 4) Vinson argued that by the Fourth Dynasty, Egypt was a full-fledged nautical power. The shipbuilding skill demonstrable in the funerary boat of Khufu is the eloquent evidence for this.⁵⁷ Furthermore, we could consider Merib's participation in administrating four ships at least as other evidence on flourishing the navy. That may indicate Merib belonged to the period of Fourth Dynasty more than the Fifth Dynasty.

⁵¹ P. Kaplony, *LÄ III*, col. 178, s. v. “iripat”.

⁵² W. Helck, *LÄ II*, col. 1042, s. v. “Hatia”.

⁵³ A. Weil, *Die Weziere des Pharaonenreiches*, Strasburg, 1908, p. 92; H.A. WARD, *op.cit.*, p. 108.

⁵⁴ E. P. Uphill, “The Office sDAwty bity”, *JEA* 61, 1975, p. 250.

⁵⁵ B. Schmitz, *op.cit.*, p. 45.

⁵⁶ M. Barta, *op.cit.*, p. 12.

⁵⁷ S. Vinson, *Egyptian Boats and Ships*, Princes Risborough, 1994, p. 23.

- 5) Barta observed too that the most of the priestly titles that composed of Hm-nIr + god's name occurring in the titularies of “Inspectors of the Palace” are also limited to the period of the Fourth Dynasty. The deities which occur in these titles most frequently are Horus, Seth, Sopdu, Bastet and Anubis.⁵⁸ Likewise, Merib bore some these titles, like wt Inpw “Embalmer of Anubis”, and Hm-nIr #wfw “Priest of (King) Khufu”, which were related to the dead King, Khufu, who was considered at that time as a god, equally in his life or after his death; therefore, he was described as nIr-aA “the great god”.⁵⁹ Accordingly, it is clear that Merib lived during the time of the King Khufu or at the end of his time at most.
- 6) The T-shaped burial shaft was found earlier at Meidum and Dahshur. This style was nowhere else in that tomb. This architectural feature most likely indicates a constructional tradition imported by Khufu or his father Snefru. The transition from the older T-shaped to the newer square burial shafts was seen within that tomb of Merib and its group Cemetery G 2100 itself;⁶⁰ so, the tomb belongs to King Khufu era.
- 7) Merib’s tomb belonged to the cores of Cemetery, consisting of well-laid stone blocks; therefore, they were the oldest among other groups of those tombs that are attributed to the period of Fourth Dynasty.
- 8) Actually, everyone who became powerful enough to leave monuments, whether statues or tombs, was old enough⁶¹. Clearly, it happened at Giza, there were some officials waited a long time before building their tombs, perhaps until they felt that they had reached the peak of their careers,⁶² or they

⁵⁸ M. Barta, *op.cit.*, p. 13.

⁵⁹ See V.A. Tobin, *op.cit.*, p. 625-626; V. Dobrev, “Considérations sur les titulatures des rois de la 1^{re} dynastie égyptienne”, *BIFAO* 93, 1993, p. 200.

⁶⁰ P. der Manuelian, *op.cit.*, p. 28.

⁶¹ R.M. Janssen, J.J. Janssen, *op.cit.*, p. 122.

⁶² N. Strudwick, *op.cit.*, p. 8-9.

waited until they had the king's permission to build it in the area of the royal necropolis. Accordingly, the inscriptions of Merib's tomb registered all high and central titles; this means that he had reached the peak of his careers, or he had the king's permission to build it in the area of the royal necropolis. The question is: who is the king who gave him this permission? In my opinion, the tomb owner would register his king's name or depict his figure in the tomb. The only royal name, in our tomb, is for the King Khufu.

- 9) Clearly, Roth dated the large tombs of cemetery 2100 at the period of the Fourth Dynasty.⁶³

Now, it is clear by the previous points that:

- ▶ The expression *nsw*, which was added to the titles of Merib, referred to the King Khufu.
- ▶ Merib had the right to build his tomb when he reached to a very high rank which was *imy-r kA(.w)t nb(.w)t (nt) nswt* "Overseer of all construction projects of the King". This title indicates Merib's participation in building the pyramid of his contemporary king; hence, when Merib was granted the right to build his tomb beside this pyramid honourably, he mentioned the name of his contemporary king in this tomb. The only royal name there was Khufu.

Therefore, I suggest that Merib had lived during the period of the Fourth Dynasty, especially around the End of the reign of Khufu and the Beginning of the reign of Djedefre. Now we have numerous evidences to the contrary of Strudwick's opinion that suggested that Merib belongs to the reign of Menkawre,⁶⁴ or to the end of the

⁶³ A.M. Roth, *A Cemetery of Palace Attendants*, Boston, 1995 = *Giza Mastabas*, VI, p. 1.

⁶⁴ N. Strudwick, *op.cit.*, p. 90, 218.

Fourth Dynasty,⁶⁵ or Junker's architectural view which suggested that Merib belonged to the early Fifth Dynasty.⁶⁶

Second: There were three special titles of Merib, his mother, and his daughter. Now, we will concentrate on them:

- ▶ The title of Merib: "King's son of his body".
- ▶ The title of Merib's mother, Sedit⁶⁷: "King's daughter of his body".⁶⁸
- ▶ The title of Merib's daughter, Nensezerkai: "King's daughter".⁶⁹

Regarding the first notice about the previous titles of those persons, a question may come into the mind: Are they children of the king of his body, really? Furthermore, how they acquired this important rank?

According to Schmitz's view, the mother, Sedit, was bestowed this title honourably; maybe because she was wife of one of high officials.⁷⁰ As for Merib, he was not actual "King's son of his body", but he was granted this title as a reward; because he was one of high officials who performed many active duties for the King as it was shown clearly by his titles.⁷¹

⁶⁵ LD. II, 22 (c); D. Jones, *Nautical Titles and Terms*, p. 72.

⁶⁶ PM, III, 71; H. Junker, *op.cit.*, p. 121-135. According to Junker, Der Manuelian dated Merib's mastabas at the early of the Fifth Dynasty. He cited that among the architectural Fifth Dynasty features of the tomb there are some. In my opinion, that architectural evidence is very weak; because they affirm that there are others of the Fourth Dynasty of this tomb too, which did not convince them enough to allow a Fourth Dynasty date. In addition to the architecture of the tomb, which maybe present the first beginning of architectural development of these features in the middle of the Fourth Dynasty that evolved in the other sequent tombs of the Fifth Dynasty; therefore, in their attempt, they did not go more than the beginning of the Fifth Dynasty. Cf. Der Manuelian, *op.cit.*, p. 72.

⁶⁷ PN, I, 323 (12): ⲁdit.

⁶⁸ Source: tomb of her son, Merib, see P. der Manuelian, *op.cit.*, p. 52.

⁶⁹ Source: her tomb G 2101, cf. PM, III, p.72.

⁷⁰ See B. Schmitz, *op.cit.*, p. 70.

⁷¹ Cf. *ibid.*, p. 71.

In my opinion, the answer to this question is involved implicitly behind the following notes:

- 1) Merib mentioned the name of his mother, Sedit, without his father's name.
- 2) They assured together this matter by using the expression “of his body”.
- 3) Merib named his son *Khufumerynetrw*⁷² whose name contains the name of King Khufu, and also named his daughter *Sedenit*⁷³ whose name looks like the name of his mother, *Sedit*.
- 4) Chevereau summarized that some royal sons could have the responsibility of naval administration of royal ships.⁷⁴

It could be noted that Merib's father did not have any high ranks or offices. Maybe he was rich man but did not belong to the royal family. Therefore, Merib did not mention his father's name or affiliate to him but to his mother, Sedit who had this important relation to the King. It is thus clear that she was an actual daughter of the King, or she belonged to the royal family at least. Accordingly, Merib was considered a son of the king honourably too. Likewise, the mother was the daughter of the King of his body; hence, the son, Merib, had the title “son of the king of his body”. Certainly, Merib belonged to the royal family without actually being directly the son of the king. More importantly, what support my hypothesis are the following affirmations:

- 1) Merib had the title *rx nsw* “Known of the King”.⁷⁵ In general, Strudwick considered it as an honorary title given usually not

⁷² *PN*, I, 268, (6); II, 381: #wfw-mry-nlrw. Nearly 16 names were relating and composed with the name of the King Khufu, see M.A. Murray, *Index of names and titles of the Old Kingdom*, London, 1908, p. 34.

⁷³ *PN*, I, 323, (13): ꜥdnit.

⁷⁴ P.-M. Chevereau, *op.cit.*, p. 30.

⁷⁵ The best article deals with the hieroglyph \ominus x and its interpretations in detail is: S. CURTO, “Ricerche sulla natura e significato dei caratteri geroglifici di forma circolare”, *Aegyptus* 39, 1959, p. 226-279.

to the princes, but to high ranks of officials (like Merib).⁷⁶ Accordingly, Merib did not belong to the royal family but to the elite of high ranks of officials. Moreover, Quirke thought that title might be given to the officials closer to the king with particular trust.⁷⁷ On the other hand, this title means literally *iri x nsw.t* “the one belonging to the placenta of the King”,⁷⁸ and indicates in general as twin or brother of the King.⁷⁹ Accordingly, such these previous suggestions can be useful, concerning Merib's titles, in trying to demonstrate that there was a close pedigree relation between Merib and his contemporary king when he bore this title.

- 2) Merib had the title *Hm-nlr #wfw* “Priest of (King) Khufu” whose holders were few in that dynasty, and most of them may have been related to the King Khufu.⁸⁰
- 3) The title *ad-mr wiA* “Administrator of a ship” was held by four royal sons during the Old Kingdom.⁸¹ Likewise, Merib held this title like them; it is not strange that Merib was considered one of the King's sons honourably at least.
- 4) The priestly title *snwt(y) Inpw* “(Who belongs to the) *snwt*-utensil of Anubis” which was considered as honorific title and assigned to princes in the Fourth Dynasty as Helck thought.⁸² Moreover, Brovarski demonstrated that the title was held during most of the Old Kingdom by the high-ranking personages, king's sons, viziers, and overseers of Upper Egypt, but only in the later Old Kingdom, it was borne by lesser individuals.⁸³ For instance, in the Fourth Dynasty it

⁷⁶ N. Strudwick, *op.cit.*, p. 224.

⁷⁷ S. Quirke, *op.cit.*, p. 60.

⁷⁸ *Wb.* II, 446.

⁷⁹ N.M. Abd el-Halim, “The Problem of the Royal Placenta in Ancient Egypt”, *JFA* (C), *Special Issue. Book of the 50th Anniversary of Archaeological Studies in Cairo University*, III, 1978, p. 89.

⁸⁰ N. Strudwick, *op.cit.*, p. 227.

⁸¹ P.-M. Chevereau, *op.cit.*, p. 30.

⁸² W. Helck, *Beamtentiteln*, p. 50-51.

⁸³ E. Brovarski, *op.cit.*, p. 76.

was held by the prince Kawab, who perhaps served his father, the King Khufu, as vizier.⁸⁴ Likewise, Merib bore the title “(Who belongs to the) *snwt*-utensil of Anubis”, and served his grandfather, the King Khufu, as we knew from his high ranks and offices, like “Overseer of all construction projects of the King”.⁸⁵ Accordingly, this notice indicates that Merib was member of the royal family at least if he was not actually a son of the King.

- 5) Merib bore many high priestly and honorary titles or held actual offices, like “Known of the King”, “companion”, “Beloved of his lord, whom his lord loves”, “Who belongs to the *snwt*-utensil of Anubis”, “Embalmer of Anubis”, “Priest of (King) Khufu”, and “Great of seers of Heliopolis”, which suggested that Merib was one of high ranks of officials, and candidate him to be member of a subordinate class of the royal family at least.

Evidently, Merib wanted to imply that there was a close pedigree relation between him and the royal family; so, he announced, through such previous titles, that he belonged, via his mother Sedit, to a branch of the royal family.

Regarding that case, we can conclude that western tombs of the Great Pyramid at Giza Necropolis were not only given to lesser nobility and members of Khufu's court who were not related to the royal family in contrary to popular believe before,⁸⁶ but also given to high ranks of officials who belonged to a branch of the royal family. Furthermore, we can confirm a historical result that King

⁸⁴ W.K. Simpson, *The Mastabas of Kawab, Khufukhaf I and II*, Boston, 1978, fig. 8; E. Brovarski, *op.cit.*, p. 68.

⁸⁵ Or “Overseer of all works of the King”, see W.A. Ward, *op.cit.*, 51, n. 401; D. JONES, *An Index of Ancient Egyptian Titles*, p. 262, n. 950.

⁸⁶ V. Maragioglio, C. Rinaldi, *L'architettura delle Piramidi Menfite*, IV. *La Grande Piramide di Cheope*, Rapallo, 1965, p. 74-77; K.R. Weeks, *Mastabas of Cemetery G 6000*, Boston, 1994 *Giza Mastabas*, V, p. 1.


Khufu dedicated the high administrative ranks to some of his family members, and allowed them to be buried beside him at the royal necropolis in Giza as gifts of honour to his outstanding retinue.

X: hypothesis for the political relation between Merib together with his coequals and Djedefre:

There are many interpretive opinions concerning the Regnal Succession that happened after the death of Khufu. The lineage of his successor, Djedefre, is highly uncertain, and the best which can be said of him is that he was probably from a secondary branch of the royal family. His succession to the throne was only legitimized by marriage to Hetepheres, widow of the crown prince Kawab who was assassinated by his brother Djedefre (?).⁸⁷ This action did not placate the other competing princes.⁸⁸ In the light of lack of sources, I am unable to provide a substantial evidence for the following suggestion, but there are some notable and convincing pieces of evidence that could be observed:

- 1) Kanwati noted that the high ranks of officials, at the end of Khufu's reign, did not possess the same costly tombs that their equals had early in the same reign.⁸⁹
- 2) The priestly titles of Merib were related only to the name of King Khufu, not Djedefre, the immediate successor of him.
- 3) Merib neither had any ranks in relation to that new King, Djedefre, nor mentioned his name at least in his tomb.

Thus, we can reach to another historical result: After the death of Khufu, there were troubles between the two branches of the royal family of Khufu concerning the succession the throne. At the head

⁸⁷ Cf. G.A. Reisner, *A History of the Giza Necropolis*, I, London, 1942, p. 28; H. Gauthier, "Le roi Zadfré  successeur immédiat de Khoufou-Khéops", *ASAE* 25, 1925, p. 178-180.

⁸⁸ V.A. Tobin, *op.cit.*, p. 626.

⁸⁹ N. Kanawati, *The Egyptian Administration in the Old Kingdom. Evidence on its Economic Decline*, Warminster, 1977, p. 70.

of the main branch was Khaefre, while at the head of the subordinate one was Djedefre, according to the ranks of their royal mothers.

First: Situation of Merib against the King Djedefre:

During the political conflict concerning the accession the throne among the competitors, I think that Merib wanted to avoid announcement his support to any of the two royal branches through abstaining the mention of their names in his tomb inscriptions, except the name of King Khufu who had the legitimate right of the kingship previously.

Second: Reaction of the King Djedefre against Merib and his coequals:

When Djedefre succeeded in accession the throne, Merib (together with some of high ranks of officials?) rejected that usurping of the throne. This rejection reincarnated in non-avowing and non-alignmet to Djedefre. This situation forced the King Djedefre to:

- Avoid the burial at Giza Necropolis near them.
- Seek the burial at new necropolis in Abu-Roash, about five miles from the great pyramid of his father Khufu, where the King Djedefre together with his court men had built their tombs there.⁹⁰
- Connect with the god Re instead of his father the King Khufu; in order to prove that he had the legitimate right of accession the throne within his divine relation with the god Re directly. Evidently, Djedefre, as a usurper, tried to have strong support for his action, which came within the hierarchy of the God Re. The name Djedefre (“Re is his stability”) indicates at the very

⁹⁰ M. Valloggia, “Le complexe funéraire de Radjedef à Abou Roasch: état de la question et perspectives de recherches”, *BSFE* 130, 1994, p. 5- 17.

least the devotion of its holder to Re of Heliopolis, and may also indicate that the Heliopolitan priesthood functioned as a political support for his throne.⁹¹ The convincing evidence on this hypothesis is that Djedefre was the first king who brought Re to the royal titles through the title “son of Re”, and his name which belonged to the god Re, in addition to the blessing phrase such as *anx Dt mi Ra* “may (he) live eternity like Re”.⁹²

That action interprets what Barta observed; that during the Fourth Dynasty, ten holders of the title *xrp aH* “Inspector of the Palace”, were buried at Giza, only two at Abu Roash.⁹³ On the other hand, this observation may help to interpret the political relation between the King and those of the high officials through the burial in the same place or not, according to the prevalent state, whether in disagreement or concord among them.

There was immediate hostile reaction of the King Djedefre against the situation of high ranks of officials, like Merib, who were not among his entourage. It might have happened that the new King, Djedefre, attempted to deprive those dissenters, who belonged to the period of Khufu, from their honorific titles and high ranks or offices that gave them the authority and wealth. He only allowed them to bear only some priestly titles as a limited punitive action that may force them to reconsider their situation toward him.

⁹¹ V.A. Tobin, loc.cit.

⁹² See H.W. Müller, “Der Gute Gott Radjedef, Sohn des Rê”, *ZÄS* 91, 1964, p. 129-133. This footstep was not strange at that time; for example, there was an equation for Khafre with Khaefkhufu (#a.f-#wfw), one of the owners of the mastabas of Cheops's sons. See R. Stadelmann, “Khaefkhufu = Chephren. Beiträge zur Geschichte der 4. Dynastie”, *SAK* 11, 1984, p. 165-172. Therefore, this example indicates that Khafre had previous name related to the legitimate King Khufu; maybe in order to pretend that he who had the right of accession the throne during his struggle against his brother Djedefre. Then Khafre changed his name on assuming the throne by substituting the name of his father for that of the sun-god to satisfy the hierarchy of this god, who had the great religious and political influence at that time.

⁹³ M. Barta, op.cit., p. 9.

I think that although Merib refused this implacable reaction of the King Djedefre, he considered the current conditions intellectually, and then he chose his sacerdotal titles that related to the dead king, Khufu. Maybe his purpose was in order not to establish a clear hostile relation with any of the quarrelling branches of the royal family.


Afterwards, Djedefre replaced those officials, who had the negative situation against him, with other corroboratory officials for him together with the Heliopolitan priesthood who functioned as a political support for his throne; in order to assume and seize the authority in his hand. We can say that the rejection succeeded to end these political troubles quickly by helping in the accession of Khafre the throne legitimately. Logically, Merib died at this time; hence, he did not mention the name of Khafre in his tomb inscriptions, and did not held any high ranks or titles related to the legitimate King, Khafre.







XI- The Birth land and Family of Merib in historical context:

A- Merib's birth land:

There are some evidences that we could interpret in suitable contexts as follows:

1) Merib mentioned his mother's name, Sedit, in his tomb as:


 Hm(t)-nTr(t) Nt mHtt ⁹⁴

⁹⁴  Nt mHtt(y)t inb "Neith, north of wall". cf. P. der Manuelian, *op.cit.*, p. 77 (l.10). Manuelian's reading for  mHtt is dubiety; because it was unknown before the 18th Dynasty, see WB. II, 126 (3). I suggest another reading and interpretation for this expression. My reading is Nt mHtt(y)t, and the ideogram  is only a determinative, according to the similar expression  and , where the ideogram  is too a determinative. cf. Wb. II, 198. Thus, the name of Neith has an epithet "northern" in order to indicate one of the two images of this goddess were during the Old Kingdom: an image of Lower Egypt (north) where its temple in Sais, and the other image of Upper Egypt (south) where its temple in Esna. This matter was certain during the New Kingdom according to monuments of Amenmose (the owner of the =

“Priestess of Neith of the North”

Thus, the mother was priestess of goddess Neith who had been worshipped in the north (Lower Egypt).⁹⁵

- 2) Merib held the office of wr mAA(.w) lwnw “Great of seers of Heliopolis”. This title indicates that Merib was related to the city of Heliopolis which was located at the Lower Egypt area.
- 3) Merib had the honorary rank of rA P “Mouth of Pe”. The city of Pe (Buto) was located at the Lower Egypt area.⁹⁶
- 4) Merib built his tomb at Giza Necropolis of Memphis city; so, this indicates that he lived in Memphis that is considered the first district in the Lower Egypt administratively.⁹⁷

According to what was mentioned previously, Merib had a special social relation with Lower rather than Upper Egypt; so, he mostly originated from Lower Egypt, especially Athribis that maybe was the hometown of him and his father.

B – Merib's Family:

There are some pieces of evidence which could help us to find out some historical facts such as:

- 1) Merib did not flaunt his father, or mention even his name at least in his tomb.
- 2) There is no tomb of Merib’s father beside the tombs of his wife Sedit and his son Merib in the royal Necropolis at Giza.

=Theban Tomb No. 373), which appear to have been particularly devoted to Neith. He himself may have come from Esna. See L. Habachi, “The Royal Scribe Amenmose, Son of Penzerti and Mutemonet: His Monuments in Egypt and Abroad”, in: *Studies in Honor of George R. Hughes = SAOC 39*, Chicago, 1977, p. 83-103.

⁹⁵ See C.J. Bleeker, “The Egyptian Goddess Neith”, in: *Studies in Mysticism and Religion presented to Gershom G. Scholem on his Seventieth Birthday*, Jerusalem, 1967, p. 41-56; R. el-Sayed, “Les rôles attribués à la déesse Neith dans certains des Textes des Cercueils”, *Orientalia* 43, 1974, p. 275-294.

⁹⁶ H. Altenmüller, *LÄ I*, col. 887, s. v. “Buto”.

⁹⁷ C.M. Zivie, *LÄ IV*, col. 25, s. v. “Memphis”.

This could be attributed to the fact that the father of Merib did not belong to the royal family, but to a high or elite class of the society. Logically, He had married princess Sedit who belonged to the royal family; so, Merib mentioned the name and titles of his mother, Sedit, not his father in his tomb.

Therefore, it is clear that the Kings of the Fourth Dynasty allowed the royal princesses to marry men who did not belong to the royal family. This custom was assuring the political support of great local families for the King and his authority. Now, we can conclude that the royal custom of getting their princess married to men who did not belong to the royal family, dates back to the period of Fourth Dynasty, not only to the Sixth Dynasty as it was known before.⁹⁸

⁹⁸ Cf. M. Verner, *Baugraffiti der Ptahschepses-Mastaba*, Praha, 1992 = *Abusir*, II, especially the 6th chap.; R. Stadelmann, "König Teti und der Beginn der 6. Dynastie", in: *Hommages à Jean Leclant*, I: *Studes pharaoniques*, Le Caire, 1994, p. 327-335.

An unpublished block from the Tomb of Huynefer at Saqqara

*Dr. Mona Abou El Maati **

Introduction:

Among a series of New kingdom tombs excavated at Saqqara, the tomb of the royal scribe Huynefer. It was first excavated by Prof. Dr.Saied Tawfik during the Cairo University excavations. Excavations were resumed in 2005 by an expedition headed by Prof. Dr.Ola El Aguizy¹.

This block (pl.1,2) is now preserved in the storehouse of the site. It bears the temporary number 150/2004.

The tomb of Huynefer is situated to the south of the causeway of king Unas's mortuary complex. It is one among a group of tombs made for the elites and for the high officials from the Ramesside period in Saqqara².

Huynefer was the royal scribe and the holder of the royal seal in the reign of Ramesses II as the king's name was found written on a piece of stone from the tomb.

Huynefer's mother was the Smajt "the singer of *Amon-Re*" and that refer to the high rank of his family.³

The block which I study here is bearing a very distinctive scene of offerings, as we can notice a huge amount of offerings and their varieties.

*lecturer in the Faculty of Archaeology, Cairo University.

¹ I am indebted for the opportunity dr.Ola gave me to study and publish this block from the tomb.

A special thanks and gratitude to Dr.Heba Kamal for giving me the opportunity to work on this block.

² S.Tawfik,Recently Excavated Ramesside Tombs at Saqqara, in *MDAIK* 47,1991,p.408.

³ هبة مصطفى،منظر دينى من مقبرة الكاتب الملكى حوى نفر بسقارة، مجلة كلية الآثار ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢٧٥ وما بعدها

Description of the block:

The scene on the block shows Huynefer standing on the left, unfortunately his upper part is missing, he is wearing a long pleated dress and sandals⁴.

He is holding an incense burner in his left hand. The censer has a long hand to fumigate the offerings placed on three tables of offerings in front of him⁵.

These offerings are presented to a god standing on the right, he is probably the god Ptah who was the supreme god of Memphis. Ptah appears standing on the pedestal *Maat*, in his usual mummy like form, his name is missing here, but he was mentioned on another block from the tomb as the god "Ptah –Tatenen"⁶.

Traces of colors are found on the block .Two bunches of Papyrus and Lotus flowers separate the first offering table from the other two.

A vertical line of text lies between the offerings and the god, and another two horizontal lines of texts in the lower part of the scene.

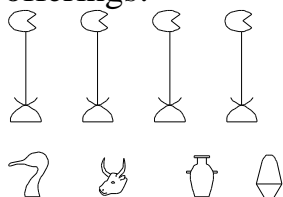
⁴ A.Erman, Aus dem grabe des Hohenpriesters von Memphis, in ZÄS 33, 1859, pl.IIb; A.Hermann, Eine un gewöhnliche gesichtsdarstellung des Neun Reiches, in ZÄS 75, 1939, pl.8a; G.A.Gaballa, The Memphis tomb chapel of Mose, Warminster 1977, pl.46; S.Gohary, The tomb chapel of the royal scribe Amenemone at Saqqara, in BIFAO 91, 1991, pl.57.

⁵ H.Beinlich, "Räucherarm" in LÄ V, 83; M.A.Blackman, Remarks on an Incense-Brazier depicted in Thuthotep's tomb at El-Bersheh, in ZÄS 50, 1912, pp.66-68; H.Beinlich, Ein Altägyptischer Raucherarm, in MDAIK 34, 1987, pp.24-25; G.Roeder, Ägyptische Bronzewecke, 1937, 67ff.

⁶ هبة مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧

For more informations on Ptah-Tatenen see:
Ch.Leitz, LÄGG III ,p.178.

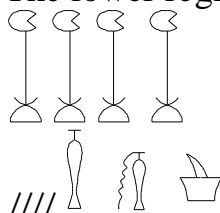
In front of Huynefer's chest there is a calculation of the offerings:



xA Apd xA kA xA Hnot xA tA

“Thousand of birds, oxen, beer, bread”.

The lower register:



xAIIIII xA Hs xA obH xA snTr

“Thousand of (...), of vases, of libation, of incense”

At the top above the three offering tables, we can see the lower parts of some offerings such as:

The Seven unguent jars, an ox and a goose:

These sacred seven jars are well known, they were used in the mummification rites and in the rite of opening the mouth, they were also used in the daily services in temples to anoint and perfuming the statue of the god⁷.




The first offering table in front of the deceased is full of different kinds of bread, two geese, a vase and there is a lotus flower on the top of these offerings in order to make some refreshment to the offerings⁸.



⁷ W.Barta, Die altägyptische offerliste von der frühzeit, bis zur griechisch-Römischen epoche, in MÄS 3, 1963, p.12-14; K.Koschel, Königliche miniature salbgefäße eines undokumentierten fund complexes, in SAK 29, 2001, p.235; S.Ikram, The mummy in Ancient Egypt, Cairo 1998, p.104.



⁸ A.Radwan, Ramses II und seine mutter, in SAK 6, 1978, p.158.

of the god Ptah as(pth) (w)n nfr or it is the remains of the Htp di wsir spell which begins with

“ Htp di wsir wn nfr” just as seen in the lower part of the column.

c-The word  is not clear to me , but I tried to read it by many ways: it may refer with the missing signs from the beginning of the text to the pyramid of Memphis “mn nfr” but this always take the determinative  and the determinative of a city  not the stepped pyramid.It may be read as “m ar” -which I prefer-that gives the meaning “the god in his elevation”, or finally it is a mistake in writing by the writer.


d-The word xtm which means “seal” in the title of Huynefer imy-r xtm“lord of the seal” is written twice, once with  in the vertical line and with the sign  in the horizontal line.

e -The name of Huynefer is written once with the determinative  and another with the sign of a man sitting on a chair  holding the flail in both cases.

f-Smsw Hr in the horizontal line means “The followers of Horus”, it refers to the creatures who supposedly followed the god Horus in his predynastic battles at Edfou and in the Delta.They were honored in all Horus temples. The followers of Horus deemed both mythical companions and predynastic rulers of legend, may have been the confederation of nome warriors who followed the Thinite ruler Narmer north in his quest to overcome the Delta and unify Egypt.These followers of Horus were portrayed as bearing clubs and other weapons.in the mortuary texts, the followers assume even more dramatic roles they purify the deceased on their journeys and

are described in some documents as predynastic rulers who welcome the dead into their domains of eternal bliss¹¹.

g-Styt denotes the sanctuary of a god, especially Soker¹², and it can also be used to mean “tomb” so it is sepulchral in implication. Originally it was the name of the sanctuary of Soker at Memphis and it became a general term for the whole necropolis or a sanctuary in one of the main temples¹³.

h- The vase under the second offering table  is a kind of vases represented in Karnak among the annals of Thutmosis III. It is related to the goddess Hathor who is represented in the form of a cow in the middle of the vase with papyrus plants



as if she is in the Delta marshes. The vase is known as the didi or ddt vase which was filled with wine¹⁴, and was offered to Hathor to calm her down in the Myth of “Destruction of mankind”¹⁵.

Conclusion:

As we have seen, the monument under study is a typical New Kingdom with a unique scene of offerings. It is relatively well preserved: the reliefs are beautifully carved and the writing completely accomplished in sunken relief.

¹¹ Friedman, Renée Frances The Followers of Horus: Studies dedicated to Michael Allen Hoffman, 1944-1990, Egyptian Studies Association Publications 2, 1992; Jürgen von Beckerath, Horusgeleit in *LÄ III*, 51-52; M. Bunson, Encyclopedia of Ancient Egypt, 1991, p.139.

¹² P. Vernus, Athribis: textes et documents relatifs à la géographie, aux cultes et à l'histoire d'une ville du Delta égyptien à l'époque pharaonique, in *BdE 74*, 1978, p.425 n.6.

¹³ Wilson, *PTL*, p.1038.

¹⁴ S. Cauville, L'Offrande aux dieux dans le temple égyptien, 2011, p.50f; Du Mensil, Les Noms et signes, p.54.

¹⁵ H. Brunner, “Die theologische Bedeutung der Trunkenheit”, *ZÄS 79*, 1954, 82; C. Meyer, “Wein”, *LÄ VI*, 1175-76; M. Poo, “Weinopfer”, *LÄ VI*, 1189.

It is well observed that there are some mistakes in writing, and omissions are made on purpose in the lower part of the scene.

From the huge amount of offerings with their varieties we deduce how wealthy that person was.

Pl.1



Huynefer making offering to the god Ptah-Tatenen-Saqqara

Pl.2



Details of Huynefer making offering to Ptah-Tatenen-Saqqara

Index

N	Name	Title	Country	Page Numbers
13	Dr. ABEER Gharib ABD ALLAH	An Approach to Microanalysis and Conservation of Silver - Copper Object in Agriculture Museum, Cairo, Egypt	Egypt	1 : 15
14	Dr . Magda Abdalla	Die Männer auf Papyrus Turin 55001	Egypt	16 : 31
15	Dr. Mohamed Mahmoud Kacem	The Administrative and Historical Importance of Merib's titles	Egypt	32 :57
16	<i>Dr. Mona Abou El Maati</i>	An unpublished block from the Tomb of Huynefer at Saqqara	Egypt	58 :66

***note : this index is arranged according to the alphabetical order of names**

Deposit No.
International and domestic
12864/2013



JOURNAL OF The General Union OF Arab Archeologists

**An annual scientific journal - dedicated to the
publication of researches and specialized studies
in the fields of archeology and museums,
restoration and the Arab World civilizations**

**Published by
General Union of Arab Archaeologists**

**and the Arab Council for post Graduate Studies and
Scientific Research of the Federation of Arab Universities**

No.14

**CAIRO
2013**